

مجلة ثقافية شهرية ـ العدد ٢٥٤ ـ شعبان ١٤١٨ هـ ـ ديسمبر ١٩٩٧ م
ALFAISAL MAGAZINE - ISSUE 254 - Dec. 1997



رحلة مع الشيخوخة
على متون القصائد

اللسان العربي
ومحنته المعاصرة

السرطان:
الجديد في علاجه



نتيجة الفكر في علاج أمراض البصر

تأليف:

أحمد بن عثمان بن عبدالله القيسي
المتوفى سنة ٦٥٧ هـ - ١٢٥٩ م





هذا الكتاب واحد من كثير من الكتب التي ألفها علماء المسلمين في الطب عامّة، وفي طب العيون خاصة، وقد قسَّمه المؤلف خمسة عشر بابًا، تناول فيها مختلف أمراض العيون ومسبباتها وطريقة علاجها، فتحدث عن أعصاب العين والشبكية والملتحمة والقرنية والمشيمة وأمراض الجفن، وغير ذلك.

كُتبت هذه النسخة من الكتاب سنة ٩١٩ هـ داخل الحرم المكي تجاه الكعبة المشرفة، واستخدم الناسخ المداد الأحمر في كتابة عنوان المخطوطة داخل مستطيل مزيَّن من أطرافه الداخلية بالنباتات الزرقاء، وأُحيط العنوان والمستطيل بإطار مذهب، وتحت العنوان كُتب اسم المؤلف بالمداد الأحمر داخل شكل هندسي متعرِّج ومزيَّن من أطرافه بجدول ذهبي يحفُّه إطار بالمداد الأزرق.

وكُتب النص بالمداد الأسود، مع استخدام المداد الأحمر في كتابة أرقام الأبواب وعناوينها وكتابة بعض الكلمات والعبارات. كما استخدم الناسخ المداد الأخضر والأزرق في كتابة بعض كلمات النص.

وفي صفحة العنوان العديد من قيود التملُّك، بعضها مؤرخ سنة ١٠٦٢ هـ، وبعضها سنة ١١١١هـ.

يقع المخطوط في ٧٤ ورقة، في كل ورقة ١٧ سطرًا، ومقاسه ٢٠.٣ X ١٥.٥ سم.

وهو من مقتنيات مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية برقم ١٢٨٨٩.

إعداد: إبراهيم باجس عبدالمجيد

في العدد القادم

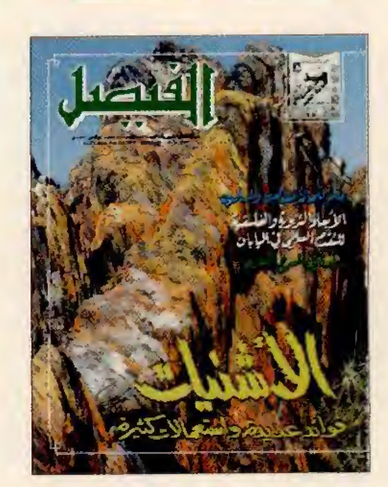
- شهر رمضان المبارك (ملف خاص)
- تحديات الهندسة الوراثية في العالم الإسلامي
- تصنيف جديد للأدب الأندلسي

رئيس التحرير

د. زيد بن عبدالمحسن الحسين



مجلة ثقافية شهرية تصدر عن دار الفيصل الثقافية



عن العدد الماضي

سوف أذكّر القراء بكلمة في العدد الماضي عنونت لها الفيصل بـ«الشقي بثقافته». فقد أوقفتني كاتبتها د. نوره الشملان بطرحها الموضوعي البعيد من السطحية، فجاءت خواطرها في «الفيصل» من السهل الممتنع، والمفهوم لكل القراء.

ومن أكثر ما جذب انتباهي في العدد ذلك الاهتمام الكبير بمشاركات القراء التي جاءت متناثرة في أبواب عدة؛ ابتداء بصفحتي البريد، مرورًا بأبواب «البريد الثقافي»، و«تباشير»، و«ردود خاصة»، وانتهاء بباب «مناقشات وتعليقات».

ومن المقالات البارزة في هذا العدد ما كتبه أستاذ التربية د. محمد عبدالعليم مرسي حينما تحدث بشكل موسع عن التلفاز وتأثيره في الأطفال، ومن أخطر ما ذكره من آثار سلبية قوله: «التلفاز يعزل الأطفال عن الواقع المحيط بهم كما يعزلهم عن واقع مجتمعهم الكبير بما يجري فيه من أحداث»!!

فأرجو أن تفسح الفيصل المجال في المستقبل لمزيد من الدراسات المتخصصة في هذا الباب، لأننا في حاجة ماسة إليها من أجل صناعة جيل المستقبل القادر على مواجهة التحديات، وهذا ما هو متوقع من رجل مجال تخصصه التربية مثل الدكتور زيد الحسين الذي يدرك - بلا شك - عمق هذه القضية وأهميتها في واقعنا المعاصر. ولعل هذا ما يبدو واضحًا في اهتمام المجلة بالقضايا التربوية التي إن غابت عن مقالة برزت في لقاء، فجاءت إطلالة العدد المعنونة «خير الاستثمار في العقل» ببعدها وعمقها التربويين لتتكامل مع القضية التي طرحها الأستاذ عبدالله سليمان القفاري عن الأبعاد التربوية والفلسفية للتقدم العلمي في اليابان. ولا يكاد يخلو عدد من هذا التوجه الذي عهد عن الفيصل، والذي نأمل أن يتعمق من خلال فتح قنوات تعاون مع الجهات التربوية المتخصصة مثل مكتب التربية العربي لدول الخليج.

خالد بن محمد الخريف

باحث بالمركز الإعلامي بالرياض

ملاحظات عامة :

مع تقديرنا لكل من يسهم في الكتابة في المجلة، فإننا نرجو من كُتّابنا الكرام أن يضعوا في حسبانهم الملاحظات التالية:

١ - أن يتسم الموضوع المقدم للنشر بالجدّة والموضوعية، مع توثيق المراجع إذا اقتضى الأمر ذلك.

٢ - ألا يكون الموضوع منشورًا من قبل، أو مرسلاً إلى أي جهة أخرى ناشرة.

٣ - حين تردّ المجلة على كاتب ما بأن موضوعه «غير مناسب للنشر» فإن هذا لا يعني أنه «غير صالح للنشر» في غيرها، وإنما يعني عدم مناسبته لسياسة النشر فيها.

٤ - أن يرفق الكاتب (الذي لم يسبق له الكتابة في المجلة) مع موضوعه، الاسم والمؤهلات العلمية والإنتاج الفكري - إن وجد - وعنوان المراسلة، في ورقة مستقلة، إضافة إلى صورة ملونة حديثة.

٥ - الموضوعات المنشورة في هذه المجلة تعبّر عن آراء أصحابها، ولا تعبّر بالضرورة عن رأي المجلة.

العنوان ص.ب (٣) الرياض ١١٤١١ - المملكة العربية السعودية

هاتف ٤٦٥٣٠٢٦ - ٤٦٥٣٠٢٧ - ٤٦٤٧٨٨٤ - فاكسملي: ٤٦٤٧٨٥١

ردمد ١١٤٠-٠٢٥٨ رقم الإيداع ١٤/٠٥٤٢

الاشتراكات السنوية :

للأفراد ١٥٠ ريال سعودي، للمؤسسات ٢٥٠ ريال سعودي.

الإعلانات :

يتم الاتفاق عليها مع إدارة المجلة.

الأسعار

السعودية ٨ ريالات - الكويت ٦٥٠ فلس - الإمارات ٧ دراهم - قطر ٧ ريالات - البحرين ٧٥٠ فلس - عُمان ٧٥٠ بيسة - الأردن ٥٠٠ فلس - اليمن ٤٠ ريالاً - مصر جنيهان - السودان ١٥٠ جنيه - المغرب ٨ دراهم - تونس ٦٠٠ مليم - الجزائر ١٠ دنانير - العراق ٤٠٠ فلس - سورية ٣٠ ليرة - ليبيا ٨٠٠ درهم - موريتانيا ١٠٠ أوقية - الصومال ٢٠٠٠ شلن - جيبوتي ١٥٠ فرنك - لبنان مايعادل ٤ ريالات سعودية - الباكستان ٢٠ روبية - المملكة المتحدة جنيه استرليني واحد.



خير الاستثمار في العقل

طالعت إطلالتكم المباركة في عدد الفيصل ٢٥٣ تحت عنوان «خير الاستثمار في العقل»، وأعجبت بتناولكم تجربة اليابان في إعادة بناء ما دمرته الحرب، والعمل على اللحاق بركب العصر بالاعتماد على نظام تربوي حقق لليابان النجاح؛ بل التفوق على كثير من الدول. وكان مصدر الإلهام يعتمد على الإبداع الذاتي، بحيث لا يقتصر النظام التربوي على تأهيل القوى البشرية لسوق العمل فحسب؛ وإنما عليه أن يجعل هذه القوى قادرة بنفسها على توليد فرص عمل جديدة مع المحافظة على الأصول والثوابت. فانطلقت اليابان لتتعرف أسباب تقدم الأمم الأخرى وتفوقها، واستفادت من تجاربها، وبدأت في تقليد إنتاج تلك الدول التي تفوقها في مجال الصناعة، وزودت الطلاب بالمهارات والمعارف والقيم الاجتماعية؛ بما يحقق لهم المشاركة الفعالة والاندماج الاجتماعي، والتعامل بإيجابية مع مقتضيات العصر، وتحقيق التوازن في تأهيلهم لتلبية احتياجات القطاعات المختلفة من العمالة الماهرة.

ومثل هذه الكتابات يفيد الناس من أصحاب الشأن والمختصين والعامة، وندعو الله أن يوفق الجميع إلى طرح مثل هذه الأفكار الرائعة التي تنفع المسلمين، فكم نحن بحاجة إلى إعادة النظر في نظامنا التربوي برمته؛ بحيث نحاول جادين تحقيق أهداف السياسة التعليمية في مملكتنا، وهي سياسة رائدة، بل عالمية، لأنها تنطلق من القرآن وسنة نبيّنا محمد صلى الله عليه وسلم الذي لا ينطق عن الهوى، على أن نأخذ أيضًا ما ينفعنا من تجارب الأمم الأخرى.

عدنان أحمد كيفي

ص.ب ١٠٠٦٣، مكة المكرمة.

الاسم الكريم والمسمى الأكرم

نَبْعُ الثقافة والفنون تسيرُ
بين النجوم الشاهقات تُنيرُ
يا دُرَّةً فوق الجبين بما حَوَتْ
بين الشَّغاف ينالُها التقديرُ
تَحْوي النَّفيس من العلوم وتزدهي
حتى «الغلافُ» لَهُ صدًى وعبيرُ
يَدْعونها «بالفيصل.. الغراء» مِنْ
أَلَقٍ بها قَدْ زادَهُ التنويرُ
في كل شهر نرتجي حُلْوَ اللِّقا
حُبًّا وشوقًا.. واللِّقاء مُثيرُ
اسْمٌ كريم للذي رَفَعَ اللّوا
يزْهُو به التاريخ أين يدورُ
وله بقلب العُرْب ما طال المدى
أثرٌ جليلٌ.. بالقلوب يدورُ
فَلْتَقْبلي مني التحايا «جنَّتي»
أنا مُدْنَفٌ وأذابني التفكيرُ
يا واحةً تروي الظِّماء إلى العُلا
رُمْتُ «القَريضَ» فأينع التعبيرُ

محمد السيد محمد جاب الله

٤ شارع ١٧٤، طابية صالح بالقباري

الإسكندرية، مصر.

إنصاف رجل

الحوار الذي أجرته المجلة مع المدير العام السابق لليونسكو الأستاذ أحمد مختار أمبو كشف كثيرًا من شخصية هذا الرجل الذي جابه مشكلات عديدة إبان توليه المسؤولية في هذه المنظمة الدولية. وكانت دعوته إلى ضرورة امتلاك أسرار التقنية دعوة حق، لأننا من دون ذلك سنظل ندور في حلقة مفرغة من التبعية، كما ينبغي لنا أن نكون على معرفة بأساليب التعامل في عالم اليوم في ظل تناقض المصالح، وانعدام المبادئ في كثير من الأحيان. وليس من تَعَامَلَ من كثب كمن سمع. فللفيصل الشكر لإتاحة هذه الفرصة لإنصاف هذا الرجل.

محمد أحمد طاهر

حي الصفا، جدة.

بعيدًا من الأسئلة الجوفاء!!

أعجبني كثيرًا حوار القراء مع د. غازي القصيبي في «منتدى الفيصل». فقد أجاب عن كثير من الأسئلة التي كانت تعن لي ولغيري من القراء، وكانت إجابات شاعرنا الكبير شائقة الكلمات، سديدة المعاني. وأتمنى أن تأتي الحوارات القادمة في هذا الباب المتميز على المستوى نفسه، إن لم يكن أفضل. ومع أنني كنت أود المشاركة بالأسئلة في هذا المنتدى؛ إلا أن الظروف حالت دون ذلك، ولكن إخواني القراء وفقوا كثيرًا في أسئلتهم، وكان كثير منها يدور في خلدي. فشكرًا لهم جميعًا، وشكرًا للفيصل التي نأمل أن تكون دومًا منبرًا لقرائها في أنحاء العالم، بعيدًا من التقليدية والأسئلة الجوفاء.

مرزوق محمد العتباني

شارع كفر عصام، طنطا، مصر.

عرفت «القصيبي» عن قرب

لقد أتحفتنا مجلتنا العزيزة بمنتداها مع السياسي المفكر الأديب الناقد الروائي الشاعر د. غازي القصيبي. وقد كنت قبلاً أجهل الكثير عن هذه الشخصية الفذة على قراءتي لزاويته «صوت من الخليج» في المجلة العربية.

محمد أحمد سعد

ص.ب ١٠٦١، جرش، الأردن.

تقدير

أحييكم وأبلغكم أنني من أشد المتابعين لمجلتكم حيث يقوم أحد الأصدقاء بإهدائي نسخة منها؛ وذلك لما تحمله من موضوعات وأفكار نستفيد منها نحن القرّاء، وإنني أقدِّرُ مدى الجهد والعمل المتواصل في سبيل إظهار هذه المجلة بالمظهر اللائق.

عيسى محمد القحطاني، ص.ب ٢٥١٢١، الأحساء ٣١٩٨٢

وردت رسائل كثيرة من الإخوة القراء لم تتسع لها المساحة المحددة للبريد، وسيتوالى نشرها في الأعداد القادمة

... تباشير، وإبراز المواهب الشابة

...إنني أشيد كل الإشادة ...باب «تباشير» الذي ...يفتح المجال واسعًا أمام ...المواهب الشابة حتى تبرز ...قدراتها، وتستفيد مما في ...هذا الباب من توجيه. ...لذا فإن كلماتي هذه ...تعبير عن امتناني ...وشكري لما تبذلونه في ...هذا السبيل. وفقكم الله ...دومًا لما فيه الخير لشباب ...هذه الأمة.

فتح الرحمن
عبدالباقي يوسف
أم طلحة ص.ب ٣١،
المناقل، السودان.

رسالة شكر وتقدير

أتقدم بتحية عطرة مضمخة بنمير الود والإخاء إلى كل العاكفين على تحرير هذا الصرح العلمي المتمثل في مجلة «الفيصل».

وليسمح لي رئيس تحريرها بأن أعبر له عبر هذه السطور المتواضعة عن بالغ شكري واعتزازي بإطلالته المعنونة بـ«اللغة العربية وإرادة أمتها».

ولا إخالني نبتة غريبة، أو نادرة تاريخية في ذلك. فقد وجدت معي أناسًا كثيرين يلهج لسانهم بمثل ما قلته، ويرتلون معي آيات الشكر والعرفان لمجلتكم الغرّاء، ويسردون معي كذلك أحاديث التقدير والاعتزاز بها وبالقائمين عليها.

إن تعدادي لأيادي الفيصل عليَّ وعلى القراء العرب والمسلمين كمن يروم - عبثًا - تعداد نجوم السماء، أو يحاول إحصاء حصى الغبراء، فقد يقول قليلاً ويفوته الكثير، أو يتحدث عن البحور الجياشة مع الأمواج المتدفقة فيذكر القليل ويندّ عنه الأكثر، فهو دائمًا لا يشكو أو يخاف من الإفراط، ولا يأمن مهما فعل التقصير.

وإنني - منذ بقل عذاري - لم أزل أسهر الليالي لقطًا لما يتناثر بين طيات الفيصل، وركضًا بين بحوث هذا الكنز الثقافي العريق وتحقيقاته، لصيد سوانح فوائدها وقيد بوارح شواردها، وقطفًا لما يتدلى من عناقيد صفحاتها من يانع العلم، وألذ مقطوف المعرفة.

ولا عضيهَة علي في ذلك؛ فمامن كاتب أو أديب إلا وللفيصل عليه يَدٌ جلّى، شاء أم أبى، وقد أصبح ذلك واقعا ملموسًا بحيث لا يحتاج إلى إقامة دليل، فإن ألسنة الخلق قد كفتني مؤنة ذلك. فلله در من شارك في إرساء دعائمها، ولله در من بذل جهدًا في استمرار مسيرة كيانها الميمون.

وقد يقول قائل: أقصر فقد بالغت. وجوابًا عن هذا الاعتراض أقول: إن كلامي هذا ليس مجرد زخرفة لفظية، تجتث من على كاهل هذه الورقة ما لها في أرض الحقيقة قرار، فليس قلمي الأول ولم يكن الأخير الذي لم يزل رطبًا بالثناء على «الفيصل» الغراء والتنويه بجهود القائمين عليها، وأيضا فإن الصفة التي نالت إعجابي فيها لو كانت في أقاصي الأصقاع لتعيَّن أن تتنافس الأقلام وتتسابق إلى حلبة شكرها، والتزاحم في نيل قصب السبق في تقريظ مديرها والعاملين العاكفين عليها.

إن «الفيصل» أضاءت بصر عقل المعرفة والعلم والبيان، وبشرى الفراسة والإتقان.

محمد أحمد الإدريسي السوقي(*)

(*) السوقي نسبة إلى قرية قديمة تقع جنوب الجزائر وشمال شرقي مالي، وهي الآن في جمهورية مالي.

ظاهرة حضارية

...شرت مجلتنا الغراء «الفيصل» في عددها ٢٥١ تعقيبًا للأخ الكريم: عبدالمقصود السعيد عبدالمقصود على بحثنا «الطلاق بين اللغة ...الفقه» المنشور في العدد ٢٤٣.

...إنني إذ أشكر مجلتنا الحبيبة، وأسرة تحريرها الفاضلة، على فتح ذراعيها بأمانة للسادة القرّاء والكتّاب، لإبداء الرأي والتحاور من خلالها ...حول ما يُنشر فيها من بحوث ومقالات، وإنها لظاهرة حضارية، بعيدًا من الجمود والتعصب في الرأي، ترفع من قيمة المجلة ومكانتها، ...قد أضحت في طليعة الدوريات العربية في العالم، أشكر للكاتب الكريم تعقيبه الفقهي المفيد وثناءه الجميل على البحث، وأرجو الله ...سبحانه وتعالى أن نكون عند حسن ظن القرّاء الأفاضل بنا.

...ا سؤاله: ماذا بعد أن يقع الطلاق؟ ورغبته لو تناول البحث هذا الجانب أيضا، استكمالاً لبحث الطلاق، فإننا نقول للأخ الكريم: إن ...بحث تناول جانب التعدد - فقط - في الطلاق الذي شغل العلماء والفقهاء على مدار التاريخ منذ صدر الإسلام، بين متشدد لدرجة ...التعصب وعدم المبالاة بما ينجم عنه من آثار وسلبيات مدمرة، ومتسامح لطيف يتحرّى مصلحة الأسرة وفقه الدين بأمانة وإخلاص. ...كان البحث بدوره حثًا للفقهاء الأفاضل على انتهاج اللطف واللين - في هذا الأمر عند وقوعه - وعدم التعصب والتشدد حرصًا على ...مصلحة الأسرة والمجتمع.

أما ما بعد الطلاق، فهو من الجوانب الأخرى في قضية الطلاق وما أكثرها من جوانب، وهو خارج عن نطاق رسالة البحث المحددة ...جانب التعدد فيه فقط، واختلاف العلماء حوله.

...الطلاق بشكل عام بجوانبه كافة - كما تفضل به الأخ الكريم - من «القضايا الإنسانية الكبرى التي تحتل الأولوية في القضايا الاجتماعية ...على مستوى عالمنا العربي والإسلامي».

...أخيرًا: الشكر ثانية للمجلة على نشر البحث والتعقيب عليه، والشكر للأخ الكاتب على تفضله بقراءة البحث والتعقيب عليه.

...آخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

محمد معصوم رسول، المحكمة الشرعية، الحسكة، سورية.

منابر لإغناء العقل العربي

بداية يجب الاعتراف بالدور الحقيقي الذي تؤديه مجلتنا العظيمة «الفيصل» في إغناء الثقافة العربية على وجه العموم، والثقافة الإسلامية على وجه الخصوص. فيكفي أنها منبر لإبداء الآراء التي تغني العقل العربي، وتعمل على توجيهه كما يجب أن يكون التوجيه، بالإضافة إلى موضوعاتها الأدبية والعلمية والدينية التي تضيف كثيرًا لفكر القارئ. حقًا يكفي أن لدينا - نحن العرب - مثل هذه المنابر التي تشارك بأكثر من شكل وبأكثر من وجه في الارتفاع بمستوى الفكر العربي.

موسى نجيب موسى
شارع الرجاء، مطاي، المنيا، مصر.

...ذن الله -، فمعذرة للذين تأجل نشر رسائلهم، ومرحبًا بآراء الإخوة القراء ووجهات نظرهم واقتراحاتهم.

إطلالة

الأرقام الغبارية



إذا كان اختراع الحروف الأبجدية مثَّل أساسًا متينًا لتقدم الحضارة الإنسانية؛ استطاعت الأجيال من خلاله أن تستفيد من التراكم المعرفي المدون في البناء الحضاري، فإن معرفة الإنسان للأرقام لا تقل أثرًا في هذا المجال، إذ لم تكن الحضارة لتتقدم ماديًا لولا استنادها إلى الرياضيات التي لغتها الأرقام. فالعلوم تظل مجرد مبادئ وتعريفات نظرية ما لم تصب في قالب رياضي يؤطرها ويحدد مدلولاتها بدقة، ومن ثم، فإن الأرقام من الأسس التي نهضت عليها علوم الفيزياء والكيمياء والأحياء والصيدلة والطب والجغرافيا، وغيرها من العلوم التي مكنت الإنسان من اكتشاف الكثير مما في باطن الأرض من خيرات، وسبر أغوار أعماق البحار والمحيطات، وارتياد الفضاء. ولا تزال الآمال تحدو هذا الإنسان لتحقيق مزيد من التقدم الحضاري الذي يقوده إلى معرفة أسرار هذا الكون الفسيح باستخدام أحدث التقنيات والحواسيب التي تتكلم بالأرقام.

ولم يكن اختراع الإنسان للأرقام أمرًا يسيرًا، وإنما مر - كما هو الحال في جميع علومه ومعارفه - بمراحل مختلفة، حتى تبلورت أشكالها ورموزها إلى أن وصلت إلى ما هي عليه اليوم.

وتناسبت كل مرحلة من هذه المراحل مع التطور الحضاري الذي عاشه الإنسان، فكانت حاجته إلى معرفة أساليب العد والحساب تزداد، كلما بدأ في الارتقاء الحضاري، لما كان ينتج من ذلك من تشعب العلاقات الاجتماعية في المجتمع الواحد، واتجاه المجتمعات نحو التعاون والتبادل ولاسيما على المستوى الاقتصادي.

وبدأ الإنسان عملية العد باستخدام الحصى وأصابع يديه ورجليه، واستخدمت الأمم القديمة الخطوط العمودية والأفقية والمتعرجة رموزًا للأرقام، كما وظفت بعض هذه الأمم حروفها الأبجدية كأرقام، بعد أن أعطت كل حرف قيمة معينة، ولكن جميع هذه المحاولات في تيسير عملية العد اتصفت بالتعقيد، وصعب فهمها على البسطاء من الناس.

والعرب دونوا الأعداد بالكلمات، ثم استخدموا حروفهم الأبجدية للدلالة على الأرقام، واستخدامها في الحساب، وهذا ما عرف بحساب الجُمَّل، وقد ذكر القرآن الكريم الأعداد بأسمائها العربية، مما يدل على أصالة نسبتها.

وتأثر الأمم بعضها ببعض يبدو واضحًا في العلوم الرياضية، حتى يمكن القول إنها كانت مجالاً فسيحًا لتلاقح الأفكار، بحيث لا يمكن أن ينسب تقدمها لأمة بعينها، وإنما شاركت فيه مختلف الأمم بقدر ما ملكت من عقول فذة في هذا الميدان الحيوي.

ويكاد يتفق مؤرخو تطور العلوم عند العرب على أن العرب أخذوا الأرقام عن الهنود، ثم طوروها بما يناسب الحرف العربي، حتى لم تعد هناك علاقة بين أشكال الأرقام العربية والهندية.

ويذكر هؤلاء المؤرخون أن أول ذكر للأرقام الهندية أورده الأسقف السرياني ساوروس سيبوخت في عام ٦٢٢م في معرض انتقاده لانبهار العالم بالإغريق دون الأمم الأخرى، مشيرًا إلى ما اخترعه الهنود من علامات تسع للإحصاء تفوق ما لدى غيرهم.

ومع ذلك، فإن هذه الأرقام لم تأخذ طريقها إلى التداول إلا حين أخذها العرب وطوروها، وكانت البداية في عام ٧٧٣م عندما قدم إلى الخليفة المنصور وفد يضم عددًا كبيرًا من علماء الهند، كان من بينهم عالم يدعى كنكه KANKA، الذي جاء حاملاً كتابًا في الحساب بعنوان SIDDHANTA وضعه العالم الهندي براهما جوبتا BRAHMA GUPTA، وقام بنقله إلى العربية محمد بن إبراهيم الفزاري بأمر من الخليفة، وسماه «سند - هند الكبير».

وظل العلماء العرب يعكفون على دراسة هذا الكتاب، إلى أن أعاد تأليفه الخوارزمي في نحو عام ٨٢٥م، مضيفًا إليه كثيرًا من علمه، ومدعمًا إياه بأمثلة عملية من الحياة، مما بسَّط عمليات حسابية كانت تبدو معقدة للعامة.

وقد هذب الخوارزمي ما كان لدى الهنود من أشكال عديدة للأرقام، حتى تكونت من ذلك سلسلتان من الأرقام عُرفت إحداهما بالهندية والأخرى بالغبارية. واستُخدمت الأولى في المشرق العربي، بينما انتشرت الثانية في بلاد المغرب العربي والأندلس، وشقت طريقها من هناك إلى أوربا، وأصبحت تعرف هناك بالأرقام العربية ARABIC NUMERALS إلى يومنا هذا. وترد على هذه الصفة في معظم المعاجم الأجنبية، مثل: OXFORD و WEBSTER، ودوائر المعارف مثل الموسوعة الأمريكية ENCYCLOPEDIA AMERICANA. ويقول معجم موسوعة علم الرياضيات ENCYCLOPAEDIC DICTIONARY OF MATHEMATICS الصادر في الهند: «إن سهولة الحساب المترتبة على تبني المنازل العشرية التي وضعها العرب قد أحدثت ثورة في علم الرياضيات لدى الغرب».

ولم يكن ذلك ليمنع أن يدعي بعض العلماء الغربيين أن الغرب عرف الأرقام الهندية قبل العرب، إلا أنه فقدها ولم يستفد منها إلا في القرن الحادي عشر، ودللوا على ذلك بكتاب «هندسة بوتيوس» الذي أرجعوه إلى القرن الخامس الميلادي حيث عاش بوتيوس، ولكن ثبت في النهاية زيف هذا الكتاب، وأنه مستقى من مخطوطات جربرت الذي اعتلى كرسي البابوية وعُرف باسم البابا سيلفستر الثاني SIL-II VESTER. وكان جربرت قد اطلع على الحساب عند العرب في الأندلس، وحاول أن ينقله إلى أوربا إلا أنه لم يستطع ذلك، لأنه لم يكن قد عرف الصفر بعد، مع أنه كان معروفًا في الشرق العربي.

وحاول العالم الفرنسي كارا دي فو CARRA DE VAUX المتخصص في تاريخ المدنية الفارسية أن يثبت أن الإغريق عرفوا الأرقام قبل العرب والهنود، وأن ما قيل عن انتقالها من الهنود إلى العرب، ثم إلى أوربا، ليس إلا محاولة للانتقاص من حضارتهم، وذهب إلى أن وصف الأرقام بالهندية ليس إلا تحريفًا لكلمة الهندسة. وعلى كل الدعاوى التي حاولت إنكار فضل الهنود والعرب، إلا أن الأرقام لم تنتشر على الصورة التي ساعدت على تطور العلوم وغيرها من العلوم إلا على يد العرب الذين طوروها، إلى أن غدت بسيطة الشكل سهلة الفهم.

و«الفيصل» حين عمدت إلى استعمال الأرقام المعروفة بالغبارية، التي يعرفها الغرب بالأرقام العربية ARABIC NUMERAL، كان ظنها أنه لا ضير من استخدام هذه الأرقام مادامت عربية الأصل باعتراف الآخرين، بل إن في ذلك تأكيدًا لما للعرب والمسلمين من فضل لا ينكر على الحضارة الإنسانية، ونفيًا لما يشاع عن أن العرب لم يكونوا إلا نقلة لتراث الإغريق والرومان، وما هم إلا أمة شاعرة، لا تبدع إلا في فنون القول ونظم الكلم.

ومما لا شك فيه أن الأجيال العربية في حاجة إلى أن تعرف ما لأجدادهم من إسهامات في تطور الحضارة الإنسانية، وأن هذه الحضارة السائدة في هذا العصر ما قامت إلا على العطاءات الحضارية التي قدمها علماء العرب والمسلمين في المجالات المختلفة في ظل ازدهار حضارتهم التي انفتحت على غيرها من الحضارات مستفيدة مما لديها، ومضيفة إليها من إبداع علمائها ومفكريها. وتم هذا الانفتاح الحضاري وفق قاعدة أساسية في الإسلام: «الحكمة ضالة المؤمن أنى وجدها التقطها». وعلى هذا الأساس أخذ المسلمون من الآخرين ما لديهم من عطاء حضاري، وأخضعوه للمعايير الإسلامية من أجل تنقيته وغربلته، وتوكيد ما فيه من جوانب إيجابية، وإعطائه الصفة العملية، ليخرج من طور النظرية إلى التطبيق، ومن ثم التقويم، للبلوغ به إلى غايته في خدمة الإنسان، وتطوره الحضاري.

وكانت بعض المشكلات الفنية التي برزت عند استخدام الحاسوب في إخراج المجلة من الأسباب التي دعت إلى هذا الاتجاه، كما هو الحال في استخدام الرقمين (صفر وواحد)، مما يضطر معه إلى استعمال الأقواس للتمييز بين الأرقام والحروف. وكانت عروبة هذه الأرقام وأصالتها دافعًا إلى استعمال الأرقام الغبارية لحل هذه المشكلات الفنية. ولأن بقاء هذه الأرقام بنسبها العربي في المعاجم ودوائر المعارف الأجنبية - على كل محاولات الصهيونية طمس كل معلم من معالم العطاء الحضاري العربي والإسلامي - دليل على رسوخ هذا الانتماء، فإنه يقتضي توعية الأجيال الحاضرة بإسهامات أجدادها في البناء الحضاري الإنساني، وقد حفظ لهم تاريخ العلوم - على كل محاولات التشويه - ما أغنوا به التراث العلمي في العالم باختراع الصفر، ووضع النظام العشري وأسس اللوغاريتمات، وغيرها من الإنجازات العلمية التي تلازمها صفة العربية.

وقد جاءت ردود الأفعال نحو هذا الاتجاه متباينة. فهناك من أيدها من منطلق أنه من الفخر أن تعتمد الأرقام العربية لتكون لغة عالمية في هذا العصر، تتعامل بها شعوب الأرض، وتبدع بها في المجالات المختلفة، وأن يعترف بعروبتها الغربيون وغيرهم في معاجمهم، حتى إن الهنود الذين تنسب إليهم هذه الأرقام ينسبونها إلى العرب، فضلاً عن الجوانب الاقتصادية المرتبطة بتحويل هذه الأرقام إلى الأرقام المسماة بالهندية الشائعة في المشرق العربي على لوحات السيارات وغيرها من وسائل النقل، والاضطرار إلى كتابة الأرقام العربية جنبًا إلى جنب مع الأرقام الهندية ليسهل على غير العرب قراءتها. وأعطى بعض هؤلاء المؤيدين للأمر أبعادًا تعليمية وفنية تتصل بترجمة الجداول والرموز الرياضية للطلاب والعاملين في حقول العلوم المختلفة، متعللين بأنه إذا كان الآخرون يعترفون بعروبتها، فإنه لا يوجد ما يمنع استخدامها لتوكيد هذه الصفة.

ولتأكيد أصالة الأرقام العربية ذهب بعضهم إلى الإشارة إلى أن الخوارزمي حين اقتبس الأرقام من الهند أعطاها شكلها المعروف في الأرقام الغبارية مستندًا إلى عدد الزوايا التي يضمها كل رقم.

وعدد المعارضون للاتجاه إلى استخدام الأرقام العربية أسباب معارضتهم، التي تمثلت في مجملها في أن الأرقام الهندية هي الأكثر عراقة وأصالة من الناحية التاريخية؛ لأن أول مخطوط عربي ظهرت فيه هذه الأرقام يرجع إلى القرن الثالث الهجري (التاسع الميلادي)، بينما يرجع أقدم مخطوط استخدم الأرقام الغبارية، وهو «تلقيح الأفكار في العمل برسوم الغبار» لابن الياسمين، إلى القرن السادس الهجري (الثاني عشر الميلادي). وذكر هؤلاء أن الأرقام الهندية تطورت مع الحرف العربي حتى أخذت شكلها الحالي، وأنها في مقام الكلمات المعربة التي ورد ذكر كثير منها في القرآن الكريم، إضافة إلى أنها الأرقام السائدة في كم هائل من التراث المخطوط، سواء في المصاحف والتفاسير والمعاجم، أو في مخطوطات الحساب. ومن المسوغات التي



ساقها المعارضون أن الأرقام الهندية هي التي تستخدمها أغلبية الدول العربية والإسلامية، مما يعني ضرورة إعادة طبع عشرات الآلاف من الكتب إذا تم التخلي عن الأرقام الهندية، مما يعطي الموضوع بعداً ثقافياً واقتصادياً ينبغي ألا يغيب عن الأذهان.

ومما أشار إليه هؤلاء المعارضون أن الأرقام المعروفة بالعربية في الغرب ليست هي نفسها الأرقام الغبارية التي أبدعها العرب، واستخدموها في الأندلس والمغرب العربي، وإنما تغيرت أشكالها لتناسب الحرف الأجنبي، وقال بعضهم: إن المغاربة هم الذين قاموا بتحوير الأرقام الهندية من الوضع العمودي إلى الوضع الأفقي، مما يعني أن الأرقام الهندية هي الأصل، بل إن الجزائر وتونس كانتا تستخدمان هذه الأرقام إلى عهد قريب، وما اتجاه بلاد المغرب العربي إلى تبني الأرقام المعروفة بالعربية في الغرب إلا نتيجة للتأثر بالاستعمار الفرنسي.

ولما كان الطرح يحمل وجهتي نظر مثلتا مجمل ردود الأفعال على استخدام الأرقام الغبارية بوصفها أرقاماً عربية، حيث تساوى الأمر لدينا، ولم يكن هذا الاختيار إلا لدواعٍ فنية؛ فإنه قد اتجه التفكير إلى أهمية إعداد ملف شامل عن موضوع الأرقام والترقيم بمحاور متعددة تغطي جوانب الموضوع كافة، بمشاركة عدد كبير من المتخصصين والمهتمين، وذلك لإتاحة المجال لمزيد من الطرح والنقاش، وذلك على غرار الملفات التي تعدها «الفيصل» حول القضايا الثقافية والفكرية الملحة والمتصلة بالواقع. واقتضى الأمر الوقوف على ما نُشر حول هذا الموضوع في الكتب والدوريات والمخطوطات المختلفة.

وفي أثناء البحث في المعلومات وقَعَ تحت يدي قرار مجلس هيئة كبار العلماء في دورته الحادية والعشرين المنعقدة بين ١٧-١٨ من شهر ربيع الآخر ١٤٠٣هـ، الذي تضمن ذكر عدد من الأسباب التي تدعو إلى عدم استعمال الأرقام المعروفة في العالم الغربي بالعربية، ومنها عدم ثبوت أن الأرقام المستعملة في الغرب هي الأرقام العربية، ومضي قرون طويلة على استخدام الأرقام الحالية، وخطورة أن يكون التغيير خطوة ممهدة لتغيير الحروف العربية واستعمال الحروف اللاتينية، وبخاصة أن جميع المصاحف والتفاسير والمعاجم والكتب المؤلفة تستعمل الأرقام الموصوفة بالهندية في ترقيمها أو في الإشارة إلى المراجع.

وأيد مجلس المجمع الفقهي الإسلامي التابع لرابطة العالم الإسلامي هذا القرار مستنداً إلى بحث بعنوان «الأرقام العربية من الناحية التاريخية» قدمه معالي وزير الأوقاف والشؤون الإسلامية في الأردن - آنذاك - الأستاذ كامل الشريف إلى مجلس الوزراء الأردني، نبه فيه على خطورة ما يشيع بين بعض المثقفين من أن الأرقام العربية في رسمها الراهن (١، ٢، ٣، ٤ ... إلخ) هي أرقام هندية، وأن الأرقام الأوربية (1,2,3,4 ETC) هي الأرقام العربية الأصلية.

وقادني البحث في هذا الموضوع إلى معرفة ما أثير من نقاش فيه على المستوى العربي، إذ تبين تناوله في أكثر من مؤتمر وحلقة بحث. فمؤتمر التعريب الأول الذي عقد في المغرب عام ١٩٦١م أحاله إلى لجنة المصطلحات والرموز التي قررت أن طريقتي كتابة الأرقام في المشرق والمغرب ترجعان إلى أصول عربية، وأوصت ببحثه على مستوى جامعة الدول العربية. كما أصدر مؤتمر البريد العربي في الرياض توصية باستعمال الأرقام الغبارية، وأيدت حلقة دراسية عُقدت في تونس في المدة من ١١-١٤ تشرين الثاني/ نوفمبر ١٩٦٣م لتوحيد الأرقام العربية - كذلك - تعميم هذه الأرقام.

ودعا المجلس التنفيذي البريدي الإدارات البريدية إلى تنفيذ توصية جامعة الدول العربية الخاصة بتأييد ما جاء في الحلقة التي عقدت بتونس، مع دعوة الأمانة العامة للجامعة للعمل على حث البلاد العربية على تعريف الجمهور بالأرقام العربية الأصلية - ويقصد بها الأرقام الغبارية. ولم يمانع تقرير لوزارة الإعلام في الكويت في استخدام الأرقام العربية، إلى جوار الأرقام المعروفة في المشرق العربي، وأوصت لجنة الأرقام والرموز في مؤتمر التعريب الثاني بالجزائر (١٢-٢٠ كانون الأول/ ديسمبر ١٩٧٣م) باستعمال الأرقام الغبارية لعروبتها، إذ لاتزال تحمل في أوربا اسم الأرقام العربية، ولأنها تيسر على الطلاب والمشتغلين بالعلوم، وتحل مشكلة الصفر الذي يرسم على هيئة نقطة، إضافة إلى أن معرفة هذه الأرقام ليست صعبة على المتعلم العربي. ولكن المؤتمر لم يقر هذه التوصية، وإنما أوصى بمتابعة دراسة الموضوع.

وعندما أحيل الموضوع إلى مجمع اللغة العربية بالقاهرة والمجمع العلمي العراقي لإبداء رأيهما، أقر المجمع العلمي العراقي بعروبة كلا الشكلين، ودعا إلى استعمالهما بوصفهما شكلين متميزين من أشكال الأرقام العربية. أما لجنة الرياضيات في مجمع اللغة العربية بالقاهرة في دورتها الأربعين في عام ١٩٧٤م فقد أشارت إلى أن من الملائم استعمال الأرقام الغبارية لمناسبتها للاستخدام الدولي، وأوصت بأن يُعرض الأمر على اتحاد المجامع اللغوية.

ووافقت لجنة التنسيق بين جامعة الدول العربية وأجهزتها والمنظمات العربية في الدورة الثانية عشرة في ٢٤-٢٥ أيار/ مايو ١٩٧٢م على مبدأ استعمال الأرقام الغبارية، مع تكليف المنظمة العربية للمواصفات والمقاييس والمنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم وضع تقرير تفصيلي عن الأسس وطريقة التنفيذ العملي.

وقد قررت الأمانة العامة للمواصفات والمقاييس استخدام الأرقام (الغبارية) في أعمالها.

وبعد استعراض مجمل الآراء المؤيدة والمعارضة لاستخدام الأرقام الغبارية - الموصوفة في الغرب بالعربية - كان اقتناعي بالمسوغات التي جاءت في قرار مجلس هيئة كبار العلماء في المملكة العربية السعودية، ولاسيما تأكيده «أن جميع المصاحف والتفاسير والمعاجم والكتب المؤلفة كلها تستعمل الأرقام الحالية [الأرقام المعروفة بالهندية والمستعملة في المشرق العربي] في ترقيمها، أو في الإشارة إلى المراجع، وهي ثروة عظيمة هائلة، وفي استعمال الأرقام الإفرنجية الحالية عوضاً عنها، ما يجعل الأجيال القادمة لا تستفيد من ذلك التراث بسهولة ويسر».

ولأن الحفاظ على التراث العربي والإسلامي الضخم الذي تراكم عبر الأجيال من أهم غايات «الفيصل»، انطلاقاً من أن الأجيال التي تنشأ منقطعة عن جذورها هي أجيال هشة لا تستطيع أن تصمد أمام التيارات الفكرية الوافدة، لأنها تكون سهلة الاستقطاب والانقياد، لعدم امتلاكها مقومات الحصانة الداخلية التي تستمدها من الإرث الحضاري للأمة.

وليس هناك من نتاج حضاري تعتز به الأمة العربية والإسلامية بين الأمم أكثر من اعتزازها بنتاجها الفكري. فلو أن الأهرامات تمثل رمزاً للحضارة الفرعونية، والتماثيل والأنصاب والملاعب مصدر اعتزاز للحضارة الإغريقية، والقلاع والقصور العظيمة من شواهد عظمة الحضارة الرومانية، فإن ما ينبغي تأكيده أن رمز الحضارة الإسلامية يتمثل في النتاج الفكري والعلمي لأدبائها ومفكريها وعلمائها عبر العصور، وهو ما يستحق الحرص عليه للحيلولة دون حدوث انقطاع ثقافي بين الأجيال، وبخاصة في ظل ما تتعرض له الأمة من محاولات الاختراق الفكري والغزو الثقافي باستخدام أحدث التقنيات والأساليب، مما يوجب ضرورة أن تستلهم الأمة إرثها الحضاري لتوكيد هويتها الذاتية، والاعتزاز بمقوماتها الحضارية الأصيلة.

وما قدمه علماء العرب في مجالات العلوم المختلفة يستحق أن يُبرزَ ويبسطَ للأجيال الصاعدة، لتنشأ مدركة العطاءات الحضارية الحقيقية لأمتها، فلا يأخذها الانبهار بعيداً من منابع أصالتها. وإنه لمن المؤسف أن يأتي إنصاف كثير من علمائنا من طريق غير العرب المسلمين، فالعلامة الخوارزمي - الذي وضع كتاب «الجبر والمقابلة» ليكون أساس علم الجبر، حتى عُرف باسمه العربي ALGEBRA في جميع لغات العالم - كاد يُنكر ما أسهم به في إرساء القاعدة الحسابية التي عُرفت باسمه ALGORITHMUS، والتي تعرف في العربية باللوغاريتمات، إذ جهل الناس بعد مرور قرون على ذلك أصل هذه الكلمة، فاجتهد علماء كثيرون في البحث عنه، وذهبوا في اجتهاداتهم مذاهب شتى؛ - وكما تقول المستشرقة الألمانية زيغريد هونكة -: «ظلت الحال على هذا المنوال إلى أن كان عام ١٨٤٥م، وتعرّف فرنسي يدعى رينو REINAUD على اسم الخوارزمي كأصل لكلمة ALGORITHMUS، فوضع بذلك حلاً صحيحاً لمشكلة اختلفت فيها الآراء طويلاً».

ومما يستحق ذكره في مقام الحديث عن إنجازات علماء المسلمين فيما يتعلق بالأرقام وعلم الحساب، أنهم هم الذين وضعوا الصفر حسب روايات كثيرة، وما عرفت أوربا هذا الرقم إلا بعد استعمال العرب له بمئتين وخمسين عاماً.

وكان معرفته فتحاً عظيماً في تاريخ الرياضيات، لأنه كان الأساس في تحديد منازل الأرقام، باتباع النظام العشري، مما سهل حل المعادلات الرياضية، وكان ركيزة للهندسة التحليلية وحساب المثلثات والتفاضل والتكامل وغيرها من البحوث الرياضية؛ مما دعا إلى القول بأن الصفر ركيزة رئيسة قامت عليها المدنية الحديثة.

ولا يزال الصفر باسمه العربي CEPHIRUM يحتل مكانه في المعاجم الأجنبية مع بعض التحويرات التي طرأت عليه وفقاً لاجتهادات أهل كل لغة.

ولا يتسع المجال لذكر مآثر العرب والمسلمين، وما حققوه من إنجازات في علم الحساب وغيره من العلوم، ولكن يكفي أنهم حملوا مشاعل الفكر قروناً عديدة، لم يتركوا خلالها مجالاً إلا ولهم فيه بصمات واضحة لا يمحوها الزمن، لأنهم كانوا المؤصلين لكثير من العلوم، والمرسخين لأسسه وقواعده.

وقد كشفت ردود الأفعال التي وردت إلى «الفيصل» - سواء أكانت مؤيدة لاتجاهها إلى استخدام الأرقام العربية أم معارضة له - وجود وعي وإدراك لدى قطاعات واسعة من أبناء الأمة بأن الانطلاق الحضاري لها لن يكون إلا بالاعتماد على ما لديها من تراث أصيل.

واقتناعاً من «الفيصل» بأن ما تم من جهود وافية لدراسة موضوع الأرقام من قبل علماء أفاضل مشهود لهم ببواسع العلم وعميق المعرفة بتراث الأمة يكفيها مؤونة إعداد ملف يناقش هذا الموضوع، فإنها، ابتداء من هذا العدد، ستعود إلى استخدام الأرقام العربية الموصوفة بالهندية.

الحفاظ على التراث العربي والإسلامي الضخم من أهم غايات «الفيصل»، انطلاقًا من أن الأجيال التي تنشأ منقطعة عن جذورها هي أجيال هشة لا تستطيع أن تصمد أمام التيارات الفكرية الوافدة

د. زيد بن عبدالمحسن الحسين



العدد ٢٥٤ ـ السنة ٢٢ ـ شعبان ١٤١٨هـ ـ ديسمبر ١٩٩٧م



عجول البحر تشكو من أنانية الإنسان !

تعد عجول البحر المصدر الأساس لغذاء أهالي الإسكيمو، كما أنهم يستخدمون دهونها في صنع زيوت الإضاءة، وأما جلودها ففي صنع المعاطف والملابس الجلدية، وأما أنيابها ففي الزينة وصنع التحف. وقد تعرضت هذه العجول لمذابح جماعية في القرنين الماضيين، ولم تفلح الإجراءات والقوانين التي وضعتها بعض الحكومات في حمايتها. ولا تزال الجهود مستمرة ـ على المستويات الحكومية والشعبية ومن خلال المنظمات الدولية ـ للحد من الصيد الجائر الذي يهدد بالقضاء على هذه الحيوانات.. فهل تفلح هذه الجهود!

يجيب عن هذا السؤال أحمد محمد إبراهيم.

طالع ص ١٥

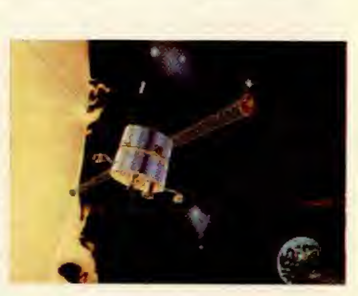
رحلة مع الشيخوخة على متون القصائد



لمرحلة الشيخوخة فلسفة خاصة لدى كل من يصل إليها. فهناك من يتكيف معها، بكل ما فيها من حلاوة ومرارة، وهناك من يغلبه الحنين إلى أيام الشباب، فيظل مشدودًا إليها بكل جوانحه، باكيًا عليها، متحسرًا على ذهابها. ولعل الشعراء هم أكثر من تناول هذه المرحلة بمشاعر تترجح بين الاستكانة والحنين والمرارة والرفض والتشبث بالحياة..

في رحلة مع الشيخوخة على متون القصائد، سجل جرجس ناصيف كثيرًا من المعاني والأحاسيس التي باح بها بعض شعراء العربية في مختلف العصور وتضمنتها قصائدهم.

طالع ص٥٦



أقمار صناعية ترصد التأثيرات الشمسية في الأرض

الشمس عنصر رئيس للحفاظ على الحياة واستمرارها على سطح الأرض بما تمنحه من ضوء وطاقة. إلا أن العلماء يتوقعون أن ترتفع حرارة الأرض ارتفاعًا كبيرًا يهدد الكائنات الحية فيها بالفناء. وأرجع هؤلاء العلماء ذلك الارتفاع إلى استخدام الوقود الحفري من فحم حجري وبترول وغاز طبيعي.

ولم تكن هذه الرؤية العلمية مقنعة إلى حد كبير؛ نظرًا لانخفاض حرارة الأرض في بعض السنوات. ومن أجل معرفة المزيد عن تأثيرات الشمس في الأرض تم إعداد برنامج تشترك فيه وكالة الفضاء الأمريكية ووكالة الفضاء الأوربية ووكالة الفضاء الروسية ومعهد بحوث الفضاء والفلك الياباني.

عن هذا البرنامج والأقمار الصناعية المشاركة فيه كتب م. سليمان قيس القرطاس.

طالع ص ٨٤

من كتاب العدد

بسام جميل العسلي

- من مواليد دمشق، سورية ١٩٢٩م.
- تخرج في الكلية الحربية السورية، وعمل ملحقًا عسكريًا في لندن.
- له أكثر من مئة مؤلف في الدراسات العسكرية والاستراتيجية، من أبرزها: فن الحرب الإسلامي، المذهب العسكري الإسلامي، المذاهب العسكرية في العالم، مجموعة مشاهير قادة الإسلام، المعارك الحاسمة في الحروب الصليبية، كما أن له مجموعة كبيرة من البحوث المنشورة.

د. محمد مورو أحمد

- من مواليد مصر.
- رئيس تحرير مجلة «المختار الإسلامي»، وعضو نقابة الصحفيين بمصر، وعضو اتحاد الكتاب بها.
- له أكثر من ٥٠ مؤلفًا، والعديد من المقالات المنشورة في الصحف والمجلات المحلية والعربية.

د. رشيد أحمد بلقاسم بلحبيب

- من مواليد وجدة، المغرب ١٩٥٩م.
- حاصل على دكتوراه الدولة في اللغة العربية ١٩٩٣م، جامعة محمد الأول بوجدة، وكان موضوع الأطروحة: «التقديم والتأخير في التراث النحوي والبلاغي وعلاقته بالمعنى».
- يعمل بالتدريس في كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة محمد الأول.
- شارك في عدد من الندوات المتعلقة باللغة والتراث، وله بحوث منشورة في المجلات المحكمة، كما أن له تحت الطبع مجموعة دراسات منها: «النكت في تفسير كتاب سيبويه للأعلم الشنتمري» (دراسة وتحقيق)، «ضوابط التقديم وحفظ المراتب في النحو العربي»، «مقومات الدلالة النحوية: قراءة في بعض الخصائص».

د. هشام الدجاني

- من مواليد سورية.
- حاصل على الدكتوراه في العلوم السياسية، موسكو ١٩٧٧م.
- يعمل رئيسًا لقسم الدوريات والترجمة، مكتبة الأسد الوطنية بدمشق.
- له أربعة كتب في الشؤون السياسية، وترجم ما يزيد على ١٧ كتابًا عن الإنجليزية والروسية.

الحسين زرُّوق

- من مواليد تاونات، المغرب ١٩٧٣م.
- حاصل على دبلوم مركز تكوين المعلمين، ويدرس حاليًا بكلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة محمد بن عبدالله بفاس.
- له بعض المؤلفات المطبوعة، إلى جانب مقالات وقصص قصيرة منشورة في الصحافة المحلية والعربية.



لا تشتر هذا الطير!

إن أي شخص يبيع ببغاء الأمازون الأخضر الخد الذي يُصطاد من بر المكسيك سوف ينتهك ميثاق التجارة الدولية الخاص بالأنواع التي تهددها الأخطار. وخلال المؤتمر الذي عُقد بصدد هذا الموضوع في هراري ارتقى وضع الببغاء ليُدرج في الملحق (أ) في الميثاق الذي يحظر التجارة الدولية في الحيوانات المهددة بالانقراض. كما أن هناك أنواعًا أخرى تم إدراجها في الملحق (١) تشمل نوعًا من الضأن الجبلي في قازاخستان يُطلق عليه اسم كارا تاو أرجالي KARA TAU ARGALI، وببغاء ألترا مارين لوريكيت الذي يتغذى على رحيق الأزهار ويستوطن بولينيزيا الفرنسية.

كما أن أنواعًا عديدة أخرى قد أنزلت من الملحق (١) إلى الملحق (٢)، وهي تشمل الأنواع التي قد تصبح مهددة بالانقراض ما لم يتم ضبط التجارة بها. ومن تلك الأنواع: فيكونا VI-CONA، وهو حيوان يشبه اللاما الذي يُربى لغرض الاستفادة من صوفه، وبيسون الغابات (الثور الأمريكي) الذي لا يوجد إلا في كندا.

أما الأنواع التي أضيفت إلى محاضر الملاحق أول مرة فتشمل ـ كما ذكرت مجلة «نيو سينتست» ـ الجفس (سمك ضخم يُستخرج منه الكافيار) الذي يتعرض لخطر الانقراض بسبب جني بيضه لتحضير الكافيار، وقد أُدرج الآن في الملحق (٢).

الفواكه والخضروات تُنقّي الدم!

تستطيع المواد الكيماوية الموجودة في التين والجزر والكرفس أن تقلّل من أخطار التلوث التي تحدث في حالات نقل الدم. فعند تعريض المركبات الكاربوهيدراتية التي يُطلق عليها اسم «سورالين» للأشعة فوق البنفسجية فإنها تُطهر البلازما وخلايا الدم (الصفائح) من البكتيريا والفيروسات التي تهدد الحياة.

وتستخدم مؤسسة سيروس CERUS COR-PORATION التي مقرها في كونكورد بكاليفورنيا «السورالين» المركب صناعيًا في العلاج التعقيمي. وفي التجارب التي نُشرت نتائجها في مجلة نقل الدم JOURNAL TRANSFUSION (مجلد ٧، ص٤٢٣) أوضحت المؤسسة المذكورة أن مركبات السورالين تستطيع تدمير عوامل الإصابة والتلوث، مثل: فيروس نقص المناعة، وفيروسات التهاب الكبد، والبكتريا التي تسبب تسمم الدم عند نقله. أما الصفائح الدموية فقد بقيت سليمة، ولم تُصب بأذى.

تتخلل مركبات السورالين الصفائح الدموية، ثم ترتبط بشكل غير محكم بالحامض النووي DNA بالنسبة إلى الكائنات الحية المجهرية التي أصابتها. وعند تعريض العينة للأشعة فوق البنفسجية تصبح الرابطة بين مركبات السورالين والمادة الوراثية (الجينية) ثابتة الدوام، وبذلك تهلك الكائنات المجهرية لعدم قدرتها على التكاثر.

تقول «ليلي لين» مديرة قسم تنمية الصفائح بمؤسسة سيروس: إن الأشعة تعمل على تصميغ الصفائح بمركبات السورالين. أما الخلايا الدموية فلا مواد وراثية لها، لذلك فإنها لا تتأثر.

وحتى الآن فإن أسلوب التطهير والتنظيف لا يعمل إلا بالنسبة إلى الصفائح والبلازما، وهو العنصر الأساسي السائل من الدم الذي يتم نقله - في الأغلب - عندما يعاني المرء من فقد كميات كبيرة من الدم. ولا ينطبق هذا على كريات الدم الحمراء؛ لأن الهيموجلوبين يمنع الضوء فوق البنفسجي. وإن مؤسسة سيروس تعمل حاليًا على إيجاد وسيلة لحل هذه المشكلة.

يقول بيتر جبسون من إدارة نقل الدم البريطانية: إنه على هذا الإنجاز المحدود فإن اكتشاف نجاة الصفائح الدموية من الهلاك في أثناء عملية المعالجة يُعدّ إنجازًا رائعًا مهمًا.

وفي عام ١٩٩٥/ ١٩٩٦م تناول المرضى في بريطانيا أكثر من مئتي ألف جرعة نقل من الصفائح الدموية.

إن الأشخاص الذين يخضعون للعلاج الكيماوي يحتاجون - في الأغلب - إلى الصفائح الدموية لمنع حصول نزف، كما هي الحال بالنسبة إلى الذين تجرى لهم عمليات زرع أعضاء. والصفائح الدموية لا تعيش أكثر من خمسة أيام، ولذلك يمكن أن تجرى المعالجة بالسورالين مباشرة بعد الحصول على الصفائح لإيقاف تكاثر عوامل التلوث. ويُعدّ هذا أول نظام موثوق به للتخلص من تلوث الصفائح الدموية. والبديل الوحيد هو غربلة ما يُتبرَّع به من الدم للبحث عن أجسام مضادة لفيروسات أو ميكروبات معينة، ومن ثم التخلص من العينات الملوثة. ولكن بما أن الأجسام المضادة لا تظهر قبل أسابيع (أو أشهر بالنسبة إلى فيروس نقص المناعة) بعد الإصابة، فإن الدم الملوث يمكن أن ينساب بسهولة خلال الشبكة. غير أن مؤسسة سيروس تقوم بإبادة جميع الكائنات الحية المجهرية حتى تلك التي لايوجد لها اختبار غربلة.

تقول لين: حيثما وُجد مركز لجمع الدم فإنه يمكننا استخدام هذا النظام لإزالة التلوث من الصفائح الدموية.

وذكرت مجلة «نيو سينتست» أن مؤسسة سيروس حصلت على ترخيص من إدارة الغذاء والدواء الأمريكية لإجراء تجارب سريرية على نظام الصفائح وتطهير البلازما. ولاتوجد في بريطانيا خطط لإجراء تجارب حتى الآن. ويُنتظر أن يكون هذا الإجراء آمنًا، لأنه يتم خارج الجسم البشري. ويبقى السورالين والكائنات المجهرية الميتة في الدم، ولا يرجح أن يسبب أي منهما خطرًا على الذين يُنقل الدم إليهم. ومع أن دور مطهر الدم يعدّ حديثًا بالنسبة إلى السورالين؛ إلاّ أن السورالين استُخدم عدة سنوات لمعالجة حالات مثل السورباسيز PSO-RIASIS. كما أن النباتات تستخدم السورالين لمكافحة الإصابة بالفطريات.



الطاقة الشمسية تطلق المركبات إلى الفضاء!

أثبت العلماء أن المحركات التي تعمل بالطاقة الشمسية ذات قدرة على تخفيض تكلفة وضع الأقمار الصناعية في مداراتها، وسيتم أول اختبار لهذه الحقيقة خلال هذا الشهر في الولايات المتحدة.

وفي الوقت الحالي يتم وضع الأقمار الصناعية في مداراتها من خلال صواريخ ذات ثلاث مراحل، تكون المرحلة الثالثة فيها مرحلة حرق الوقود السائل أو الصلب، وعندما يتم رفع القمر الصناعي إلى موقعه الصحيح، يفصل الصاروخ نفسه، ويسقط محترقًا.

ثم تبدأ بعد ذلك مرحلة الطاقة الشمسية المتكاملة اللازمة لتوليد الطاقة والدفع المطلوبين خلال حياة القمر الصناعي، وتُستخدم لامتصاص هذه الطاقة مرايا صغيرة توجه الضوء إلى المحرك الشمسي، وتعمل على تسخين الهيدروجين السائل، عندها يبدأ الهيدروجين بالتبخر والتمدد مندفعًا عبر أنبوب العادم، مولِّدًا رد فعل قوي يوصل القمر إلى مداره الصحيح. وعند موازنة هذا النظام بنظام الدفع الناتج من التفاعل الكيماوي يظهر الفرق لصالح النظام الهيدروجيني نظرًا لتوفيره للوزن وتكلفة الإطلاق.

وسيتم استغلال الطاقة الشمسية لتوليد الكهرباء عبر محولات حرارية تعمل على تحويل الحرارة الشمسية إلى كهرباء. هذه المحولات التي تُطلى بالجرافيت ستحلّ محلّ الخلايا الكهروضوئية الثقيلة، وستحل أيضًا محل البطاريات التقليدية التي تزود القمر بالطاقة.

في نهاية كانون الثاني/ يناير القادم سيتم اختبار الأجزاء المستخدمة في نظام الطاقة الشمسية المتكاملة في غرفة مفرغة وتعريضها لدرجة حرارة ٢٠٠٠مْ للوقوف على مدى إيفائها بالغرض ومطابقتها للمواصفات، وإذا سارت الأمور على مايرام سيتم إجراء عملية طيران تجريبية عام ٢٠٠٠ أو عام ٢٠٠١م.

يقول ريتشارد دونوفان الذي سيكون مراقبًا لهذه الاختبارات في مركز لويس للأبحاث التابع لوكالة الفضاء الأمريكية في كليفلاند: إن نظام الطاقة الشمسية المتكاملة سيكون قادرًا على إطلاق الصواريخ من الأرض إلى مداراتها المقررة خلال ٣٠ يومًا موازنة بـ١٢ ساعة يحتاج إليها الصاروخ ذو الوقود السائل. لذلك فإن نظام الطاقة الشمسية المتكاملة سيكون مقبولاً لمهمات ترضى بهذا القدر من التأخير.

ولو تم استخدام نظام الطاقة الشمسية المتكاملة في الماضي لأمكن إطلاق الأقمار الصناعية - التي استُخدم الصاروخ «تيتان ٤» لإطلاقها - بواسطة الصاروخ أطلس AS2 لوضعها في مداراتها، وتوفير ما يقرب من ٣٠٠ مليون دولار. إلا أنه ستكون هناك تكلفة إضافية بسيطة في إعادة تصميم القمر.

وحسبما ذكرت مجلة «نيو سينتست»، فإنه يمكن استخدام نظام الطاقة الشمسية المتكاملة لتسيير المركبات الفضائية عبر المدارات، كما تأمل القوات الجوية الأمريكية استخدام هذا النظام لتزويد الرادارات الفضائية بالطاقة. ويتم حاليًا تطوير نظام الطاقة الشمسية المتكاملة من خلال عمل مشترك بين القوات الجوية الأمريكية (ممثلة بوكالة الأسلحة الخاصة) ووكالة الفضاء الأمريكية (ممثلة بمركز لويس للأبحاث) بالإضافة إلى بعض الصناعيين، وتم صرف مبلغ ١٥ مليون دولار من ميزانية وزارة الدفاع للإنفاق على هذا المشروع.

طائرة تحلق بالطاقة الشمسية على ارتفاع لم يُسَجَّل من قبل



طائرة الرائد (المستكشف) - هكذا أُطلق عليها - تعمل بالطاقة الشمسية، وقد حققت في شهر سبتمبر/ أيلول من عام ١٩٩٥م ارتفاعًا بلغ ١٥٤٠٠م، وها هي نفسها تحقق في

مزحة بالليزر تصيب سائق حافلة بالعمى!

بوب أرتش سائق حافلة يبلغ من العمر ٥١ عامًا، ويعيش في سالتني تشيستر. وقد عمل جنديًا في حرب الفولكلاند، وحرب الخليج، وقام بجولتين في أنحاء إيرلندا الشمالية بالسيارة. كان بوب يتمتع ببصر حاد قوي، وبعد أن ترك الجيش، عمل في قيادة الحافلات، ثم في قيادة حافلة مدرسية تقلّ الطلاب إلى مدرسة ناربورليه الثانوية في CHESHRE. وعندما كان يقود هذه الحافلة يبدو أن أحد طلابها كان يعبث بمؤشر ليزر يملكه، فوجّه إليه ضربة في عينه بهذا المؤشر تركتها شبه عمياء، وذلك حين ارتطم شعاع أحمر صادر من قلم ليزر عالي الطاقة بمرآة الرؤية الخلفية للحافلة، وانعكس ذلك الشعاع على عين بوب مما بهرها مدة خمس عشرة ثانية، فشلّت حركته. وهو الآن معرّض لفقد عمله، لأن رخصة قيادته ستُسحب منه. ويخشى ألا يستطيع القيادة بعد الآن، فقد أبلغه الأطباء بإصابة عينه اليسرى بتلف يتعذر إصلاحه.

وتتعالى الدعوات الآن لحظر أقلام الليزر التي لا تكلف أكثر من عشرة جنيهات (١٧ دولارًا تقريبًا)، والتي صُمِّمَت لاستخدامها من قبل الأساتذة المحاضرين، ويبلغ مداها ٣٠٠ قدم (٩٠ مترًا).

ولحسن حظ بوب فإن الطرق حول المدرسة كانت ضيّقة، ولم تكن سرعته تتجاوز ١٠ أميال في الساعة (١٧ كيلو متر تقريبًا) حين أصيبت عينه. يقول: إنه ضغط على الفرامل بقوة، وتوقف هناك حتى عاد إليه بصره، ثم قفل راجعًا إلى المدرسة، وعيناه تفيضان بالدمع، وأبلغ المدرس بالحادث، فقام المدرس بمصادرة مؤشر الليزر من مالكه الذي يبلغ من العمر ستة عشر عامًا، وكان قد استعاره من والدته التي تعمل طبيبة، وكان ذلك المؤشر جهازًا محترفًا يُستخدم في أثناء المحاضرات، ويبلغ مداه ٢٠٠٠ قدم (٦٠٠ متر).

وذكرت صحيفة «الديلي ميل» أن بوب أرتش تدبر أمره، وأعاد الحافلة إلى مكانها، لكن بصره أخذ يسوء رويدًا رويدًا، فنقله رؤساؤه إلى المستشفى حيث نصحه الأطباء بعدم قيادة السيارة. وبعد أن فحص بصره أطباء مختصون قرروا سحب رخصة قيادته.

ويعمل رجال الشرطة الآن في التحقيق بالحادث. وصرح ناطق باسم الجمعية الملكية لمنع الحوادث أن استخدام الليزر بهذه الطريقة يشكل خطرًا كبيرًا على أعين الناس، وأن أي شخص يسلّط مثل هذه الأشعة على عيون الناس، ويسبب لها الأذى ستُوَجَّه له تهمة الاعتداء على ذلك الشخص.

هذا العام ارتفاعًا بلغ ٢٠٥٢٨ م فوق سطح البحر. وهذا الرقم القياسي لم يسبق أن حققته من قبل طائرة تعمل بالطاقة الشمسية. وقد انطلقت هذه الطائرة في رحلات تجريبية من قاعدة إطلاق الصواريخ في هاواي في المحيط الهادي.

يقول جون ديل فريت من مركز ناسا لأبحاث الفضاء في إدواردز بكاليفورنيا: إن هذه الطائرة صنعتها شركة إيرو فايرونمنت AER OVIRONMENT في سيمي فالي SIMI VAL-LEY بكاليفورنيا، وصُمِّمَت للقيام بأعمال خطرة في أجواء مراقبة بيئية، ويبلغ طول أجنحة هذه الطائرة ٣٠ مترًا.

وذكرت مجلة «نيو سينتست» أن المهندسين يقومون الآن بفحص معدات معايرة للتحقق من الارتفاع الذي وصلت إليه طائرة المستكشف PATHFIND-ER.



سد لحجز مياه البحر المتوسط

Current of doom

GREENLAND
ARCTIC OCEAN
Labrador Sea
ATLANTIC OCEAN
Mediterranean Sea
Strait of Gibraltar
Aswan Dam

منذ اللحظة التي بُني فيها السد العالي في أسوان أصبح موضوعًا لجدل بيئي. والآن يقول أحد علماء البحار الأمريكيين: إن ذلك السد يغير مناخ العالم بشكل كبير، وأن هناك خطرًا يهدد نصف الكرة الشمالي بالغرق في عصر جليدي جديد ما لم يبنَ سد عملاق عبر مضيق جبل طارق ليحجز مياه البحر المتوسط.

يقول عالم البحار الأمريكي صاحب هذا الزعم المثير: إن الأحداث التي ستؤدي إلى حدوث عصر جليدي أخذت تتقاطر عندما شيّدت مصر السد العالي على نهر النيل في عام ١٩٧١م؛ مما حرم البحر المتوسط من الماء العذب، وأصبح ذلك البحر أكثر ملوحة وكثافة. وهذا الماء الأكثر كثافة أخذ يشق طريقه خلال مضيق جبل طارق، كما أن تدفق الماء الإضافي أخذ يتحرك شمالاً باتجاه القطب الشمالي وسيكون بوسعه تمزيق التيارات البحرية السائدة، ويمكنه تشكيل كميات هائلة من الجليد، مما يتسبب في حدوث عصر جليدي جديد.

ويعترف بوب جونسون BOB JOHNSON من جامعة مينسوتا ـ الذي يناقش هذه القضية في آخر عدد من مجلة EOS (مجلد ٧٨، ص٢٧٧)، وهي مجلة نقابة الجيوفيزيائيين الأمريكيين ـ بأنها فكرة جميلة، ولكنها بعيدة من الحقيقة. إلا أنه يضيف أنها جديرة بالترويج لها وأنه جادٌّ تمامًا في هذا الأمر.

ويقول: إن التدفق المتنامي من البحر المتوسط يرجح أن يكون قد حدث في السنوات الأخيرة مع أنه لم يتم قياس ذلك نظرًا لأن التيار يجري تحت السطح.

ويتفق علماء البحار على أن تدفق البحر المتوسط ينتشر شمالاً حيث يصطدم بالمياه الأكثر دفئًا القادمة من تيار الخليج في المحيط الأطلسي. يقول جونسون: يوجد دليل أحفوري على أنه حدث في الماضي تدفق مائي أكبر من التدفق الحالي دفع مزيداً من المياه في تيار الخليج غرب جزيرة جرينلاند إلى مياه بحر لابرادو، فزاد من درجة حرارة دفئه. ويعتقد أن ذلك قد يحدث ثانية.

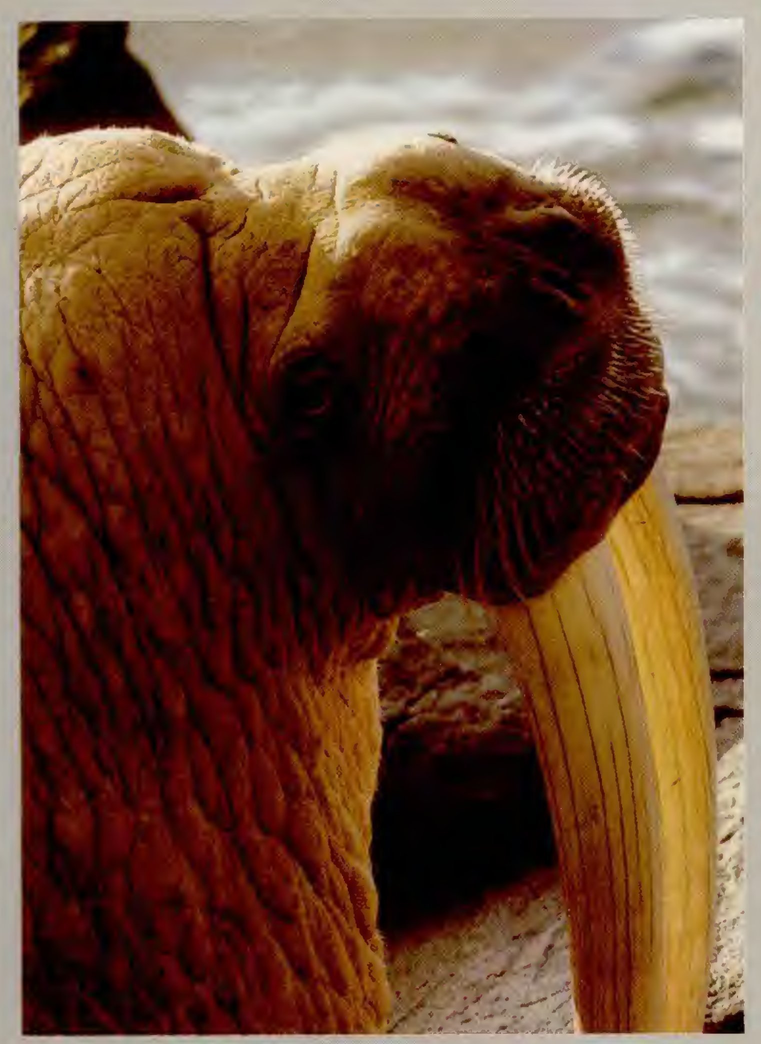
إلا أن زعمه الذي أثار أكبر قدر من الجدل، هو أن ازدياد دفء مياه بحر اللابرادو يمكن أن يعزز حدوث توسع كبير في الألواح الجليدية في منطقة القطب الشمالي. ويحتج جونسون بأن ذلك الدفء سيزيد من مدى التبخر؛ مما يؤدي إلى سقوط مزيد من الثلوج التي ستعمل على احتشاد مقدار وافر من الجليد في أقصى شمال كندا. وحيث إن الجليد يعكس الحرارة ويعيدها للأجواء، فإن ألواح الجليد المتنامية ستعمل على زيادة برودة المنطقة الشمالية الأمر الذي يعني المزيد من تجمع الجليد. وهناك إجماع متنامٍ بين علماء الجليد على أن آلية هذه التغذية المرتدة قد تتسبب في حدوث عصر جليدي.

قبل خمس سنوات أعطى جيفورد ميلر من جامعة كولورادو، وآن دو فيرنال من جامعة كيبك دليلاً خلصا إليه من أحافير بحرية هو أن آخر عصر جليدي كان قد حدث بسبب احتشاد مقادير وافرة من الجليد بدأت في التجمع في منطقة القطب الشمالي قبل مئة وعشرين ألف سنة؛ في الوقت الذي كانت فيه تلك المنطقة في أقصى درجات دفئها (مجلة إمكانية حدوث الجليد في عالم أكثر دفئًا، ٨ أغسطس ١٩٩٢م، ص ٢٣ ICY PROSPECTS FOR A WARMER WORLD).

ويحتج جونسون بأن السد العالي في أسوان قد يجدد الظروف لحدوث عصر جليدي جديد. ولكنه يقول أيضًا: إن عصر الجليد هذا قد يصاحب زيادة حرارة الكون. وقد تزداد درجة حرارة المناطق الاستوائية ونصف الكرة الأرضية الجنوبي بشكل كبير في الوقت الذي سيتجمد فيه نصف الكرة الشمالي.

وتقول مجلة «نيو سينتست»: إن جونسون ذكر أن الطريقة الوحيدة لمنع حدوث ذلك تتلخص في بناء سد يحجز مياه البحر المتوسط. ويقترح بناء سد عبر مضيق جبل طارق لتقليل تدفق مياه البحر بما نسبته ٨٠٪، وسيعادل حجم هذا السد ـ كما يقول ـ ٤٢٠ ضعف حجم الهرم الأكبر.

تجارة الفراء العالمية



عجل «الفظ» يستخدم الصيادون أنيابه لصنع تحف جميلة

أحمد محمد محمد إبراهيم

عجول البحر ذات الفراء من الحيوانات البحرية الثديية ذوات الدم الدافئ، وتوجد على الشواطئ المهجورة لمنطقة القطب الجنوبي ومنطقة القطب المتجمد الشمالي، وهي واسعة الانتشار، تعيش في مجموعات أو قطعان، والقليل منها يعيش في المياه العذبة والبحيرات. وهي من آكلات اللحوم. ويُطلق على الذكر من عجول البحر اسم ثور BULL أما الأنثى فيُطلق عليها اسم بقرة COW، والصغير اسم كالف CALF أو PUP. وهنا يجب التوضيح لأن هناك تداخلاً بين اسم البقرة وبخاصة الذي يُطلق على إناث عجول البحر COW وبقر البحر SEA COW وهي حيوانات من آكلات الأعشاب المائية.

وتشكل عجول البحر مجموعة من الثدييات البحرية تسمى بيني بيديا PINNIPEDIA، وهي كلمة لاتينية معناها الأطراف الزعنفية FIN-FOOTHD؛ حيث تشبه زعانف عجول البحر أحيانًا الزعانف المجذافية للأسماك. ومتوسط عمرها يصل إلى ٤٠ سنة.

البداية بالحراب والهراوات!

بدأ الإنسان في صيد عجول البحر منذ زمن بعيد. ومازال أهالي منطقة الإسكيمو يستخدمون الطرق القديمة لصيد عجول البحر من خلال الفتحات التي تفتحها العجول في الجليد من أجل تنفسها. وهم يستخدمون الحراب HARPOONS والزوارق الجلدية الخفيفة القابلة للحمل والتنقل KAYAKS لتتبع عجول البحر. كما يستخدمون الهراوات لضرب العجول على رؤوسها عند الشاطئ



أحد عجول البحر يستمتع بحمام شمس دافئ على الجليد

حتى تفقد وعيها ويُقضى عليها. وتُعدّ عجول البحر لدى أهالي تلك المنطقة المصدر الرئيس للغذاء. كما يستخدمون الطبقة الدهنية BLEBBER الموجودة تحت الجلد في صنع زيوت الإضاءة. أما الجلود فيستخدمونها في صنع المعاطف والملابس الجلدية، ويستخدمون أنياب عجل الفظّ في الزينة وصنع التحف حيث ينقشون عليها نقوشًا جميلة معبرة عن سكان تلك المناطق، وهي تُباع بأثمان باهظة.

مذابح جماعية في القرنين الماضيين

كان البحارة القدامى الذين يعملون بحرفة صيد عجول البحر يتصفون بالشجاعة والمهارة والخشونة؛ لأنهم كانوا يواجهون الموت في كل لحظة بين العواصف الثلجية في أثناء عملية الصيد التي تصل إلى أن يردمهم الجليد أو يغطيهم في أثناء اقتناصهم أحد العجول من على الجزر. وكانوا يتبعون العجول في كل مكان الأمر الذي فتح لهم الكثير من الكشوف الجغرافية، ولاسيما في منطقة القطب الشمالي والجنوبي.

كما أن بعض المؤرخين يعتقدون أن القارة القطبية الجنوبية اكتُشفت بواسطة أحد البحارة العاملين في تلك الحرفة. ونجد أن هؤلاء الصيادين كانوا يقضون على تلك الحيوانات بالمذابح الجماعية التي يصل ضحاياها إلى الألف حيوان طلبًا لجلودها وفرائها دون وعي اقتصادي ودون الحفاظ على تلك الحيوانات من الانقراض. لذا بدأت أعداد عجول البحر في النقصان بعد أن ارتاد الإنسان ركوب البحر وجاب المحيطات، وتَعَرَّف أماكن انتشار تلك الحيوانات بالجزر المختلفة، ورَسَمَ الخرائط لأماكن تجمعاتها؛ حتى أصبحت تجارة عجول البحر خلال القرن الثامن عشر والتاسع عشر من أهم المنتجات الصناعية.

في عام ١٧٨٣م أبحرت أول سفينة عُرفت باسم STATES من ميناء بوستن لصيد عجول البحر الموجودة على جزر فولكلاند FALKLAND ISLANDS، وكانت رحلة ناجحة في صيد العديد من تلك العجول. ومنذ ذلك الوقت أصبحت تجارة عجول البحر تجارة مشهورة، كما أن المصيد في الرحلة الواحدة كان يبلغ أكثر من مئة عجل طلبًا لجلودها وشحومها وزيوتها ولحومها.

وقد حفز هذا الصيد الجائر بعض الحكومات إلى وضع القوانين التي تحمي عجول البحر من الانقراض؛ إلا أن العديد من تلك القوانين لم يكن يُعمل به وقت إبرامه. وعلى سبيل المثال فقد أخذت عجول الفراء بكاليفورنيا في النقصان بحيث لم تعد تستطيع الانتشار مرة أخرى بالكثافة العددية نفسها السابقة على تلك القوانين. وقد بدأت الحكومات الآن في تطبيقها مع العقوبات الرادعة.



تجارة الفراء العالمية

النقص الحاد في أعداد عجول البحر

في عام ١٧٦٨م تم اكتشاف جزر بريبيلوف بواسطة المكتشف الروسي جراسيم بريبلوف GERASIM PRIB-YLOV، وكان على الجزيرة في ذلك الوقت ما يقارب أربعة الملايين ونصف المليون من العجول ذات الفراء. وقد نقص عددها حتى بلغ عام ١٩١١م أقل من الثلثين، ثم وصل في الوقت الحاضر إلى ٣٣٠ ألف عجل نتيجة الصيد المكثف. أما عجول الهارب HARP SEALS فقد انخفض عددها حتى عام ١٩٥٠م إلى مليون وربع المليون بعد أن كان ثلاثة ملايين. كما أن عجول الفراء الشمالية بدأت في التناقص منذ عام ١٨٠٠م من ثلاثة ملايين إلى ١٥٠ ألف عجل فقط حتى عام ١٩١٠م. وكان المصيد السنوي للعجول الصغيرة على شواطئ نيو فونولاند يساوي مصيد أمريكا الشمالية. ويترجح عدد الجلود المستخلصة سنويًا بين ٢٥ و٣٠ ألفًا.

ويعتمد دخل سكان جزر أليتان ALEUTIAN ISLANDS القريبة من جزر بريبيلوف على فراء عجول البحر. وكان تعدادهم في ذلك الوقت أكثر من خمسة آلاف شخص يُعرفون باسم أليوتس ALEUTS، ثم انتقل إليهم بعض سكان جزر بريبيلوف الذين يعيشون ويعملون على تلك الجزر، واستوطنوا جزر أليتان، وخلال موسم الصيد كانوا يقومون بقتل العجول وسلخها واستخلاص شحومها في المصانع الموجودة على الجزر والمخصصة لهذا الغرض.

اتفاقيات للحدّ من الصيد الجائر

وخلال تلك الحقبة اشترت الولايات المتحدة منطقة ألاسكا، بما فيها تلك الجزيرة، من روسيا. وفي عام ١٩١١م تم توقيع اتفاقية بين اليابان وكندا وأمريكا وروسيا والأقطار التي تتواجد فيها العجول؛

الأم ترنو بحنان إلى صغيرها



تجارة الفراء العالمية

قضت بتخصيص ١٥٪ لكل دولة من المصيد السنوي المسموح به، وذلك لوقف مذابح تلك العجول وحفاظًا عليها من الانقراض. بينما كان يُسمح لأهالي الإسكيمو والهنود الحمر من سكان تلك المناطق فقط باصطياد القليل من عجول البحر لتلبية حاجاتهم الغذائية.

وفي عام ١٩٤٣م بلغ المصيد بناء على الاتفاقية المبرمة ١١٧ ألف عجل فقط من عجول الهارب HARP SEAL سنويًا، ثم ازداد إلى ١٥٠ ألف عجل، منها ٦٠ ألف عجل لكل من كندا والنرويج، و٣٠ ألف عجل لسكان جزر نيو فونولاند، و٣٠ ألف عجل لسكان خليج سنتا لورنس، و٣٠ ألف عجل لسكان شمال لابرادو. ويبلغ مصيد أمريكا الشمالية من عجول البحر ذات الفراء مليون ونصف المليون عجل؛ أي ما يساوي ١٤مليون دولار في ذلك الوقت.

وهناك اتفاقية مماثلة لتحديد المصيد من العجول الروسية البيضاء SVAL-BARD على الأرض الخضراء وجزيرة جان JAN MAYEN ISLAND. وبعد تكثيف صيد تلك العجول أخذ تعدادها في التناقص المستمر نظرًا لاستخدام التقنية المتقدمة في الصيد، ومن هنا بدأ قلق بعض الحكومات على تلك الحيوانات خشية انقراضها؛ فبدأت في وضع القوانين التي تحمي تلك الحيوانات من الانقراض. ومع أن العديد من تلك القوانين لم يكن يُعمل به وقت إبرامه؛ إلا أن الحكومات والهيئات الدولية شرعت الآن في وضعها موضع التنفيذ. وعلى سبيل المثال نجد أن عجول الفراء بكاليفورنيا أخذ تعدادها في التناقص بحيث أصبح من الصعب عودتها إلى ما كانت عليه سابقًا، الأمر الذي حفز الحكومات إلى تطبيق تلك القوانين لحمايتها متبعة في ذلك الحزم والمعاقبة الرادعة لمن يخالف تلك القوانين.

دراسات لمعرفة سلوك الحيوان

ووفقًا لدراسة بيولوجية وضعتها مؤسسة FWS يتم وضع علامات معدنية لقرابة ٢٠ ألف صغير من صغار عجول البحر PUPS كل عام. وتُعرف هذه العملية باسم التاج المعدني METAL TAG حيث تُوضع هذه العلامات على الزعانف ويتم متابعتها سنويًا لمعرفة عدد الصغار الذي يعود مرة أخرى إلى الجزر وعدد المفقود منها، وكذلك معدل نموها ووزنها وتتبع خط سير بعضها في أثناء فصل الشتاء على شواطئ اليابان، وبعضها الآخر شمالاً على الساحل الشمالي لأمريكا حتى المكسيك جنوبًا. كما يتم تَعَرُّف الأمراض التي تصيب الصغار ومحاولة علاجها. وتتم كذلك دراسة العجول تحت الجليد في أثناء فصل الشتاء لمعرفة كيفية معيشتها وأكلها حينما تبتعد من الجزر، وتتبع ديناميكية حياتها. وقد بدأت الحكومات المعنية دراسات علمية على عجول الفراء لمعرفة كيفية معيشتها وانتشارها ومعرفة أفضل الوسائل للمحافظة عليها، كما تم اكتشاف عدد كبير من الذكور غير المطلوبة فبدأت تلك الحكومات في استغلالها في الصيد. وفي كل عام يقرر العلماء عدد الذكور البالغ عمرها ثلاث سنوات ويمكن اصطيادها، كما يشرفون على عملية الصيد بأنفسهم.



أحد صغار عجول الهارب CALF HARP SEAL

ويقدر تعداد عجول البحر المعروفة باسم كرابيتر CRABETER SEAL المعروفة لاتينيًا باسم LOB-ODON CARCINOPHAGUS والتي تنتشر بالقطب الجنوبي بأكثر من ثلاثة ملايين عجل، وهي من العجول الكبيرة الحجم حيث يصل طولها إلى ثلاثة أمتار، ولونها رمادي مختلط بلون بني، أما في فصل الشتاء فيكون لونها أبيض فضيًا، ويُعدّ من العجول ذات الأهمية من الناحية الاقتصادية من حيث فراؤها.

أما عجول الويديل WED-DELL SEAL فإنها تنتشر أيضًا بالقطب الجنوبي، وتتجمع في مجموعات في أثناء التكاثر فقط، ويصل تعداد المجموعة إلى ٤٠ عجلاً، وطول العجل من ٢,٥ إلى ٣ أمتار، ولونه أبيض مائل إلى الاصفرار، وأحيانًا رخامي اللون أو منقط بنقط رمادية. وهي ذات أهمية اقتصادية من أجل فرائها.

وفي عام ١٩٨٢م نظم الأوربيون مظاهرة من أجل منع صيد صغار عجول الهارب CALF HARP-SEAL ذات الفرو الأبيض الناصع الناعم الذي يسيل له لعاب تجار الفراء، وقد أدى ذلك إلى الحدّ من الصيد الجائر وتنظيمه حسب الاتفاق المبرم بين الدول المتواجدة بها تلك العجول والعاملين في تلك التجارة المربحة.

قصيدة

مهرجان الطفل

شعر: **عبدالبديع الغزالي**

لك يومُ صفوك يا صغيري أغنياتٌ حالمةْ
تشدو بها روح تُحلّق في سمائك حائمةْ
ويصوغها قلب كبير في خواطرَ باسمةْ
يحنو عليك وطالما أولاكَ كفًّا راحمةْ

* * *

لا غَرْوَ يا طفلي فعصرُك عصر جيلٍ مُلهَمِ
دار الزمان وصار ذكرُك في المقام الأكرمِ
وغدوت بين العالمين البدرَ بين الأنجمِ
حمدًا لمن رفعوا لواءك للمجالِ الأعظمِ

* * *

اليومُ يومُك يا صغيري فاغتنم فيه الهنا
وانعم بنشوتك البريئة بين روضك والمنى
واسبق فراشاتِ المروج وطِرْ على جُنحِ السنا
وكُنِ الزهورَ على الروابي والضياءَ على الدُّنا

* * *

كم كنت أرجو يوم صفوك فرحةً لا توصفُ
لكنما حُمَّ القضاء وجاء يومٌ مُتْلفُ
ماذا أقول وأنت يا طفلي هنا لا تعرفُ
هذي ربوعك في دُجَى الأغلال حيرى تَرسُفُ

* * *

والقدس تنهشها الكلاب ودمعها يترقرقُ
أرأيت مهد الأنبياء به الكرامةُ تُسْحَقُ
لم يمض يوم دونما أرواحُ أهلك تُزهَقُ
صبّوا عليها حِقدهمْ فالبومُ فيها يَنْعَقُ

* * *

أنا لست أبغي أن أعكر صفو يومك يا بُنَيْ
لكنني أنْعِي حِمَى مسرى ومعراج النبيْ
وأريدُها درسًا تعيه لساعة الزحف الفتيْ
حيث البطولةُ تزدهي ببسالة الحرّ الأبيْ

* * *

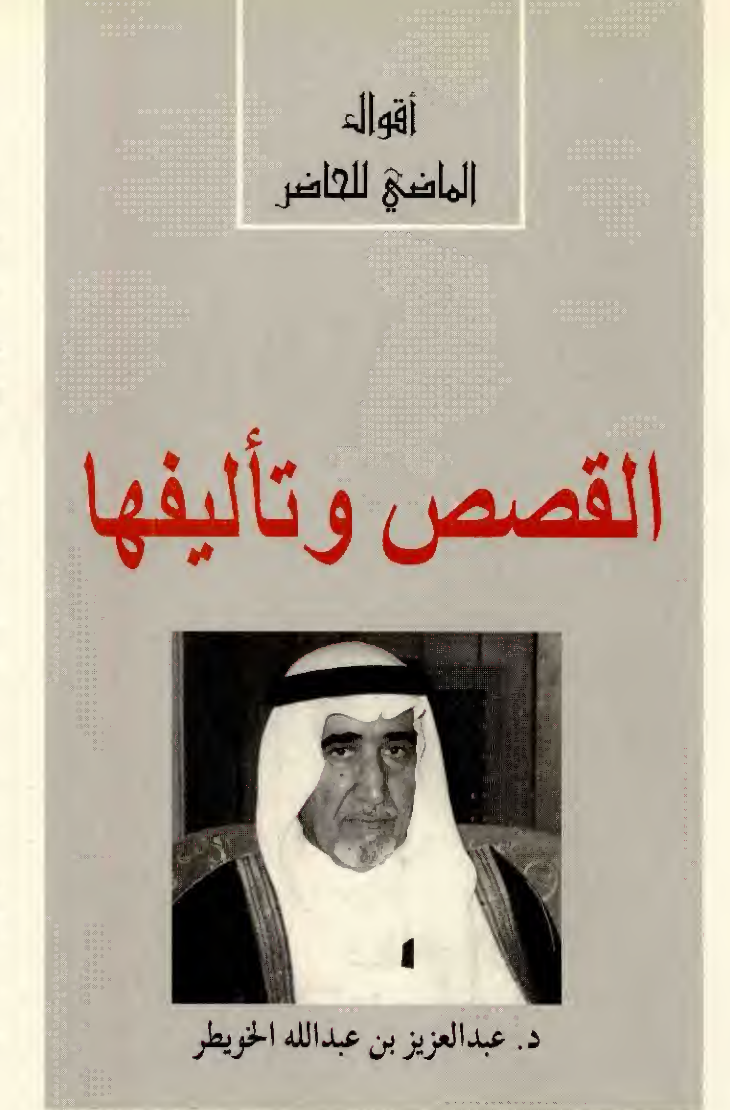
لا تنس أنك فرع أصلٍ قد تطاول في الزمنْ
دانت له الدنيا وما مالت بهامته المحَنْ
ملأ الوجودَ عدالةً وسما بها فوقَ القُنَنْ
فاسلك دروبَ الخالدين وشُدَّ مِن أزْرِ الوطنْ

* * *

بالعلم تخترق الحجاب وتعتلي متن الشُّهُبْ
وتسير في ركب الحياة محققًا كلَّ الأرَبْ
يثني عليك العالمون وأنت في عالي الرتَبْ
وتعيش مرهوبَ الجناب ورافعًا رأسَ العربْ

* * *

عقدتْ عليك الأمةُ العصماءُ ألوية الأملْ
ورعتك كي تبقى لمغناها المناضلَ والبطلْ
ورجَتْك للثأر الكبير يُزيح أشباح المَلَلْ
فانهض وجدد مجدَهَا لا عزّ إلا في العملْ



القصص وتأليفها

د. عبدالعزيز بن عبدالله الخويطر

قَصَّ القصص، والمتعة التي يشعر بها القاص، والبهجة التي تملأ نفس المستمع، أمر عُرف منذ القدم، ولعله يدخل في طبيعة البشر، ولهذا فهو يقابل طبيعة متعطشة، ويملأ فراغًا منتظراً من المرء، فإذا التقت رغبة القاص مع تطلع من يقص عليه، كملت الصورة، وتم الرسم.

والقصص نوعان: نوع واقع وحقيقي، يرويه راويه، ليس له في حقائقه إلا حسن الإلقاء، وانتقاء الكلمات، والزوايا التي يدخل منها، وما يرى تقديمه، وما يرى تأخيره، يسير في نبرة صوته مع مجرى القصة، وما تقتضيه، وما يراه على وجوه السامعين، من استحسان وإصغاء، أو تذمر وغفلة وصدود.

والنوع الآخر نوع مُتَخَيَّل، يصول فيه ذهن القاص ويجول، حسب ما يراه، معتمداً في هذا على مقدرته على الوضع، وتصفيف الكلام والأفكار؛ وقد يكون كله مختلقًا، وقد يكون بعضه؛ فقد يبني القاص قصته على أمر واقع وحقيقي في بعض جوانبه، ولكنه يُدخِل في أوله، أو في أثنائه، أو في آخره، ما يرى أن من المفيد في شد الناس أن تكون هذه الإضافة فيه.

وهناك أناس عندهم الملكة لاختراع القصص، وتركيبها وصياغتها صياغة لا يُشَكّ في أنها واقعة في الحقيقة. والقاص بمعلوماته الغزيرة، وبثاقب فكره، ومعرفته بمجتمعه، وبطبيعة الناس فيه، يستطيع أن يبدع، ويأتي بما يدهش، حتى إن بعض ما يؤلفه تتعدى المتعة فيه الحقائق الثابتة المعروفة عن هذا الأمر.

وتركيب القصص، واقتناص طائر الخيال فيها، يختلف باختلاف الغرض الذي من أجله صار هذا؛ والقصص في التراث مملوء بما هو مصطنع، أُريدَ به أن يوهم بأنه حقيقة. وكان في النزاع القبلي، والاختلاف السياسي، والتباين بين طبقات الناس، والمنافسة بين أصحاب المهن، وبعض فئات العلماء، ما يغري بالوضع، لتأكيد حق لم تؤكده الحقيقة، مما يدفع إلى اللجوء في إثباته إلى الخيال، وجموح التصور؛ والغاية حينئذ تسوّغ الوسيلة.

وقد عانت الحقيقة في محصول التراث من هذا كثيراً، مما يوجب أن يُنخَل ما دُوِّن، ويُفحص، ويُتأكد مما هو حقيقة، وما هو خيال؛ وإن كان الخيال عندما يثبت أنه خيال لا يخلو من فائدة أولها المتعة، وثانيها معرفة عقل المؤلف، وسبر غور مقدرته على تعمية بصمات أقدامه على أرض الوضع، وثالثها أنها تبين صورة من صور المجتمع الذي عاش فيه هؤلاء القصاص، والمستمعون لهم.

وفي بعض النصوص يتبين الموضوع من غيره، لأن هناك علامات لا تخفى على الدارس، مع كثرة ما يمر به، وما يتعرض له، ويفيده في هذا كثرة النصوص التي تمر به، وإتاحة الفرصة له للمقارنة والموازنة، مما يجعله خبيراً.

وناقد النصوص، وناقفها، يحتاج إلى نبذ العاطفة جانبا، ومقاومة المتعة، عند هدم النص، وإبطاله؛ لأن في النصوص قوة، ليس من السهل مقاومتها، لا يعرفها إلا من عالجها، وعاش معها، وصارع جاذبيتها، وإغراءها.

في النص الذي سوف نسوقه نوع من أنواع القصص الذي لا يخلو من تهمة النحل، وهو نوع قد يكون الداعي له، استعراض ثقافة القاص، وتبيان مستواه في علم الأنساب والمجتمع؛ والاقتصار على سرد ما يعرف لا يجذب النظر، ولا يأتي بمتعة، ولكن وضعه في قصة، يُختار أشخاصها، وموضوعها، ومسرحها، يضمن الاستماع، والرواية والمتعة.

وإذا كان كتّاب القصة في زمننا ينبهون القارئ، ويؤكدون أن القصة التي يضعونها أمامه هي متخيلة، ولكنها صورة لما يحدث في الحقيقة في المجتمع، فليأخذ القارئ منها عِظة؛ وهذا هو الفرق بين كتّاب القصة اليوم، وأجدادهم بالأمس، وما صوروا لمجتمعهم من صور تخيّلوها، في حدود ما يمكن أن يحدث فيه.

والنص التالي يبين حرص مؤلف النص على عرض ثقافته، وبث رسالة يؤمن بها، ويريد لها أن تشيع:

«خرج أبو العباس، أمير المؤمنين، متنزها بالأنبار، فأمعن في نزهته، وانتبذ من أصحابه، فوافى خباءً لأعرابي، فقال له الأعرابي:

ممن الرجل؟

قال: من كنانة.

قال: من أي كنانة؟

قال: من أبغض كنانة إلى كنانة.

قال: فأنت إذًا من قريش.

قال: نعم.

قال: فمن أي قريش؟

قال: من أبغض قريش إلى قريش.

قال: فأنت إذًا من ولد عبدالمطلب!

قال: نعم.

قال: فمن أي ولد عبدالمطلب؟

قال: من أبغض ولد عبدالمطلب إلى عبدالمطلب.

قال: فأنت إذًا أمير المؤمنين.

ووثب إليه، فاستحسن ما رأى منه، وأمر له بجائزة».

[العقد الفريد: ٣ / ٤٧٧] .

قصيدة

نظافة البيئة

شعر:
أحمد عبدالسلام البقالي

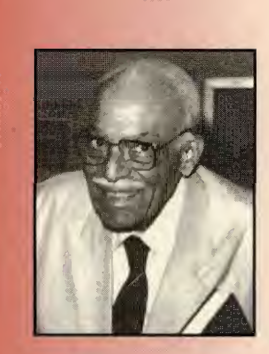
حلمت يومًا أنني ... أركب في صاروخ
متجها كطائر ... لكوكب المريخ
بسرعة قويه
لعالم الحريه

قلت أدور دورةً ... بالكرة الأرضيه
ألقي عليها نظرة ... وأبعث التحيَّه
للطفل والصبيه
من عالم الحريه

فراعني ما سمِعَتْ ... أذْني من البكاءِ
وما رأت عيني من الـ ... ـتلويث في الهواءِ
في المدن الغنيه
وفي القرى الشقيه

فقلت كيف أرتقي ... للأنجم العَلِيَّه
وكوكبي في حاجة ... شديدة إليَّه؟!
حتى أرى أجواءَه
نظيفة نقيه...

هيكل سليمان في ذاكرة التاريخ!



د. حسن ظاظا

في عام ٥٥٨ ق.م. سقطت أورشليم/ القدس أمام جيش الملك الكلداني نبوخذنصر (بُختنصّر) القادم من بابل بالعراق بقيادة «نبوزردان»، بعد حصار طويل، وبعد انقسام اليهود فيما بينهم بين حلّ سلميّ كان يدعو إليه نبيهم وواعظهم وخطيبهم إرميا بن حلقيا رئيس كهنة سليمان، ومجموعة من مدّعي النبوة وخطباء هذه الصهيونية القديمة يدّعون أنهم أنبياء، وأن الله يوحي إليهم! وكان عددهم في أورشليم قد قُدِّر على لسان إرميا بخمسين نبيًا وصفهم إرميا بأنهم جميعًا كذابون لم يقل الله لهم شيئًا. لكن الغوغاء تابعتهم إلى أن اقتحم المحاصرون المدينة، ودمروها، وأحرقوها، وهدموا هيكل سليمان، وسوّوه بالأرض، ثم قبض المهاجمون على ملك اليهود الأخير «صدقياهو» وأسرته وأولاده وهم يحاولون الهرب من القدس، فقُتل أبناء صدقياهو جميعا أمام عينيه، ثم سُملَتْ عيناه ليكون هذا المنظر البشع آخر ما رآه قبل أن تعمى عيناه، وأُخذ أسيرًا مكبلاً بالسلاسل والأصفاد إلى بابل، حيث مات ذليلاً مهانًا. أما نبي اليهود إرميا، فقد ترك لهم في تلك الأزمة سفرًا كاملاً يتضمن خطبه ومواعظه التي لم يهتموا بها فكان ما كان، كما ترك لهم قصيدة رثاء لمدينة القدس بعد خرابها، وقبل أن يغادرها لاجئًا إلى مصر، حيث تعقبه بعض أتباع الأنبياء الكذابين، وقتلوه في وسط دلتا النيل بالقرب من مدينتي طنطا والمحلة الكبرى. والبكاء صفة مميزة لليهود في المآسي السياسية والعسكرية والقومية إلى الآن، وهو فن شعريٌّ شائع عندهم، يسمى بالعبرية «قينة» أي رثاء.

وتبدأ مقاطع هذه المرثية بحرف من حروف الأبجدية العبرية، مما يدعوني إلى أن أفكر - بسبب ما فيها من تكلف - أنها كُتبت في وقت متأخر، ونسبها كاتبها إلى النبي إرميا، تبركًا أو صهيونيةً، لينفخ في لهيب الحقد على الأمم الأخرى. نقرأ في هذه المرثية:

١- أي حال باتت فيه موحشة، هذه المدينة التي كانت آهلة، صارت كأرملة، العظيمة في الأمم، سيدة المدائن تحت الجزية!

٢- بكاؤها في الليل دائم، ودموعها على خدّيها. لا مواسي لها من كل أحبّائها، أصدقاؤها غدروا جميعًا، انقلبوا عليها.

٣- جلَت يهوذا للبؤس، وشقاء العبودية، تغرّبت في الأمم، بلا راحة، أدركها كل مضطهديها في جميع المسالك.

٤- دروب صهيون تنوح على غياب العائدين للمواسم. جميع أبوابها مهدّمة، كهنتها يتأوّهون، وصباياها يتحسرن على مرارتها. وهكذا.. إلى آخر الأبجدية. وأكتفي بهذا المثال الذي يبدأ بالحروف: ا، ب، ج، د، تمامًا كما هو في الأصل العبري، وفي معناه، لأنتقل إلى (انتفاضة) صهيونية قديمة بحجّة إعادة بناء الهيكل بعد السبي البابلي بأقل من خمسين سنة، كان الشرق الأوسط فيها قد تغير تغيرًا سريعًا وعميقًا بقيام دولة كبيرة في إيران تجمع، إلى جانب الإيرانيين، عناصر وأجناسًا أكثرها من أحولة قريبة بعضها من بعض، بلغات أو لهجات متقاربة، وبأديان تقوم على عبادة النار أساسها تعاليم زرادشت المجوسية التي تعبد النور والناس، وتقدّس الأرض، وتحرص على نقائها وطهارتها حتى حرّمت دفن الموتى فيها، وكان الموتى يوضعون في توابيت خزفية مستطيلة، مرفوعة إلى أعلى على جزع الشجر حتى تأكلها الطير وتجف العظام تمامًا، وتصبح لا رائحة لها فيتخلص الأحياء منها.

احتكار اليهود لتجارة الموبقات!

ومن هذه المجاميع البشرية بما بينها من فوارق بسيطة تكونت «إمبراطورية» إيران القديمة، ثم غزت الدول المجاورة لها واحتلت العراق، ووضعت نهاية للدول القوية التي كانت قائمة هناك مثل الدولة البابلية والآشورية، ثم بسطت سلطانها على بلاد الجودي في الشمال (الأكراد) والأوري والأوررْتو، ثم الآراميين في سورية والفينيقيين في لبنان واليهود في فلسطين، واحتلّت مصر في أيام «قمبيز» وبعض جزائر البحر المتوسط مثل قبرص. وبالطبع تعاون اليهود معهم بإخلاص لأنهم كانوا يرون في احتلال الفرس للعراق شكلاً من أشكال الثأر الإلهي لما أصاب المملكة اليهودية الناشئة في فلسطين على يد الآشوريين ثم البابليين من سبي وإذلال. وإذا قيل في النصوص التلمودية القديمة: (بابل) فذلك يشمل الدلالة على العراق وإيران جميعًا، لأن إيران احتلت العراق ولم يتحرر إلا مع الإسلام، أي إنه ظل في منطقة النفوذ الفارسي أكثر من ألف سنة.. أما يهود السبي البابلي فإن أكثرهم، وأبرزهم في العلم والصناعة والمال والفنون الجميلة، وإدارة الملاهي البريئة وغير البريئة قد انتشروا في داخل إيران، ولم يواصلوا - إلا أعدادًا قليلة - الإقامة في العراق. بل إن إيران قامت بتصدير جانب من يهودها إلى مصر، عندما فتحها الإمبراطور الإيراني «قمبيز» فأنشأوا لهم (مستوطنة) في جزيرة الفيلة في النيل، في أقصى الجنوب من مصر، وكان أولئك اليهود يستعملون اللغة «الآرامية» - لا العبرية ولا المصرية الفرعونية -، وقد وُجدت كميات كبيرة من كتاباتهم يتبين من كثير منها أن مستوطنتهم كان الغرض الأول من إنشائها تأمين مهمة الترفيه عن جنود الاحتلال الفارسي، باستيراد الخمر، والراقصات والمغنيات، وفتح بيوت الدعارة، وتزويدها بالمومسات والمخنثين، مما كانت نتيجته أن ثار كهنة الصعيد ضدّ هذه الرذائل حتى اضطر قمبيز إلى الجلاء عن مصر كلها بجنوده بعد وقت قصير. وقد عثر العالمان البريطانيان «سايس» و«كولي» على كثير من وثائق يهود فيَلة الخاصة بالقائمين بمهام الترفيه عن الجيش الفارسيّ الفاتح! وكان التجار والوسطاء والسماسرة وتجار الجواري والغلمان وأصحاب حوانيت الخمر والموسيقيون جميعًا من اليهود. ويشعر المطّلع على أحوالهم في إيران أنهم كانوا أسعد حالاً وأوسع ثراءً وأكثر أمنًا من

أسلافهم في فلسطين، حتى في أيام سليمان وداود عليهما السلام؛ على الرغم من تفننهم في تمجيد المعبد المركزي الذي شيده سليمان - بعمال أجانب - من المهندسين والمزخرفين إلى أهم المواد التي دخلت في إنجاز هذا العمل. وقد أشرنا من قبل إلى إعداد محطة لتجميع العمال الوافدين والعائدين اسمها (جليل هجُّوييم) أي دائرة الأجانب، وهي المنطقة التي تُسمى في شمال فلسطين - أقرب أرض من لبنان - الجليل، إلى يومنا هذا. وفيما عدا مراثي إرميا لتدمير المدينة والهيكل، كان لهذا الحادث أصداء من الراحة والشماتة من جانب جيران هذه المملكة، كما وردت أصداء - في كتب أنبياء بني إسرائيل الاثني عشر خصوصًا - تشير بوضوح إلى أسباب هذه الكارثة، وتُحمِّل أوزارها الشعب اليهودي نفسه بارتداده عن سنَّة موسى وهارون عليهما السلام، وفتح الباب على مصراعيه في داخل الهيكل ليكون وكرًا لأغلظ المعاصي والخرافات، وأفدح الجرائم والموبقات.

الدعوة إلى إعادة بناء الهيكل

وبقيت فكرة إعادة بناء الهيكل بعد تخريبه تداعب خيال اليهود في السبي إلى أن تم لهم سقوط «نينَوى» عاصمة الإمبراطورية الآشورية في شمال العراق، وسقوط بابل عاصمة الإمبراطورية الكلدانية في بقية العراق، واستيلاء «قورش» إمبراطور إيران على كل العراق. وما إن وجد اليهود أنفسهم - أو معظمهم - في السبي؛ حتى تناوب أنبياؤهم بدورهم يستنهضون همتهم إلى العودة إلى مدينة داود وسليمان. وفي أقل من قرن من الزمان من تخريب الهيكل، أخذ زمام الدعوة إلى إعادة بناء الهيكل أنبياء كانوا بين أولئك المبعدين، أشهرهم «دانيال» و«حزقيال»، وكانت اللغة العبرية نفسها قد دخلت في دور الاحتضار، وتكلم أكثر اليهود باللغة الآرامية، أقرب اللغات السامية المستعملة في العراق وإيران من العبرية، حتى إن النبي دانيال حشا كتابه بفصول طويلة باللغة الآرامية، وكان هذا مقدمة لجنوح اليهود إلى الآرامية، ليكتبوا بها التلمود فيما بعد، كما توجد ألفاظ وصيغ آرامية في سفر نبيهم «عزرا».

أما النبي «نحميا» فقد زار أورشليم/ القدس. ووصفه لها يبين بوضوح أن الهجوم الآشوري ثم البابلي قد ترك آثار استيطان اليهود لفلسطين قاعًا صفصفًا. ومع ذلك كانت هذه البلاد تعج بالسكان. ويعطي نحميا وصفًا مؤثرًا للخراب الذي شاهده في تلك الزيارة فيقول وهو في سُوزا إحدى كبريات مدن إيران: قدم «ضاني» أحد إخوتي، هو ورجال من يهوذا، فسألتهم عن الذين نجوا من الجلاء، وعن أورشليم، فقالوا لي: إن البقية التي بقيت من السبي هناك، في البلاد، في ضنك شديد وهوان. أما سور أورشليم فقد انهدم، وأبوابها محترقة بالنار. فلمّا سمعتُ هذا الكلام ظللتُ أبكي وأنوح أيّامًا، وصمتُ، وصلّيتُ بين يديّ إله السماوات، وقلتُ: يارب! يا إله السماوات، الجبار العظيم، المرهوب، حافظ العهد والرحمة لأحبائه، وحافظي وصاياه! لتكن أذناك مصغيتين، وعيناك ناظرتين، لتسمع صلاة عبدك التي أصليها بين يديك نهارًا وليلاً عن بني إسرائيل، عبادك، معترفًا بخطايا بني إسرائيل التي ارتكبناها في حقك، فإني، أنا وبيت أبي، قد أخطأنا، وعملنا الفساد بين يديك، ولم نحافظ على وصاياك، وحدودك وشرائعك التي أمرت بها عبدك موسى! أذكُر الكلام الذي أمرت به موسى، عبدك، قائلاً: إن اعتديتم فإنني أشتتكم بين الأمم، وإن رجعتم إليّ وحفظتم وصاياي، وعملتم بها، ولو كان نفيكم إلى أقصى السماء، فإني أجمعكم من هناك، وأردكم إلى هناك، إلى المكان الذي اخترته لأقيم اسمي فيه! فهؤلاء عبيدك، وشعبك، الذين افتديتهم بقدرتك العظيمة، ويدك العزيزة، يارب! لتكن أذناك مصيختين إلى صلاة عبدك، وصلوات عبادك الذين يبتغون مخافة اسمك، ووفّق عبدك اليوم، وهَبْهُ قبولاً في عين هذا الرجل! وكنت ساقي الملك (دارطا كسركسيس) (سفر نحميا ١:١-١١) وفي السنة العشرين لملكه، كان أمامه خَمْرٌ، فأخذت الخمر وناولت الملك، ولم أكن من قبل مكتئبًا بحضرته. فقال لي الملك: ما بال وجهك مكتئبًا، أنت لست بمريض؟ ما هذه إلا كآبة قلب! فخفتُ خوفًا شديدًا، وقلت للملك: عاش الملك إلى الأبد! كيف لا يكون وجهي مكتئبًا، والمدينة التي تضم مقابر آبائي قد خَربت، وأبوابها قد أُحرقت بالنار؟ قال الملك: وماذا تريد؟ فصليت إلى إله السماء، ثم قلت للملك: إذا حَسُنَ لدى الملك، وكانت لعبدك حظوةٌ بين يديك، فابعثني إلى يهوذا، إلى مدينة مقابر آبائي لأبنيها. فقال لي الملك، والملكة جالسة عنده: إلى متى يكون سفرك، ومتى تعود؟ وخطر للملك أن يمشي؛ فضربتُ له موعدًا. فقلت للملك: إن استحسن الملك أن يزودني برسائل إلى الولاة في عِبْر النهر، ليجيزوني حتى آتي يهوذا، ورسالة إلى آساف حارس غابة الملك حتى يعطيني خشبًا لأسقف منه بوابات قصر الهيكل وأسوار المدينة والدار التي أنزل فيها. فأعطاه الملك بتوفيق يد إلهي الكريمة عليّ. فوفدتُ على الولاة في عبر النهر.. الخ (سفر نحميا ٢: ١-٩). فقدمت إلى أورشليم ومكثت بها ثلاثة أيام. ثم قمتُ ليلاً ومعي نفَر قليل، ولم أخبر أحدًا بما ألقاه إلهي في قلبي أن أفعله بأورشليم، ولم تكن معي دابة إلا الدابة التي كنت أركبها، فخرجت ليلاً من باب الوادي، أمام عين التنين، إلى باب القمامة، وجعلت أتأمل أسوار أورشليم المتهدمة وأبوابها المحترقة بالنار، ثم اتجهت إلى باب العين، وبركة الملك، فلم يكن للدابة التي تحتي موضع تمشي عليه، ثم صعَدت في الوادي ليلاً، وأنا أتأمل السور، وعُدتُ فدخلت من باب الوادي، ورجعتُ، ولم يعلم الولاة إلى أين ذهبتُ، ولا ما أنا فاعل، ولا كنتُ بعد قد أعلمتُ اليهود والكهنة والكبراء والحكام، وسائر من باشروا العمل، فقلت لهم: إنكم ترون ما نحن فيه من السوء! كيف ضُربت أورشليم، واحترقت أبوابها بالنار! فهلمّوا لنبني سور أورشليم حتى لا نظل عارًا من بعد! وأعلمتهم بتوفيق إلهي الكريم عليّ، وكذلك بكلام الملك الذي أفضى به إليّ. فقالوا: لننهض، ولنبن، وشددوا أيديهم للخير! (الفصل نفسه: ١١-١٨). لكن تكونت ضد أولئك الصهاينة القدماء نواة «جامعة عربية» كان فيها: «تسنبلّط الحوراني (سورية)، وطوبيا العبد العَمُّوني (الأردن) وجشم العربي، الذين سخروا منا وازدرونا وقالوا: ما الذي أنتم صانعون؟ أتتمردون على الملك؟ فأجبتهم قائلاً لهم: إن نجّانا إله السماوات - ونحن عبيده - نقوم ونبني! وأنتم ليس لكم من حظ، ولا حقّ، ولا ذكر في أورشليم!» (الفصل نفسه: ١٩- ٢٠). ومعذرة من هذه الإطالة، لأن كل جملة أوردناها هنا، أخذتها الصهيونية التي نعاني من عدوانها المستمرّ الآن، وجعلت منها شعارات جماهيرية، وسياسية، لمزيد من التعنت خصوصًا فيما يخص مستقبل القدس.

غايات أبعد من بناء الهيكل!

ولم تكن العملية التي قادها نحميا إذ ذاك مجرد إعادة لبناء الهيكل على مخطط سليمان عليه السلام، ويبدو أن هيكله اتخذ صورة مختلفة جدًا عن الحقيقة، ودخل في الموضوع أن تُبنى المدينة والهيكل على نحو أفخم وأضخم - حتى لا يشمت الأعداء! - وكذلك أقوى تمكينا وتحصينا لعل الكارثة لا تتكرر من جديد!

فقام «إلياشيب» الكاهن الأعظم مع إخوته الكهنة وبنوا «باب الغنم» وهم الذين طهّروه وأقاموا مصراعيه وحتى برج المئة (أي يؤوى مئة مقاتل) حنانئيل، وبجانبه بنى رجال أريحا، وبجانبه الآخر بنى زكور بن إمري. فأما «باب السمك» فبناه بنو السناءة، وسقفوه وركبوا مصراعيه وأقفاله ومغاليقه. وبجانبهم رمّم مَريمُوت بن أوريّا بن القوص.. وهكذا يجري هذا الفصل على ذكر أسماء من رمّموا ما بقي من المدينة، وهو كثير، ودعوى المؤرخين بأن بختنصر سوّاها بالأرض لا تخلو من مبالغة: من المنتصرين للفخر، ومن المنهزمين للشكوى والدعوة إلى الانتقام (نحميا٣).

وفي الفصل التالي تبدأ الجبهة العربية المصغرة التي أشرنا إليها آنفًا في التحرك، والشعور بهذه الصهيونية الغابرة، وما تصنعه في فلسطين من أجل (الاستيطان)؛ هذا الداء المزمن يتركون من أجله حاشية الملوك في إيران، بعد أن شاركوا في إسقاط بابل ونينوى، وعاشوا في رخاء الإمبراطورية الفارسية حتى كان اليهود فيها يشبهون يهود الولايات المتحدة الأمريكية الآن في الثروة والأهمية والمنزلة. والتاريخ يعيد نفسه «في الأمور السيئة فقط»، كما قال أحد المفكرين الساخرين في أوروبا. ونحن نعلم أن سيدنا إبراهيم عليه السلام وطنه العراق، وكان مسخرًا

لمقاومة الوثنية حيثما وجدها، فَمَرَّ بفلسطين، ثم بمصر، ثم بالحجاز، وأخيرا توفاه الله ودُفن في الخليل. وأما موسى عليه السلام فقد ولد في مصر، لأسرة من بقايا أمراء الهكسوس الذي كان منهم فراعنة يحتلون مصر ويحكمونها. ونحن نعرف أنه لم يدخل فلسطين قط.

تحالف عربي قديم ضد الصهيونية.. ولكن!!

ورأى أمراء التضامن العربي القديم المعاصر للنبي اليهودي نحميا، فقرَّ رأيهم على مقاومة هذا التسلل اليهودي القديم - المخيف -، وإن كانت تشوب هذا الخوف مسحة واضحة من الاستهتار والاحتقار مازالت - بكل أسف - ملازمة للموقف العربي من الصهيونية حتى عهد قريب، وربما إلى الآن. وفي سفر نحميا الذي نحن بصدده نص ينطق بذلك واضحًا. يقول نحميا: ولما سمع سنبلّط أنّا آخذون في بناء السور ثار وغضب غضبًا شديدًا وسخر من اليهود، وتكلّم بين يدي أعوانه، وجيش السامرة (الدولة اليهودية المنشقة على مُلكْ سليمان، في شمال فلسطين) وقال: ماذا يفعل أولئك اليهود الضعفاء؟ هل يتركون؟ هل يذبحون (الأضاحي والقرابين) (نحميا٤).

كانت أعمال إعادة بناء الهيكل قد بدأت، وتهديد التحالف العربي القديم لا ينفك يُوَجَّه إلى نحميا ورجاله، في رسائل متكررة، وهو يرفض أية اجتماعات مع أولئك «الأعداء». يقول نحميا (الفصل السادس): فبعث إليّ سنبلط للمرة الخامسة بمثل ذلك، مع غلامه برسالة مفتوحة في يده مكتوب فيها: قد سُمع في الأمم قول جشم (زعيم العرب) إنك أنت واليهود تضمرون التمرّد، ولذلك فأنت تبني السور، لتكون ملكًا عليهم بهذا السبب. وقد أقمت أيضًا أنبياء ليتنبؤوا لك في أورشليم، قائلين إنّ في يهوذا ملكًا! والآن سيُسمع هذا الكلام عند الملك، فهلُمّ الآن لنتشاور معا، فأرسلتُ إليه قائلاً: ليس الأمر كما تقول. وإنما هو كلام أنت تختلقه من عقلك! وكانوا جميعًا يخوّفوننا قائلين: إن السواعد قد ضعفت عن العمل، ولن يتم! فالآن، شدّد اللهم ساعدي! ثم دخلت بيت شمعيا بن دلايا بن مَهطبئيل، وهو مغلق، فقال: لنجتمع إلى بيت الله! إلى داخل الهيكل!! ونغلق أبواب الهيكل، لأنهم قادمون ليقتلوك! إنهم سيأتون ليلاً ليقتلوك! فقلت: أرجلٌ مثلي يهرب. ومثلي يأوي إلى الهيكل لينجو؟ لن أدخلَ! ثم تبيّنتُ، فإذا الله لم يرسله، وإنما نطق بتلك النبوءة عليّ لأن طوبيا وسنبلّط استأجراه!! (نحميا٦). وبعد معوّقات ومؤامرات، تم بناء الهيكل والمدينة. واتخذ الحرس أماكنهم، كلٌ عند البوابة المقابلة لمسكنه، كما تم اختيار المنشدين والكهنة اللاويين، وعيّن حرّاس قصر الإمارة حيث يقيم النبي نحميا، ويرأس الحرس أخوه «ضاني»، كما عيّن على حرس مدينة أورشليم رئيس القصر «حنيا» لأنه - يقول نحميا - رجل أمين، أكثر خشية لله من كثيرين!! وقلت لهما: لا تُفتح أبواب أورشليم إلى أن تَحْمَى الشمس، وأُغلقت الأبواب وأُقفلت بحضورهم. وأقمت حرسًا من سكان أورشليم، كل واحد في مكانه قُبالة بيته.. وهذا يؤكد لنا أن التشديد في ضمان الأمن - وهو الهاجس لليهود منذ تلك الأزمان السحيقة، إلى حكم رئيس وزراء إسرائيل الحالي بنيامين نتن - ياهو - يتضمن دلالة واضحة على أن الثقة بين إسرائيل وجيرانها كانت دائمًا معدومة، حتى في حارات اليهود في الغرب، وفي فلسطين بعد بدء الحقبة الصهيونية الحديثة فيها في أواخر الحكم العثماني وطوال عهد الانتداب البريطاني إلى قيام الصهيونية عام ١٩٤٨م، إذ كانت مشكلة الأمن والحراسة هي الشغل الشاغل لليهود، ويسمونها بالعبرية «شميرَه»، وكم من مشاكل كانت هي السبب فيها.

ويصف نحميا مدينة أورشليم بعد تجديدها بعنايته قائلاً: وكانت المدينة واسعة وعظيمة، والشعب قليلاً في وسطها، ولم تكن البيوت قد بُنيت. فألقى إلهي في فكري أن أجمع العظماء والولاة والشعب للانتساب. فوجدت سفْر نسب الذين جلَوْا أوَّلاً، فإذا هو مكتوب فيه - والعهدة على الراوي - هؤلاء بنو البلاد الذين عادوا من الجلاء، ممن أجلاهم بختنصر ملك بابل، ورجعوا إلى أورشليم ويهوذا، كل واحد إلى مدينته، الذين جاؤوا مع زروبابل ويشوع ونحميا وعَزْريا ورعميا ونحماني ومردخاي وبلْشان ومسْفارَتْ ونحواي وناحوم وبَعَنَه، عددُ رجال شعب إسرائيل (المملكة الشمالية المنشقة) بنو فرعوش، ألفان ومئة واثنان وسبعون، وبنو شُفطيا ثلاثمئة واثنان وسبعون، وبنو آرح ستمئة واثنان وخمسون... ويُعفى القرّاء الكرام من تلك الأسماء والأعداد، وأُجملها في خمسة وعشرين ألفا وأربعمئة وستة في سفر نحميا، ومختلف قليلاً في سفر عزرا، فهو واحد وعشرون ألفا ومئة وأربعة وأربعون، وأما عدد الكهنة مقدمي القرابين فمتقارب بين الاثنين وإن زاد قليلاً في سفر نحميا، وأما عدد الكهنة الأئمة (اللاويين) فواحد في كليهما وهو أربعة وسبعون، ويزيد عدد المنشدين قليلاً عند نحميا بالنسبة إلى عزرا، وعدد حرّاس الأبواب ينقص بوّابًا واحدًا في سفر نحميا عنه في سفر عزرا.

وفي الفصل الثامن يقول نحميا: واجتمع الشعب كله كرجل واحد في الساحة التي أمام باب المياه، وتكلموا مع عزرا الكاتب (أي كاتب «توراة موسى») بعد موسى بما يقرب من ألف سنة!)، وطلبوا منه إحضار سفر توراة موسى، التي أمر بها الربّ إسرائيل، «فأحضر عزرا الكاهن التوراة أمام الجماعة من الرجال والنساء، وكلّ ذي فهم ليسمع في اليوم الأول من الشهر السابع، وقرأ فيه أمام الساحة التي أمام (باب المياه) من الصبح إلى منتصف النهار، أمام الرجال والنساء وكل ذي فَهْم، وآذان الجميع من الشعب مصغية إلى سفر التوراة. وقام عزرا الكاتب على منبر من خشب مصنوع لهذا الغرض، وقام بجانبه: متتيا وشامع وعنايا وأوريا، وحلقيا ومَعْسيا، عن يمينه. وفدايا وميشائيل وملكيا وحشُومَ وتشبدّانة وزكريا ومشلّم عن يساره. وفتح عزرا السفْر، على مَرْأى من جميع الشعب، لأنه كان فوق كلّ الشعب، ولما فتحه وقف الشعب جميعا. وبارك عزرا الرب الإله العظيم، فأجاب كل الشعب: آمين، آمين! رافعين أيديهم ثم خرّوا سجّدًا على وجوههم للربّ على الأرض. وكان يشوع وباني وشربْيا ويامين وعقّوب وشبتاي وهوديا ومعسيا وقليطا وعزريا ويوزاباد وحنّان وفلايا، واللاويون، يُفهّمون الشعب الشريعة، والشعب واقف في مكانه. فقرؤوا في سفر توراة الله جهرًا، ملفين المعنى حتى فهموا القراءة، ثم إن نحميا، الذي كان المفسِّر، وعزرا الكاهن الكاتب، واللاويين الذين كانوا يفهمون الشعب قالوا لجميع الشعب: هذا يوم مقدس للرب إلهكم (أي يوم عيد ديني) لا تنوحوا فيه، ولا تبكوا، وكان الشعب كلهم يبكون عند سماع كلمات التوراة. وكان اللاويون يسكتون جميع الشعب، قائلين: اسكتوا! لأنه يوم مقدس، ولا تحزنوا. فانصرف جميع الشعب ليأكلوا ويشربوا، ويوزعوا حصصًا، ويفرحوا فرحًا عظيمًا، لأنهم فهموا الكلمات التي علّمُوها. وفي اليوم التالي اجتمع رؤساءُ آباء جميع الشعب والكهنةُ واللاويون إلى عزرا الكاتب، ليفهموا كلمات التوراة، فوجدوا مكتوبًا في التوراة التي أمر الربّ بها على لسان موسى (نحميا ٨) بعض طقوس هذا العيد مثل الخروج إلى المروج والغابات واتخاذ أكواخ من الأغصان والأزهار والسعف.. إلخ.

اختلاف شديد في رواية التوراة!!

والآن عندنا ذكر لتوراة موسى في عدة مواضع مختلفة جدًا بكل أسف. توراة موسى نفسه التي لا نعلم عنها شيئًا، لا قليلاً ولا كثيرًا، ولا أي شيء عن لغتها أو خطها - المكتوب بأصبع الله!! كما يزعمون - ولا عن حجمها. وقد قيل إنها كانت منقوشة في لوحين من الحجر، والتوراة التي بين أيدينا، لو أنها نُقشت على الحجارة لاستحال أن يحملها رجل واحد، ويهبط بها من جبل الطور إلى الوادي، حتى لو كان موسى نفسه، إلا أن يكون صحبه بعض الحمّالين من الملائكة.

الاستيطان داء مزمن في أجساد اليهود جعلهم يتركون الرخاء الذي عاشوا فيه في ظل الإمبراطورية الفارسية من أجل القيام بإعادة بناء الهيكل في القدس!

وقيل إن هذه التوراة - الأولى - استولى عليها الفلسطينيون وحملوها معهم إلى مدينة غزة في حرب من حروبهم ضد بني إسرائيل، ثم استردها داود بطريق المفاوضة السلمية، وصنع لها عربة خاصة تجرها الثيران، وأحضرها من غزة إلى أورشليم. وكانت توراة ثانية مكتوبة على جلد أو رقّ. وتوراة ثالثة عثر عليها حلقياهو الكاهن الأعظم في هيكل سليمان في أيام «يوشياهو» أحد أحفاد سليمان المتأخرين، في أثناء عملية ترميم الهيكل، وزعم الملك أنها التوراة التي أضاعها أسلافه، فحلّ عليهم وعلى الأمة كلّها غضب الله! ثم التوراة الرابعة توراة عزرا (العُزير) الكاهن الكاتب التي فاجأ بها اليهود العائدين من السبي والمقيمين الذين لم يشرّدوا من ديارهم، مما اقتضى هذا الاحتفال الفخم الذي أقيم لها. ومن المؤكد أنها كانت أقل حجمًا وأكثر اختصاراً من تلك التي نعرفها الآن، فقد استغرق الاحتفال بها قراءةً وتفسيراً على مسامع الشعب من الصباح إلى ارتفاع الشمس عند الزوال، مع ما صحب هذا من طقوس وأشياء مصاحبة لتلك المناسبة. في حين أن قراءة التوراة التي نعرفها الآن، والتي ينسبونها إلى موسى عليه السلام، بأسفارها الخمسة، قد تستغرق قراءتها بلا تجويد ولا تفسير ولا احتفال أياما عديدة للفراغ من تلاوتها بالعبرية، ومن دون تفسير. ومع ذلك فإن توراة عزرا هذه قد ضاعت أيضا!

ويبدو أن هذا الهيكل الثاني الذي شيده نحميا، وافتتحه عزرا لم يكن مشمولاً بالبركات نفسها التي كان يعتقدها فيها اليهود لهيكل سليمان، فالتلمود البابلي يقول في فقرة من باب «يوم الغفران»: إن السكينة التي سكنت هيكل سليمان (وهي مخلوق على هيئة الطير في المعتقد اليهودي الشعبي تحمل البركة حيث أقامت) لم تسكن هيكل نحميا وعزرا إلا لوقت معلوم، ثم اختارت أن تساكن أبناء يافث بن نوح (الفرس واليونان والأرمن ومن يمت إلى يافث بصلة، حتى يأجوج ومأجوج!)، وغنّى شعراء الصهيونية المحدثون، وهم في الشتات يفكرون في الرحيل إلى فلسطين، للسكينة التي كانت تعشش في المعهد الديني في بولندة وليتوانيا ورومانيا وغالسيا وألمانيا في مرحلة الشتات التي دامت ألفي سنة. نجد الحديث عن إقامة «السكينة» في المعهد الديني، وأنها ترفرف على دارسي التلمود في شعر حاييم نحمان بياليك أمير شعراء الصهيونية وهو معاصر لأمير شعراء مصر أحمد شوقي، وكذلك عند الكثير من الشعراء اليهود المستعملين للغة الشتات «اليديش».

ومع ذلك قاوم الهيكل الثاني المتحالفين ضد اليهود العائدين من السبي البابلي من العرب وحلفائهم، لأن الإمبراطورية الفارسية كانت تحميهم، لبقاء أعداد كبيرة منهم في بلاد فارس والأراضي الواقعة تحت حكمها مثل اليمن القديم، وكان يهود الفرس ذوي نفوذ اجتماعي واسع في إيران يشبه نفوذهم في مصر الفرعونية وهي تحت حكم الفاتحين الهكسوس، بل كانوا يشبهون اليهود الأمريكيين الآن في الثراء والأهمية، بحيث يمثلون السبب الجوهري في تأييد أمريكا المطلق لصهيونية الاستعمار الصهيوني الاستيطاني في فلسطين.

تدمير الهيكل نهائيًا!

عاش الهيكل الثاني مدة أطول من هيكل سليمان. فمنذ نحو عام ٤٣٠ ق.م إلى تهديم الرومان له نهائيا في عهد الإمبراطورين «تراجان» ثم «هدريان» الذي أتم تدمير الهيكل، وأحضر من معبد الكابيتول في روما صنماً كبيراً للإله الروماني جوبيتر وأقامه فوق أنقاض الهيكل، وغيّر اسم أورشليم إلى «إيليا كابيتولينا» لأن اسمه عند مولده كان «إيلايوس» فقرن اسمه الأول باسم معبد الكابيتول في روما. وبعد انتشار النصرانية في روما حُذف اسم المعبد الوثني «الكابيتول» وبقي إيليا حتى الفتح الإسلامي في عهد عمر بن الخطاب رضي الله عنه؛ الذي فتح المدينة المقدسة، وتسلمها باسم «إليا»، ثم أعاد المسلمون إليها كرامتها التاريخية وسموها «بيت المقدس».

أما تدمير الرومان للهيكل فقد تم بين سنتي ٧٠-١٣٥ بعد ميلاد المسيح. وإن كانت توالت عليه موجات من الصعود والهبوط قبل هذه الحقبة. فقد هاجمه من خلفاء الإسكندر المقدوني اليوناني أحد خلفائه من سورية وهو أنطيوخوس الرابع إيبفانس. وكان الهيكل اليهودي الذي أقامه نحميا مايزال صامداً، وجاء هجوم أنطيوخوس، فاقتحمت قواته الهيكل في عهد شمعون المكّابي أمير اليهود إذ ذاك، وهي أسرة جمعت بين الملك والرئاسة الدينية، واشتهرت باسم «الحشمونيين» أو «المكابيين»، ولما هاجم أنطيوخوس الهيكل انبرى له شمعون المكابي، فدافع عن الهيكل دفاع المستميت حتى أرغم جيش أنطيوخوس، بعد أن كان الجنود قد اقتحموا الهيكل ودنّسوه وعاثوا فيه فسادا، فأعاد شمعون المكابي تطهيره وتنظيفه وإنارته وفتحه للمتعبدين في أواخر ديسمبر، وجعل اليهود إعادة تشغيل الهيكل عيداً، حدّدوه في ذلك التاريخ وسموه «عيد الحانوكا» أي التدشين، وأضافوا شمعة ثامنة إلى الشمعدان ذي السبع شعب، تُوقد في عيد الحانوكا، ويسمونها «شمعة يهوذا المكابي» أحد أبطال الحشمونيين في الدفاع عن الهيكل. وبقي الأمراء الحشمونيون يحتلون الصدارة بين اليهود من عام ١٦٥ إلى عام ١٤٢ قبل المسيح. ثم جلس على عرش اليهود رجل من الإدوميين (الأردنيين) ليس من شعب الله المختار. فقتل الملك الحشموني وأخذ مكانه، وتزوج أرملته، وصالح ابنته «سالومي» حتى ترضى به زوجًا لأمها، وسألها عن أي طلب تريده، فطلبت منه أن يقتل أحد الثائرين على الدين اليهودي، وهو «يحيى بن زكريا» عليه السلام واسمه العبري يوحنا، وهو الذي أوصى بسنّة التطهر الشامل بالغطس في الماء، للتخلص من النجاسات الكبيرة، وهذا الانغماس الكامل في الماء يسمى «التعميد» ولذلك سمّي أتباع هذا الرسول هذا الداعية إلى شريعة جديدة «يوحنا المعمدان» وهو ابن خالة المسيح، والذي بشر بقرب ولادته وظهوره. ويسمّى أتباعه الصابئة، وهم فضلاء متسامحون ما تزال بقية منهم تعيش في بغداد، وأخذوا بنصيب وافر في خدمة الحضارة الإسلامية في العلوم والآداب، فمنهم الفلكيون والأطباء والصيادلة والأدباء الذين اشتهر منهم أبو إسحق الصابي، وكثر فيهم من اشتغل بترجمة العلوم من الفارسية واليونانية والسريانية، ومن أصلح ترجمات إلى العربية لم تكن واضحة الأسلوب بسبب ضعف مترجميها الأول. واسترضاءً لسالومي أرسل إلى سيدنا يحيى من قطع رأسه وأحضرها إلى قصر هيرودس في القدس، فلما رأتها «سالومي» فرحت وشاركت في زفاف أمها على هيرودس. ويقال إنها حملت الإناء الذي فيه رأس سيدنا يحيى على رأسها، ورقصت في عرس أمها على هيرودس! وأغوار التعصب البشري عميقة جداً!

عهد اليهود بالفضائح ليس جديداً!

كان هيرودس صديقًا لأنطونيو المطالب بعرش روما، وعشيق كليوباترا ملكة مصر، وآخر البطالسة. أما كليوباترا فقد كانت تكره اليهود، وتكره هيرودس على الخصوص، وكان هو يعرف منها ذلك، فعندما زارت فلسطين والقدس اختفى هيرودس طوال أيام الزيارة، ثم جاء على عجل لتوديعها وهي تعبر الحدود إلى مصر بالقرب من «الفَرَما» - رفح - معتذراً ومتظاهراً بالأسى والأسف بسبب (حرمانه) من شرف الترحيب بها لانشغاله بمشكلات خطيرة في شعبه. وتلك المشكلات قد تكون صحيحة، لكنها لم تكن جديدة على المجتمع اليهودي، حتى على أيام داود عليه السلام، وكان أخطرها ينبثق في بيته، وبين أولاده المختلفي الأمهات.

وعهد اليهود بالفضائح الخلقية، وعدم احترام (الناموس) كان أمراً يتكرر كثيراً في هذا المجتمع، وقد أشرنا من قبل إلى المباذل التي كان كهنة هيكل سليمان يغضون الطرف عنها وهي

التشديد في ضمان الأمن هاجس اليهود منذ قديم الزمان إلي العصر الحاضر؛ مروراً بأواخر الحكم العثماني وعهد الانتداب البريطاني وقيام الصهيونية المعاصرة!

هيكل سليمان
في ذاكرة التاريخ!

تُرتكب في داخل الهيكل من العربدة والزنا واللواط وعبادة الأصنام، بشهادة أنبياء بني إسرائيل المعاصرين لتلك الفضائح! وفي أيام هيرودس وقبلها كان الانقسام الديني وما سببه من تفرق وتشرذم وصراع أمرا عاديًا. فهناك الفريزيون، وهم الكهنة المحافظون المتشددون في الظاهر فقط، وكانت طائفة اليهود الأطباء، وكانوا يرون أن جشع الفريزيين وتكالبهم على جمع المال حلالا وحراما، أمر مخجل، حتى في ممارسة الرعاية الدينية، وقالوا إن شيخ الدين يجب ألا يقبل أجرا على خدمة الله، ولكي يعيش عليه أن يعمل - أو يشارك - في حرفة أخرى، فاختاروا الأجسام المريضة، وقالوا إن الواعظ يتولى مداواة الأرواح في سبيل الله، ولا بأس إذا تولى مداواة الأجسام في سبيل لقمة العيش، وسموا أنفسهم «الإستينيين» أي: الأساة، وتركوا أورشليم خوفا من إرهاب الفريزيين، ولجؤوا إلى منطقة قُمْران، على البحر الميت، يعيشون فيها ويزرعون الأعشاب التي يداوون الناس بها. واشتهرت كتاباتهم الدينية بعد الكشف عنها في منتصف القرن العشرين الحالي باسم (لفائف البحر الميت) التي ما تزال الشغل الشاغل لعلماء الآثار والتاريخ اليهودي في العالم إلى الآن. وظهرت تجمعات أخرى إرهابية لاغتيال من ينبهرون بالحضارة الرومانية واليونانية، وبآراء الفلاسفة (الكفار) وكانوا يُسَمَّوْن «حملة السكاكين»، وهي سكاكين صغيرة جدا، يخفونها في جواربهم، وبعد أن يحددوا الضحية، يكمنون له في مكان ما، ويمرون بسرعة البرق فيجرحونه في مقتل، يكون في رقبته - على الأغلب -، ثم يصيحون: قتيل! ويجرون مع العامة ويختفون في الزحام! ومنهم الحداثيون العلمانيون الذين استهوتهم الحضارة اليونانية والرومانية، وبخاصة الغناء والاشتراك في الألعاب الرياضية الأولمبية، وكانت هذه الألعاب تمارس واللاعبون عراة تماما. ولأن الختان كان العلامة الفارقة بين اليهودي و(الكافر) فقد ظهر بين الأطباء الجراحين من يقومون بعملية تجميل و(تركيب) ما قطعه الحاخام، بطريقة تمنع اللاعب الأولمبي اليهودي من أن يكون عرضة لضحك الجمهور واستهزائه. وكان هذا الشباب فريسة سهلة للاغتيال! ومن طوائفهم «الحسيدية» ومعناها في العبرية «التقوى» ومدلولها أوسع من ذلك، تعني عندهم نوعا من الوسوسة والنفور من أي جديد، مع التزام التقشف والزهد، والبعد من الشبهات، ولو في الظاهر. وكل هذا موجود في الصهيونية المعاصرة لنا مع تيارات استعمارية وشيوعية وفوضوية واتجاهات مناقبية استعلائية وأخرى نازية تؤمن بضرورة القهر والتشريد والإبادة الجماعية واستباحة الممتلكات واستعباد الناس أو من بقي منهم، على الطريقة الهتلرية الألمانية، وما عرفه اليهود وجربوه من اللاسامية الروسية والأوربية، وحتى الشرقية الإسلامية. وإن كان المفكر اليهودي الفرنسي المعاصر لنا أندريه شوراقي يوضح هذا، بأن اللاسامية الإسلامية لا تظهر إلا في مراحل الهزيمة الداخلية والقهر السياسي والاجتماعي والمادي للشعوب الإسلامية بعكس ما يجري عليه الغرب من اضطهاد للأقليات في مراحل الرخاء والقوة. وأنا أعلم أن أندريه شوراقي كان قد هاجر إلى إسرائيل مؤمنا بصهيونية روحية تحرص على أمن عباد الله جميعا، ومن كل الأجناس والألوان، وأنه - لمعرفته بالفكر العربي والإسلامي - كان يرى في الصهيونية (واحة) سلام في صخب الحياة، وارتقى حتى عينته الصهيونية بعد انتصاراتها على العرب في حرب ١٩٦٧م نائبا لمحافظ القدس، خاصًا بالقدس الشرقية، أي بالقطاع الإسلامي من المدينة، وبسرعة ترك منصبه، وترك إسرائيل كلها رافضا أن يلوّث ضميره بالمشاركة في جرائم ذكرته بجرائم الهتلرية، وعاد إلى فرنسا، فترجم التوراة والإنجيل والقرآن تاركًا لفكره العنان في محاولة إفهام الناس أن وحْيَ الله على لسان أنبيائه لا يختلف في جوهره، بل يلتقي حيث يوجد السلام والوئام. ومهما قيل في نقد ترجماته، فإن النية وراءها طيبة. فأين هذا التفكير من حكومة صهيونية جنودها يقتلون العرب كأنهم الذباب والصراصير، أو يعتقلونهم بالآلاف في سجونهم الرهيبة، أو يرسمون الخطط الشيطانية لإفقارهم وحرمانهم من كل شيء إلا الجلاء عن الأرض، فإذا ما جلوا عنها تحت ضغط الضرورة عُدُّوا أجانب غير مسموح بدخولهم، وأعطيت بيوتهم وأراضيهم وممتلكاتهم إلى صهاينة وافدين، وكأنهم ورثوها عن سليمان وداود! أما المقدسات العربية والإسلامية في فلسطين فإنها تتعرض كل يوم للحيف والتضييق، حتى صارت الصلاة الإسلامية في المسجد الأقصى، أو في الحرم الخليلي، كما صارت الصلاة النصرانية في كنيسة الميلاد ببيت لحم، وكنيسة القيامة بالقدس، وكنائس الناصرة عملا جريئًا قد تشبّ فيه مذابح تخطط لها الموساد، وتصبح أعياد المسلمين والنصارى مذابح بشرية ومناحات. أما العدوان على المسجد الأقصى، بالإحراق تارة، وتقويض بنيته التحتية تارات، واغتصاب أوقافه باستمرار فأمر معروف، كما أن الوقيعة بين الرهبان الذين يمثلون كنائسهم في بيت لحم أو الناصرة أو القدس جعل الشقاق فيها يغلب الإيمان.

وهنا أذكر أن مساحات المسجد الأقصى وقبة الصخرة وقبة السلسلة، ووادي ساباط وساحة الجسمانية وغيرها من الآثار، أكبر بعشرات المرات من مساحة هيكل سليمان وما يقال عن هيكل عزرا وهيرودس؛ مع كونها حكايات مشبوهة تنطلق زاحفة من تحت أكداس من المبالغات والأكاذيب.

وإذا كان شوق الصهيونية إلى معبد مركزي حقيقة في النفس اليهودية، فإن المعبد المركزي الصهيوني القائم في تل أبيب يكون الأولى بتلك المنزلة، فإنه شيّد أجمل تشييد وأمتنه وأكبره. فإنه تم تشييده في العشرينيات من هذا القرن، ووضع له المهندس اليهودي «ديزنجوف» مُخطَّطُ مدينة تل أبيب مواصفات خاصة. فهو مبني على شاطئ البحر، وله قبة ضخمة شامخة، تظهر للسفن ليلاً ونهاراً على بعد هائل، تستقبل الوافدين والحجاج أحسن استقبال. ثم إنه مبني على أرض بور غير مغتصبة، ولم يلوثها دم بشري، ثم إن حمايته سهلة إذا تعرض لعدوان من البحر أو البر أو الجو، وهو مبني بسواعد وأموال يهودية مؤمنة، تتقرب به إلى رب موسى، ثم إن المسافة بينه وبين أورشليم لا تزيد على خمسة وخمسين كيلاً، أي إنه في حساب حضارتنا الحديثة يكاد يكون من ضواحي القدس. ولكنه العناد الذي يورث الكفر في الرجال والدعارة في النساء!

وبعد فأنا هنا أكرر ما كتبته غولدا مائير لأنور السادات وهي تستعجله إلى لقاء سلام ومصالحة قالت فيه: إن السلام سهل إذا انعقدت عليه النوايا، لأنه نشأ في قلوب البشر، لا في الحدود والقيود التي تملأ بطون الملفات والوثائق والمعاهدات. وما أبعد هذه الفكرة من فكرة بنيامين نتن - ياهو من كون السلام مطلبًا عزيز المنال - خصوصا للمنهزم - يجب أن يلهث في طلبه، وأن يعرق، ويبكي، ويستجدي. وأنصحه وأسأله بالله: هل نفعت دموع اليهود فأنجتهم من المذابح التي تعرضوا لها؟ في رأيي المتواضع أن وسائل الإبادة الآن سهلة جدا حتى بالنسبة للضعفاء، فوراء كل ضعيف قوي يطمع فيه ويرجو بقاءه، وهو على أتم أهبة للدفاع عنه ضدّ أي طامع آخر، وإسرائيل مثال عملي حيّ لذلك، فلولا أمريكا الآن، والاستعمار العالمي الغربي قبلها، لما قامت الصهيونية ولا إسرائيل بعد شتات دام ألفي سنة. والأكراد، وهم شعب أكبر من عدد اليهود في العالم، مايزالون - على مدى أكثر من ألف سنة - يناضلون عن أمنهم وسلامهم، وقد أحاطت بهم كل عناصر الإبادة، وهم مع ذلك لم ييأسوا ولم يستسلموا لمن لم يتركوا لهم خياراً إلا من اثنين: الاستعباد.. أو الموت.

فليعلم رئيس وزراء الصهيونية أنه يسير في الطريق الخطأ. وقد أفهم أنه مكره على ذلك.. لا بطل. ولكن الزمن لا يغفر للسائر في طريق الخطأ، حتى لو كان مكرهًا!

ورثت الصهيونية ركامًا من تناقضات الفرق اليهودية القديمة، وأضافت إليها خليطًا من الشيوعية والنازية التي تؤمن بالقهر والإبادة الجماعية واستباحة الممتلكات!

الشيخ محمد بن صالح بن سلطان في «منتدى الفيصل»



ضيف «منتدى الفيصل» القادم شخصية تجارية بدأت خطواتها العملية وكفاحها التجاري والعملي في سن مبكرة جداً. فقد بدأ صاحبها العمل في سن السابعة فلاحاً ببلدته «حريملاء»، ثم بائعاً للبُنّ والقهوة في مدينة نجران في ريعان شبابه. ومع أنه دخل بلاط الملك عبدالعزيز كاتباً للبرقيات، ثم مشاركاً بعد ذلك في عدد كبير من المناصب الإدارية؛ إلا أن شغفه بالتجارة ظل مستمراً حتى أصبح من كبار رجال الأعمال، ومن أصحاب المشروعات الاستثمارية الكبرى، وهو مع ذلك صاحب برامج خيرية ناجحة.

هذا الضيف هو الشيخ محمد بن صالح بن سلطان، الذي يرأس أكبر مؤسسة صحفية ثقافية ناجحة في الرياض بالمملكة العربية السعودية.

نبذة من سيرته :

- من مواليد حريملاء ١٣٣٧هـ.

- أول عمل حكومي أُسند إليه كان - بصحبة حسن بن دغيثر، رحمه الله - بما يعرف بـ«المجاهدين».

- انتقل إلى «رَنْيه» في عام ١٣٥٦هـ.

- عمل كاتباً للبرقيات بالديوان الملكي في بلاط الملك عبدالعزيز، يرحمه الله، عام ١٣٦٦هـ.

- أصبح رئيساً للمكتب الخاص لوزير الدفاع والطيران، بطلب من سمو الأمير منصور بن عبدالعزيز في ١٣٦٩/٢/٢٢هـ.

- تَعيَّنَ مديراً عاماً بوزارة الدفاع والطيران عام ١٣٧٣هـ، ثم وكيلاً لوزارة الدفاع والطيران بأمر ملكي كريم عام ١٣٧٦هـ.

- انتقل للعمل بالديوان الملكي رئيساً لمكتب الشؤون الإسلامية عام ١٣٨٣هـ.

- عمل مديراً عاماً لشركة إسمنت اليمامة السعودية (مدة سنتين)، ثم مديراً عاماً لشركة كهرباء الرياض وضواحيها (مدة سنتين)، فرئيساً للمجلس البلدي لمدينة الرياض مدة دورتين.

- كان عضواً بمجلس إدارة شركة الغاز والتصنيع، وعضواً بمجلس إدارة بنك الجزيرة عام ١٩٨٩م، ثم رئيساً لمجلس إدارة بنك الجزيرة مدة دورتين. وهو الآن المدير العام لمدارس الصالحية بحريملاء.

المناصب الوظيفية الحالية:

- رئيس مجلس إدارة مؤسسة اليمامة الصحفية.
- عضو بإدارة جمعية البر بالرياض.
- رئيس مجلس إدارة الجمعية التعاونية بحريملاء.

ومن آرائه :

- كان لي شرف الخدمة بوزارة الدفاع والطيران مدة من الزمن شعرت خلالها أن العمل الحكومي يُصيبه النجاح متى كان الهدف شريفاً والنية فيه خالصة.

من لقاء ببرنامج إذاعي «ضيف الليلة»
رمضان ١٤١٦هـ.

- حكومة مولاي خادم الحرمين الشريفين، أعزَّه الله، كانت وراء كل نجاح في حياتنا اليومية الطموح، وأولها القطاع الخاص. فلولا الدعم السخيّ وفتح المجال أمامنا كرجال أعمال لما وصلنا إلى ما نحن عليه الآن بحمد الله.
- لم أتوقع أن تتجمع لدي هذه الثروة من المال. أنا سعى إليّ المال ولم أسع إليه قط؛ فالتوفيق كله من الله. المهم: الاتكال على الله، والعمل بنية سليمة.

لقاء في البرنامج التلفازي «علمتني الحياة»
١٤١٨/٦/١٩هـ.

- من كان يصدُق - وأنا شاهدت هذا بعيني - أن يكون في الرياض مدرسة واحدة، ثم الآن فيها مئات بل آلاف المدارس للبنين والبنات. وكذا الجامعات وروافدها من المعاهد والمؤسسات الثقافية الأخرى.

من كلمة له خص بها البرنامج الإذاعي «ضيف الليلة»
رمضان١٤١٦هـ.

- وقفت المملكة إلى جانب المنكوبين في كل بلاد العالم الإسلامي وأنا أشهد على ذلك. وسلمان بن عبدالعزيز أمير الرياض والابن البار لها في مقدمة أهل الخير لهذا المجال الخيِّر.

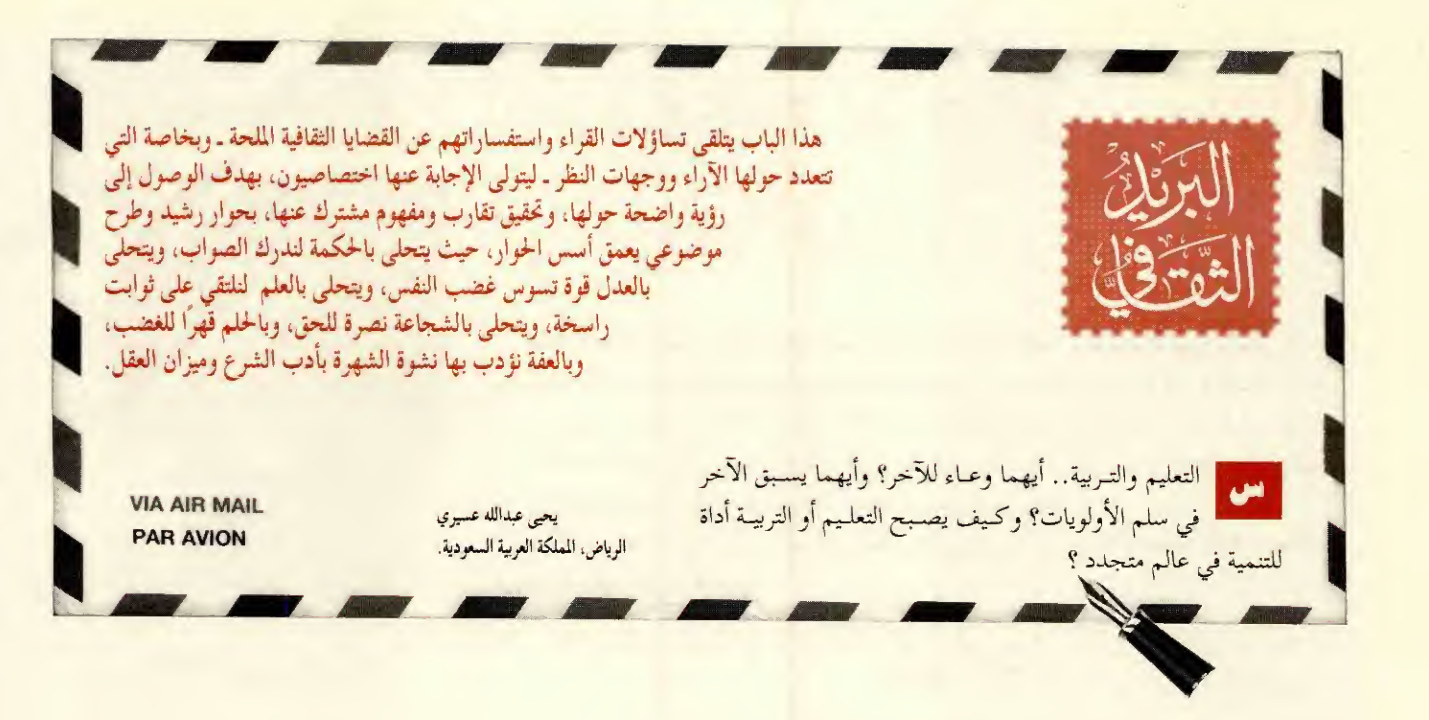
من كلمة له بمناسبة الأسبوع السنوي للبوسنة والهرسك
٢٨ رمضان ١٤١٤هـ.

- شركة الغاز والتصنيع كادت تتلاشى لولا توفيق الله وعزم الرجال واليد الواحدة من أهل الرياض.
- غُربتي.. لم أشعر بها يوماً من الأيام. فأنا منذ سن السابعة من عمري وأنا أكافح، وأعمل، فلم أجد فراغاً للتفكير بالغربة. فرَنْيه، وعسير، والرياض، وحريملاء، ونجران كلها وطن واحد تحت راية التوحيد الخفاقة.

من لقاء إذاعي في عام ١٤١٤هـ.

- أسأل الله تعالى أن يكون عملي وما أقدمه مع إخواني في بلد الخير خالصاً لوجهه الكريم، وأن يكون ما نُقدمه مما يدخره الإنسان ليوم لا ينفع فيه مال ولا بنون.
- هذا جهد متواضع. ومدارس الصالحية نفعها - بحول الله - سيلمسه الذين يتخرجون فيها بعد سنوات طوال. فأسأل الله أن ينفع بها بلدي ووطني.

من كلمة له بمناسبة توزيع شهادات التخرج
على المتفوقين بالمدرسة الصالحية.



أرى من المناسب أن نمد أيدينا إلى كتب اللغة أولاً متسائلين عن معنى كل منهما. وهي تعطي أن: علّمه العلم وأعلمه إياه فتعلّمه. والعلم: نقيض الجهل. وتعلّم الأمر: أتقنه وعرفه. وتعلّم: مطاوع علّمَ: علّمتُهُ فتعلّم.

والعلم: إدراك الشيء بحقيقته، واليقين، والمعرفة. ومن هنا ظهرت هذه العناوين: التعليم الإلزامي، التعليم الحر، التعليم الرسمي، تعليم الكبار، سن التعليم، مراحل التعليم، وزارة التعليم العالي...

وحتى إن من صفات الله عز وجل: العليم: *وهو الخلاّقُ العليمُ*. **يس**:٨١، والعالم: *عالِمُ الغيبِ والشَّهادة*. **الرعد**:٩، والعلاّم: *إنّكَ أنتَ علاّمُ الغيوب*. **المائدة**:١٠٩ . وقال تعالى: *الرَّحمنُ. علّمَ القرآنَ. خَلَقَ الإنسانَ. عَلّمَهُ البيانَ*. **الرحمن**:١-٤ .

وأما تربّى تَرَبِّيًا وتَرْبِيَةً فهو مُتربٌّ: نشأ وتغذّى وتثقّف. ومن منطلق هذا ظهرت عناوين: التربية في علم النفس، علم أصول التربية، علم التربية، تربية بدنية (رياضية)، كلية التربية، وزارة التربية، وزارة التربية والتعليم، تربية فنية، تربية دينية، تربية عسكرية، تربية وطنية...

وجاء في كتاب الله الكريم: *وقُل ربِّ ارحَمْهُما كما ربَّياني صغيرًا*. *الإسراء*:٢٤ . *ألَمْ نُرَبِّكَ فينا وليدًا ولَبِثْتَ فينا من عُمُرِكَ سنينَ*. **الشعراء**:١٨ .

ولقد وقع العلماء والدارسون في اختلاف حول تعيين الوعاء الذي يحتوي الآخر: أهو التعليم أم هو التربية؟ فرأى بعضهم أن التربية شكل من أشكال التعليم وتقع في علاقة جدلية معه بحيث إن التربية ـ التي هي مجموعة معايير سلوكية تختلف من زمان إلى زمان ومن أمة إلى أخرى ـ تُكتسب أصلاً بوساطة التعليم الذي هو أكثر شمولاً، وهو الوعاء الذي يحضن التربية لكونها ناتجَهُ، ومن ثم، تصبح مقومات التربية (وهي الأداة والفكر) تعتمد اعتمادًا كليًا على التعليم والطريقة التي تُسلك لتقديم هذه المعايير.

ورأى آخرون ـ وأنا معهم ـ أن التعليم هو نقل المعلومات إلى شخص جاهل في موضوع معين ليصبح عالمًا به، والمتعلم عكس الأمي وعكس الجاهل، وهو ـ أي التعليم ـ عملية تقوم بين معلِّم ومُتعلِّم لنقل مادة علمية. وأما التربية فهي إعداد الفرد للحياة من طريق تزويده بالعلم والخبرة والثقافة، وتقويم فكره وسلوكه، وتهذيب ذوقه، وتقوية جسده، وإكسابه المهارات العملية، وتأهيله للاندماج والتآلف في مجتمعه، وهي بهذا أوسع من التعليم ـ الذي هو جزء منها ـ وأعمق وأرحب وأشمل. فالتعليم تلقين وتدريب؛ في حين أن التربية هي: إعداد المواطن الصالح القادر على خدمة أمته ووطنه والإنسانية جمعاء جسدًا ونفسًا، وعقلاً، وعاطفة، وسلوكًا وشخصية، ومواقف، ومفاهيم، ومُثلاً، وطريقة حياة، وطرائق تفكير. وتتناول هذا كلَّهُ في البيت، والمدرسة، والمسجد، والشارع، والنادي، والمدينة، والوطن، وفي هذا العالم الواسع الرحب. وهي تُعنى، أكثر ما تُعنى، بأن تُهيّئ الطفل لحياته، وأن تُعينه على أن يحيا حياة إنسانية كريمة بالمعنى المادي والمعنى الروحي، بالمعنى الفردي والمعنى الاجتماعي، بالمعنى الوطني والمعنى الإنساني.

ونخلص من ذلك كله إلى أن التربية هي الوعاء الذي يحتوي التعليم والتدريب والترويض والتلقين.. وهي التي تسبق الجميع في سلم الأولَوية والأوَّلية لأنها عملية اجتماعية قديمة قدم البشرية. وهي أعم من التعليم وأشمل، وإن كان التعليم جزءًا منها. وهي أسمى من الترويض وأفعل، وإن كان الترويض طريقة من طرائقها. وهي أوسع من التدريب والتلقين، وإن كانا وسيلة من وسائلها. ومن هنا كانت العناية بالتربية أولاً لأنها المجال الذي يحتوي كلَّ شيء، ومن ثم كانت العناية بالتعليم لأنه جزء من التربية وطريقة من طرائقها، وبناء على ذلك جميعه عرّف العلماء التربية بقولهم:

ـ التربية هي الحياة ذاتها وليست إعدادًا للحياة (جون ديوي).

ـ وإن الغرض من التربية هو: تكوين الأخلاق، وأن يكون العقل السليم في الجسم السليم، والإعداد الكامل للحياة (ت. ب. نن).

ـ وغاية التربية جعل الفرد أداة لسعادة نفسه وبني جنسه (ستيوارت ميل).

ـ والتربية إنما تهدف إلى تنمية الكمالات الإنسانية (كانْط).

ومن مجمل هذه الأقوال نرى أن التربية هي سلوك الإنسان في كل زمان ومكان، وهذا يعني أن الإنسان هو الذي يحرس نفسه، وعليها منه رقيب. وفي هذا يقول سبحانه وتعالى في محكم آياته: *بَلِ الإنسانُ على نفسه بَصيرةٌ*. **القيامة**:١٤ .

ومن ذلك أيضًا نرى أن كل العلم ينضوي تحت ظل التربية؛ لأن تكوين المواطن الصالح، وتهيئته للحياة، وخدمة أمته ووطنه هي الأساس والغايةُ معًا. ثم إن التربية تضبط العلم لأنها عقلٌ وفكرٌ وأخلاقٌ للإنسان. فنحن نعلّم الإنسان علوم: النفط والغاز والبارود والجراثيم والذرة والنيترون والسموم والأسلحة والقتال. وإذا لم يكن هذا الإنسان مزوّدًا بتربية أخلاقية أو وازع ديني أو سلوك قويم فقد يصبح العلم على يديه ضارًا ومدمّرًا ومُبيدًا. والأمثلة على الأخطار التي أحاقت بالبشرية عبر التاريخ من جراء استخدام العلم استخدامًا غير سويّ أكثر من أن تُحصى!!

وفي خاتمة المطاف نرى أن التربية، ومن أجزائها التعليم، تصبح أداة للتنمية في عالم متجدد حينما تحرص على تمكين المجتمع من التقدم والتطور من خلال التوفيق بين المحافظة والتقدمية بالنسبة للفرد ثم للمجتمع. وعليها أن تعين الفرد والمجتمع على الإبقاء على الصالح من تراثه المفيد ومن طرائقه، ثم أن يستبدل ما هو خير بما لا يصلح أو ما لم يعد يصلح، وأن يتجه إلى ما تحققه العلوم والمكتشفات والاختراعات من منجزات تقنية وعلمية؛ بشرط أن يحافظ على مثله العليا، وأن تكون أعماله في خدمة الحق والخير، وأن ينشأ أفراد المجتمع على تذوّق الجمال والفن.. لأن هذا ما يميز الإنسان من الحيوان.

وإن للعملية التربوية صفة الاستمرار لأنها عملية نموّ فردي واجتماعي وإنساني، وهي عملية تفاعلية ونظام وطريقة وتكيّف. بل إن التربية - قبل كل شيء - عملية نموّ للشخصية الإنسانية جمعاءَ بوصفها كُلاً لا يتجزأ، وفي ذلك يقول جون ديوي: «إن العملية التربوية هي الحياةُ بمعناها الثّرّ المتعدّد الجوانب». والتربية أصبحت عماد التنمية لأنها تُعنى بالكشف عن المواهب، وتقوم بتنمية القدرات، وتوجّه كل فرد إلى ما يستطيعه ويهواه، وتضعه على الطريق الصحيح؛ فهذا فنّان، وذاك أديب، وهذا شاعر، وذاك مهندس، وهذا طبيب، وذاك فلاّح، أو مقاتل، أو مخترع، أو عامل.. وكلّهم مؤهلون تأهيلاً جيدًا سواء أكان ذلك في الميدان الفردي والاجتماعي، أم الصحي والجسدي، أم الفكري والثقافي، أم الوطني. وقد استقامت فيهم الأخلاق واستيقظ الضمير الحرّ، وسطع الفكر المستنير، وحكمت الإرادة القوية الحرة المسؤولة؛ فإذا بكلٍّ منهم أضحى خليةً نافعة في المجتمع. وحينذاك يكون التقدّم والنّماء والارتقاء. ومن هنا كان للمربين دور مهم جدًا يفوق دور المعلمين، وكلُّ معلّم يجب أن يكون مربيًا في مجاله. علمًا بأن التربية تبدأ من المهد، بل إنها تبدأ قبل ذلك، ومنذ أن تدبّ الحياة في الجنين، ولا حدَّ لنهايتها.

ومن جميل اللقطات أن بعض الشعراء العرب الذين جعلوا الإصلاح الاجتماعي همًّا لهم قد رأوا أن العلم ليس بنافع ما لم يُدعم بتربية، وبيّنوا أن التربية هي الأساس والوعاء، وفي ذلك يقول حافظ إبراهيم في العلم والتربية عند النساء بعد الرجال:

لا تحسبنَّ العلم ينفعُ وَحْدَهُ
ما لمْ يُتوّجْ ربُّه بخلاقِ
منْ لي بتربية النساء فإنّها
في الشرق علّةُ ذلكَ الإخفاقِ
الأمُّ مدرسةٌ إذا أعددْتها
أعددْتَ شعبًا طيّبَ الأعْراقِ

وأما الرّصافي فيرى التربية هي المكملة والواصلة بالعلم إلى الأوج فيقول:

ربوا البنين مع التعليم تربيةً
يمسي بها ناقصُ الأخلاق مُكتملا
وثقّفوهُمْ بتدريب وتبصرَة
ثقافةً تجعَلُ المُعْوَجَّ مُعْتدلا

وأخيرًا.. لا بد للتربية في هذا العالم المتجدِّد من أن تكون وسيلةً للتقدّم البشري من أجل الناس، كلِّ الناس، وفي كل زمان ومكان، ولا بد لها من أن تكون في خدمة السلام العالمي والتفاهم الدولي. ومع أن العالم مايزال يرزح تحت كلاكل العديد من المشكلات والأخطار التي تهدّد أمْنَهُ وطمأنينتَهُ وتهدِّد البقاء البشريَ؛ ناهيكَ بالمدنية والحضارة والتقدم؛ فإن المربّين في كلّ مكان يتنادون اليوم إلى ضرورة تحقيق المزيد من التفاهم، والمزيد من السَّلام، وما من يَد إلا يدُ اللّه فوقها، وخيرٌ من الخير فاعلُهُ، وعسى البارقةُ لا تُخلفُ.

وليد قنباز

على أن مصطلَحَي «التربية» و«التعليم» يُستخدمان في كثير من الأحيان على أنهما مترادفان، فإن التربية أعم وأشمل من التعليم. فالعلاقة بينهما علاقة العام بالخاص، فكل تربية تعليم وليس كل تعليم، بالضرورة، تربية. ففي عملية التعليم يتم تلقين الفرد مجموعة من المعلومات المخصوصة بعلم أو بفنٍ معين، أما في مجال التربية فيتم إعداده إعدادًا متكاملاً (جسديًا وفكريًا وعلميًا وذوقيًا....إلخ) يمكّنه من أن يصبح عضوًا فاعلاً في مجتمعه.

فمن هذا المنطلق، تأتي التربية أولاً والتعليم ثانيًا في سلم الأولويات، وعندما نُخيَّر - جدلاً - بين التربية والتعليم سنختار التربية دون شك. فنحن عندما نعلّم الفرد لا نعلمه ليعلم فقط، ولكن نعلمه لكي يستثمر كل طاقاته ومقدراته الجسدية والعقلية.. إلخ استثمارًا يعود عليه وعلى مجتمعه بالرقي والتقدم. ولكي يتضح هذا الفرق بين التربية والتعليم دعونا نستشهد بالمثال التالي: إذا كنا نسعى مثلاً إلى أن ننمي في الفرد الملكة الأدبية، ففي ظني أن هذا الهدف لن يتحقق بمجرد تلقينه معلومات متنوعة حول الأدب وعناصره وخصائصه (وهي أمور مهمة دون شك)، ولكني أحسبه سيتحقق عندما نهيّئ له الظروف المناسبة التي تجعله هو يقرأ النصوص الأدبية ويتأملها ويتذوقها، أي عندما نعطيه الفرصة ليكون هو الفاعل الرئيس في عملية التربية الأدبية.

على أنه لا ينبغي أن يُفهم من كلامنا هذا أننا نقلل من أهمية التعليم. فالتعليم هو الوسيلة الرئيسة لعملية التربية، بل لعلّنا لا نخطئ إذا قلنا: إنه أهم هذه الوسائل.

أما دور التربية والتعليم في التنمية فهو ضربة لازب، إذ لا يمكن تصور تنمية في أي مجتمع من المجتمعات من دون تربية وتعليم. فإذا أردنا مثلاً أن نحقق التنمية الصناعية في بلادنا فلا بد من أن نربي في أبنائنا منذ سنيهم الأولى حب العمل أولاً، وأن نرسخ في أذهانهم أن الفرد العامل خير من الفرد العاطل دينيًا ودنيويًا، ويكون ذلك من طريق تقديم القدوة والمثل الجيد لهم، ثم نقدم لهم بعد ذلك التعليم المنظم الذي يمكّنهم من تحقيق مثل هذه التنمية. وقس على ذلك بقية أنواع التنمية.

د. صالح معيض الغامدي

تهافت النظريات في الأزمنة الحديثة

بسام العسلي

لعل من أبرز سمات الأزمنة المعاصرة تلك السرعة المذهلة في تهافت النظريات الوضعية سواء أكانت هذه النظريات سياسية أم عسكرية أم اجتماعية، أم حتى علمية في بعض الأحيان من أمثال نظريات داروين وماركس وفرويد وأينشتاين أيضًا. فهل يمكن أن يكون تهافت النظريات وتساقطها بمثل تلك السرعة تعبيرًا عن طبيعة الأزمنة الحديثة المميزة بسرعة التطور في كل مجالات العلوم والمعارف والتقانة؟ أم إن السبب هو في طبيعة النظريات ذاتها من حيث افتقارها إلى الشمولية والعمق والواقعية؟ أم إن ضرورة التكيف مع مستجدات الحياة الحديثة قد دفعت المفكرين والباحثين والقادة لابتداع نظريات ذات صفات مرحلية لمجابهة متطلبات محدودة في الإطارين الزمني والمكاني؟

قد تكون هذه الأسباب، وسواها أيضًا، من العوامل التي مارست دورها في إبراز ظاهرة تهافت النظريات وتساقطها لتفسح المجال أمام جيل جديد من النظريات المستحدثة. ويبدو أن العالم وقادته في حاجة إلى النظريات من أجل ضبط مجتمعات العالم والسيطرة عليها وإدارة أمورها. وليس على الشعوب إلا قبول ما يُقَدَّم إليها وتجربته واختباره ريثما يظهر عقمه وعدم جدواه؛ عندها تتقدم النظريات الجديدة، وتبقى شعوب العالم في بوتقة الاختبار، ولاسيما الشعوب الضعيفة أو المستضعفة.

النظريات السياسية

ربما لا تكون المدة الزمنية الفاصلة بين نهاية الحرب العالمية الثانية ونهاية القرن العشرين مدة كافية ليسقط من ذاكرة الأفراد والشعوب ما عاش فيه العالم من أحداث مثيرة، غالبًا ما اقترنت بشعارات ومقولات ونظريات كادت تصل إلى مرتبة الحقائق والقناعات الثابتة، بسبب وفرة استخدامها من جهة، وبسبب شدة ضغطها وقوة صدمتها ذات الأبعاد العالمية من جهة أخرى؛ كالنظرية السياسية التي حملت اسم «حافة الهاوية» - والتي ارتبطت باسم جون فوستر دالاس وزير الخارجية الأمريكي في بداية الستينيات - ونظريات «تصفية الاستعمار» و«الامبراطورية العالمية» و«التوازنات الدولية» و«تعددية الأقطاب» و«هامش الأرض» و«نطاق الأحلاف»، مع ما رافق هذه النظريات من خطط متنوعة، وأساليب تكتيكية متباينة. وقد كان لهذه النظريات - يقينا - دورها الكبير في تحركات الشعوب نحو أهدافها السياسية، مثل تصفية الاستعمار الغربي - الأوربي. ولكن - باستثناء حلف شمال الأطلسي الذي وقف في مواجهة حلف وارسو - يمكن السؤال: أحققت نظريات الأحلاف أهدافها التي حددتها أم إنها كانت استجابة لتحديات مرحلية؟ ثم: هل بلغت نظرية حافة الهاوية أهدافها عندما تفجرت أزمة كوبا في العام ١٩٦٢م، أم إن هذه النظريات لم تكن، بدورها، إلا وسيلة مرحلية لتلبية متطلبات الحرب الباردة في مواجهة منظمة الدول الاشتراكية التي قادتها موسكو طوال نصف قرن من عمر الزمن؟

يظهر مما تقدم أن صانعي النظريات السياسية هم أصحاب القرارات ذات الأبعاد الدولية - وهذا أمر طبيعي ومتوقع -؛ ذلك لأن مصلحة هؤلاء، بحكم سيطرتهم على مراكز القوى في دولهم العظمى، وبحكم مسؤوليتهم عن إعادة تنظيم العلاقات الدولية بما يتوافق مع تلك المصلحة من جهة، وبما يستجيب لتطلعات الشعوب لبناء مستقبلها من جهة ثانية، هي في حاجة إلى صياغة نظريات ذات شكل مقبول ومضمون، يصلح للاستخدام والتطبيق العملي. وهكذا عُدّت صناعة النظريات السياسية من جملة مسؤوليات قادة الدول العظمى. وهل كان ميثاق هيئة الأمم المتحدة الذي أعاد صناعة العالم للمرحلة التي بعد الحرب العالمية الثانية - مع ما تضمنه ذلك الميثاق من نظريات ومبادئ - إلا من صناعة أقطاب العالم وقادته خلال الحرب العالمية الثانية؟ ثم هل جاءت صياغة نظريات «النظام العالمي الجديد» على لسان الرئيس الأمريكي بيل كلينتون في مؤتمر باريس (١٩٩١م) أو مؤتمر التوقيع على ميثاق انتهاء عصر الحرب الباردة إلا تأكيدًا لحقيقة دور صانعي القرارات في الدول العظمى في صناعة النظريات السياسية وصياغتها؟

ولكن بما أن صانعي النظريات السياسية قد حددوا - مسبقًا - دور هذه

النظريات وأهدافها؛ فإنهم يحتفظون لأنفسهم ولدولهم العظمى بحق إعادة النظر في صياغة تلك النظريات أو اختراقها، أو تجاوزها وإهمالها إذا ما استدعت مصلحتهم ذلك، وقد يكون ذلك - بدوره - طبيعيًا ومتوقعًا؛ إذ تبقى النظرية - في كل أنواع العلوم، ومنها علم السياسة - مجرد نظرية قابلة للنقض والتغيير والتعديل إلى أن تتوافر لها فرضيات مؤيدة قوية وبراهين ثابتة وراسخة. وهل حق النقض (الفيتو) الذي احتفظت به الدول ذات العضوية الثابتة في مجلس الأمن (الولايات المتحدة وروسيا الاتحادية والصين وبريطانيا وفرنسا) إلا امتياز محصور لتجاوز نظريات هيئة الأمم المتحدة ذاتها؟ المهم في الأمر هو أن هذه الظاهرة في نقض النظرية السياسية أو اختراقها أو تجاوزها أو إهمالها من جانب صانعي القرارات السياسية في الدول العظمى ليست ظاهرة سلبية وسيئة بصورة دائمة، وإنما هي ظاهرة تحمل وجهًا إيجابيًا مثل كل الأمور ذات الجوانب المتعددة، أو الأسلحة ذات الحدين. وهذا الوجه الإيجابي هو في إعطاء النظريات قدرًا كبيرًا من المرونة التي تساعد على تكييفها مع الضرورات والاحتياجات الطارئة أو المستجدة. فتكون النظرية بذلك وسيلة لتكوين نظريات جديدة، وليست وسيلة للوصول إلى مبادئ ثابتة وحقائق راسخة، ويعني ذلك - بداهة - أنه لا مجال للحديث في أفق السياسة عن حقائق أو مبادئ، وإنما هناك مجال لحوار الإرادات المتصارعة على المستويات الدولية والعالمية. وهل هناك من يجهل أن مسرح هيئة الأمم المتحدة ومجلس الأمن قد عُدّ، من وجهة نظر أعداد كبيرة من القادة والباحثين، حلبة للمصارعة حتى لو كان الخاسرون في معظم الحالات هم الضعفاء والمستضعفين؟

وكما يجد المسلمون مجالاً للتخفيف من بعض الأحكام عبر اختلاف المذاهب الإسلامية، فكذلك يجد الضعفاء والمستضعفون أيضًا مجالاً أكبر لتحركهم السياسي عبر المتاهات الدولية بفضل تباين المواقف من النظريات واختلاف الاجتهادات في تفسير مضموناتها؛ حتى لو كان سبب التباين والاختلاف هو المنافسة على المصالح بين الدول الكبرى والعظمى. وأقرب مثال هو مواقف روسيا الاتحادية والاتحاد الأوربي من العقوبات الاقتصادية التي فرضتها الولايات المتحدة وأصدرت لها القوانين ضد كوبا وليبيا وإيران تحت عنوان نظرية «مكافحة الإرهاب». وإقرارًا بالواقع فقد أفادت كثير من الدول الصغرى في مختلف قارات العالم من هذه الظاهرة - واستثمرت جانبها الإيجابي - لرفض ما يراد فرضه عليها بما يتعارض مع مصالحها؛ مثل رفض الدول العربية في منظمة الأوبك ما أرادت أوربا فرضه عليها في العام ١٩٩٣م تحت مسمّى نظرية «ضريبة الكوربون»، ومثل رفض الدول العربية والإسلامية ما تصدره هيئة الأمم المتحدة من نظريات وتوصيات عبر مؤتمراتها الدولية؛ بما في ذلك نظريات الديموقراطية والحرية وحتى الإرهاب في مضمون المفهومات الغربية.

وقبل ذلك أيضًا: هل حصلت دول العالم الثالث على استقلالها وتحررها من الاستعمار الغربي إلا بفضل نظرية التحرر من الاستعمار التي وردت في ميثاق هيئة الأمم المتحدة؟ صحيح أن الدولتين العظميين - طوال عصر الحرب الباردة بين الاتحاد السوفييتي السابق والولايات المتحدة - قد وقفتا بصلابة ضد الاستعمار الغربي الأوربي، وقدمتا الدعم للشعوب في نضالها التحرري من أجل مصالحهما في الحصول على أكبر قدر من موروث الاستعمار الغربي؛ ولكن ألم تكن النظرية هي الموجهة لتصفية الاستعمار؟ ثم أليست التناقضات المصلحية في قراءة النظرية الاستعمارية هي التي مارست دورها في تحرك الشعوب ضد الاستعمار؟

هكذا اكتسبت النظريات السياسية الحديثة ألقها وبريقها من خلال مرونتها وخصوصيتها للتكيف مع المستجدات؛ وذلك على قصر عمرها بسبب ارتباطها بتطور الأحداث العالمية، فكانت كالنيازك والشهب التي تلمع في قبة السماء المظلمة، فتخطف الأبصار، وتستقطب الاهتمام، ثم لا تلبث أن تختفي دون أن تستبقي من الأثر ما يكفي لتذكرها. وهل هناك من يتذكر ما أحدثته نظرية حافة الهاوية التي شغلت العالم طوال عقد تقريبًا من عمر الزمن؟ (منتصف عقد الخمسينيات حتى منتصف عقد الستينيات). وبعد ذلك يمكن التساؤل: هل كان من الأفضل للعالم لو لم تكن هناك نظريات سياسية وضعية، بل اقتصرت إدارة العالم على معالجة الأمور من خلال الواقعية، ومن خلال الحوار حول قواسم مشتركة تضمن المصالح للأطراف جميعًا في حدود قدراتها ومواردها ومشاركتها في البناء العالمي؟ قد يكون من المحال افتراض خلو العالم من نظريات موجهة، حتى لو كان مثل هذه النظريات تعبيرًا عن حالة الترف الفكري؛ فالعالم يحتاج إلى النظريات، ولو لخداع الذات.

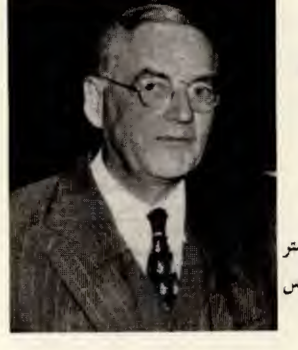
نظريات الحروب

لم يكن نصيب النظريات العسكرية ونظريات الحروب بأفضل من نصيب النظريات السياسية من حيث التهافت والتساقط المتسارع؛ على استناد نظريات الحروب إلى مبادئ شبه ثابتة وإلى أسس شبه راسخة؛ إذ إن التطورات المتسارعة للتقانة وارتباط الصراعات العسكرية بالصراعات السياسية قد مارست دورها لإصابة



بيل كلينتون





جون فوستر دالاس

نظريات الحروب بأمراض التهافت. وقد يكون من المناسب الانطلاق في هذا المجال من ذاك الكم الهائل من النظريات التي اقترنت بظهور السلاح النووي.

فمن المعروف أنه عندما استُخدمت النار النووية لإحراق المدينتين اليابانيتين: هيروشيما وناغازاكي، ووضْع نهاية للحرب العالمية الثانية؛ لم تكن هناك نظرية لاستخدام هذا النوع من أسلحة التدمير الشامل، وكان هناك من أعلن أن السلاح النووي هو تطوير للوسائل النارية المستخدمة في الحروب، فكانت هذه النظرية بمنزلة تصنيف للسلاح الوليد في إطار الأسلحة التقليدية، وذلك على المطالبة بوضع قيود صارمة قبل التفكير باللجوء إلى النار النووية. ولكن تطور الأسلحة النووية من جهة؛ وامتلاك طرف آخر لهذه الأسلحة (الاتحاد السوفييتي السابق) من جهة أخرى، أظهر الحاجة إلى نظريات تضبط استخدام أسلحة التدمير الشامل - والأسلحة النووية منها خصوصًا -. وهكذا ولدت على التتابع - وبتسارع مثير - مجموعة متكاملة من النظريات لعل من أهمها: الردع، والردع المضاد، والضربات الإجهاضية المسبقة، والانتقام، والانتقام الكثيف، والتصعيد المتدرج، والضربات الانتقائية.. إلخ. ولم يكن هذا التنوع في النظريات إلا تأكيدًا لامتلاك سلاح قد يكون من المحال استخدامه، أو امتلاك سلاح لا يستطيع أحد توقع نتائج استخدامه. وعلى ظهور أبحاث كثيرة ودراسات متنوعة لتعريف هذه النظريات وأمثالها، وشرح مضموناتها؛ إلا أن ذلك لم

يشكل عائقًا أمام تهافت نظريات الحروب النووية. ولقد أظهرت أزمة كوبا سنة ١٩٦٢م - بعد أزمة الحرب الكورية ١٩٥٠- ١٩٥٥م - أنه ما من قائد في أي من المعسكرين النوويين الكبيرين يمتلك القدرة على اتخاذ قرار بشن حرب نووية ستبقى دائمًا مجهولة النتائج. فكان لابد من تهافت النظريات عسكريًا قبل سقوطها سياسيًا؛ أو بالأحرى: سحب هذه النظريات من التداول العملي مادام قد جرى سحب احتمال استخدام الأسلحة من أفق الصراعات والحروب. وكان ذلك هو السبيل للبدء في البحث عن التخفيض المتبادل للأسلحة النووية عبر مجموعة من الاتفاقات سبقت تفكك الاتحاد السوفييتي بأكثر من عقدين. فهل يمكن جعل ظهور نظريات أسلحة التدمير الشامل وسيلة تندرج في إطار النظريات السياسية على أساس أنها ذات أهداف سياسية؟ أم يمكن عدّها حالة من حالات الترف الفكري المميزة لطبيعة الأنظمة الغربية المغرقة في الأبحاث النظرية؟ وهل كان كل ذلك الجهد النظري ذا مردود عقيم؟



جان بول سارتر

بابلو بيكاسو

قد يكون من الصعب إعطاء إجابات دقيقة ومحددة عن مثل هذه الأسئلة - وهي أسئلة كثيرة ومتنوعة - غير أن هناك حقيقة ثابتة - على الأقل - هي أن نظريات الحروب النووية المحتملة قد انعكست بقوة على عالم النظريات؛ سواء ما كان منها في أفق النظريات السياسية أو في مجال نظريات الحروب بالأسلحة التقليدية، ولاسيما الحروب الثورية.

ومن المعروف أن الحرب العالمية الثانية قد أكدت حقيقة ضعف الدول الاستعمارية الغربية، وأتاحت الفرصة أمام الشعوب للتحرر من نير الاستعمار. فتحولت أرض القارة الآسيوية والقارة الإفريقية إلى بركان ثوري، وظهر قادة عملوا على وضع نظريات للحروب الثورية كان من أبرزهم الزعيم الصيني ماوتسي تونغ، والزعيم الكوري كيم ايل سونغ، والقائد الفيتنامي جياب، وزعيمه هوتشي مينه، وسواهم ممن قدموا للفكر العسكري نتاج خبراتهم في نظريات لعل من أبرزها نظرية «الأرض المحروقة» ونظرية «صراع الضعيف ضد القوي» لأن لكل طرف نقاط ضعفه وقوته، ونظريات أخرى كثيرة حفظتها أدبيات الحروب. وهنا أيضًا تهافتت نظريات الحروب بسرعة أكبر من ظهورها، مثل تلك النظريات التي عبّرت عن خصوصية مميزة في الحدود الزمنية والجغرافية لمسارح الحروب الثورية.

هل كان من الأفضل للعالم لو لم تكن هناك نظريات سياسية وضعية ؛ بل اقتصرت إدارة العالم على معالجة الأمور من خلال الحوار حول قواسم مشتركة تضمن مصالح الأطراف ؟

وعلى سبيل المثال فإن ثورة الهند الصينية ضد فرنسا، ثم الحرب الفيتنامية ضد أمريكا، لم تتمكنا من تطبيق نظريات الحرب الكورية. ولقد حاولت قيادة المجاهدين في الجزائر الإفادة من خبرات الحروب الثورية الآسيوية ونظرياتها، لكنها لم تنتفع بتلك النظريات بقدر انتفاعها بموروثها من الأصالة الثورية المرتبطة بعقيدتها الدينية الإسلامية. ولقد حاولت قيادات فلسطينية، على ما هو معروف، الانتفاع بنظريات الحروب الثورية الاشتراكية، غير أنها وصلت بسرعة إلى قناعات ثابتة، هي أنه من المحال تطبيق نظريات ماو وجياب على الصراع العربي/ الإسرائيلي، بسبب الظروف الداخلية والخارجية لهذا الصراع، فكان لابد من العودة إلى موروث الأصالة الثورية، فكانت انتفاضة - ثورة الحجارة (١٩٨٤- ١٩٩٤م) بجذورها الإسلامية تعبيرًا عن خصوصية الصراع العربي/ الإسرائيلي. وهنا أيضًا كان لنظريات الحروب الثورية التي وضعها قادة الحروب الثورية أبعاد عالمية، حيث ظهرت ضرورة تَعَرُّفها وابتداع النظريات المضادة للتعامل معها مثل نظريات الحرب بالوكالة التي طُبقت عند تقسيم الكوريتين، كما طُبقت في القرن الإفريقي وفي أمكنة أخرى من العالم؛ وقد عدّت الحروب العربية/ الإسرائيلية - من وجهة نظر بعض الباحثين والمنظرين - نوعًا من الحروب بالوكالة حيث تمارس إسرائيل دورها في هذه الحروب بالوكالة عن الدول العظمى والكبرى. المهم في الأمر أن نظريات الحروب الثورية قد أكّدت - ربما أكثر من بقية صنوف النظريات - شدة التلاحم بين النظريات السياسية والنظريات العسكرية والنظريات الاجتماعية والاقتصادية والثقافية. فقد كانت هذه النظريات - بتكاملها - ردًا على تكامل النظريات في المعسكر المضاد (أو المقابل) مما أدّى إلى ذلك التمايز الواضح بين منظومتي المعسكرين الرأسمالي والاشتراكي طوال عصر الحرب الباردة.

بقيت نظريات الحروب بالأسلحة التقليدية شبه ثابتة، غير أن تطور التقانة أعطى تلك النظريات قدرات تطبيقية وإمكانات عملية لم تكن متوافرة لها من قبل، فوسائط حرب الحركة: الطائرات بأنواعها، والمركبات القتالية بتعدد نماذجها وواجباتها، والأساطيل البحرية باختلاف أشكالها وتنوع مهامها، وكذلك وسائط الحرب الإلكترونية، جعلت تطبيق نظرية الحرب المستمرة في الليل كما في النهار، وفي مختلف الأراضي والأحوال الجوية، من الأمور الممكنة قدر الإمكان. وقد وضعت حرب الخليج الثانية (أو حرب تحرير الكويت) كل نظريات الحرب موضع الاختبار، ومن خلال وسائط التقانة المتطورة سواء خلال مرحلة التحضير للمعركة، أو في أثناء قيادة أعمالها القتالية، أو خلال تنفيذ عملياتها. ولم يعد المجال هنا هو مجال البحث عن النظرية، وإنما مجال تأمين أفضل الظروف لتطبيق النظرية واستخدامها. وقد كان تطويق مسرح العمليات في المرحلة الأخيرة من القتال وعزل القوات العراقية جنوب البصرة نموذجًا للكفاءة في تطبيق النظرية. فهل يمكن جعل ذلك كله تأكيدًا لتهافت النظريات العسكرية وتساقطها؟ أم هل يمكن جعل ذلك طريقا لتطوير النظرية؟ قد تكون الإجابات هنا متناقضة جدًا ومتباعدة كثيرًا، والمهم في الأمر هو أن معظم نظريات الحرب النووية والثورية ثم التقليدية قد ابتعدت كثيرًا من مجال التداول؛ ليس بسبب تصلبها وتحجرها، وإنما بسبب تغير الأحكام بتغير الأزمان.

تهافت النظريات في الأزمنة الحديثة!

نظريات تكميلية وتبادلية

لم يكن العالم في يوم من أيامه عالم سياسة فقط، ولا هو عالم حرب أيضًا، وإنما هو عالم يضم شعوبًا كثيرة وقبائل شتى. ولكل خصائصه ونوازعه وميوله وطرائقه المميزة في العيش. ومن هنا ظهر التباين في التفكير، والاختلاف في الأحاسيس والمشاعر التي تتباين في معظم الحالات تبعًا لتباين المحيط الجغرافي، واختلاف العامل الزمني، وما يرتبط بهما من تطور ومن مؤثرات. وهكذا عرف العالم بعد الحرب العالمية الثانية نظريات كثيرة في مجالات العلوم والآداب والفنون، وعُدّت هذه النظريات: نظريات تكميلية أو تبادلية أو حتى تجميلية لملء فراغ المجتمعات الذي لا تشغله السياسات ولا شؤون الحرب. فكانت الرومانسية والوجودية مثلاً من إبداعات نظريات ما بعد الحرب؛ وتُرجمت على أنها رد فعل على قسوة ظروف الحرب ومآسيها وضوابطها.. إلخ. وكان آخرها: الحداثة. وظهر خلال ذلك مفكرون وأدباء وفنانون كانوا نماذج تعبيرية عن واقع تلك النظريات؛ لعل من أشهرهم الفيلسوف الفرنسي جان بول سارتر، والكاتبة الفرنسية فرانسواز ساغان، والفنان الإسباني بيكاسو، وسواهم ممن تركوا بصمات واضحة؛ ليس على مجتمعاتهم فقط؛ وإنما على المستوى العالمي. فقد تشكلت في كثير من بقاع العالم وأقطاره منتديات لتسويق الإبداعات المماثلة، ورُصدت لها الجوائز، وسُلّطت عليها الأضواء الإعلامية، وهل هناك - من جيل الخمسينيات - من ينسى تنظيمات أولئك الشباب المنحرفين الذين يتحركون بين عواصم العالم - والغرب الأوربي بخاصة - وهم يفترشون الأرض، ويحملون من متاع الدنيا أقله وأبسطه، ويعيشون بما يمكن وصفه «تحت عتبة الفقر»، ويثيرون الضجيج حول قضايا السياسة والمجتمعات والآداب وسواها للتعبير عن وجودهم. ثم ذبلت تلك النظريات وماتت في بلادها فيما بقيت مستمرة في أقطار أخرى، وهي مبتورة الجذور تنتظر لحظة انقضاء أجلها، لتفسح المجال أمام نظريات أو صرعات مستوردة أخرى. وعُدّ ذلك - من وجهة نظر قادة الغرب ومفكريه - وسيلة التواصل الحضاري والتبادل الفكري والعطاء الإنساني؛ على المعرفة الثابتة والشاملة أن مثل هذه العطاءات لا تشكل في الحقيقة دورًا حضاريًا ولا إنسانيًا، ودليل ذلك ما تركه ألفيس بريسلي من أثر لم يتجاوز حدود متحف الشمع في لندن؛ مع أنه شغل في مرحلة من حياته اهتمام شباب العالم ممن لا يفكرون إلا بتحريك أقدامهم. المهم في الأمر هو أن القيادات السياسية في عواصم الدول الكبرى عرفت فائدة مثل هذه النظريات الاجتماعية والأدبية والفنية، فشرعت في تنظيم استثمارها على المستوى العالمي، وبوضوح أكبر في أوساط مجتمعات العالم الثالث، بافتراض أن هذه النظريات تصلح واجهة براقة ومثيرة تخطف الأسماع والأبصار، وتفسح المجال أمام ظاهرة باتت محددة وواضحة حملت اسم: الغزو الثقافي. والغريب في هذه الظاهرة أن دولاً كبرى مثل فرنسا، وحتى الصين وروسيا، لا تخفي إحساسها بالضياع ولا تذمرها من الغزو الثقافي الأمريكي؛ فيما تحاول هي - في الوقت ذاته - ممارسة الغزو الثقافي في أقطار العالم الأخرى تحت واجهة العولمة.

وأحدث شاهد على ذلك ما أعلن في سنغافورة يوم ١٩٩٧/٢/١٥م أن اجتماعات دول آسيا وأوربا قد كشفت النقاب عن خلافات عميقة حول قضايا سياسية وأخرى تتعلق بحقوق الإنسان، ترجع في جانب منها إلى الاختلافات الثقافية الجوهرية بين الجانبين. ومعروف أن هذه الاجتماعات هي اقتصادية في أساسها، وقد ضمت من الجانب الآسيوي: الصين واليابان وكوريا الجنوبية وأندونيسيا وماليزيا وبروناي وسنغافورة والفلبين وتايلاند وفيتنام الجنوبية، ومن الجانب الأوربي الدول الخمس عشرة أعضاء الاتحاد الأوربي. وقد صرح وزير خارجية سنغافورة، رئيس المؤتمر، شانموجام جاياكومار بأن: «الإنجاز الملموس الوحيد في الاجتماع الآسيوي الأوربي في سنغافورة هو في افتتاح مؤسسة لتعزيز الأواصر الثقافية والحضارية بين الجانبين، وأن مهمة هذه المؤسسة الأولى من نوعها هي توفير عملية التبادل الثقافي لضمان قيام حوارنا السياسي المتنامي وعلاقاتنا الاقتصادية المتزايدة على أساس من التفاهم المتبادل والتأييد العام».

وتُظهر هذه المقولة - على قصرها - مجموعة من التناقضات المثيرة بشأن نظرية الثقافة، لعلّ أولها يتمثل في زج الثقافة والحضارة في أي قضية؛ حتى لو كانت قضية اقتصادية ذات روابط ضعيفة بالثقافة. وثانيها إعطاء التعاون الثقافي أهمية متعاظمة في إعادة تنظيم العلاقات الدولية؛ بحيث تزيد هذه الأهمية على الأهمية الاقتصادية التي تمنحها دول أوربا الغربية - بصورة عامة - الأفضلية الأولى في أي تحرك: سياسي أو عسكري أو اقتصادي.

لقد عرفت شعوب العالم أن نظرية الثقافة والتفوق الثقافي والحضاري كانا إحدى مرتكزات النظريات الأساسية للنظام الاستعماري، والتي كان يتم التعبير عنها بتفوق الرجل الأبيض (الأوربي تحديدًا). ولقد أهملت هذه النظرية عندما غربت شمس الاستعمار الغربي، ثم أعيدت للتداول نظرًا لما تقدمه لأصحابها من ميزة التدخل في كل شؤون الدول الأخرى تحت شعارات مرنة وفي إطار نظريات خالية من المضمونات المحددة والأبعاد الواضحة. وعلى كل حال فإن نظرية الثقافة - من وجهة النظر الأوربية - تتعرض للنقد من جانب الولايات المتحدة، مما يؤكد أن قضية صراع النظريات - إذا ما جاز التعبير - هي قضية نسبية وليست مطلقة. فما تراه أوربا ذا قيمة ثابتة قد تنقضه وجهات نظر أمريكية. من ذلك، على سبيل المثال، ما ورد في صحيفة واشنطن بوست الأمريكية يوم ١٩٩٧/٢/١٧م تحت عنوان «أوربا بحاجة إلى دستور جديد» حيث جاء ما يلي: «.. إن ما تحتاج إليه أوربا باختصار هو دستور لا يكتفي بمجرد توزيع الصلاحيات وتنظيم العلاقات بين المؤسسات، بل يحدد أيضًا القيم التي يبني عليها الأشخاص قرارهم ببناء حياتهم المشتركة.

غير أن العراقيل التي قد تعوق وضع نص كهذا كثيرة ومتنوعة، منها ما هو سياسي، ومنها ما هو ثقافي، ومنها ما هو نظري. فكيف السبيل إلى جمع أنظمة ملكية وأخرى جمهورية وبرلمانية وفيدراليات وولايات متحدة تحت دستور واحد؟ وكيف يمكن التوصل إلى رؤية مشتركة للمجتمع المثالي في ظل تنوع القيم والعادات الأخلاقية؟».

وإذن فإن أوربا التي تتباهى وتتفاخر بوحدة ثقافتها ووحدة تكونها ووحدة مفهوماتها وقيمها الحضارية دائمًا هي كيان يفتقر إلى الوحدة الثقافية من وجهة نظر أمريكية. ولا يعني ذلك بداهة أن وجهة النظر الأمريكية صحيحة وغير قابلة للنقد والتجريح، ولكن يعني أن كل النظريات الثقافية والاجتماعية الحضارية هي نظريات

حاولت بعض التنظيمات العربية الإفادة من نظريات الحروب الآسيوية؛ لكنها لم تنتفع بها بقدر انتفاعها بموروثها من الأصالة المرتبطة بالعقيدة الإسلامية

تهافت النظريات في الأزمنة الحديثة!

نسبية، ولا يجوز الاستسلام لها على أنها حقائق لا يأتيها الباطل من بين يديها ولا من خلفها. هذا من جهة. ومن جهة أخرى: ألم تشكل الثقافة بدورها مادة تجارية واقتصادية عبر نشر الكتب والصحافة ووسائل الإعلام المرئي والمسموع؟ أليس ذلك يستحق البحث في زمن انحدرت فيه كل القيم إلى مستوى التبادل التجاري ذي القيمة المادية؛ حتى لو كان ذلك مناقضاً للمفهومات الحضارية والقيم الدينية؟ فهل أصبح دور الثقافة الغربية هو تدمير القيم الثقافية والحضارية التي حاولت أوربا رعايتها طوال ليل الاستعمار؟ أم إن أحد أهداف النظريات الثقافية الحديثة هو إعادة تشكيل العالم الثالث - بخاصة - ليكون صورة شوهاء عن الثقافة الأوربية؟ وإذا كان الأمر كذلك، فلماذا تتذمر فرنسا وألمانيا وروسيا وسواها إذا ما حاولت الولايات المتحدة فرض ثقافتها ولو عبر انتشار مطاعم الوجبات السريعة؟ وهل يجوز التعامل مع الثقافة، ومع القيم الحضارية بمقاييس مادية خسيسة لبناء عالم القرن الحادي والعشرين؟

حقائق وأباطيل

هل يمكن، في ضوء ما سبق من عرض لتهافت النظريات، القول: إن تلك النظريات - أو معظمها - هي من نوع الأباطيل؟ وإذا كانت كذلك فأين الحقائق؟ إن إنسان الأزمنة الحديثة يعيش على مشارف القرن الحادي والعشرين، وهو يتوجس خيفة من مجاهل ما هو قادم من الأزمنة. وكيف لا يتوجس خيفة وقد اختلطت أمام ناظريه كل الحقائق بكل الأباطيل؟ وإذن فقد يكون من المقبول طرح التساؤلات عن جدوى النظريات مادامت لا تتمتع إلا بعمر زمني قصير جداً، ومادامت تبقى رهينة بتطورات زمنية وجغرافية متسارعة. ولكن هل يمكن تحريم التفكير في نظريات قد تبدو مفيدة للمجتمعات الإنسانية ولو إلى حين؟ ليست القضية هي في إيجاد نظرية، ولكن القضية هي في فائدة هذه النظرية وقيمتها. وعلى سبيل المثال: أليست نظريات ابن خلدون المؤرخ العربي في علم الاجتماع تحتفظ بالكثير من قيمتها وأهميتها على تقادم مئات السنين عليها؟ إن ذلك يقود إلى حقيقة معروفة، وهي أن الأباطيل تبقى أباطيل مهما ازينتْ وبدت براقة بهيجة؛ كذلك تبقى الحقائق ثابتة وراسخة بحكم عمق جذورها في المجتمعات الإنسانية.

من الغريب أن دولاً كبرى لا تخفي تذمرها من الغزو الثقافي الأمريكي؛ بينما تحاول - بدورها - ممارسة الغزو الثقافي في أقطار العالم الأخرى تحت واجهة العولمة!!

فالمقياس هو: ما ينتفع به الناس من النظريات وما فيه خيرهم وصلاحهم. ويتكامل ذلك مع كل أنواع النظريات: السياسية منها والعسكرية والاجتماعية والثقافية. ولقد اكتسبت المجتمعات ذات الجذور العميقة في الكيان الإنساني - وفي طليعتها المجتمعات الإسلامية، والعربية الإسلامية بخاصة - قدرة كافية للتمييز بين أنواع النظريات، فكانت عبر تاريخها الطويل تأخذ من تلك النظريات ما لا يتعارض مع دينها وفضائلها، وتنبذ كل ما يتناقض مع مبادئها وتعاليم إسلامها. فتشكَّل من ذلك ركام ضخم من النظريات التي جرت على الألسنة مجرى الأمثال والحكم، تنتقل من جيل إلى جيل، فتتزايد جدة وألقاً بما يضاف إليها من مسحات تجميلية. وقد يكون ذلك من العوامل الحاسمة التي ساعدت المجتمعات العربية والإسلامية على الصمود في وجه العاديات وأنواع الابتلاء؛ إذ إن هذه العاديات لم تأخذ شكل غزو عسكري ول نهب اقتصادي ولا غزو فكري وحسب، وإنما ذلك كله بالإضافة إلى تحديات أخرى. وكان الحوار الديني والمذهبي - باستمرار - محوراً ثابتاً لتشكل النظريات والنظريات المضادة ذات الأشكال المختلفة والمضمونات المتباينة. وقد يكون من المناسب هنا الإشارة إلى موقف الشعب العربي وقياداته - وكذلك مواقف الشعوب الإسلامية وقياداتها - مما جرى طرحه خلال السنوات التي بعد الحرب الباردة في إطار النظام العالمي الجديد من نظريات العولمة والتنمية الاقتصادية والحريات والديموقراطية.. إلخ. ومناقشة كل نظرية بدقة وبصورة شاملة للأخذ بما ينفع المجتمعات العربية والإسلامية، ولنبذ ما يتعارض مع تعاليم الدين الحنيف. ولا ريب أن مثل هذا الموقف الصلب والثابت هو الذي دعم مكانة الشعب العربي والشعوب الإسلامية في محيط المجتمع الدولي الذي يستعد لاستقبال القرن القادم بنظريات تفتقر إلى كثير من الوضوح والدقة وإمكانات التطبيق العملية.

ربما لا تكون هناك حاجة إلى حشد البراهين من أجل تأكيد حقيقة معرفة المهتمين بصناعة النظريات - على اختلاف ألوانها وتباين أنواعها وتباعد أهدافها -، بالمصير المحزن للنظريات الحديثة من حيث تهافتها وتساقطها. وعلى هذه المعرفة فإن عواصم العالم الكبرى وصانعي القرارات ذات الأبعاد العالمية، يستنفرون كل القوى لاستقبال القرن القادم بمجموعة متكاملة من النظريات التي تعالج كل قضايا الحياة، ويشكل ذلك في حد ذاته إرهاصاً بطبيعة ما ستتعرض له شعوب العالم الصغرى من صراعات فكرية واقتصادية وسياسية. وقد يكون من الصعب الاستعداد مسبقاً لاستقبال هذا المد من النظريات - نظراً لما يحيط بهذه النظريات من المجاهل -. وهل كان بالمستطاع في يوم من الأيام التعامل مع المجهول؟ وإذن فليس على الشعوب الصغرى وقياداتها إلا البقاء في حالة استنفار لمجابهة ما يحتمل ظهوره من النظريات. وسيكون عامل الزمن أو الوقت متوافراً لمصلحة الشعوب الصغرى وقياداتها؛ إذ من المحال الافتراض بإمكان تطبيق ما هو متوقع من النظريات بسرعة أو خلال مدة محدودة من الزمن.

وإذا كان بناء الوحدة الأوربية قد استغرق نصف قرن من عمر الزمن، ولَمّا يكتمل بعد هذا البناء، على كل الجهود الكثيفة، فإن باستطاعة الشعوب وقياداتها قبول ما تراه مناسباً من النظريات، ورفض ما تريد عدم الأخذ به منها، أو تعديل ما ترغب في تعديله إن وجدت ذلك في مصلحتها لبناء مستقبلها، وذلك عبر حوار الإرادات المتصارعة. ومن المؤكد أن ما هو متوقع ظهوره من النظريات سيساعد على حشد جهود الشعوب الضعيفة - أو المستضعفة - في خندق واحد لمقاومة كل أنواع الجائحات. كما أن ما هو متوقع أيضاً من زيادة حدة التناقضات بين الدول العظمى بشأن قراءة النظريات ومن ثم تطبيقها سيساعد على توسيع هامش التحرك لاختيار ما هو مناسب من النظريات. وسيكون ذلك - بالتأكيد - عاملاً لظهور نظريات لها صفات الثبات والاستمرار بأفضل مما كان عليه حال الجيل السابق من النظريات التي جرى فرضها بمختلف وسائل الإكراه.

أما بالنسبة إلى الشعب العربي والشعوب الإسلامية فإن خلاصة التجارب في السنوات القليلة الماضية كافية لتشكيل قناعة عامة - على مستوى القادة والمرؤوسين، الحكام والمحكومين - بتوافر القدرة على التمييز بين ما هو صالح من النظريات، وبين ما هو فاسد، ثم انتقاء ما هو مناسب من النظريات لبناء المستقبل العربي الإسلامي. ويستطيع الإنسان المسلم أن يتذكر - وهو يفاضل بين النظريات - ما قاله الشاعر العربي لبيد بن ربيعة:

ألا كلُّ شيء ما خلا اللهَ باطلُ
وكلُّ نعيمٍ لا محالةَ زائلُ



د. محمد مورو

منذ أن نشأت العَلْمَانية ـ لقيطة النشأة خبيثة الأثر ـ وهي تحاول أن تضرب جذورها في التربة العربية والإسلامية مستخدمة في ذلك كل الوسائل غير المشروعة من تلفيق، وتزوير، وليٍّ للحقائق، وتعسّف في التفسير، وغير ذلك من الوسائل.

وقصة العلمانية في بلادنا هي في الحقيقة قصة الصراع بين بلادنا المسلمة والاستعمار الأوربي كآخر حلقة من حلقات التحدي الوثني الأوربي المتسربل بقشرة نصرانية مزورة، ويمكننا أن نطلق على هذا التحدي اختصاراً كلمة: «الصليبية»؛ أي الوثنية ذات القشرة النصرانية، أو نطلق عليها كما فعل العلامة محمود محمد شاكر: النصرانية الشمالية، وهي نصرانية غير صحيحة ولا منحرفة، بل وثنية أوربية أخذت النصرانية فوثَّنتْها توثيناً، أي جعلتها وثنية.

ثورة على الكنيسة من أجل القيم الوثنية

بل إن العلمانية الأوربية ما هي إلا ثورة وثنية أوربية على النصرانية المنحرفة ـ نصرانية البابوات وصكوك الغفران ـ أي هي محاولة أوربية للثورة على الكنيسة لحساب القيم الإغريقية واليونانية والرومانية القديمة، مع إضافات سكسونية وجرمانية ولاتينية معاصرة. وما عصر النهضة الأوربية الذي بدأ في القرن الخامس عشر إلا بعثٌ للقيم الإغريقية والفلسفة الإغريقية الوثنية، بل حتى الفنون الإغريقية القديمة مع إضافات لاتينية وجرمانية وسكسونية.

وحتى النصرانية الأوربية ذاتها ـ والرومانية أيضاً ـ لم تكن نصرانية حقيقية ولا منحرفة أيضا، بل هي إدخال للنصرانية في الوثنية الإغريقية من طريق الدولة الرومانية القديمة التي فرضت رؤيتها الإغريقية للنصرانية على جميع النصارى بما فيهم نصارى الشرق، واضطهدت منهم مَنْ رفض هذه الرؤية اضطهادا بشعا تمتلئ به كتب التاريخ الكنسي وغير الكنسي.

إنّ النصرانية الأوربية الرومانية أخذت القيم الثابتة للحضارة الإغريقية، وهي القهر والعنف والاضطهاد الديني، ومارستها في كل مراحلها، وعلى النهج نفسه سارت النصرانية الكاثوليكية؛ فاضطهدت العلماء، واضطهدت المسلمين واليهود، وأنشأت محاكم التفتيش التي نقبت وبحثت في الضمائر، وأحرقت المخالفين في العقيدة أو حتى في الاجتهاد داخل النصرانية نفسها، ولم ينج من ظلمها وظلماتها العلماء والفلاسفة.

وعندما ظهرت البروتستانتيّة تعرضت بدورها للاضطهاد الكاثوليكي، ثم عندما تمكنت هذه البروتستانتية في بعض البلدان الأوربية قامت بدورها باضطهاد الكاثوليك وغيرهم، أي إنها مارست الاضطهاد الأوربي نفسه والقهر والعنف وما كان لها إلا أن تمارسها.

تعصب ضد كل ما هو إسلامي!

ومع عصر النهضة الأوربية، والثورات ضد الإقطاع المتحالف مع الكنيسة ـ وهو ما أفرز العلمانية ـ نستطيع أن نلمح ثورة أوربية على النصرانية ذاتها وإسقاطها من الحساب لدرجة ما، أي العودة إلى الوثنية الإغريقية الكاملة، ووجدنا بعثًا للفنون الإغريقية والشعر الإغريقي والمسرح الإغريقي والفلسفات الإغريقية. ولم تكن العلمانية الأوربية إلا لتحمل بدورها البذور نفسها، والقيم الأوربية الثابتة ذاتها من القهر والعنف والمنفعة غير الأخلاقية والاضطهاد الديني. وعلينا أن ننظر إلى كل الإفرازات الفكرية (الأيديولوجية) والسياسية والاجتماعية الأوربية، من فاشية ونازية واشتراكية ورأسمالية وشيوعية وغيرها، على أنها إفراز طبيعي للأرضية الحضارية الأوربية، وإذا فسدت الأرضية فسدت الإفرازات؛ فلا يوجد فارق حقيقي بين هذه المذاهب.

والصراع بين هذه الاتجاهات الفكرية الفاسدة، هو صراع في الميادين عينها، ويحمل السمات العامة نفسها، وأهمها التعصب ضد كل ما هو إسلامي، ومحاولة تحطيم الإسلام والحضارة الإسلامية. وهكذا لم نجد فرقًا كبيراً في السلوك بين الممارسات الإجرامية للفرنسيين في الجزائر سواء أكانوا من اليمين أم من اليسار، ملكيين أم جمهوريين، ديجوليين أم اشتراكيين، تحالفًا من الرأسماليين والديمقراطيين أم تحالفا من الاشتراكيين والشيوعيين، بل نجد معدل الجرائم يرتفع في الجزائر عندما تكون الحكومة الفرنسية مؤلفة من الاشتراكيين والشيوعيين، فالحكومة الاشتراكية الشيوعية في فرنسا في عام ١٩٤٥م هي التي ارتكبت المذبحة التي قام بها الطيران الفرنسي فأباد وأحرق ٤٥ قرية جزائرية كاملة، وكان وزير الطيران الفرنسي شيوعيًا.

طابور خامس لترسيخ القيم الأوربية

وفي إطار الصراع بين أجنحة الحضارة الأوربية، نجد أن كل مدرسة وكل دولة أوربية تعمل على تجنيد طابور خامس من أهل البلاد للتبشير بقيم الحضارة الأوربية عمومًا، وهذه الدولة أو المدرسة خصوصا. وهكذا يمكن أن نفهم الصراع بين الإنجليز والفرنسيين أو بين الكنيسة البروتستانتية والكاثوليكية، أو المنصّرين (المبشرين) الألمان والإيطاليين أو المستشرقين من هؤلاء وأولئك على تجنيد أكبر قدر من العملاء المحليين، وهذا كله في إطار تناقض جوهري يضم كل هؤلاء ضد كل ما هو إسلامي.

العلمانية في بلادنا ما هي إلا رأس حربة متقدمة صنعتها الاستخبارات؛ تتغير وتتبدل حسب أحوال الصراع في أوربا. فدنلوب الإنجليزي يصفّي النفوذ الثقافي الفرنسي في مصر لحساب النفوذ الثقافي الإنجليزي، وهكذا.

صراع ضد الإسلام منذ قديم الزمان

وقصة العلمانية هي قصة الصراع بين الحضارة الوثنية الأوربية أو آخر فصول هذا الصراع مع الحضارة الإسلامية. وهذ الصراع ممتد في التاريخ والجغرافيا، وشهد العديد من المراحل، وأخذ الكثير من الملامح حسب الزمان والمكان.

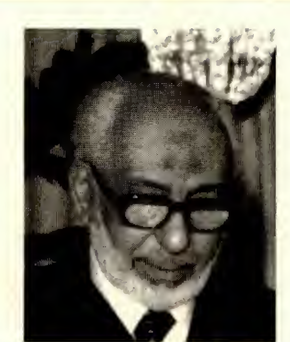
وهذا الصراع بدأ مبكرًا جدا في حياة الرسول صلى الله عليه وسلم، الذي أدرك بفراسته ونبوته أن هذا الصراع سيشكل المساحة الكبرى في تاريخ الإسلام، ووضع له الأسس الصحيحة، وهي أن الهجوم خير وسائل الدفاع. وهكذا خاض المسلمون في حياة الرسول صلى الله عليه وسلم العديد من المعارك ضد الدولة البيزنطية وحلفائها بوصف هذه الدولة البيزنطية تمثل، في ذلك الوقت، المواقع المتقدمة للحضارة الأوربية الإغريقية والرومانية. خاض المسلمون في حياة الرسول صلى الله عليه وسلم العديد من المعارك ضد الدولة الرومانية وحلفائها في مؤتة وتبوك ودومة الجندل، وجهز الرسول صلى الله عليه وسلم جيش أسامة بن زيد لغزو الشام؛ إلا أنه صلى الله عليه وسلم مرض فأوصى بإنفاذ هذا الجيش، ووفى الخليفة الصديق رضي الله عنه بهذه الوصية بعد وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم فأنفذ الجيش ليؤدي ما أمر به.

واستمر الصراع بعد وفاة الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم، ونجح المسلمون في تحرير الشام وشمال إفريقية من الدولة الرومانية، بل وصل المسلمون إلى الأندلس وأقاموا فيها حضارة إسلامية زاهرة مدة ثمانية قرون، وهددوا الدولة البيزنطية نفسها في شرق أوربا، وحاصروا روما أيضا أكثر من مرة، ووصلوا بنفوذهم ووجودهم إلى مختلف جزائر البحر المتوسط: قبرص وصقلية وإقريطش (كريت) وغيرها.

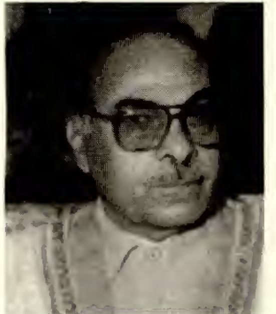
تغير في منهجية الصراع!

وعندما أصبح وجود الدولة الرومانية البيزنطية نفسه مهددا بعد موقعة ماتركت (ملازجرد) التي انتصر فيها السلاجقة بقيادة ألب أرسلان على الدولة البيزنطية بقيادة رومانوس الرابع سنة ١٠٧١م؛ قامت الدولة البيزنطية بالاستنجاد ببابا روما؛ وهكذا نشأت الحروب الصليبية في الشرق العربي ١٠٩٥-١٢٩١م. ومع إخفاق هذه الحروب الصليبية واندحارها، ثم استمرار عملية الصراع في الأندلس وشمال إفريقية قبل هذه الحروب الصليبية وبعدها وفي أثنائها، ومع ظهور الخلافة العثمانية التي أوصلت الإسلام إلى قلب أوربا وأسقطت الدولة البيزنطية نهائيا، وفتحت القسطنطينية سنة 1453م على يد محمد الفاتح، ووصول الجيوش العثمانية الإسلامية إلى أسوار فيينا وجنوب روما، ودخول الإسلام إلى ألبانيا والمجر والبوسنة والهرسك وكوسفو، وخضوع الصرب والكروات والمجريين والرومانيين وغيرهم للحكم الإسلامي العثماني، أحست أوربا بالخطر الشديد وقررت تغيير التخطيط من الصدام العسكري المباشر إلى الاختراق الثقافي والعسكري والسياسي.

ومن خلال هذا الاحتكاك المباشر وغير المباشر الذي وصل إلى قلب أوربا وجنوب فرنسا وسويسرا، من طريق الأندلس، وإلى كل أوربا الشرقية من طريق العثمانيين، ومن خلال جزائر البحر المتوسط، كان من الممكن أن يعرف الأوربيون حقيقة الإسلام فيدخلوا فيه، وقد حدث هذا بالفعل في أكثر من مكان أوربي مثل ألبانيا والبوسنة والهرسك وكوسوفو وغيرها، وكان لابد لأوربا من جهاز للدعاية لحماية رعاياها من الأثر الإسلامي؛ ومن هنا نشأ الاستشراق الذي كان في البدء محاولة لمعرفة الإسلام بغية تشويه صورته في عيون الأوربيين، ومع حالة النوم والاسترخاء التي عاشها العالم الإسلامي، طمعت أوربا في ذلك الوقت فيما هو أكثر، وبخاصة بعد أخذها بأسباب العلم والقوة، فتحول جانب من الاستشراق إلى تجسس أوربي مباشر وغير مباشر على الدول الإسلامية لمعرفة نقاط الضعف فيها، والتجهيز لحملة صليبية جديدة تحت اسم الاستعمار، وكذلك نشأ التبشير، ومن الاستعمار والتبشير والاستشراق بدأت الحملة الصليبية الجديدة التي انتهت بسقوط الخلافة العثمانية ووقوع معظم بلاد العالم الإسلامي في قبضة الاحتلال الأوربي. وحدث تطور جديد في الاستشراق، فكان لابد أن يمنع أي محاولة للنهضة في العالم الإسلامي، وأي محاولة للمقاومة، وذلك بطمس معالم القوة في الثقافة الإسلامية وإحداث ما سُمِّي بالتفريغ الثقافي - على حد تعبير العلامة محمود محمد شاكر. وهذا التفريغ الثقافي يقوم على تشكيل مدرسة ثقافية محلية على يد المستشرقين، يرسخ تلاميذها رؤيتها المشبوهة للإسلام واللغة العربية والآداب الإسلامية وغيرها، أو يتم تشكيل الوجدان والعقل لهؤلاء المدجنين من خلال المعارف الأوربية وحدها.


محمود شاكر


محمد جلال كشك


د. محمد عمارة

تياران يتعاونان على هدم العربية والدين!

وهكذا وجدنا أنفسنا أمام تيارين لا ندري أيهما أسوأ؟ أما التيار الأول فيتمثل في هؤلاء الذين ينظرون إلى الثقافة والآداب واللغة بل الدين بمنظور المستشرقين، وفضلاً عما في هذا الأمر من تآمر واضح فإنه أيضا أمر غريب وعجيب، لأنه من البدهي أنه مهما كان المستشرق قد تعلم اللغة العربية أو الآداب فإنه سيظل مجرد تلميذ في هذا الإطار ولا يمكن أن يتحول إلى أستاذ أو دارس أو باحث أو صاحب مدرسة، لأنه قد نشأ وتعلم واكتسب ثقافته في أجواء ثقافية أخرى؛ وبدهي أن أحدا لن يفهم لغةً أو ثقافةً ما إلا إذا كان ابنًا لهذه اللغة وهذه الثقافة. وفي هذا الإطار يقول محمود محمد شاكر في كتابه المهم «رسالة في الطريق إلى ثقافتنا»: «غاية ما يمكن أن يحوزه مستشرق أن يكون عارفًا معرفة ما بهذه اللغة أو الآداب، وأحسن أحواله أن يكون في منزلة طالب عربي في الرابعة عشرة من

بعد أن أخذت أوربا بأسباب العلم والقوة تحول جانب من الاستشراق إلى تجسس مباشر على الدول الإسلامية للتجهيز لحملة صليبية جديدة عليها!

عمره، بل هو أقل منه على الأرجح، أي هو في طبقة العوام الذين لا يَعتدّ بأقوالهم أحد، ولا يمكن لمستشرق أن يكون محيطًا بالثقافة التي هي لازمة لتعلم اللغة والآداب، وهذه الثقافة سر من الأسرار الملثمة في كل أمة من الأمم وفي كل جيل من البشر، وشرط الثقافة هذا ممتنع على المستشرق كل الامتناع، بل هو أدْخَلُ في باب الاستحالة من اجتماع الماء والنار في إناء واحد».

ويضيف شاكر: «فأعجب العجب إذن أن يعد أحد شيئًا مما كتبه المستشرقون في لغتنا وثقافتنا وديننا متضمنًا لرأي حقيق بالاحترام والتقدير، فضلا عن أن يكون عملاً علميًا أو بحثًا منهجيًا نسترشد به في شؤون لغتنا وثقافتنا وتاريخنا وديننا كما هو السائد اليوم في حياتنا الأدبية الفاسدة».

وأما التيار الثاني، وهو الذي التقطته أوربا، وعلّمته ودجّنته بحيث أصبح غربي التفكير والسلوك، وحَصَّل العلوم، وبخاصة الاجتماعية منها، من منظور أوربي، فهذا سيأتي إلينا للتبشير بالقيم الأوربية مباشرة.

أي إننا أمام تيار كامل تقريبًا أو تيار يفهم اللغة والآداب بل الدين من منظور المستشرقين، وهو منظور سطحي في أحسن الفروض، أو مشبوه ومتآمر في أسوئها.

من هؤلاء وأولئك نشأت العلمانية محاولة للتفريغ الثقافي أو تفسير الدين واللغة تفسيرًا سطحيًا أو تآمريًا يخدم مخططات الغرب، أو محاولة لزرع القيم والثقافة الأوربية فينا؛ وكل هذا جزء من مخطط استعماري واضح المعالم معروف الأهداف. وهكذا لم يكن عجيبا ولا غريبا أن ترتبط العلمانية - بكل مدارسها ورموزها - في بلادنا بالاستعمار بطريقة مباشرة ومفضوحة، وقد فضح نابليون نفسه هذا الأمر في رسالته إلى كليبر التي يقول فيها: «اجتهد في جمع ٥٠٠ أو ٦٠٠ شخص من المماليك أو من العرب ومشايخ البلدان لنأخذهم إلى فرنسا فنحتجزهم فيها مدة سنة أو سنتين يشاهدون فيها عظمة الأمة الفرنسية ويعتادون تقاليدنا ولغتنا، وعندما يعودون إلى مصر يكون لنا منهم حزب يضم إليه غيرهم»، ويضيف بونابرت: «كنت قد طلبت مرارًا جوقة تمثيلية، وسأهتم اهتمامًا خاصًا بإرسالها إليك، لأنها ضرورية للجيش وللبدء في تغيير تقاليد البلاد».

وقد قام مفكرون إسلاميون مشكورين بفضح العلاقة بين الاستعمار وهؤلاء العلمانيين ورصدها؛ فمحمود شاكر فضح لويس عوض وأثبت ارتباطه بدوائر الاستعمار في كتابه المهم «أباطيل وأسمار»، ومحمد جلال كشك فضح العلاقة المريبة بين الأحزاب الشيوعية المصرية خصوصا والعربية عموما، والصهيونية وإسرائيل في كتابه «الحركة السياسية في مصر ١٩٤٥-١٩٥٢م» وقال: إن تلك الأحزاب أنشأتها الصهيونية خدمة لمشروعها المرتقب وقتئذ في إقامة إسرائيل.

ارتباطات مشبوهة بدوائر الاستعمار!

وفي الحقيقة فإنه أينما سِرْتَ وفتّشت تجد هذه العلاقة بين العلمانية والإنجليز أوَ الفرنسيين أو الأمريكان أو دوائر التبشير (التنصير) والاستشراق وهكذا. فعلي عبدالرازق مثلا في دعوته لإلغاء الخلافة الإسلامية، والزعم بأنها ليست من أصول الإسلام، وإنكاره أن الإسلام دين ودولة لم يكن إلا ناقلاً لبحث قام به الإنجليز وعملاؤهم في الهند إبان الحرب العالمية الأولى، وذلك خوفًا من إعلان الخلافة العثمانية فكرة الجهاد لتعبئة المسلمين ضد الحلفاء في تلك الحرب، فأرادوا التشويش على فكرة الخلافة ذاتها، ثم قبع البحث في أدراج الخارجية الإنجليزية إلى أن تم نشره من طريق علي عبدالرازق، وكذا قاسم أمين الذي لم يكن سوى ناقل لشبهات المستشرقين. وجدير بالذكر هنا أن كلا من علي عبدالرازق وقاسم أمين كانا ينتميان إلى حزب مصري من صنائع الإنجليز هو حزب الأمة الذي لم يكن يخفي دعوته لاستمرار الاحتلال الإنجليزي لمصر، ونجد أن الذي هاجم قاسم أمين وكتابه، ورفض الإنجليز، ودعا إلى الكفاح ضدهم هو حزب الاستقلال، وهو الحزب الوطني الذي تزعمه مصطفى كامل ثم محمد فريد من بعده.

الارتباطات المشبوهة نفسها نجدها عند أحمد لطفي السيد رئيس تحرير جريدة حزب الإنجليز «حزب الأمة»، ونجدها في سلامة موسى ولويس عوض وغالي شكري، وشبلي شميل؛ الذي يعترف رفعت السعيد أنه كان يدافع عن الإنجليز ويلتمس له العذر لذلك لأنه كان هاربًا من النفوذ العثماني في الشام!

وفي الواقع فإن الأستاذ محمد محمد حسين في كتابه المهم «اتجاهات وطنية في الأدب المعاصر» قد فضح الدوائر الاستعمارية التي كانت تقف خلف الدعوات الفرعونية أو القومية أو العلمانية عموما في مصر في أوائل هذا القرن.

وحتى اليوم نجد الارتباطات المشبوهة نفسها مع دوائر التنصير «كحسين أحمد أمين ومحمد سعيد العشماوي» وهو الأمر الذي فضحه الدكتور محمد عمارة ومحمد جلال كشك وغيرهما في أكثر من كتاب ومقال؛ أو مع مؤسسات أمريكية أوربية مشبوهة مثل مؤسسة «فورد كوندشن» التي تمول نشاطات ما يسمى بحركة تحرير المرأة التي تقودها نوال السعداوي. وقد افتضح الأمر على يد بعض عضوات هذه الحركة أنفسهن داخل أروقة المؤتمر الذي انعقد سنة ١٩٨٦م حين تساءلن عن تمويل المؤتمر؛ فاعترفت نوال السعداوي بأن مؤسسة فورد كوندشن الأمريكية، وكذا هيئة المعونة الأمريكية بالقاهرة وجمعية نوفيك الهولندية، ومكتب أكستوان بالقاهرة هم الذين موّلوا هذا المؤتمر.

وآخر المطاف هذا هو فرج فوده، الذي دعا الغرب جهارا نهارا إلى التدخل في شؤون مصر عسكريًا، كما دعا إلى التحالف مع إسرائيل، وكانت علاقته بالسفير الإسرائيلي أكثر من مشهورة.

وهكذا؛ فإن العلمانية بكل مدارسها وتياراتها ورموزها مشبوهة الارتباطات مشبوهة الأهداف، وهي إما اختراق مخابراتي أجنبي مباشر، وإما نشأت في أحضان دوائر التبشير كالجامعة الأمريكية ببيروت التي نشأ في أحضانها كثير من القوميين العرب، أو تلاميذ للمستشرقين المتآمرين أو السطحيين، وبدهي أنه ليس في الاستشراق إلا متآمر أو سطحي.

آخر إفرازات العلمانية

وهكذا وجدنا كل الدعوات العلمانية؛ من دعوة إلى القومية العربية لضرب الوحدة الإسلامية وتقطيع أواصر المسلمين، أو دعوة إلى الفرعونية أو الفينيقية أو غيرها من الدعوات المقيتة التي ترمي إلى استبعاد الإسلام، أو الحركات الشيوعية المريبة ذات العلاقة بقيام إسرائيل، أو هؤلاء الداعين إلى الكتابة باللغة العامية نكاية في اللغة العربية وعزلاً لها، ومن ثم عزل القرآن الكريم عن الواقع، أو الدعوة إلى استبدال الحروف اللاتينية بالحروف العربية حتى يصبح كل تراثنا طلاسم على أبنائنا يحتاج إلى من يترجمه لهم، أو هؤلاء الداعين للأخذ بثقافة الغرب بزعم أنها ثقافة العصر أو الحضارة العالمية أو غيرها من المصطلحات الخبيثة.

أو هؤلاء الذين يدسون في الإسلام ما ليس فيه، أو يهيلون التراب على قيمه الثابتة للتشكيك فيها، ما بين مشكّك في إعجازه، أو ناف لـلمعلوم من الإسلام بالضرورة، محلل للربا أو للخمر. أو هذا الذي يلقي الشبهات على الصحابة، أو الآخر الذي ينفي الشريعة ويريد أن يفصل الدين عن الدولة، أو التي ترى تحرر المرأة في خروجها عن تعاليم الإسلام وليس محاربة الاستعمار مثلاً، بل الحصول على التمويل منه لحركة تحرير المرأة، وهكذا.

على أن آخر مراحل العلمانية، وبعد هذا الكم الهائل من الشبهات حول الإسلام واللغة والتاريخ والشريعة، وجدنا من يريد أن يُعَلمن الجانب العقدي في الإسلام ويُخضع الغيب للواقع، أي ضرب العقيدة في مقتل، مثل حسن حنفي ومحمد أركون ومحمود إسماعيل في كتابه «سوسيولوجيا الفكر الإسلامي».

اللسانُ العربيُّ ومحنتهُ المعاصرة

د. السيد رزق الطويل

دُعيتُ لإلقاء محاضرة في نادي الطلبة الأتراك في مدينة نصر، وكم سررت من هؤلاء الأبناء البررة بإسلامهم عندما تخيَّروا موضوع المحاضرة: اللغة العربية حاضرها ومستقبلها، إذ لمست في هذا الاختيار حبًا جارفًا للغة العرب، لا من أجل العرب فحسب، ولكن لأنها لغة الإسلام ووعاء القرآن، وضاعف من سروري أنهم أهدوني كتابًا عنوانه: عودة الصحة إلى الرجل المريض، وهو يبشر بمستقبل كريم للإسلام في تركيا يصل حاضرها بماضٍ إسلاميٍّ عريق.

وشهد الندوة التي حضرتها عدد من أبناء البعوث الإسلامية من غير الأتراك، وقد فجَّروا قضية مهمة هي في تقديري مأساة بكل المقاييس. ذكروا لي، والمتحدث طالب نيجيري، أنهم يحبون اللغة الفصيحة، ويحرصون على فهم أسرار اللسان العربي، لكن الأساتذة في معهد البعوث يحدثونهم في الدروس المختلفة، ومنها دروس النحو والصرف، بالعامية المصرية، والعامية المصرية لن تصلهم بالقرآن الكريم ولا بكتب التراث، وإنما اللغة الفصيحة هي الرباط الوثيق بين العرب والمسلمين في أنحاء الأرض.

وهنا تطوف بذهني الصورة الشوهاء الأليمة التي ألمت بحياتنا منذ قرن من الزمان، أعني أواخر القرن التاسع عشر عندما ارتفعت أصوات باغية تبثها ألسنة ضالة آثمة تدعو إلى العامية المصرية لأنها الوسيلة الوحيدة لرقيِّ أمتنا، وعروجها في مراقي الحضارة؛ بدأها «وليم ويلكوكس» مهندس الري الإنجليزي الذي أصدر مجلة سماها «الأزهر»، وسخَّرها لدعوته الضالة، بل أعلن عن مسابقة جائزتها أربعة جنيهات إنجليزية لمن يترجم سورة من القرآن الكريم بالعامية المصرية، ثم جعل من نفسه قدوة بأن ترجم جزءًا من الإنجيل إلى العامية.

وسار على طريقه القاضي سلدن ولمور وآخر ألماني يعمل بدار الكتب، وحذت حذوهم مجلة المقتطف عندما كانت تصدر في بيروت، وأسهمت معهم، بشيء من الاعتدال، مجلة الهلال؛ الأمر الذي استفز شاعر النيل حافظ إبراهيم فقال تائيته المشهورة على لسان اللغة العربية تنعي حظها بين أهلها، وبخاصة عندما قام جماعة من المستغربين وأذناب الاستعمار بتبني هذه الدعوة خلفًا للمضللين الأوائل. وفي كلمات حافظ إبراهيم حسرة وألم، يقول كاشفًا عن مزايا اللسان العربي:

أنا البحرُ في أحشائه الدُّرُّ كامنٌ
فهل ساءلوا الغوّاص عن صَدَفاتي

وسِعْتُ كتابَ الله لفظًا وغايةً
وما ضقتُ عن آيٍ به وعِظَات
فكيف أضيقُ اليومَ عن وصفِ آلةٍ
وتنسيقِ أسماءٍ لمخترعَاتِ

ثم يعاتب أبناء اللسان فيقول:

أيهجرني قومي عفا الله عنهم
إلى لغةٍ لم تتصل برُوَاةِ
سَرَتْ لوثَةُ الإفرنجِ فيها كما سرى
لعابُ الأفاعي في مَسِيل فُراتِ
فجاءت كثوبٍ ضمّ سبعين رُقعةً
مشكَّلَةَ الألوانِ مختلفات

تذكرت هذا كله، وتأملت واقعنا وقلت: ما أشبه الليلة بالبارحة: أتُرانا نعيش هجمة «ويلكوكسية» معاصرة؟ العامية تتسلل خفية وعلنًا في كل محافلنا، حتى ونحن نناقش رسائل الماجستير والدكتوراه في اللغة والأدب، فضلاً عن فروع العلم الأخرى.

وانتشر اللحن على ألسنة المثقفين، وفي أجهزة الإعلام المختلفة، وكأنه أصبح سمة حضارية لا ينبغي أن يخلو منها حديث مثقف أو إعلامي أو مسؤول.

وفي المجالس والمنتديات الكبرى سواء أكانت سياسية أم غير سياسية ترى للعامية سلطانًا مفروضًا لا ينازعها فيه أحد، مع أننا في النصف الماضي من القرن الحالي كنا نسمع من أعضاء المجالس النيابية الخطب البليغة، والعبارات الفصيحة التي كان يحفظها الناس عنهم لجمالها وحسن تأثيرها؛ وكذلك مرافعات النيابة في القضايا الكبرى كنا نسمع مقطوعات أدبية رائعة.

ليت شعري أهو جَدْبٌ لغوي حل بنا كالجدب الاقتصادي والسياسي والأخلاقي؟ قد نعذر مجلس الشعب لأنه أصبح مجلس عامة، أكثرهم مصاب بالفقر اللغوي، ونصفه من العمال والفلاحين الذين لا علم لهم بالفصيحة، فماذا أصاب رجال القانون، وكانوا من قبل في طليعة الأدباء؟ إن الاستعمار، ومن بعده أذنابه أمعنوا في حرب الفصحى بكل الوسائل، حتى إننا لازلنا حتى الآن نرى بقايا هذه الحرب عندما تقدم لنا وسائل الإعلام أستاذ اللغة العربية زريّ الهيئة رثّ الثياب، لينتزعوا ضحكات المشاهدين، وليُنَفِّروا الشباب من الانحياز لكتيبة اللسان العربي الذي امتدحه رب العالمين حين قال في شأن كتابه الحق: *وكذلك أنزلناهُ حُكمًا عربيًا ولئن اتّبعْتَ أهواءَهُم بعد ما جاءك من العلم ما لَكَ مِنَ اللَّه من وَليٍّ ولا واق.* **الرعد**:٣٧، وقد تحدثت آيات في مواضع أخرى عن القرآن وأنه نزل بلسانٍ عربيٍّ مبين، لكنّ آية سورة الرعد تلك ذكرت أنه حكم عربي، وهذا يعني أن أسلوب القرآن فيه حكمة اللسان العربي وفصاحته، ودقته في التعبير، وما للكلمة العربية من إيحاءات مهمة تتجاوز الدلالة المباشرة.

إن دعاة العامية من أعداء وأذناب قديمًا، والمضيِّعين للفصحى حديثًا، يرون الأمر مجرد إصلاح لغوي للتيسير، ولتخفيف العبء عن المتحدثين، حتى ننطلق إلى آفاق التقدم. وَوَقَعَ في هذا الوهم بعض قادة الفكر، لكن فاتتنا حقيقة لا بد أن نتعرفها هي أن اللسان العربي والإسلام يعملان في خندق واحد، وأن اللسان العربي خط الدفاع الأول عن الإسلام، وإذا نجح القوم في قطع لسان الأمة تفرقت وتمزقت، وأصبح اللسان الواحد الفصيح ألسنة متعددة شائهة لا وزن لها ولا قيمة، وحيل بينها وبين الكتاب العزيز والتراث العريق، فيهدمون تراث الأمة تحت دعوى الإصلاح اللغويّ كما نرى في تركيا الآن: مكتبات حافلة بأمهات التراث العربي والإسلامي على هيئة متاحف لا تصل إليها إلا بشق الأنفس، بينما الشارع الرسمي يحارب اللسان العربي والإسلام، لكن الأمل قويّ في الجيل الجديد الذي أراه معلنًا عودة العافية للرجل المريض، وأن المستقبل في تركيا للإسلام ولسانه.

وأعود إلى شكوى طلاب البعوث التي آلمتني كثيرًا لأنبه المسؤولين عن المعاهد في الأزهر الشريف وفي الجامعة كذلك أن يهيبوا بالمدرسين في المعاهد، والأساتذة في الجامعة أن يحرصوا على النطق باللغة الفصيحة السهلة البعيدة من التعقيد والتكلف، التي يفهمها الطلاب من كل الأنحاء، وأؤسس دعوتي تلك على أمرين:

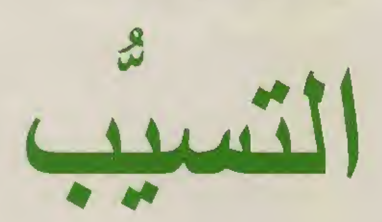
أولهما: أن الحفاظ على اللسان العربي منذ زمن قديم كان مسؤولية أزهرية، إذ الأزهر هو الذي حفظ اللغة عندما أظلمت دنيا العرب والمسلمين، وآذنت شمس حضارتهم بالمغيب، فكان الأزهر الشريف حريصًا على اللغة وعلى التراث، وبمنأى عن المتغيرات الضالة، والأعاصير العاتية، لا يأبه للحرب ولا يبالي بما يُوَجَّه لبنيه من هوان، يملك اعتزازًا قويًا يهابه الكبار مستندًا إلى قاعدة صلبة من جماهير العرب والمسلمين.

والآخر: أن الأزهر جامعة المسلمين في رحابه الآلاف من شتى الأقطار، ومن حق هؤلاء أن يفهموا، ولن يفهموا إلا بالفصحى الميسورة.

والمؤسسات العلمية واللغوية والإعلامية في مصر تتحمل المسؤولية نفسها في الحفاظ على اللغة ومطاردة العامية في ساحة العلم والإعلام، ذلك لأن الفصيحة هي عزتنا وهي كرامتنا وهي حضارتنا وهي تراثنا وهي ديننا، وهي قوام الريادة التي تحظى بها مصر في العالم العربي والإسلامي؛ وكل محاولة لدعم العامية وإشاعتها، وإنشاء الشعر بها، عدوان على حضارة عظيمة وتاريخ مجيد. والشعر العمودي في تقديري هو معيار اللغة الفصيحة ودليل رسوخها، وإذا كان لا بد من أدب شعبي فليكن ذلك على أن يظل بخاصته ومسماه، أي في رحاب الشعب إنشاء وإنشادًا بعيدًا من الفصحى في مجالاتها الخصبة والرحبة.

وعندما تتم الغلبة للفصحى الميسورة أستطيع أن أقول: إن أمتنا قد وضعت أقدامها على بداية الطريق لعِزَّةٍ غالبة ومستقبل كريم إن شاء الله.

صورة من الحياة



سعد البواردي

التسيب يفضي إلى التسيب، والمال السائب يؤدي إلى السرقة. هكذا يقول المثل. وإذا كانت الثقة مطلوبة، فإن الاحتراز من الثقة العمياء أكثر مطلبًا لأنه يفتح أبوابًا كثيرة من الضرر والشر.

والنيَّة الحسنة دائمًا لا تصح أن تكون تأشيرة مرور مفتوحة على كل الاتجاهات؛ فطالما انتهت إلى متاهات غير منتظرة، وغيرمسوّغة.

وأصدق أنواع التعامل ما كان محسوبًا بدقة، ومحسومًا لصالح الطرفين من خلال حركة محددة الأبعاد لا سبيل للفوضى إليها.

والتسيب، وهنا بيت القصيد، إحدى الظواهر التي يجأر بالشكوى منها الكثيرون ممن لا يقيمون وزنًا لاتجاهات الآخرين ونزعاتهم. إنهم يقعون ضحية سهلة لتداخلات حَكَمَتْها ثقة مفرطة ترقى إلى درجة التغفيل.

بل إن هذا التسيب المغرق في حسن نيته يتحول إلى نقيضه في حق صاحبه، وبالذات من المستفيدين الذين يرونه ضربًا من ضروب السفه المقنّع؛ فتزداد حُمّى تكالبهم على امتصاص أكبر قدر من الغنيمة السائبة دون راعٍ.

«دقّق الحسابْ.. وطوّل العشْرة»..

مثل تبادله الأقدمون، وتناولناه من بعدهم، يُجَسِّد صيغة التعامل في حذر كي يُبقي على رباط العلاقة دون أن ينفصم.

ولأن التسيب وما يواكبه من فوضى هو خارج دائرة التدقيق؛ فإن إفرازاته على إطار الصفات والعلاقات تظل سوداوية الأثر والتأثير في شتى المستويات. وحتى لا نفتح بابًا لغول الامتصاص، وحتى لا نشيع لدى المتربصين فرصة الاستغلال السيّئ لحسن نوايانا فيهم وفي تصرفاتهم معنا، فإن مطلب الحيطة والحذر والدقة في الحساب ـ والدقة أكثر في الثواب والعقاب ـ هي المخرج السليم من بؤرة التداعيات المحتملة.



قالت ليلى العفيفة تستنجد بابن عمها البرّاق لينقذها من محنتها:

ليتَ للبرّاق(١) عينًا فترى ... ما أقاسي من بلاء وعَنَا(٢)

يا كُليبًا يا عُقَيلاً إخوتي ... يا جُنَيدًا(٣) ساعدوني بالبُكا

عُذِّبَتْ أُختُكُم يا ويلَكُم ... بعذاب النُّكرِ صُبحًا ومَسا

يَكذِبُ الأعجمُ ما يقربُني ... ومعي بَعضُ حُساسات(٤) الحيا

قيّدوني غلّلوني وافعلوا ... كلَّ ما شئتُم جميعًا من بلا(٥)

فأنا كارهةٌ بُغيتَكُم ... ومَريرُ الموت عندي قد حلا

أتدلّونَ علينا فارسًا ... يا بَني أنمارَ(٦) يا أهل الخَنا

يا إيادُ خَسِرَتْ صفقتُكُم ... ورمى المنظرَ من بَردِ العمى

يا بَني الأعماص(٧) إمّا تقطعوا ... لبَني عدنان أسبابَ الرجا

فاصطبارًا وعزاءً حَسَنًا ... كلُّ نصرٍ بعد ضُرٍّ يُرتجى

قُلْ لعدنان فُديتُم شمّروا ... لبَني الأعجام تشميرَ الوحي(٨)

واعقدوا الرايات في أقطارها ... واشهَروا البيضَ وسيروا في الضحى

يا بَني تغلبَ سيروا وانصروا ... وذَروا الغفلةَ عنكم والكرى

واحذروا العارَ على أعقابكم ... وعليكم ما بَقيتُم في الورى

يفتخر العصر الحاضر بأنه عصر الحريات، حريات الأمم والدول والمجتمعات، وحريات الأفراد؛ فقد شهد النصف الثاني من القرن العشرين إطلاق حريات أمم كثيرة، فتحررت من الاستعمار دول يكاد سكانها يغطون نصف الكرة الأرضية، وشهدت المجتمعات البشرية تحررًا لم يسبق له مثيل. وحتى في إطار المجتمع الواحد نادت مجموعة من المؤسسات والمنظمات بحرية الفرد، فقطعت الحرية الفردية شوطًا كبيرًا في العقود الأخيرة من هذا القرن. وقد رسّخت التطورات التي شهدتها الحياة في المجتمعات البدوية والريفية في أثناء انتقالها إلى حياة المدنية تحولات كبيرة في إعطاء الفرد حرية لم يكن يحلم بها من قبل. وهذه الحريات التي مارسها الأفراد تتميز بأن لها جوانب إيجابية كثيرة في مقابل الجوانب السلبية الكثيرة، ولقد كان من بعض مظاهر الحرية الفردية تلك الثورة على العادات والتقاليد الموروثة، وقد تكون مثل هذه الثورة مصيبة في بعض توجهاتها في رفض بعض صور الماضي التي لم تعد تتماشى مع متطلبات العصر الحاضر ومفهوماته، إلا أنها لم يحالفها الصواب في رفض كل موروث بحجة أنه من مخلّفات الماضي. صحيح أن بعض مخلفات الماضي تجاوزها - ويجب أن يتجاوزها - الزمن، ولكن بعضها يجب أن يُراعى فيه فارق المجتمع الشرقي عن المجتمع الغربي من النواحي الثقافية والدينية والتاريخية.

فهناك ظاهرة مثل ظاهرة العفاف التي لا تقيم لها كثير من المجتمعات الغربية وزنًا، فمثلاً إذا بلغت الفتاة عمرًا معينًا فالمألوف في تلكم المجتمعات أنها تطلق حرية الفتاة الشخصية من دون قيود أو حدود، على حين يتحفظ الشرقيون - بفعلٍ من مجموعة التقاليد الاجتماعية والدينية - على منح مثل هذه الحرية للفتاة إلا عندما تتوافر فيها مجموعة من المؤهلات العقلية والثقافية والاجتماعية أيضًا.

والمجتمع العربي ورث ظاهرة العفاف من جملة ظواهر كثيرة انحدرت إليه من العصور القديمة، في العصر الجاهلي وما قبل العصر الجاهلي. ولكنّ مجيء الإسلام نفى كثيرًا من مظاهر الجاهلية واستبقى بعضها، وهذا الذي استبقاه صقله وهَذّبه وطوّعه لمفهومات العقيدة الجديدة، أو طوّعه، بالأحرى، لما يتمشى مع الفطرة البشرية، فاستبقى، من جملة ما استبقى، ظاهرة العفاف، وعزّزها بمجموعة من الوصايا الخُلقية: عفّوا تعفّ نساؤكم، من أحب فَعَفَّ فمات مات شهيدًا(٩). وكانوا يسمون بناتهم بأسماء مشتقة من العفاف: عفاف وعِفة وعفيفة.. إلخ، للتركيز على هذا المفهوم.

ولم تنفرد الأمة العربية من غيرها من الأمم القديمة العريقة بالحفاظ على ظاهرة العفاف والتغنّي بها، فقد أُثر عن اليونان، في عصر زهو حضارتهم، أنهم مجّدوا العفة لدرجة أن أفلاطون جعلها أحد الأقانيم الأربعة التي يُمدح بها الإنسان وهي: العقل والعدل والعفة والشجاعة، وهي القيم التي لاقت قبولاً في نفس قدامة بن جعفر، في حقبة زهو الحضارة العربية الإسلامية، فجعلها العناصر الأساسية لتقويم فن المدح في الشعر العربي. غير أن العرب قدّسوا العفاف تقديسًا وصل

إلى حد الغلو، وبخاصة في أوساط نسائهم وحرائرهم، تقديسًا جعل المرأة العربية الحرّة تؤثر الموت على أن تفرِّط في عفافها؛ لأن العفاف ـ عدا عن أنه الوسيلة الفطرية في الأنثى للحفاظ على نقاء النسل، وطهارة الإزار ـ هو، عند الفتاة الحرة، رمز كرامتها، وعنوان إبائها، وهذا مُشاهَد في القصص الكثيرة التي وصلت إلينا عن بعض العربيات كهند بنت النعمان (الحُرَقَة) وليلى العفيفة بنت لُكيز.

وحسبنا أن نتناول اليوم قصة ليلى العفيفة صاحبة القصيدة الآنفة الذِّكر، ففي قصة قصيدتها ما يبرهن على صحة ما توجهنا إليه من أخلاق المرأة العربية. فمن ليلى العفيفة هذه؟

إنها ليلى بنت لُكَيْز بن مرة بن أسد (نحو ١٤٤ق.هـ)، فتاة عربية جاهلية تصفها كتب الأخبار بأنها من جميلات عصرها، أو من جميلات العرب في كل العصور. وكانت على جمالها ورقة أنوثتها تتمتع بشخصية يزينها العقل والكمال والعفاف والكبرياء والنبل والوقار، وتجمع، فضلاً عن هذه الصفات الخلقية، شاعرية متينة، تجيد التعبير عن المشاعر وخلجات النفس ووثبات العاطفة وومضات الأفكار، بأسلوب، وإن لم يوصف بالمتين، فهو بأساليب الشعر النسوي الرقيق أشبه. يصدق عليها المثل العربي القائل: «والمورد العذب كثير الزحام»، فلهذا كثُر خُطَّابها من الملوك وسراة القوم، ولكنها رفضت. وخطبها ابن عمها البَرَّاق بن روحان بن أسد (نحو ١٥٠ق.هـ)- الفارس الذي كانت تحلم به ـ ولكنّ أباها رفض لأمر في نفس يعقوب، فما كان من البراق إلاّ أن ارتحل هو وأبوه وإخوته ونزلوا على بني حنيفة في البحرين. ولما سمع ابن أحد ملوك العجم بجمالها وكمالها خطبها، فأنفت من ذلك أشد الأنفة، فجهز جيشًا وحارب قومها وانتصر عليهم، وتمكن من الوصول إليها بمساعدة عمرو بن صهبان، ابن أحد ملوك اليمن، وأحد خطَّابها السابقين الذين رفضتهم، فوجد الفرصة مواتية للانتقام منها فدل عليها ابن ملك العجم فسباها وجعلها أسيرة في قصوره، وبذل لها كل المغريات لتقبل بالزواج منه فلم تستجب، وطلبتْ إليه أن يقتلها أو يعيدها إلى قومها، فأبى، ثم أمر أن تُوضع في مسكن ويجري عليها رزقها، فمكثت سجينة محجبة لم تُمط اللثام عن وجهها الجميل لكيلا يراها العلج الأعجمي، فاكتفى برؤية قوامها الممشوق بين الحين والحين. وعاشت أيامها العصيبة في قصر ابن ملك فارس بين الترغيب والترهيب، إلا أنها على كل ما لحق بها من إذلال وقهر لم تقبل بتقديم أي تنازل صغيرًا كان أم كبيرًا، وحافظت على شرفها وعفافها وكبريائها، وعندما اشتد عليها الكرب وعظم البلاء قالت قصيدتها السابقة التي منها:

ليت للبرّاق عينًا فترى

ما أقاسي من بلاء وعَنا ... إلخ

تستفزّ قومها العرب، وتستغيث بابن عمها البرّاق. ويجدي الاستفزاز وتُثمر الاستغاثة فينهض البراق على رأس جيش عربي يحقق النصر على الفرس، ويخلّص ليلى التي تختم كتب الأخبار قصتها بزواجها من ابن عمها وفارس أحلامها.

أحسب أنني بيّنت ـ فيما قدمت من تحليل ـ بعض الجوانب الخُلقية والنفسية من شخصية ليلى العفيفة. غير أن تتمة شخصيتها تنطوي على خصائص أخرى، لعل أهم ما يعنينا منها ـ وأنا أتحدث عن قصة قصيدتها ـ هو شاعريتها، والباحث في شخصيتها الشاعرة تخونه المادة الشعرية لنزرتها؛ لأن المصادر التي ترجمت لليلى ضنّت بالنصوص الشعرية التي تسعف على تكوين فكرة كاملة عن فنها الشعري؛ فليس بين أيدينا من شعرها إلا الأبيات، منها هذه الأبيات التحريضية التي وجهتها للبراق، وهي أبيات أمْلتها عاطفة القهر التي تعانيها أنثى تستنجد بحاميها، فالعاطفة عاطفة استنجاد بمنقذ لا عاطفة غزل بحبيب، والمرأة، على رقة مشاعرها، وشفافية عاطفتها، لا تتقن فن الغزل إتقان الرجل له، وليس ذلك لفتور في دوافعها، ولا لضعف في أدوات فنها، وإنما لأمر في طبيعة المرأة نفسها التي تؤثر أن تكون المتغزَّل بها لا المتغزِّلة، ولذلك تعمد إلى ترجمة مشاعرها الغزلة على استحياء وعلى مقدار من البوح الذي ينم على العاطفة الحبيسة المُسَوَّرة بمجموعة من القيود النفسية والاجتماعية، ولهذا لا نستطيع أن نقول إن غزل المرأة، أيًّا كانت المرأة، موازيًا ومساويًا لشحنة عاطفة الحب الكامنة فيها. وإذا فات المرأة أن توازي وتطابق بين جنانها ولسانها في فن الغزل فإنها تبدو أكثر قدرة على هذا التطابق والتساوي في فن الرثاء، وكأن عاطفة الحزن أكثر تجسيدًا للصورة وإحكامًا للكلمة من أية عاطفة أخرى، وهذا ما وجدنا مصداقه في قصيدة ليلى عندما رثتْ ابن عمها الآخر: غرسان بن روحان الذي سقط في بعض المعارك ربما التي كانت للشاعرة صلة بها، من هذه القصيدة الرثائية قولها:

قد كان بي ما كفى من حزن غرثان

والآن قد زاد في همي وأحزاني

تربَّع الشوق في قلبي، وذبتُ كما

ذاب الرصاصُ إذا أُصْلِي بنيران

فلو تراني وأشواقي تقلّبني

عجبتَ ـ برّاقُ ـ من صبري وكتماني

يا عين فابكي وجودي بالدموع ولا

تملّ يا قلب أن تُبلى بأشجانِ

ونكتفي، في هذه الحلقة، بتبيان هذين الجانبين من ليلى، وعسى أن نستكمل جوانبها ما أسعفتنا به المصادر (١٠).

الهوامش:

١ـ البَرّاق: هو البرّاق بن روحان ابن عم ليلى.
٢ـ عنا: هي العناء أي المشقة حُذفت همزتها.
٣ـ الأسماء المذكورة هم إخوة الشاعرة.
٤ـ حساسات أو حشاشات: المشاعر أو بقية الروح.
٥ـ ورد البيت وبعض ألفاظ الأبيات الأخرى في بعض المصادر بصيغ مغايرة لهذه الصيغة.
٦ـ تندد بهذا البيت ببني أنمار الذين زيّنوا للملك الفارسي خطفها وساعدوه على ذلك. ومثلهم بنو إياد في البيت اللاحق، وعلى رأسهم (بَرْد الإيادي).
٧ـ الأعماص: اسم قوم تطلب منهم مناصرة بني عدنان.
٨ـ الوَحَى: السرعة والاستعجال.
٩ـ يزعم قوم أنه حديث شريف، وما وجدته في الكتب الصحيحة.
١٠ـ ترجمت لليلى بعض المصادر والمراجع كموسوعة الشعر العربي ٤ / ٥٠٩، ومعجم النساء الشاعرات ٢٣٥، وشاعرات العرب في الجاهلية ٧١، وشاعرات العرب لعبد البديع صقر، وشعراء النصرانية ١٤٨، وشواعر الجاهلية، وحماسة أبي تمام. وبعضها تصرف في الخبر وألفاظ الشعر كأعلام النساء ٤/ ٣٣٦، والحدائق الغناء في أخبار النساء ٣٤، وغيرها.

الجديد في علاج السرطان

إعداد: جميلة حسن عبد العزيز

السرطان cancer كلمة أصبحت متداولة كثيراً في العقدين الأخيرين. ولا يخفى على الجميع ما يصاحبها من ردود فعل متباينة تتراوح بين النفور والتساؤل والألم والأمل. فالسرطان أحد أكثر الأمراض شيوعًا وانتشاراً في العالم، حيث يتميز بتعدد أنواعه التي يتجاوز عددها ١٦٠ نوعًا، كما يتميز بتنوع مناطق إصابته في الجسم. وما يزال العلماء في جميع أنحاء العالم يبذلون جهودا مضنية للتوصل إلى علاج يمنح الشفاء التام من هذا المرض العضال(*).

وينشأ الورم السرطاني عادة بسبب بعض العوامل الداخلية أو الخارجية المؤثرة في الخلايا في نسيج معين.

العوامل الداخلية المسببة للسرطان

فمن العوامل الداخلية: الوراثة. وهو عامل لا يمكن التحكم به. وتكمن أسرار السرطان في التحولات التي تجري بدقة وضبط ونظام في المورثات البشرية human Genes ولأسباب غير معروفة يحدث خلل في التعليمات الوراثية التي تحملها تركيبة الـ DNA في الخلية البشرية فتتغير وتنقلب من عناصر فاعلة للمد بالحياة إلى عناصر مهلكة مميتة. وتؤكد الاكتشافات الحديثة أنه في معظم حالات السرطان تحدث طفرة وراثية Genet-ic Mulation، فتتحول المورثات الطبيعية Normal genes إلى مورثات مسرطنة Oncogenes في جسم الإنسان، أما الجينات التي تمتلك قوة الفعل والتأثير والتحويل فتُسَمَّى بالمورثات المسرطنة البدئية proto -Oncogenes. يقول العالم بول ماركس رئيس مركز ميموريال سلوان ـ كيترينغ في نيويورك: «إننا جميعا نمتلك في أجسامنا مورثات مسرطنة بدئية، ونحن جميعا معرضون ومكشوفون للعوامل التي تستطيع التأثير فينا، وتسبب لنا الطفرات التي تسبب السرطانات». وعليه فالسبب المباشر لحدوث السرطان هو السبب غير الظاهر، أي الطفرة الوراثية. ولا يستطيع المورث المسرطن أن يسبب السرطان بمفرده. ولم يستطع العلم حتى الآن معرفة السبب في حدوث هذه الطفرات الوراثية التي تُحوِّل المورثات الطبيعية إلى مورثات مسرطنة.

ومن العوامل الداخلية الأخرى، التي تتفاوت أهميتها حسب نوع السرطان: العمر والجنس وتاريخ المريض العائلي والشخصي. فمثلا تزيد نسبة الإصابة بسرطان الثدي لدى النساء اللاتي تتراوح أعمارهن بين ٤٠-٥٠ عاما، واللائى أصيبت أمهاتهن أو أخواتهن بهذا المرض، كما يزداد حدوثه عند وجود سرطان الرحم أو وجود الداء الليفي الكيسي.

العوامل الخارجية

العوامل الخارجية كثيرة ومتعددة؛ قد تؤثر واحدة منها فقط على الإنسان، وقد تتضافر عدة عوامل منها، كالغذاء والتدخين والكحول وأشعة الشمس والكيميائيات وغيرها.

فمثلا يؤثر نوع الغذاء الذي يتناوله الإنسان في نسبة الإصابة بالسرطان. فالدهون تشكل المادة الرئيسة للإصابة بالسرطان. وقد وجد أن أعلى معدلات الإصابة بسرطان القولون تحدث في البلاد التي تستهلك نسبة عالية من لحم البقر الغني بالدهن الحيواني. وتم تأكيد العلاقة بين الدهون وسرطان القولون من طريق اختبارات وفحوص أجريت لفئات من الناس الذين تتغير عادات الأكل لديهم من خلال هجرتهم إلى بلدان أخرى. هذا بالإضافة إلى أن الدراسات أثبتت العلاقة الطردية بين كمية الدهون المتناولة وسرطان الثدي. وإلى جانب الدهون نجد أن الأغذية المملحة والمدخنة والمخللات تسبب الإصابة بسرطان المعدة إذا ما تم تناولها باستمرار وبكميات كبيرة.

علاقة التدخين والكحول بالسرطان

يُعَدُّ التدخين أحد أكثر العوامل المؤدية إلى الإصابة بالسرطان لما يحتويه من مواد ضارة كالنيكوتين والقطران. فأمراض سرطان اللسان والحنجرة والمريء والبنكرياس والمثانة بين المدخنين هي ضعف ما لدى غيرهم. أما مخاطر الإصابة بسرطان الرئة لدى المدخنين فتصل إلى عشرة أضعافها لدى غير المدخنين. وتوضح الإحصاءات أن التدخين يسبب بصورة مباشرة موت ٩٠٪ من المصابين بسرطان الرئة. ولا يقتصر الأمر هنا على التدخين بوجه عام، وإنما هناك عادات رديئة لدى المدخنين تزيد من فرص الإصابة بالسرطان نذكر منها على سبيل المثال: استنشاق الدخان بعمق، والاحتفاظ بالسيجارة مدة طويلة بالفم، وإعادة إشعال السيجار بعد تدخينه جزئيا، وعدد السجائر

ونوعها. ولا تُستثنى المرأةُ المدخنة من هذه المخاطر، بل إن الدراسات الجارية تدل على أن التدخين يصيب عنق الرحم بالسرطان أيضا.

ويُعَدّ الكحول أحد أهم مسببات السرطان ولا يفوقه في ذلك إلا التبغ. وقد ثبت من طريق الدراسات المعملية أن الكحول، في حد ذاته، مادة مسرطنة Carcinagenic تستطيع أن تسبب السرطان. كما أنه مادة حافزة للسرطان promotor of tumor ,growth حيث تؤيد الدراسات المتعلقة بانتشار الأمراض دوره في تحفيز سرطانات الجهاز الهضمي ابتداء بالفم ومرورا بالبلعوم والمريء والمعدة والبنكرياس والمستقيم وانتهاء بالكبد بشكل خاص. وقد أثبتت الدراسات العديدة الارتباط بين إدمان الكحول وسرطان الرأس والعنق والحنجرة. ويبدو من الدراسات المتعددة أنه لا فرق بين الكحول الموجود في الجعة (البيرة) والكحول الموجود في أنواع الخمور المختلفة.

ويرتبط الكحول والتدخين بعضهما ببعض عادة، إذ بيّن عدد من الدراسات أن أغلب مدمني الخمور هم أيضا مدمنو تدخين شرهون. كما دلت هذه الدراسات على أن المواد المسرطنة الموجودة في التبغ تزداد شراسة وعتواً بوجود الكحول الذي يعمل مادة حافزة Prompter ومادة مساعدة co - carcinogenic. وكمثال على ذلك فإن سرطان الحنجرة يزداد بنسبة ٥٠٪ لدى اجتماع المادتين بالموازنة مع خطورته إذا قيس كل منهما على حدة.

دور العوامل الصناعية والكيميائية في الإصابة بالسرطان

هناك أيضا العوامل الصناعية والكيميائية التي تزيد من مخاطر الإصابة بالسرطان عند التعرض لها. وتشمل هذه - على سبيل المثال - بعض المعادن كالحرير الصخري Asbestus والكروم والنيكل، كما تشمل المواد الزيتية المعدنية والأسفلت ومركبات الزرنيخ.

وجدير بالذكر أن البلاستيك - وهو أحد أهم المنتجات الصناعية استهلاكا - يحتوي على مادة كلور الفينيل، وهي مادة مسرطنة تكون قادرة على التحلل في المواد الدهنية والزيتية وفي السوائل الحالة. ويتحول القسم الأكبر من هذه المواد المتحللة إلى خلايا الجسم الإنساني الدهنية وبخاصة الكبد والمخ، وعند تراكمه بنسبة أجزاء من المليون يتحول إلى جينات سرطانية. أما بالنسبة



التدخل الجراحي وسيلة للسيطرة على الأورام السرطانية الموضعية



دخان المصانع وعوادم السيارات يتسببان في وجود مواد كيميائية مسرطنة في البيئة

للبلاستيك غير الشفاف (المعتم) الأبيض منه والملون فهو يُصنع من مادة الستيريك التي لها مفعول مادة كلور الفينيل نفسه.

ونتيجة لأبحاث قامت بها الدوائر الصحية في كندا وتبنتها الهيئة الصحية العالمية W.H.O. تأكد أن المذيبات العضوية والمركبات العطرية ذات الطبيعة الكلورية، وأهمها الكلورفورم - وهي المواد المستخدمة في صناعة التجميل كطلاء الشفاه مثلا - تُعدّ مواد مسرطنة.

صحيح أن المنتجات العقاقيرية قد ساعدت في علاج الأمراض البشرية إلى حد كبير وفي منع حدوث الأمراض، إلا أنه قد كشف النقاب أخيرا عن القدرة المسرطنة لبعض هذه العقاقير مع أنها كانت تستخدم بطريقة عادية تحت إشراف طبي.

أعلى معدلات الإصابة بسرطان القولون تحدث في البلاد التي تستهلك نسبة عالية من لحم البقر الغني بالدهن الحيواني!

من هذه العقاقير النوفالجين Novalgin المستخدم ضد التشنج المعوي والعضلي، والانتروفيوفورم Introfio-form المستخدم مضاداً للإسهالات غير الزحارية، والتتراسكيلين Tetracycline وهو مضاد حيوي فعال ضد العوامل المسببة للالتهابات.

ولايخفى على أحد أن المنظفات المنزلية المذابة وسوائل التنظيف ومخففات الدهان (الطلاء) تحتوي على مواد كيميائية خطرة، وبخاصة إذا مااستنشقت بتركيز عال خصوصا في الأماكن رديئة التهوية. هذا بالإضافة إلى أن استنشاق المواد الكيميائية الخاصة بمكافحة الحشرات وابتلاعها، والتعامل مع الأسمدة الكيميائية (المخصبات) في الحدائق والمروج يضاعف من خطر الإصابة بالسرطان.

خطورة أشعة الشمس والإشعاعات

التعرض المستمر أو المتكرر لأشعة الشمس يضاعفان من مخاطر الإصابة بالسرطان، وبخاصة إذا كانت البشرة شقراء أو أنها تصاب بالنمش والبقع بسهولة.

وتعد أشعة الشمس فوق البنفسجية السبب الرئيس للإصابة بسرطان الجلد. وتشتد قوة هذه الأشعة من الساعة الحادية عشرة حتى الساعة الثانية ظهراً في فصل الصيف.

ويتحول لون الجلد لدى تعرضه لهذه الأشعة إلى البرونزي أو الأسمر في محاولة من الجسم لمقاومة تأثير الإشعاع في الأنسجة. وتقوم غدد في الجلد بإفراز اللون متمثلاً في حبيبات صبغة الميلانين البنية التي تعمل كسطح عاكس للأشعة المدمرة. ومع مرور الوقت واستمرار التعرض لأشعة الشمس، بما تحمله من الأشعة فوق البنفسجية، فإن التراكم المستمر لصبغة الميلانين يؤدي إلى تقرُّن الجلد وإحداث تغيرات في مرونة نسيجه، وهي الحالة التي تسبق الإصابة بمرض سرطان الجلد Mul-tiple Sguamous Cell Carcinoma أو Malignant Melanoma.

ومن الحقائق التي أثبتها العلماء أن الإشعاع يسبب السرطان، ولم يعلم أوائل العلماء والإشعاعيين الذين عملوا في مجال الأشعة السينية خطورة هذه الأشعة ليأخذوا احتياطات كافية لحماية أنفسهم؛ لهذا حصلت عدة وفيات بسرطان الدم وسرطان الجلد والعظام.

الزنا والشذوذ والفيروسات: مسببات للمرض!

ومن العوامل ذات الارتباط الوثيق بالسرطان: الزنا والشذوذ الجنسي. فقد دلت الدراسات والإحصاءات على أن سرطان عنق الرحم لدى النساء اللاتي يأتين الفاحشة يرتبط غالبًا بالعدد الكبير للشركاء أو بالجروح الموجودة في عنق الرحم إثر إلتهاب أو إجهاض أو صدمة من جراء اعتداء جنسي.

أما بالنسبة للشذوذ فقد اكتشف الأطباء أن الشاذين جنسيًا يكونون عرضة للإصابة بأمراض ثبت علميا علاقتها الوطيدة بالسرطان، كالإصابة بالثؤلول التناسلي Genital Warts والتهاب الكبد الفيروسي من نوع ب Hepatitis B. كما يصاب الشاذون أيضًا بالورم الليمفاوي من نوع برْكت Burkitt Lymphoma حيث يظهر في شكل ورم خبيث في الغدد الليمفاوية وبخاصة في منطقة الفك العلوي. ويتسبب هذا الورم عن فيروسات من نوع الهربس في الخلايا المريضة أطلق عليها الجراح دنيس بركت (الذي سمي المرض باسمه) اسم فيروسات إبشتاين - بار Epstein - Bar Virus.

وفي مقابلة أجرتها كاتبة هذه السطور مع الدكتور محمد حسين الباحث في وحدة علاج أمراض الدم والأورام في مستشفى كليفلاند بولاية أوهايو الأمريكية، أكد الدكتور محمد أن فيروسات مثل فيروس إبشتاين - بار وفيروس التهاب الكبد من نوع «ب» تؤدي دوراً مهمًا في الإصابة بالسرطان، وأن هناك دراسات وأبحاثًا تقوم حاليًا على نظرية مفادها أن فيروس الحصبة يحدث طفرات كروموسومية شديدة في الخلية المصابة ويقوم بتحويلها إلى خلية سرطانية.

تأثير الهرمونات والسموم في الأورام السرطانية

يقوم العديد من الهرمونات بأدوار مختلفة في تنشيط أو تثبيط نشاط بعض أنواع الأورام السرطانية. فعلى سبيل المثال يعتمد سرطان غدة البروستاتا عند الرجال كليا على وجود هرمون الأندرجين Andergen. وتؤدي هرمونات الإستروجين Estrogen والبروجسترون Broges-tron والبرولاكتين prolactin دوراً واضحًا في سرطان الثدي والرحم وعنق الرحم.

ويقول الدكتور محمد: إن البحوث أثبتت أن عدداً من الأورام السرطانية ينتج من اضطراب هرموني في البدن قد يكون أحد عوامله دخول هرمونات من خارج البدن من طريق تلوث الغذاء؛ حيث يعمد بعض مربي الحيوانات إلى استخدام الهرمونات - ولاسيما الأستروجين - في تسمين حيواناتهم من أبقار وعجول وأغنام وماشابه ذلك؛ لأن هذه الهرمونات تعطل مهمة غدد خاصة فتجعل الحيوان يزداد سمنة ولكنها سمنة مرضية. لذا فإن منظمة الغذاء الأمريكية تفرض رقابة شديدة وقيوداً صارمة على مربي الماشية. ويوضح الدكتور محمد أن من العوامل المسببة أو المساعدة في حدوث بعض أنواع السرطانات في جسم الإنسان بعض السميات التي تفرزها عدة أنواع من الفطريات المنتشرة على بعض أنواع المكسرات، مثل البندق واللوز والفول السوداني، منها ما يسمى بـ aflatoxins والآخر بـ Mycotoxins، وهي تسبب سرطان الكبد وبعض الأعضاء الأخرى في الجهاز الهضمي والكلى والقصبة الهوائية.

الزنا والشذوذ الجنسي من العوامل ذات الارتباط الدقيق بالسرطان، كما أن فيروس الالتهاب الكبدي «ب» يؤدي دوراً مهماً في الإصابة بالمرض!

الجديد في علاج السرطان

كيف يُعالج السرطان

بذل العلماء - ويبذلون - الكثير من الجهد والوقت لاكتشاف علاج فعال لأنواع السرطان المختلفة، منها ما نجح ومنها ما أخفق ومنها ما هو قيد التجربة. وطرق علاج هذا المرض تختلف باختلاف مراحل اكتشافه وانتشاره لدى المريض، كما تعتمد على عوامل أخرى كالعمر والجنس؛ ومن وسائل العلاج التي تُتخذ منفردة أو مزدوجة أو مجتمعة:

العلاج الجراحي Surgical:

ويُستعمل في السيطرة على الأورام الموضعية كما في سرطان الثدي وسرطان الرئة. وغالبا ما يتوافق العلاج الجراحي مع وسائل أخرى للعلاج كالإشعاع والعقاقير كما في سرطان الرحم والمثانة والفم.

العلاج الإشعاعي Radiotherapy:

يُستعمل العلاج الإشعاعي في السيطرة على الأورام الموضعية. وتكمن استراتيجية العلاج في توجيه حزم الأشعة نحو الورم بصورة دقيقة لتشمل كتلة الورم المعروفة. ومن الحكمة - في حالة استخدام الأشعة السينية - تشعيع أكبر حجم مناسب لتجنب احتمال ترك أجزاء من الورم السرطاني التي قد تغزو الأنسجة المجاورة. كما يُستخدم شعاع من النيوترونات الناتجة من انحلال نواة الذرة على الخلايا السرطانية المتبقية إثر جراحة استئصال ورم سرطاني. وتُعده أشعة الليزر إحدى التطورات الحديثة في هذا المجال. وتتركز فكرة استخدام أشعة الليزر في علاج السرطانات في مراحلها البدائية ولاسيما في حالات سرطان الرحم وعنق الرحم لدى النساء.

ولأشعة الليزر قدرة عالية على احتراق الخلايا والأنسجة المصابة وتدميرها - في المراحل الأولى للإصابة بالمرض - دون المساس بالخلايا والأنسجة السليمة، كما أن من مميزاتها عدم ترك أية ندوب بعد الجراحة.

العلاج الكيميائي Cytaxic Chemotheropy:

يقتصر استعمال العلاج الكيميائي على حالات الأورام المنتشرة في الجسم، وبالذات في مرض سرطان ابيضاض الدم (اللوكيميا Leukemia)، حيث يكون العلاج الكيميائي مؤثرًا جدًا. كما يلاحظ أن أكثر من ٦٠٪ من مرضى سرطان الرئة يعانون من آثار انتشار المرض خارج الرئة. وعلى هذا فإنه لا جدوى من التدخل الجراحي، ومن ثم فإن محاولات علاج المرضى تتم عادة بالعقاقير المضادة للأورام. ونظرا لأن العلاج الكيميائي بوجه عام يتميز بمضاعفاته الشديدة، وخصوصا اختلال الكريات الدموية البيضاء والصفائح الدموية، فقد جرى العرف على استعمالها في مراكز متخصصة لهذا الغرض.

العلاج المناعي Jmnumization:

لمعرفة كيفية العلاج المناعي لابد أن نلقي بعض الضوء على عمل الجهاز المناعي في جسم الإنسان. إن العامل الرئيس في تنشيط جهاز المناعة يتكون من الكريات الليمفاوية التي توجد في الدم، وتضم نوعين رئيسين من الخلايا الليمفاوية:

أ - يعرف النوع الأول باسم خلايا B، ومهمته الرئيسة إفراز الأجسام المضادة التي تقاوم البروتينات الغريبة أو البكتريا أو الجراثيم فور دخولها في الجسم، وتقوم بعدها بتشكيل خلايا الذاكرة لتحتفظ بخاصية تَعَرُّف الخلايا الغريبة المهاجمة في حالة غزوها الجسم مرة أخرى للقضاء عليها بصورة أسرع وفي وقت أقل.

ب - ويعرف النوع الثاني باسم خلايا T التي تبدأ من الغدة التيموزية وتعتمد عليها في نشاطها. وتختص هذه الخلايا بالحصانة التي تعتمد على نشاط الخلايا الليمفاوية ذاتها، وهي ذات أهمية كبرى في مقاومة الأمراض الفيروسية، وفي مقاومة الأنسجة والخلايا الغريبة التي تزرع داخل الجسم.

أما الأورام السرطانية فمن المعروف لدى الإخصائيين في الجراحة أن الجراحات تعطي نتائج أفضل في الحالات التي تزيد فيها كمية الخلايا الليمفاوية من نوع T وعددها حول الورم السرطاني؛ حيث تحيط به وتحاول القضاء عليه. وقد تمكن الجراحون من تعرُّف ذلك من طريق فحص الشرائح المجمّدة في أثناء العمليات الجراحية.

العلاج بالهرمونات:

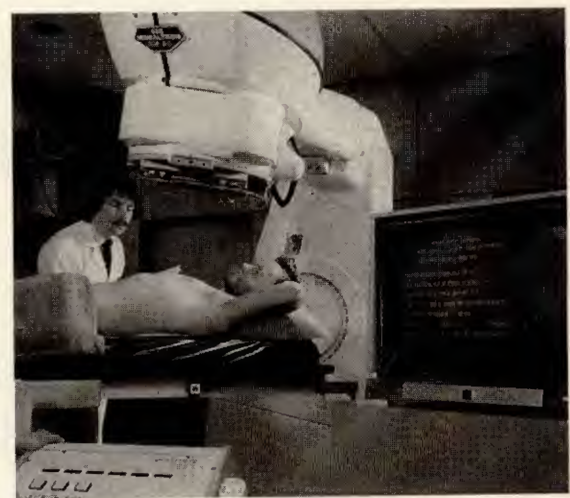
أثبتت الدراسات والتجارب التي قام بها الدكتور تشارلز هجنز أن استعمال الهرمونات يفيد في علاج بعض أنواع السرطان، حيث وجد أن خصي الرجال يجردهم من الهرمونات الذكرية، ومن ثم يتوقف سرطان البروستاتا وتزول آلامها. كما وجد أن استئصال المبايض لدى النساء يعود بفوائد عظيمة على حالات سرطان الثدي. ولقد تبين أنه بإعطاء الهرمونات النسوية للمرضى بسرطان البروستاتا الرجال فإنه تنتج منه النتيجة نفسها التي يحدثها الخصي، كما وُجد أن سرطان الثدي لدى النساء يتوقف نموه وربما ينكمش إذا ماتناولن الهرمونات الذكرية.

العلاج النفسي:

إن مريض السرطان غير مسؤول عن إصابته بمرضه، فهو لا يستطيع أن يهزم المرض وحده، بل إنه بحاجة إلى من يعيد إليه طمأنينته ويقلل من اكتئابه وقلقه وتوتره وخوفه. فالحالة النفسية هي أساس للصحة الجسمية؛ والمريض بالسرطان بحاجة إلى علاج نفسي تماما مثل حاجته إلى علاج طبي. وقد أظهرت الدراسات الاستطلاعية أن وجود الاضطرابات الانفعالية والهموم عند المرضى قد يؤدي إلى استحالة الشفاء والتوافق النفسي.

العلاج الروحي:

نظرا لأن مرض السرطان نوع من أنواع



كثيرًا ما يستفاد من الإشعاع في معالجة مرضى السرطان

البلاء فإن الدعاء يرفع البلاء. وقد أمرنا الله - سبحانه وتعالى - بالدعاء ووعد بالإجابة: *وَقَالَ رَبُّكُم ادعُوني أَستجبْ لَكُم*. **غافر**:٦٠ . كما أنه لا يخفى على المؤمن الحق أن القرآن فيه شفاء وعلاج، فقد قال تعالى: *وَنُنَزِّلُ مِنَ القرآن مَا هُو شِفَاءٌ ورحمةٌ للمؤمنينَ*. **الإسراء**:٨٢ . والشفاء القرآني لابد أن يتمثل أوّلاً في قوة إيمان المريض بخالق الأكوان ومنزل القرآن، وصدْق الاعتقاد فيمن أنزل الداء وأنه قادر على رفعه متى شاء مع الأخذ بالأسباب، وكذلك صدق الاعتقاد ويقينه في تبليغ الرسول صلى الله عليه وسلم وفيما أرشد إليه من تعاليم القرآن ومنها الشفاء المعنوي؛ قال صلى الله عليه وسلم: «عليكم بالشفاءين العسل والقرآن». رواه ابن مسعود وأخرجه ابن ماجه وغيره.

هل الوقاية ممكنة؟

يرد على أذهان الكثيرين أن السرطان مرض لايمكن الوقاية منه لأن أسبابه خارجة عن إرادة الإنسان. وقد يكون في هذا القول شيء من الصحة حيث لا يمكن للفرد أن يتحكم في الطفرات التي تحدث للمورثات، ولا أن يتحكم في عوامل الوراثة والجنس والسن أو الأمراض الفيروسية التي قد تصيبه ولها علاقة بالسرطان. إلا أن هناك العديد من أنواع السرطانات التي ترتبط ارتباطا وثيقا بأنماط الحياة الصحية التي يتبعها الفرد في حياته اليومية.

فلو نظرنا إلى الغذاء الذي يتناوله كل منا لوجدنا أن اعتمادنا على الخضروات والفواكه الطازجة واستهلاك الألياف النباتية، والابتعاد من الأغذية المحفوظة بالملح والمخللات والدهون الحيوانية يقلل كثيرا من مخاطر الإصابة بسرطانات الجهاز الهضمي كسرطان المعدة والقولون والمستقيم. هذا بالإضافة إلى أن الابتعاد كليا من التدخين وشرب الكحول يشكل السبب الرئيسي في الوقاية من سرطان الفم والحنجرة والرئة. كذلك توفر الوقاية - باللباس المناسب - من أشعة الشمس وقاية من سرطان الجلد.

أما من ناحية العقاقير والإشعاعات والهرمونات فهذه يمكن مناقشة علاقتها بالسرطان مع الطبيب المعالج الذي يقرر نوع العلاج الذي يتناوله المريض. وعلى الأطباء التدقيق في اختيار العلاج المناسب الذي يقلل، في الوقت نفسه، من مخاطر التعرض للإصابة بالسرطان.

ويعدّ الكشف الذاتي والكشف الطبي الدوري من أهم أسباب الوقاية من هذا المرض الخطير، حيث يؤديان إلى الكشف المبكر عن وجود السرطان؛ وذلك في حالة حدوث أي عرض من الأعراض المشتبه فيها. إن الكشف والتشخيص المبكر يسهلان علاج المشكلة في بدايتها، ولا يتركان المجال للورم لأن يكبر وينبت في أجزاء الجسم المختلفة؛ لأن ظهور أعراض المرض وغيرها قد يعني نقص فرص الشفاء. أما تشخيص المرض في مراحله الأولية فيرفع نسبة الشفاء إلى ٩٠٪ في كثير من الحالات.

وتفيد الأبحاث العلمية أن الزواج والإنجاب والإرضاع تقلل من فرص الإصابة بالسرطان لدى النساء بوجه عام، هذا ماتوصل إليه باحثون في المعهد الوطني للسرطان بالتعاون مع جامعة إيوا بالولايات المتحدة الأمريكية.

أنواع الأورام السرطانية:

أورام صلبة Carcinowas: وهي تنشأ عادة في الخلايا الطلائية، مثل: أورام الثدي والغدد والجلد والأعصاب والغشاء المبطن للجهاز الهضمي والأجهزة التناسلية والجهازين البولي والتنفسي.

سرطان الدم Leukemia: ويسمى عادة بسرطان الدم مع أنه ليس ورما سرطانيا بالمعنى المفهوم لكلمة ورم؛ وإنما هو تواجد أعداد كبيرة غير محددة من كريات الدم البيضاء التي تكون عادة في مراحل تسبق اكتمال النضج. وتختلف أنواع السرطان في الدم باختلاف نوع كريات الدم البيضاء التي انحرفت عن مكوناتها وانشقت عن النظام الطبيعي لها وتحولت إلى خلايا سرطانية. ومن ثم نجد أن سرطان الدم إما: سرطان الخلايا الليمفاوية Lymphatic أو سرطان الخلايا الميلوية Myelacytic.

سرطان الجهاز الليمفاوي: ويصيب الأعداد الهائلة من الخلايا الليمفاوية في الجهاز الليمفاوي مثل الطحال والغدد الليمفاوية. وخير مثال على ذلك ما يسمى بمرض هوجكين Hodjkin's disease.

سرطان الأعضاء الداخلية Sarcomas: وتنشأ هذه الأورام عادة في العظام والغضاريف والأنسجة الضامة والأنسجة الدهنية والعضلية.

الأعراض الناجمة عن أمراض السرطان

الجهاز الهضمي:

تغير في عادات التبرز كالنزيف الدموي من المستقيم أو دم في البراز، سوء هضم وصعوبة في البلع، ألم وتقرح في الفم يدمى بسهولة ولا يشفى، صعوبة حركة اللسان والفكّين، آلام بطنية جوفية حادة، تقيؤ دموي، فقدان الوزن، اليرقان.

الجهاز التنفسي:

تأثر الصوت من حيث خشونته وضعفه، آلام بالحلق والصدر، صعوبة بالتنفس والبلع، بصق الدم، السعال الشديد المستمر، انخفاض في الوزن.

الجهاز التناسلي في الذكور:

ضعف عام في جريان البول، تكرار التبول وبخاصة في الليل، صعوبة وألم في أثناء التبول، ألم في الورك والمقعد والحوض، ظهور دم في البول.

الجهاز التناسلي في الإناث:

ظهور تكتلات أو تورمات في نسيج الثدي، نزيف بعد سن اليأس، إفرازات غير طبيعية، بروز غير طبيعي في حلمة الثدي، آلام وأوجاع عند مس الثدي، تهيج جلدي في منطقة الثدي.

الجلد:

التشخيص المبكر للمرض يسهل علاجه في بدايته، ويرفع نسبة الشفاء إلى ٩٠٪ في كثير من الحالات

ظهور بقع أو لطخ جلدية صبغية داكنة، تغير واضح في لون شامة أو ثؤلول وحجمهما، قرحة لا تلتئم، تكتل أو تورم.

الدم:

حمى، شحوب، فقد للشهية، تعرق ليلي، عُقَد ليمفاوية كبيرة، ألم بالمفاصل والعظام، ميل للجروح والنزف السهل، شعور عام بالتوعك والإعياء.

وقد يشكو المريض من أحد هذه الأعراض أو بعضها، أو كلها بصورة إجمالية. كما أن هذه الأعراض والعلامات يمكن أن تتسبب عن السرطان أو عن عدد آخر من المشكلات والأمراض، فهي لاتعد علامات أو أعراضًا أكيدة للسرطان. ومع ذلك فمن المهم زيارة الطبيب إذا استمرت الأعراض مدة أسبوعين. لا تنتظر حتى تصبح الأعراض مؤلمة؛ فالألم لا يُعدّ علامة مبكرة للسرطان.

الجديد في السرطان

* توصل فريق من الباحثين والأطباء الأمريكيين في جامعة كاليفورنيا - مؤخرًا - إلى اكتشاف أن مرض سرطان الثدي لايقتصر على النساء فقط، وإنما يصيب الرجال أيضا. ويزيد إصابة الرجال بسرطان الثدي صعوبة عدم معرفة الأطباء كيفية تطور المرض في جسم الرجل، على عكس معرفتهم وإلمامهم التام بأطوار المرض لدى النساء.

* يقول الدكتور ديفيد تارين في المؤتمر العلمي السنوي في جامعة أكسترا - جنوب غرب إنجلترا: إن الطرائق التقليدية لاختبار الإصابة بسرطان المثانة تنطوي على إجراءات موسعة ومتنوعة من بينها العمليات الجراحية وإدخال المناظير وأدوات طبية. ويرى أن الطريقة الجديدة التي تم تطويرها حديثا تشتمل على تشخيص غير مؤلم للبحث بصورة طبيعية عن الخلايا الخبيثة الموجودة في سوائل الجسم، ومن ثم تحديد الخلايا غير الطبيعية التي تُفرز في البول.

* توصل علماء من المعهد القومي الأمريكي لعلم الصحة البيئية في كارولينا الشمالية وعلماء من مؤسسة ميريا جينتكس كورب وعلماء من جامعة يوتا، إلى عزل المورث (الجين) المسبب للنوع الوراثي من سرطان الثدي، مما يمثل خطوة مهمة في طريق البحث عن أساليب لمنع هذا المرض القاتل ومعالجته.

* تمكنت مجموعة من العلماء العاملين في معهد سكريبس للأبحاث في مدينة لايولا في ولاية كاليفورنيا - بإشراف الدكتور نيكولاو - من تصميم مواد كيميائية قادرة على انتقاء الخلايا السرطانية ومهاجمتها بعد أن تحول نفسها إلى ذرات حرة مدمرة تدخل المادة الوراثية لهذه الخلايا وتفتك بها.

* كشف تقرير وضعه فريق علمي برئاسة البروفيسور آلان كوني مدير بحوث السرطان في جامعة رتجرز في نيوجيرسي بالولايات المتحدة الأمريكية أن أوراق الشاي تحتوي على مادة تقلل من احتمالات انتشار السرطان في الجسم، وذلك بأن توقف أو تمنع انتشار العوامل المسرطنة في تيار الدم.

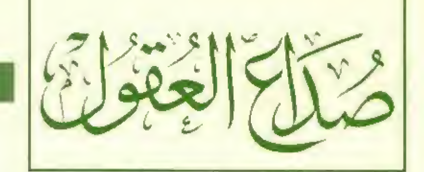
* يعتقد العالم البريطاني الدكتور بول وركمان أن الخلايا التي تفتقر إلى الأكسجين تسهم في إخفاق علاج الأمراض السرطانية كيميائيا أو إشعاعيا بالطرائق التقليدية. لذا فقد قام باحثون في روتردام بهولندا - بإشراف من منظمات ومؤسسات متخصصة بأبحاث السرطان في أوربا وأمريكا - بتجربة الأدوية ٠٩ E ، WIN ٥٩٥٧٥، RB ٦١٤٥ على الخلايا التي تفتقر إلى كميات كافية من الأكسجين، والتي لا تصل إليها الأدوية التقليدية ولا تؤثر فيها. وقد ركز الباحثون جهودهم على تحديد الجرعة العلاجية المناسبة لمكافحة الخلايا السرطانية المختلفة.

* تشير بعض الدلائل إلى أن الأسبرين Asprin قد يمنع حدوث بعض أنواع السرطانات. فقد أكدت دراسة بريطانية أن الأسبرين قد يمنع بعض الأورام السرطانية من إفراز مادة البوستا غلاندين التي تتسبب في تردي حالة العظام؛ مما يتيح الفرصة للسرطان أن يستشري فيها وأن يغزو الخلايا الضعيفة. وهناك بعض خلايا الأورام الخبيثة التي قد تشجع على تجلط الدم فتلتصق نفسها بالجلطة الدموية التي تتكون وتتيح لها فرصة ركوب مجانية للتجول داخل الجسم من خلال الأوعية الدموية حتى تصادف منطقة ضعيفة تستحسن الإقامة فيها؛ وهنا أثبتت الأبحاث أن الأسبرين قد يشارك بدور كبير في منع حدوث ذلك.

* اتجه العلماء - مؤخرا - نحو سر من أسرار الخلايا التي أودعها الله فيها لإعطائها مقاومة طبيعية تتركز في قدرة هذه الخلايا على إفراز مركبات بروتينية حيوية تسمى بالأنترفيرون نتيجة الإصابة بفيروسات أو التعرض لمؤثرات خارجية إما حيوية - كالحوامض الصبغية النووية DNA - أو صناعية - كمركبات البترول الكيميائية. ويمثل الأنترفيرون حلقة وصل بين الخلايا؛ فعندما يقع الأنترفيرون الناتج من خلية ما على الغشاء الخارجي لخلية أخرى، فإنه سرعان ما يوجه هذه الخلية إلى إنتاج أنترفيرون جديد، وهكذا. ومن أهم مميزات الأنترفيرون أنه يؤدي إلى تناقص في نمو الخلايا السرطانية ويقوم بمنعها من التجمع بحيث لا تؤدي إلى ورم، ومن ثم يحول دون انتشارها في الجسم. ويُستخدم الأنترفيرون في علاج سرطان العظام ومرض التهاب الكبد الفيروسي من نوع ب Hepatitis B الذي غالبا مايؤدي إلى السرطان.

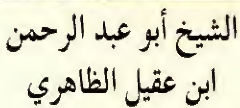
* أفاد باحثون من معهد كريس لأبحاث السرطان في لايولا بولاية كاليفورنيا الأمريكية أنهم اكتشفوا عناصر حيوية كيميائية في الخلايا الخبيثة تقوم بحفز بعض الأوعية الدموية المجاورة كي تمدها بالدم بطريقة أو بأخرى، وبذلك تتمكن الكتلة الصغيرة من الورم من الحصول على ما تحتاج إليه من غذاء لتصبح ورما صلبا كبيرا يهدد حياة المريض. وقد أعلن الباحثون أنهم تمكنوا من اكتشاف استراتيجية فعالة تقوم بالقضاء على هذه العناصر، الأمر الذي يؤدي إلى تحلل الأوعية وإيقاف تدفق الدم إليها. وبهذا تقلصت الأورام السرطانية كما أنها اختفت تماما في بعض الحالات. وهكذا تُعدّ هذه الطريقة فعالة في مكافحة المرض بالتعاون مع الأسلحة التقليدية، أما المشكلات التي تعترض العلماء فتكمن في معرفة الآثار الجانبية الضارة لمثل هذا الأسلوب من العلاج.

(*) نشرت المجلة موضوعات عديدة عن السرطان: أنواعه، وتطوراته، وكيفية علاجه، وعلاقته بالجانب النفسي للمريض، وجهود المملكة العربية السعودية في مكافحته، وغير ذلك مما يتصل بذلك المرض. ومن أبرز مانشرته المجلة في ذلك: الملف الخاص الذي جاء في ٢٤ صفحة في العدد ١١٩ (جمادى الأولى ١٤٠٧هـ - يناير ١٩٨٧م) بقلم عبدالرحمن حريتاني، وموضوع: جهود المملكة العربية في مكافحة السرطان، للدكتور زهير السباعي (العدد ١٤٠، صفر ١٤٠٩هـ - سبتمبر ١٩٨٨م).



تعريب المصطلح




الشيخ أبو عبد الرحمن
ابن عقيل الظاهري

لا أحيط بمسائل التعريب هاهنا تأصيلاً وتطبيقًا، وحسبي منهن مسألتان تشغلانني:

أولاهما: أن اللفظ الأجنبي ربما كان معناه اصطلاحًا خاصًا، فلا يُترجم بالمعنى اللغوي لذلك اللفظ، بل يُترجم بالمعنى الاصطلاحي كلفظ الفهم استعمله الفلاسفة الأجانب بغير معناه اللغوي باصطلاحات متعددة، فيترجم بمعانيه الاصطلاحية عند كل فيلسوف.

وثانيهما: إذا جاءنا لفظ عربي بمعنى ادَّعى بعض العلماء أنه مُعَرَّبٌ، وادَّعى آخرون أنه مُشتقٌ فأيهما نقدم: دعوى التعريب، أم دعوى الاشتقاق؟!

ولقد عالجتُ المسألة الثانية في بعض بحوثي، وأما المسألة الأولى فأشرحها من خلال معاني الفهم مبتدئًا بتحقيق المعاني اللغوية لهذه المادة في لغة العرب؛ لنرى مدى الخطأ إذا تُرجم اللفظ الأجنبي الموازي لمادة (فهم) بالمعنى اللغوي العربي، مع أن المراد خصوص معنى اصطلاحي.

قال أبو منصور الأزهري (ت٣٧٠هـ) نقلاً عن الليث: «يقال فهمت الشيء.. أي عقلته وعرفته»(١).. وقال أبوالحسين أحمد بن فارس (ت٣٩٥هـ): «الفاء والهاء والميم علم الشيء.. كذا يقولون أهل اللغة»(٢).. وقال علي بن إسماعيل بن سيده (ت٤٥٨هـ): «الفهم معرفتك الشيء بالقلب»(٣).

قال أبو عبدالرحمن: ملخص أقوال أهل اللغة أن الفهم علم مُقيَّد، وهو علم القلوب.

وقال أبو القاسم الحسين بن محمد الراغب الأصفهاني (ت٥٠٢هـ) ـ وهو من رواد تحديد المعاني الاصطلاحية ـ: «الفهم هيئة للإنسان بها يتحقق معاني ما يحس.. وقوله تعالى: *فَفَهَّمْنَاهَا سُلَيْمَانَ* **الأنبياء**:٧٩، وذلك إما بأن جعل الله له من فضل قوة الفهم ما أدرك به ذلك، وإما بأن ألقي ذلك في روعه.. أو بأن أوحى إليه وخَصَّه به. وأفهمته إذا قلتُ له حتى تصوره»(٤).

ولخص الزبيدي أقوال المصطلحين، وفسر كون الفهم علم القلب، فقال: «فهمه علمه وعرفه بالقلب.. فيه إشارة إلى الفرق بين الفهم والعلم؛ فإن العلم مطلق الإدراك، وأما الفهم فهو سرعة انتقال النفس من الأمور الخارجية إلى غيرها.. وقيل: الفهم تصور المعنى من اللفظ.. وقيل هيئة للنفس يتحقق بها ما يحسّ»(٥).

وفي أحكام الآمدي: الفهم جودة الذهن من جهة تهيئه ـ بتشديد الياء ـ لاقتناص ما يرد عليه من المطالب»(٦).

قال أبو عبدالرحمن: أما تقييد المؤلفين في معجم لغة العرب الفهم بعلم القلب فلا أراه شيئًا؛ لأن العلم للعقول.. أما القلوب فهي محل المشاعر والوجدان لمعطيات الحس الباطني من فرح ورضا وغضب وبهجة؛ لذا وصف الأدباء القلب بمجامع الأضغان.

وأما مخاطبة القرآن الكريم لذوي القلوب والأفئدة والألباب؛ فلأن القلب ينوي ما سيفعل، ويعتقد ما علمه بحسه وعقله، فكان خطاب الله للقلب خطابًا للقلب والعقل معًا؛ إذ طالبَ أهلَ القلوب بأن تعتقد علمًا صحيحًا، وأن تضمر فعلاً حسنًا.

وأما تعبير بعض العلماء عن بعض مسائل الإيمان بعلم القلوب فذلك من التجوُّز؛ لأن المراد بعلم القلوب محبة الله، والشوق إليه، والخوف منه، والراحة والسكون والأمن بفعل الطاعة، والوحشة من اختلاس المعصية، وما أشبه ذلك..فهذه وجدانات يعرفها الناس في قلوبهم، ويتعرفونها من سلوك غيرهم.. وإنما سُمِّيت علمًا لأنهم أرادوا المثل الأعلى من وجدان القلوب، وهو ما صدر من أفعال القلوب عن علم صحيح.

وكل وجدان في القلب لا يُعبَّرُ عنه بالفهم ألبتة، فلا تقول: فهمت في قلبي أو من قلبي سرورًا، وإنما تقول: وجدت في قلبي سرورًا.. ولم أر قبل ابن سيده من قَيَّد الفهم بمعرفة القلب.

وعلى فرض وجود عالم باللغة قال ذلك قبله؛ فليس كل علم علماء اللغة منقولاً عن العرب، بل هناك مسموع نقلوه، وهناك مفهوم فهموه من لفظ مسموع، والفهم يخطئ أحيانًا.

وتفسير الفهم بعلم القلب مما ادُّعي أنه من المفهوم من لغة العرب، وواقع اللغة لا ينتج ذلك.. خذ مثالاً بسيطًا عمن لم يتصور نسبة المجاز اللغوي إلى النص الشرعي؛ فإنك تبين له أن المجاز في التعبير باللغة عن حقيقة واقعية، وليس في الحقيقة ذاتها، وتضرب له المثال بأي اصطلاح شرعي تُجُوِّزَ به عن معناه اللغوي، فتقول: تُجُوِّزَ بالصلاة عن الدعاء إلى العبادة المخصوصة لأن فيها دعاء.. فلست تريد أن مدلول الصلاة في الشرع يدل على شيء غير حقيقي، بل يدل على حقيقة ذات أقوال وأفعال، ولكن الدال على تلك الحقيقة تعبير مجازي.. ثم تقول له: ليس المراد بالمجاز الكذب، وإنما المراد به الفعل المشروع الموصِّل الذي يتجاوز المعنى اللغوي الوضعي الذي سُمِّي حقيقة لغوية إلى معان لغوية تُسَمَّى مجازًا ولا تُسَمَّى كذبًا.. ثم تقول له: الشرع جاء بلغة العرب، ولغة العرب نمت واتسعت بالمجاز، ومجازها أضعاف أضعاف حقائقها الوضعية، فكيف لا يكون في الشرع مجاز وهو آت بلغة العرب والمجاز أظهر ما في لغتها؟!.. فإذا عقل عنك مرادك وتَصَوَّرَهُ قال: فهمت.

فما علاقة القلب بعلم ذلك، وكل ذلك معارف عقلية ونقلية؟.

والفهم لا يعني الموافقة، فقد يظل على علم عنده بأنه لا مجاز في لغة العرب، ولكنه يقول: فهمتُ بمعنى تَصَوَّرْتُ ما تريده وإن كنت غير موافق له.

قال أبو عبدالرحمن: ولعل شُبهة تعليق الفهم بعلم القلب أتت من تفهيم الله لسليمان (وسليمان عليه السلام نبي)، فيكون الفهم علمًا قذفه الله في قلبه.

قال أبو عبدالرحمن: معنى الفهم شيء، وطرق تحصيل الفهم شيء آخر.. فالطريقة التي تم بها تفهيم سليمان عليه السلام لا نعلمها، وليست هي المدلول اللغوي الذي نريده.. والفهم إنما هو تَصَوُّر يحدث اكتساباً بوسائط حسية، وأجزاء أحكام وتصورات عقلية.. أما التصور من دون وسائط فله ألفاظ تدل عليه كالحدس والإلهام.. إذن الفهم تَصَوُّر مُقَيَّد بأنه اكتسابي آت من شرح معلم، أو من تأمل فكري ذي وسائط.

قال أبو عبدالرحمن: وأما تقييد الفهم بسرعة انتقال النفس من الأمور الخارجية فلا أعرف له وجهاً، فكل تصور حصل اكتساباً بوسائط فهو فهم.. سواء تصور بلماحية من وسائط وسرعة إدراك، أم كان ذلك عن تلعثم وبطء؟!

ودلالة الفعل الماضي (فهم) تدل على سرعة الفهم بالنسبة لدلالة الفعل الماضي الخماسي (تفهَّم)؛ لأن التفهم يكون عن بطء، ولكن ما نتج من الفعلين يُسَمَّى فهماً.. فالسرعة والبطء دلالة صيغة لا مادة.

وهكذا الفَهِم - بكسر الهاء - صفة لرجل سريع الفهم، فهذا دلالة صيغة لا مادة.

قال أبو عبدالرحمن: وهكذا تفسير الفهم بجودة الذهن ولا وجه له؛ لأن البليد غير جيد الذهن، ولكنه قد يفهم بعد بطء وعناء، فيكون ما حصَّله فهماً وإن كان غير جيد الذهن.

قال أبو عبدالرحمن: وإنما تُراعى الأسماء والأوصاف والأفعال، فقد يعبر بالفهم عن المفهوم، فلا يكون مفهوماً إلا إذا كان المفهوم أمراً متصوراً باكتساب ووسائط.. ويعبر بالفهم عن فعلك لاقتناص التصور فتقول: هذا مقدار فهمي.. أي هذه استطاعة فعلي في تحصيل المفهوم، فلا يكون الفعل فهماً إلا إذا كان سعياً إلى تحصيل مفهوم بالوسائط.. ويعبر بالفهم عن الملكة التي تَقتنص المفهوم من الوسائط، فهذه يصدق عليها قول الزبيدي: «هيئة للنفس يتحقق بها ما يحس».

وفرَّق المصطلحون بين الفهم والمعنى بأن الفهم هو الصورة الذهنية بإطلاق، والمعنى هو الصورة الذهنية من حيث وضع الألفاظ بإزائها.

قال أبو عبدالرحمن: ومراعاة التصور والصورة في معنى الفهم مما لاحظه أهل التحقيق في علم الاصطلاح.. قال الشريف علي بن محمد الجرجاني: «الفهم تصور المعنى من لفظ المخاطب»(٧).

قال أبو عبدالرحمن: ولهذا كان الاستفهام يطلب تصور حقيقة الشيء وهي عينه إن كان الاستفهام عن نكرة، أو صفته إن كان الاستفهام عن معرفة(٨).. وبما أن الفهم أعم من المعنى فينبغي ألاَّ يُقَيَّد باللفظ.

قال أبو عبدالرحمن: تستقبل لغتنا فلسفات ومعارف ومصطلحات لغيرنا فإن كانت غير ذات أصل في لغتنا وتراثنا اقترضناها بعد تطويعها لأوزان لغتنا كالتلفاز من التلفزيون، لأنه ليس من تركة آبائنا مسمى التلفزيون.

وما كان اصطلاحاً منقولاً إلى لغتنا كاختلاف مصطلحات الفلاسفة على معاني الفهم فلا نقترضه، بل نرده إلى معاني لغتنا، وندل على كل مصطلح قيل باللفظ الذي يناسبه من لغتنا؛ لأن مزاحمة معاني اللفظ في لغتنا بمعان يحدثها الآخرون: إما أن يحدث اختلاطاً، وإما أن يحدث استبدالاً.. وكل هذا رعُونة.. وهكذا وجد مدلول الفهم عند الفلاسفة الغربيين، وبعض مصطلحاتهم يوافق بعض المعاني الخاطئة لمادة فهم في لغتنا.. لقد جاء في الاصطلاح التعبير بالفهم - بوجه عام - عن القدرة على الإدراك والتفكير، وهذا يقارب التعريف الذي قيده بسرعة انتقال النفس.

وعند ليبنتز: الإدراك العقلي في مقابل الإدراك الحسي.

وعند لوك: العمل الذهني الذي يشكل المدركات الحسية في صور جديدة.

وعند كانط: وظيفة الذهن التي تتلخص في ربط المحسوسات بعضها ببعض بواسطة المقولات(٩) كالكم والكيف والإضافة والجهة.

قال أبو عبدالرحمن: اصطلاح ليبنتز أقرب اصطلاحات الفلاسفة الغربيين إلى معاني الفهم في لغتنا؛ لأن الفهم إدراك عقلي.. إلا أن الفهم رتبة من رتب الإدراك فهو أخص؛ لأن الإدراك لمطلق التصور(١٠)، والفهم اكتساب من وسائط حسية ولفظية وأفكار كما مرَّ بيانه.. وإليكم هذا الترتيب النفيس لمعارف النفس من كلام أبي البقاء.. قال رحمه الله تعالى:

«واعلم أن أول مراتب وصول العلم إلى النفس الشعور، ثم الإدراك، ثم الحفظ (وهو استحكام المعقول في العقل)، ثم التذكر (وهو محاولة النفس استرجاع ما زال من المعلومات)، ثم الذكر (وهو رجوع الصورة المطلوبة إلى الذهن)، ثم الفهم (وهو التعلق غالبًا بلفظ من مخاطبك)، ثم الفقه (وهو العلم بغرض المخاطب من خطابه)، ثم الدراية (وهي المعرفة الحاصلة بعد تردد مقدمات)، ثم اليقين (وهو أن تعلم الشيء ولا تتخيل خلافه)، ثم الذهن (وهو قوة استعداده لكسب العلوم غير الحاصلة)، ثم الفكر (وهو الانتقال من المطالب إلى المبادئ، ورجوعه من المبادئ إلى المطالب)، ثم الحدس (وهو الذي يتميز به عمل الفكر)، ثم الذكاء (وهو قوة الحدس)، ثم الفطنة (وهي التنبه للشيء الذي يقصد معرفته)، ثم الكيس (وهو استنباط الأنفع)، ثم الرأي (وهو استحضار المقدمات وإجالة الخاطر فيها)، ثم التبين (وهو علم يحصل بعد الالتباس)، ثم الاستبصار (وهو العلم بعد التأمل)، ثم الإحاطة (وهي العلم بالشيء من جميع وجوهه)، ثم الظن (وهو أخذ طرفي الظن بصفة الرجحان)، ثم العقل (وهو جوهر تدرك به الغائبات بالوسائط والمحسوسات بالمشاهد)»(١١).

قال أبو عبدالرحمن: يلاحظ أنه أدخل المواهب والملكات في المعارف، وليس هذا مكان تحقيق ذلك.

قال أبو عبدالرحمن: فيترجم الفهم عند ليبنتز بالإدراك العقلي؛ حتى لا يلتبس بالفهم في لغتنا.

وأما الفهم عند لوك فبعيد من لغتنا، وإذن فينبغي ترجمة الفهم عند لوك بكلمة التأمل؛ لتدل على العمل الذهني الذي يشكل المدركات الحسية.. وأما الفهم عند كانط فينبغي أن يترجم بجملة طريقة الفكر في الفهم؛ لتدل على عمل الذهن الذي ذكره كانط من ربط المحسوسات بواسطة المقولات.. على أن عبارة وظيفة الذهن حشو؛ لأن وظائف الذهن أعم وأوعب.

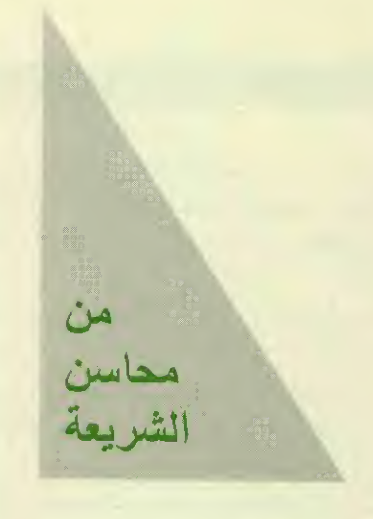
إذن لم يُوَفَّق كانط في الاصطلاح بالفهم على وظيفة الذهن؛ لأن وظيفة الذهن في الواقع هي التفكير والتأمل والتدبر والاعتبار.

والصواب أن الفهم بمعنى الإدراك العقلي الحاصل عن وسائط، ويُوجز بأنه التصور بوسائط.. وهذا هو المفهوم في لغة العرب تقول: فهمت الكلام حسب مراد المتكلم.. أي تصورت معناه كتصور المتكلم به.

ويدل على أن هذا هو المراد صيغ الترادف في كلام العربي.. يقول: لم أتصور الموضوع.. أي لم أفهمه.. ويقول: وضح لي الأمر.. أي تصورته؛ لأنه زال الغموض المانع من التصور.

الحواشي:

١ـ تهذيب اللغة ٦ / ٣٣٥ .
٢ـ مقاييس اللغة ٤ / ٤٥٧، والمجمل ٣ / ٧٠٧ .
٣ـ المحكم والمحيط الأعظم ٤ / ٢٤٢ .
٤ـ المفردات ص٣٨٦، وانظر عمدة الحفاظ للسمين ص٤٣٤ .
٥ـ بالياء والحاء والسين المضعفة.. وفي الأصل: يحسن ـ بنون بعد السين ـ وهو تطبيع.
٦ـ تاج العروس ١٧ / ٥٤٦، وانظر الكليات لأبي البقاء ٤ / ٢٨٢ .
٧ـ التعريفات ص١٠٦، وتابعه أبو البقاء في الكليات ٣ / ٣٥٧ ، إلا أنه قال: تصور الشيء.. انظر دستور العلماء للأحمد نكري ٣ / ٤٧ .
٨ـ انظر الكليات ١ / ١٤٥ .
٩ـ انظر المعجم الفلسفي الصادر عن مجمع اللغة العربية بمصر ص١٤١ .
١٠ـ الكليات ١ / ٨٨ .
١١ـ الكليات ١ / ٨٩ - ٩٠ .



موقع القرعة من الشرع

د. رشيد بلحبيب

خلق كثير من الذين يخلطون بين القرعة والقمار يعتقدون أن القرعة ضرب من القمار، وذلك، في رأيي، نقص في الإدراك وتقصير في التمييز؛ لأن الفرق بينهما ـ حين نستقرئ النصوص والوقائع ـ كالفرق بين البيع والربا، وقد أحلّ الشارع القرعة وحَرَّمَ القمار (١) كما أحل البيع وحرم الربا.

والقرعة دليل من أدلة الشرع اهتدت إليها الخلائق منذ زمن بعيد حلاً للخصومات بما يرضي المتنازعين بلا ميل أو حيف أو هوى. وقد احتج الأئمة بشرع مَنْ قبلنا، جاء ذلك منصوصا عليه عنهم في مواضع كثيرة، وقد وردت القرعة في كثير من النصوص بلفظها أو بمرادفها: السهم أو المساهمة(٢).

قال الله تعالى في كتابه العزيز: *فَسَاهَمَ فَكَانَ مِنَ الْمُدْحَضِينَ*. الصافات: ١٤١ . والمقصود بالخطاب في القرآن الكريم سيدنا يونس عليه السلام؛ حيث فارق قومه مُغضبًا فركب السفينة. وتروي كتب التفسير أن السفينة تعرضت لعصف الرياح، فأحسّ القوم أن بين الركاب مذنبا آثمًا لابد أن يُلقى في البحر لتنجو السفينة، فاقترعوا فخرج سهم يونس، فألقوه في البحر فالتقمه الحوت (٣).

كما قال تعالى في موضع آخر من محكم كتابه: *وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يُلْقُونَ أَقْلَامَهُمْ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ*. آل عمران: ٤٤؛ متحدثا سبحانه عن سدنة الهيكل حين اختلفوا حول من يكفل مريم، فألقوا أقلامهم، وهو ضرب من الاقتراع معروف لديهم، فجرت الأقلام مع تيار الماء في نهر الأردن إلاّ قلم زكريا فثبت، فسهموا له بكفالة مريم(٤).

كما ثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه كان إذا أراد سفرًا، أقرع بين نسائه، فأيتهن خرج سهمها خرج بها معه(٥).

وثبت عنه صلى الله عليه وسلم في الصحيح أن رجلاً أعتق ستة مملوكين له عند موته، ولم يكن له مال غيرهم. فجزّأهم النبي صلى الله عليه وسلم ثلاثة أجزاء، ثم أقرع بينهم وضرب عليهم بسهمَي رِق وسهم حرية، فأعتق اثنين وأرقّ أربعة(٦).

وقال صلى الله عليه وسلم لرجلين احتكما إليه في مواريث قد درست: «اذهبا فتوخّيا ثم استهمَا، ثم ليأخذ كل واحد منكما ما تخرجه القسمة بالقرعة، ثم ليحلل كل واحد منكما صاحبه فيما أخذ وهو لا يستيقن أنه حقه»(٧).

وقد أفتى علي بن أبي طالب وابن عباس رضي الله عنهما بالقرعة في كثير من القضايا الفقهية لتعيين المبهم(٨) .

إلا أن القرعة لاتتم إلاّ إذا استوى أفراد الجماعة المستحقين في سبب الاستحقاق، بحيث لاتكون منهم، ثم تُلقى فيُسعد الله بها من يشاء، ويحكم بها على من يشاء. يقول ابن القيم: وهذا سر القرعة في الشرع، وبهذا عُلم بطلان قول من شبهها بالقمار الذي هو ظلم(٩).

ثم إن القرعة تجعل المخرج بها متعلق الحكم ظاهرًا وشرعًا، وهو غاية ما يقدر عليه المكلف، ولم يكلفه الله علم الغيب، وبذلك كانت أقرب إلى العدل، وأطيب للقلوب، وأبعد من تهمة الغرض والميل بالهوى، إذ لولاها للزم أحد الأمرين(١٠) إما الترجيح بالميل والغرض، وإما التوقف وتعطيل الانتفاع، وفي كل منهما من الضرر ما لا خفاء به.

فكانت القرعة من محاسن هذه الشريعة وكمالها وعموم مصالحها، فاعلمه، حفظك الله، واربأ بنفسك أن ترعى مع الهمل!

الهوامش :

١ـ بدائع الفوائد لابن القيم ٣ / ٢٦٣ .
٢ـ لسان العرب مادة (قرع) ومادة (سهم).
٣ـ أحكام القرآن لابن العربي ٤ / ١٦٢٢، وانظر تفسير القاسمي المجلد الثامن ج ١٤ / ١٣٠ . والظلال ٥ / ٢٩٩٩ .
٤ـ أحكام القرآن ١ / ٢٧٣، وانظر تفسير المراغي المجلد الأول، الجزء الأول ١٥١، والظلال ١ / ٣٦٩ .
٥ـ صحيح البخاري، كتاب الجهاد والسير ٤ / ٩٨ .
٦ـ صحيح مسلم، كتاب الإيمان ٣ / ١٢٨٨ ، ومسند الإمام أحمد ٣ / ٣٦٥ .
٧ـ انظر أحكام القرآن ٤ / ١٦٢٢ .
٨ـ بدائع الفوائد ٣ / ٢٧٠ .
٩ـ المصدر نفسه ٣ / ٢٧٠ .
١٠ـ أحكام القرآن ٢ / ١٦٢٣ وما بعدها، وبدائع الفوائد ٣ / ٢٦٣ .

حوار مع

د. محمود أحمد السيد



ثمة تلازم بين القراءة والفكر الناقد

أجراه: **عدنان عضيمة**

العزوف عن القراءة داء ابتلي به مجتمعنا العربي، وغدت أعراضه بادية بوضوح من خلال إعراض الناس عن الاتصال بعالم الكلمة المطبوعة؛ فقلّ المهتمون بالبحث عن الكتب والمجلات والصحف والدوريات المثقّفة، ونقص الإقبال على الاطلاع وتنمية الخلفية الثقافية بين النشء من الشباب خاصة. ولم تحظ هذه الظاهرة - على أهميتها - بما تستحق من بحث واهتمام من ذوي الاختصاص وحملة الأقلام! فهل أتت نتيجة لانتشار المنتوجات التقنية التي استهلكت أوقات الناس كالتلفاز والهاتف والحاسوب وغيرها؟ أم إنها إحدى عواقب قصور المناهج التربوية وغياب سياسات التوجيه الاجتماعي؟ أم إنها تعود لهذه الأسباب كلها؟

هذه الأسئلة وغيرها، كانت محور حديثنا مع الباحث الأكاديمي الدكتور محمود أحمد السيد، الأستاذ في كلية التربية (وعميدها سابقًا) في جامعة دمشق، ومدير إدارة التربية في المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم (الأليسكو).

- لعلنا نتفق في بداية حوارنا على أن العزوف عن القراءة في مجتمعنا العربي ظاهرة اجتماعية سلبية. فما أعراضها؟

* إن ظاهرة العزوف عن القراءة من الظواهر السلبية في مجتمعنا العربي، فنحن - ويا للأسف - مجتمع غير قارئ بالمعنى الواسع لمفهوم القراءة، ذلك لأن القراءة هي ثمرة كل تعلّم مستمر وتربية مستمرة. وثمة تلازم بين القراءة والفكر الناقد، إذ إن القارئ الجيد هو الذي يكون متمثلاً لما يقرأ، محددًا الهدف منه، قادرًا على تقدير المعاني والمفاهيم وإصدار الأحكام بشأنها، مميزًا بين السمّ والعسل، عاملاً على ربط الأسباب بالنتائج ومدركًا للعلاقات بينها، وموظفًا لما يقرأ في معالجة مشكلاته الفردية والاجتماعية، ومواكبًا للعصر الذي يحيا تحت ظلاله.

ومن أعراض ظاهرة العزوف عن القراءة الفراق الواضح بين الإنسان والكتاب، إذ ما إن ينتهي الطالب من أداء امتحاناته حتى يعزف عن الاطلاع على أي كتاب، وطالما سمعنا متخرجين في الجامعة يتباهون ويفتخرون أمام الآخرين، وعلى ملأ من الناس، بأنهم لم يطلعوا على مجلة أو صحيفة أو كتاب بعد أن تركوا الجامعة.

وكثيرًا ما نرى مكتبات عامة غنية بمختلف أنواع الكتب التي ترضي ميول القراء واهتماماتهم وتلبي حاجاتهم، إلا أن الذين يؤمون هذه المكتبات قلة.

ولو قابلنا بين الناس في الدول المتقدمة والناس في بلادنا العربية لوجدنا أن الإنسان الغربي لايترك الكتاب، فهو صديقه في السفر وعلى متن الطائرة، وهو ينتظر الحافلة، وهو ينتظر وجبة الطعام في المطعم، أو ينتظر دوره في عيادة الطبيب أو في صالون حلاقة. وفي أوقات الفراغ والاسترخاء على الشاطئ تجد الكتاب بين يديه، ونلاحظ أن الأم وهي تنزّه طفلها في الحديقة تمسك الكتاب بين يديها.

العربي يفارق الكتاب

أما في مجتمعنا العربي فإننا لا نرى الكتاب صديقًا للناس حتى في مجالات التخصص، وإذا عرفنا أن العصر الذي نحيا تحت ظلاله إنما هو عصر التفجر المعرفي، إذ إن المعارف تتضاعف في أقل من سنتين؛ فإن عدم مواكبة المستجدات التي يحملها العصر بين طياته في مجال التخصص تجعل المرء متخلفًا، فالمدرس الذي لا يجدّد معلوماته ولا يطلع على آخر المعطيات في المجال التربوي، والطبيب الذي لا يطلع على آخر المستجدات في الطب في مجال تخصصه، والصيدلي الذي لا يتابع الجدة في عالم الأدوية، تتضاءل معلوماتهم عامًا بعد آخر، ويسبقهم العصر.

ألم يقل شاعرنا العربي:

إني رأيت وقوف الماء يفسده

إن سال طاب وإن لم يَجْرِ لم يطبِ

ومن أعراض ظاهرة العزوف عن القراءة ما تشير إليه النسخ المطبوعة من الكتب، إذ إننا نلاحظ أن عدد النسخ المطبوعة من الكتاب العربي في حدود الألف أحياناً وذلك في وطن عربي يزيد عدد سكانه على ٢٤٠ مليون نسمة، ومع ذلك لا تنفد النسخ المطبوعة من الكتاب إلا بعد عدة سنوات كما يصرح بذلك أصحاب دور النشر.

عواقب العزوف عن القراءة

ـ فما هي إذن نتائج هذه الظاهرة؟

* أما عن نتائج العزوف عن القراءة فإنها تتمثل في ضمور المعرفة وضيق الأفق والتخلف الفكري، فالقراءة تنقل الفرد من عالم ضيق محدود إلى آفاق رحبة فسيحة، وتغوص به في عالم الحقائق وتسبح به في عالم الخيال.

ومن نتائج هذه الظاهرة السلبية عدم تكيف الفرد تكيفًا ناجحًا مع بيئته المادية والاجتماعية، إذ إن القراءة تؤدي دورًا أساسيًا في تعامله الناجح مع الأشياء المادية والمكتشفات والتقنيات والأجهزة والمعدات. لأن التعامل مع الأشياء المادية وما قدمته الحضارة من منتجات يتطلب معرفة القراءة ومواكبة التطورات، فما من آلة أو جهاز نستخدمه اليوم لا يكون مصحوبًا بتعليمات تكفل سلامة تشغيله وصيانته وتحقق الأمان لمستخدمه. ومن هنا تساعد القراءة الفرد على التكيف مع حياته المهنية وتؤهله للقيام بأدواره الاجتماعية مما يؤثر في مكانته ومستواه الاجتماعي.

ومن نتائج العزوف عن القراءة أيضا أن الفرد يكون جاهلاً تراث مجتمعه وأمته وما خلّفه له الآباء والأجداد في ميادين المعرفة، والإنسان عدو ما يجهل، فتكون القطيعة بينه وبين تراث أمته مما يسهل على الآخرين استلابه وخلخلة انتمائه، ويفسح المجال للأيديولوجيات الجديدة والقيم الغربية عن مجتمعه لتتغلغل في حنايا نفسه فتملك عليه لبّه، فيؤول إلى لبنة هشّة سهلة الانكسار في صرح مجتمعه.

ومن نتائج العزوف عن القراءة أيضا انحسار التقارب الفكري بين أفراد المجتمع العربي، إذ إن القراءة تعمل على تقارب الفكر وتوحيده، وتساعد على وحدة المجتمع وتضامنه في توجهاته وتطلعاته وبلورة رؤيته.

وتؤدي القراءة دورًا أساسيًا في التبادل الثقافي بين الأمم وبخاصة في عالمنا المعاصر الذي أضحى فيه العالم قرية صغيرة، وكلما كان القارئ مواكبًا ضروب الثقافة في العالم عاش عصره بكل جدارة، وإلا عُدَّ هامشيًا لا شأن له، ولا دور فعالاً له في هذه الحياة.

لا غنى عن الثقافة المكتوبة

ـ لماذا لا تغني الثقافة المسموعة أو المرئية عبر المذياع أو التلفاز أو الحاسوب عن الثقافة المكتوبة؟ أليس لهذه الوسائل الإعلامية دور في تنمية الحصيلة الثقافية للفرد؟

* إن الثقافة المسموعة أو المرئية لا تغني عن الثقافة المكتوبة لأن درجات الحرية في القراءة أكثر منها في الكلمة المسموعة أو المرئية، إذ إن الوسائل المسموعة لاتتيح للسامع اختيار المسموع أو المشاهَد كما هي عليه الحال في القراءة، لأن الاختيار يقوم به سواه. وإذا كان ثمّة حرية فإنها محدودة، على حين أن حرية القارئ أوسع دائرة فهو يختار بحريته ورغبته ما يشاء، كتابًا أو صحيفة أو مجلة، كما يختار ما يشاء من كتب أو مجلات في هذا الميدان من ميادين المعرفة أو في غيره، كما أن اختيار المقروء يحقق للقارئ تنوع المعرفة وتعددها في ضوء ميوله واهتماماته وحاجاته.

وقد يقول قائل: يستطيع السامع أن يغير الإذاعة التي يشاء ومحطة البث التي يشاء بحثًا عما يتفق مع ميوله واهتماماته ورغباته. وهذا القول صحيح، إلا أن درجات الحرية في الإذاعة المسموعة والمرئية تبقى محدودة ولا تصل إلى مستوى المادة المكتوبة.

يضاف إلى ذلك كله ميزة اقتناء المادة المكتوبة خلافًا للكلام المسموع الذي لا يمكن الرجوع إليه إلا بعد الفراغ من سماعه، اللهم إلا إذا دوّنه السامع أو سجله على شريط. ومع ذلك فإن هذه التسجيلات على الأشرطة لا تصل إلى مستوى القراءة من حيث العمق والامتداد، فضلاً عن أن المادة المكتوبة تزود القارئ في سطورها القليلة بعدد من الفكر والصور والأخيلة والثروة اللفظية والقوالب اللغوية، وتتيح له بسهولة التعمق في تمثل المقروء وإدراك مراميه القريبة والبعيدة خلافًا للكلام المسموع الذي يتعرض للنسيان أكثر من المقروء، وقد جاء في المثل الصيني: «أسمع فأنسى، أقرأ فأتذكر».

تأثير الكلمة المطبوعة

وتؤثر الكلمة المطبوعة في عقول الناس وعواطفهم وسلوكهم وأفعالهم، وهي تخلو من الصوت مما يجعل لها ميزة مساعدة القارئ على تحديد سرعته وإعادة قراءته والتمهل والتوقف كما يريد، وتتيح له اتخاذ الوضعية التي تناسبه في أثناء القراءة، واختيار الوقت المناسب لقراءته.

ولا يمكننا، بأي حال من الأحوال، أن نغفل دور الكلمة المسموعة والمرئية عبر المذياع والتلفاز والحاسوب في زيادة ثقافة الفرد وتوسيع آفاقه وتنمية خبراته، إذ إنه يتفاعل معها في حياته المعاصرة وفي مختلف مناحي حياته، فلا يكاد يمر يوم دون أن يكون على مقربة من مذياع في بيته أو في سيارته أو في الشارع وحتى في الحقل، ولا يكاد يمر يوم دون أن يشاهد إعلانًا عن فيلم أو مسلسل في التلفاز، كما يستمع إلى التعليمات والإرشادات من مكبرات الصوت، ولا يكاد يمر أسبوع إلا ويشاهد فيلمًا سينمائيًا في دار العرض أو في ناد أو في مركز ثقافي.

وللمذياع مزايا، منها سهولة استخدامه، وهو لا يحتاج إلى العين مما يزيد في إمكان استخدامه في كل مكان، وله ميزة في بساطته واقتصاد تكاليفه، كما أن للتلفاز ميزة في هيمنته على النفوس من خلال إحساس المشاهد بواقعية ما يراه وتأكيد الألفة والحوار من خلال اللقطات القريبة والصور والألوان. وبقدر ما تكون الشخصيات عفوية وطبيعية في تصرفها وحديثها تكون أشد تأثيرًا، إذ تستطيع آلة التصوير (الكاميرا) أن تعكس أي تشنج عضلي في الوجه والأسارير كافة، وتكتسب هذه الأسارير أبعادا جديدة في نفوس المشاهدين وفق درجة مشاركتهم لأصحابها وتعاطفهم معها.

وللحاسوب دور كبير في الاحتفاظ بالمادة وتخزينها وإعادتها، وفي التعلم المبرمج وتيسير التفاعل بين المتعلم وبينه مصححًا أخطاءه ومعززًا إجابته الصحيحة.

بيد أن دفء العواطف الإنسانية التي تقدمها القراءة وتَلَمُّس نبض الكاتب ومشاعره الإنسانية ومكابدته ومعاناته من خلال كتابته تبقى أمورًا تختص بها القراءة في الأعم الأغلب، فضلاً عن أن الثقافة التي يحصل عليها المرء من خلال القراءة تتسم بالعمق والامتداد والروية والبقاء، إذ مايزال

الكلمة المطبوعة تؤثر في عقول الناس وسلوكهم وعواطفهم؛ إلا أننا لا يمكن أن نغفل دور الكلمة المسموعة والمرئية في زيادة ثقافة الفرد وتوسيع آفاقه!

أحدنا يتذكر قصة أو رواية أو قصيدة شعرية قرأها في مراحل حياته الأولى أكثر مما يتذكر فيلمًا شاهده منذ خمس سنوات.

العرب وتاريخهم الثقافي

- هل تصنفون العرب ضمن الشعوب القارئة قياسًا إلى باقي الشعوب؟ وكيف تطورت ظاهرة الإقبال على القراءة في تاريخهم منذ اختراع الأبجديات المقروءة إلى الآن؟

* لأمتنا العربية تاريخ مجيد في مسيرة الحضارة البشرية، فالفينيقيون هم الذين اخترعوا أول أبجدية في العالم. واختراع الأبجدية ليس حدثًا عاديًا وإنما هو انعطاف كبير في مسيرة البشر. ويربط بعض الباحثين بين تطور المحاكمة الفكرية عند الإنسان واختراع الأبجدية الذي يستند إلى حالة اجتماعية أتاحت للأفراد بعض الاستقلال حيال الكهنة والملوك، وفي الوقت نفسه بعض التقدم في المعرفة لدى شعب من التجار عاش في ملتقى الطرق الكبرى للتبادل الثقافي.

ويُعدُّ الفينيقيون الذين اخترعوا الكتابة وحسَّنوها من أكبر اللغويين، بل هم الذين اخترعوا علوم اللسان بعد أن قاموا بثورة جذرية على الخط المسماري وأبانوا عيوبه، فتركوه إلى ما هو أفيد منه، فشكلوا الجملة، وكتبوا الكلمة في مقاطع وإشارات تجريدية أكثر منها تصويرية. فاكتشاف الألفباء الفينيقي يعد نقلة نوعية هائلة في تاريخ التفكير اللغوي عند البشر، ذلك لأن الكتابة الفرعونية لم تنتج نظامًا ألفبائيًا، وكانت الكتابة الصينية أبعد من أن تنتج هذا النظام، ولكن الوطن العربي السوري في زمن الفينيقيين شهد الترقيم الصوتي الصرف للغات بوساطة عدد محدود من الإشارات.

وبعد أن اخترعت أمتنا الأبجدية وقدمتها للعالم، وبعد أن شقت البحار ناشرة الثقافة، وبعد أن نشأت في رُباها أولى الشرائع بدءًا من شريعة حمورابي وانتهاءً بشرائع السماء، نلاحظ أن أول نداء توجهت به السماء إلى نبي هذه الأمة محمد صلى الله عليه وسلم كان: *اقرأ باسم ربك الذي خلق* - الآية - ذلك لأن القراءة هي سبيل الأمة للتقدم والارتقاء، وسبيل الفرد لمعرفة نفسه ومجتمعه وعالمه.

وعندما طبقت أمتنا هذا النداء الإلهي واقعًا ملموسًا تبوأت المكانة الجديرة بها، فحملت راية العلم وأضحت قبلة الأنظار في مختلف جوانب المعرفة في العصر العباسي حيث كان الناس يبيتون في دكاكين الورّاقين لتلتهم عقولهم كل ما تقع عليه أعينهم، وحيث بات الكتاب غذاء العقول وطب

ثمة تلازم بين القراءة والفكر الناقد

النفوس، وباتت مكافأة المترجم عن اللغات الأخرى بمثل وزن كتابه ذهبًا، وأضحى الكتاب خير جليس كما يقول المتنبي:

أعزّ مكانٍ في الدُنا سرجُ سابحٍ
وخيرُ جليسٍ في الأنامِ كتابُ

ومات الجاحظ قتيل كتبه بعد أن أتحف العربية بوصف الكتاب: «الكتاب وعاء ملئ علمًا وإناء حشي ظرفًا...».

وصار الكتاب أعز صديق كما عبَّر عن ذلك شاعرنا العربي إذ يقول:

كتابي فيه بستاني وروحي
ومنه سمير نفسي والنديمُ
يجالسني وكل الناس حرب
ويسليني إذا عرت الهموم
ويحيي لي تصفحُ صفحتيه
كرامَ الناس إن فُقد الكريمُ
إذا اعوجَّتْ عليَّ طريقُ قومي
فلي فيه طريق مستقيم

ولذلك أرى أن المسألة مسألة حضارية، فظاهرة القراءة تقوى بقوة الأمم وتضعف بضعفها، وكلما كان المجتمع متقدمًا ارتقت عنده ظاهرة القراءة.

ومن هنا وجدنا أن أمتنا العربية الإسلامية إبان عصور الانحدار والتخلف قد ضمر لديها حب الاطلاع والمعرفة فاستكانت إلى التقليد، وفشا بين الجهلة من الناس أن اللياذ بالأضرحة وترتيل الأذكار يغنيهم عن الجد والاجتهاد، وعن السعي والتدبير، فضمرت العقول وأصيبت بالشلل. ولا سبيل إلى تنشيطها لاستعادة حيويتها إلا القراءة الواعية الناقدة التي أمرنا بها الله سبحانه وتعالى، القراءة التي يعرف المرء من خلالها نفسه، ويعرف واقعه، ويعرف مجتمعه ماضيًا وحاضرًا وتوجهًا نحو المستقبل، ويعرف العالم الذي يعايشه، والعصر الذي يحيا تحت ظلاله.

في أسباب الظاهرة

- يضع المتخصصون والدارسون أسبابا متعددة لظاهرة العزوف عن القراءة، فما أسبابها في رأيكم؟

* ثمة أسباب يشير إليها المتخصصون في معرض حديثهم عن العزوف عن القراءة، منها وسائل الاتصال المعاصرة من إذاعة وتلفاز وفيديو وسينما، وهذه الوسائل تجذب الناس إليها بما تحمله من مؤشرات ومشجعات ومعززات للإقبال عليها من حيث الموسيقى والألوان، فيحول هذا الإقبال دون الاهتمام بالقراءة والانجذاب إليها.

ويشير آخرون إلى غلاء سعر الكتاب، وأنه ليس بمقدور القراء من ذوي الدخل المحدود شراء الكتب لغلاء أسعارها فيعزفون عن القراءة.

ويشير فريق ثالث إلى أن طبيعة الحياة المعاصرة وتراكم أشغالها وتزاحم أعمالها لم تترك لدى المواطن متسعًا من الوقت للانصراف إلى القراءة.

ويرى فريق رابع أن ارتفاع نسبة الأمية في المجتمع العربي قد يكون حائلاً دون القراءة.

ويذهب فريق خامس إلى أن القيود المفروضة على سيرورة الكتاب بين الأقطار العربية، وإجراءات الروتين القاتلة في وصول الكتاب إلى أيدي القراء هي من الأسباب المؤدية إلى أزمة العزوف عن القراءة، إذ قد يميل القارئ إلى قراءة نوع معين من الكتب إلا أنه لايجد بغيته فيما توافر لديه فتعزف نفسه عن قراءة ما هو مكرر لا جدَّة فيه ولا ابتكار.

ومع تقديري لهذه الآراء، إلا أنني أرى، من وجهة نظري، أن السبب يرجع إلى إخفاق نظامنا التربوي في تكوين عادات القراءة لدى المتعلم، إذ لو أن المتعلم تكونت لديه هذه العادة لما وقفت أجهزة التواصل الإعلامية المعاصرة بحائل أمام رغبته، ولما كان الوقت بحائل أمام تلبية اهتماماته وميوله، إذ إنه يعمل على تنظيم وقته وتخصيص حيز منه للقراءة مادامت القراءة أضحت عادة لديه، كما أن غلاء الكتب ليس بمانع له عن البحث والتنقيب في المكتبات العامة والمراكز الثقافية التي توفرها الدولة للمواطنين وتفتح أبوابها لاستقبالهم. ولو أن عادة القراءة تملكت المواطن لكان استغنى عن الكثير من الأمور الاستهلاكية والكمالية في سبيل الحصول على الكتاب، إذ كثيرًا ما نرى أناسًا مدمنين التدخين

المؤسسات التربوية، بدءًا من الأسرة ومرورًا بالمدارس والجامعات وانتهاءً بالمكتبات والمراكز الثقافية، مقصرة في وظائفها التثقيفية!

يفضلون شراء علبة السجائر على وجبة الطعام، فمحبة القراءة والشغف بها تدفع صاحبها إلى إرضاء نهمه بكل حماسة واندفاع، ولا يمكن لأي عائق أن يحول بينه وبين إشباع رغبته.

هل من حلول؟

ـ فما هي إذن في رأيكم الحلول الممكنة لهذه الظاهرة؟ أم تراكم ترون أنها محتومة فرضتها معطيات التطور الحضاري والتقني؟

* إن عادة القراءة لا تتكون لدى الإنسان إلا منذ نعومة الأظفار، وبقدر ما نُعنى بالتدريب على القراءة منذ وقت مبكر، ونغرس الشغف بها في النفوس الغضّة نربح جيلنا فيما بعد ونكوّن جيلاً قارئًا بكل معنى الكلمة. فالحل في نظري يكمن في غرس الشغف بالقراءة وتكوين عاداتها منذ وقت مبكر، وتوفير القدوة الحسنة في جميع مرافق الحياة في هذا المجال أسرةً ومدرسةً ومعاهد وجامعات ومجتمعًا. ذلك لأن تكوين عادات القراءة لدى الناشئ يلازمه طوال حياته، فمن شبَّ على شيء شاب عليه كما يقال. ألم يقل شاعرنا الكبير المتنبي:

لكل امرئ من دهره ما تعوّدا
وعادة سيف االدولة الطعن في العدا

نحن في نظامنا التربوي العربي أخفقنا في تكوين عادات القراءة لدى المتعلم. والعادة الجيدة كالقراءة لا تكون إلا بالممارسة والتكرار، وبالتشجيع والتعزيز، وبتوافر القدوة الحسنة، إذ ما إن تتكون لدى المتعلم مهارات القراءة حتى يعمل على تكرار هذه المهارات فتتحول إلى عادات. على أن تكوين عادة القراءة تسهم فيه عدة جهات بدءاً من الأسرة وانتهاءً بالمجتمع مرورًا بالمدرسة، فللأهل دور في تهيئة الطفل وتنمية استعداده لتعلم القراءة، وعندما ينشأ الطفل في جو خال من ضروب الثقافة لا يجد مجلة ولا صحيفة ولا كتابًا حوله، ولا يجد أبًا يقرأ ولا أمًا تمسك بيدها كتابًا فإن هذا الجو يعد ـ بلا شك ـ عاملاً سلبيًا في تكوين عادات القراءة.

وقد يقول قائل: إن نسبة الأمية في وطننا العربي ماتزال عالية؛ فكيف نطالب الأسرة أن تضطلع بدورها وأسر كثيرة تتفشى فيها الأمية؟

وهنا أقول إن المدرسة إذا ما قامت بدورها بصورة إيجابية وفعّالة فإن بإمكانها أن تسد النقص الذي تحدثه أمية الأسرة. فإذا عملت المدرسة على تكوين عادات القراءة لدى الناشئ، وكان المتعلمون الذين يتفاعل معهم قدوة أمامه في محبة الكتاب واحترامه والتشجيع على اقتنائه والعناية به فإن العادة لديه ترسخ.

د. محمود أحمد السيد في سطور:

- من مواليد «بعمرة» في طرطوس، سورية عام ١٩٣٩م.
- دكتوراه في المناهج وطرائق التدريس الخاصة باللغة العربية من جامعة عين شمس، القاهرة.
- يعمل حاليًا أستاذًا في كلية التربية بجامعة دمشق.
- تقلد العديد من المناصب التربوية والأكاديمية الرفيعة منها: وكيل كلية التربية للشؤون العلمية في جامعة دمشق، وعمادة كلية التربية في جامعة دمشق، ومدير إدارة التربية في المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم (الأليسكو) التابعة لجامعة الدول العربية، وخبير في المركز العربي لبحوث التعليم العالي، وعضو مختار من جامعة أوكسفورد للإشراف على رسائل الماجستير والدكتوراه في قسمها للدراسات العربية والإسلامية.
- أشرف على عدد كبير من الرسائل الجامعية.
- له ١٨ كتابًا مطبوعًا في شؤون اللغة والأدب وطرائق التدريس ومناهجه، منها «اللغة تدريسًا واكتسابًا» الذي أصدرته دار الفيصل الثقافية عام ١٩٨٨م.
- له ثلاثة كتب قيد الطبع.
- كاتب مشارك في العديد من المجلات والدوريات والصحف السورية والعربية.
- شارك في قرابة مؤتمر وندوة فكرية في العالم.

دَوْرُ المعلمين والمؤسسات التربوية والمجتمع

وللمعلمين دور كبير في تكوين عادات القراءة، إذا طالما يحاكي المتعلمون معلميهم في هذه المراحل المبكرة من حياتهم ويقلدونهم ويعدونهم مثلاً أعلى يحتذونه وقدوة يقتدون بها.

وعندما تُخَصِّص المدرسة جوائز ومكافآت لأحسن قارئ، وتقيم المناظرات حول أفضل الكتب المقروءة، فإنها تشارك في تشجيع النشء على القراءة والإقبال عليها، وعندما تُمدُّ مكتبة المدرسة بالجديد من الكتب المتنوعة التي تناسب المستويات المختلفة وترضي الاهتمامات والميول والرغبات والحاجات، فإنها تساعد على تكوين عادات القراءة.

وغني عن البيان أن للمعلمين دورًا كبيرًا في تكوين مهارات التعلم الذاتي لدى المتعلمين، وبقدر ما نعوّد المتعلمين أن يعتمدوا على أنفسهم في البحث والتنقيب والعودة إلى المراجع وجمع ما كُتب حول موضوع معين وقراءته أمام الزملاء، نسهم في تحقيق التربية المستمرة. والتعلم الذاتي هو الطريق إلى التربية المستمرة، وعادة القراءة أسلوب فعال لتحقيق الأهداف المرسومة للتربية المستمرة نموًا للثقافة وزيادة للخبرات ومواكبة لروح العصر واتجاهاته المتغيرة والمتطورة على الدوام.

إننا نرى في حياتنا المعاصرة أناسًا لم يدخلوا إلى الجامعات والمعاهد، ولم يحملوا الشهادات العالية، ومع ذلك يبزّون حملة الشهادات العالية بثقافتهم الواسعة التي لم يحصلوا عليها إلا باعتمادهم على أنفسهم في الاطلاع والقراءة والبحث عن كل ما هو جديد، وذلك بفضل التعلم الذاتي الذي أتقنوا مهاراته، وعادة القراءة الحرة كانت سبيلهم إلى غنى ثقافتهم وسعة آفاقهم وشمولية نظرتهم.

ونلاحظ في مدارسنا وجامعاتنا ومعاهدنا أحيانًا طلبة متميزين في تعبيراتهم الشفاهية والكتابية وفي عرض أفكارهم وتسلسلها بأساليب شائقة ورشيقة، وإذا سألنا عن الأسباب ألفينا أن للقراءة الحرة دورًا كبيرًا في ظهور ذلك التميز، ذلك لأن القراءة الحرة معين ثرّ يمد صاحبه بالثروة اللفظية والقوالب اللغوية والمفاهيم والفكر والصور والأخيلة والاتجاهات والقيم، مما يجعل زاد صاحبها غنيًا في محتواه وجميلاً في شكله.

أما عن المجتمع فإن له هو الآخر دورًا في تكوين عادات القراءة لدى الفرد، فالأقران المحبون للقراءة، المشغوفون بها يؤثّرون أيما تأثير في جذب زميلهم لها، كما أن العازفين عنها يؤثرون سلبًا بالمقابل، ألم يقل شاعرنا العربي:

عن المرء لا تسأل وسل عن قرينه
فكل قرين بالمقارَن يقتدي

وورد في الأمثال أيضًا: «قل لي من تعاشر أقل لك من أنت».

وفي دراسة ميدانية أجراها بإشرافي أحد طلبة الدراسات العليا في مدينة حلب بسورية تبين أن نسبة 40٪ من طلبة المعاهد تكونت لديهم محبة القراءة بسبب أقرانهم الذين كانوا يعيرونهم الكتب ويتناقشون معهم في محتوياتها ويدلونهم على مضامينها ومراجعها وأماكنها.

وللمراكز الثقافية والمكتبات العامة دورها في

ثمة تلازم بين القراءة والفكر الناقد

الإسهام في تكوين عادات القراءة، فعندما تكون المراكز الثقافية والمكتبات العامة غنية في موادها القرائية فإنها تجيب عن تساؤلات القراء، وتلبي حاجاتهم، وتستثير اهتماماتهم ورغباتهم، فيحسون بالمتعة والفائدة في أجوائها، وعندما يقدم المسؤولون عن هذه المكتبات التسهيلات للقرّاء اهتمامًا وإعارةً وسرعةً في الأداء يسهمون في شدّ الراغبين في القراءة. وعندما تعمل دور النشر من جانبها على سيرورة الكتاب وانتشاره في إصدارات رخيصة الثمن فإنها تسهم في الارتقاء بالقراءة.

ولوسائل الاتصال المختلفة من صحافة وإذاعة وتلفزة دور في التوعية بأهمية القراءة وتعريف الناس بثمرات المطابع وإلقاء الأضواء عليها، وإقامة الندوات والمناظرات حول مضامينها، وإجراء المسابقات حول أمهات الكتب في مختلف ميادين المعرفة. وعندما نقدم في مناسباتنا الاجتماعية وفي أفراحنا الكتب على أنها أثمن هدية يتعزز دور الكتاب وتتضح أهميته عند الصغار والكبار معًا.

وإني لأرى أنه عندما يضطلع كل جانب بدوره في مجال تكوين عادات القراءة بدءًا من البيت ومرورًا بالمدرسة أو المعهد والجامعة وانتهاء بالمجتمع، ترقى القراءة ويتحول مجتمعنا إلى مجتمع قارئ، ذلك لأن العملية منظومة متكاملة، والهدم في طرف منها يؤثر في الأطراف الأخرى ولو بنسب متفاوتة. أما عندما ينهض الجميع بمسؤولياتهم انطلاقًا من خطة (استراتيجية) واحدة بغية تحقيق أهداف واحدة فإن القراءة ستتبوأ ما هي جديرة به، وسوف يُعدُّ المجتمع في مراتب المجتمعات الراقية والمتقدمة، ذلك لأن من معايير التقدم في المجتمعات إقبال أبنائها على القراءة.

ألم يقل «فولتير» عندما سُئل عمَّن سيقود الجنس البشري: «إن الذين سيقودون الجنس البشري هم الذين يعرفون كيف يقرؤون ويكتبون».

مواقع الخلل والوهن

- إذن فأنت ترى أن هناك خللاً في الوظيفة التثقيفية للمؤسسات التربوية كافة كالأسرة والمدارس والمعاهد والجامعات وحتى المكتبات ودُور الثقافة؟

* الواقع أنني أرى أن المؤسسات التربوية بدءًا من الأسرة ومرورًا بالمدارس والمعاهد والجامعات وانتهاءً بالمكتبات والمراكز الثقافية مقصّرة في وظائفها التثقيفية. فالأهل - ويا للأسف - لا يعنون العناية الكافية بالغذاء الفكري لأطفالهم في مراحل تكوينهم الأولى، إذ إن عليهم، كما يعنون بالغذاء الجسمي لأطفالهم وتأمين طعامهم، أن يعملوا في الوقت نفسه على اختيار المواد الصالحة لقراءة أبنائهم وأن يستشيروا العارفين في هذا المجال.

كما أن طرائق التدريس المتبعة في المدارس والمعاهد والجامعات هي، في الأعم الأغلب، غير ديموقراطية وغير جاذبة، فتؤدي إلى نفور المتعلمين ومللهم وضجرهم، فيحسّ الطالب أن عبئًا ثقيلاً ملقى على كاهله، فما إن يؤدي الامتحان حتى تكون القطيعة بينه وبين الكتاب الذي لم يقبل عليه بكل نفس راضية. وقد روى لي أحد زملائي من المربين أنه شاهد بأم عينيه بعض الطلاب يمزقون كتبهم ويرمون بها في الشارع بعد أن خرجوا من قاعات الامتحان..!

ولو أن المدارس التي درس فيها هؤلاء الطلاب، والمعاهد والجامعات التي تلقوا العلم في مدرجاتها عملت على تكوين عادات القراءة لديهم، وغرست في نفوسهم الغضة محبة الكتاب واحترامه، لما اقترفت أيديهم ما اقترفته من تمزيق للكتب والرمي بها في الشوارع.

ألا تحس معي أن ثمة شحنات انفعالية غاضبة تضطرم في نفس الطالب حيال مدرسته ومعهده وجامعته؟ إنه يود أن ينفّس عن هذه الشحنات، فما كان أمامه إلا أن كانت كتبه هي الضحية تمزيقًا وازدراءً واستهانة. ألا تدعو هذه الظاهرة مؤسساتنا التربوية إلى التفكير مليًا في مناهجها وطرائقها وأساليبها بحثًا عن الأسباب والمعوّقات والعوامل، وتشخيصًا للواقع، وتذليلاً لمعوقاته، والارتقاء به؟

الثقافة ليست نقيضًا للتخصص

- يرى بعض الناس أن العزوف عن تحصيل الثقافة العامة أمر فرضته ضرورات التخصص بحيث لا يحتاج الطبيب مثلاً إلى ثقافة عامة وإنما إلى ثقافة تخصصية حتى يحقق النجاح المطلوب في عمله، فما رأيكم بهذا الطرح؟

* أعتقد أن الإعداد السليم للفرد إنما هو إعداده للحياة. والحياة كُلٌّ متكامل ومنظومة مترابطة، ولا يمكن للمرء أن يحياها بأبعادها كافة إلا إذا كان مزودًا بثقافة غنية تربط بينه وبين سحر الحياة وروحها وجوهرها الغني الخصب.

ومن الملاحظ أن ثمة قصورًا في إعداد مواطننا العربي للحياة في ظلال التربية النظامية القائمة. فالمرحلة الابتدائية من التعليم قصيرة ولا تسمح بأن يتلقى الطفل خلالها كل ما يحتاج إليه من معارف وخبرات لمواجهة المستقبل. كما أن المرحلة الإعدادية (المتوسطة) امتداد للمرحلة الابتدائية، وتعد التلميذ للمرحلة الثانوية أكثر مما تعده للحياة. وأما المرحلة الثانوية فهي، وإن كانت تميل إلى التخصص الذي غالبًا ما يفصل التلاميذ عن الواقع الذي يعيشون فيه، فإنها تُعدّ للمرحلة الجامعية أكثر مما تعد للحياة. وفي المرحلة الجامعية يطغى التخصص فيصبح الطلاب ملمين بجانب من المعرفة ويهملون كل الإهمال الجوانب الأخرى.

وفي تقديري أن الثقافة العامة لا غنى عنها لكل إنسان، ولا يمكن أن يُعَدّ المرء متمتعًا بشخصية متكاملة ومتوازنة ومتطورة من جميع الوجوه إلا إذا كان ذا ثقافة عامة، إذ ليس المقصود أن يكون متعمقًا بكل جانب من جوانب المعرفة، فهذا من الاستحالة بمكان، ولكن المطلوب أن تكون لديه الأساسيات في مجالات المعرفة المختلفة واتجاهاتها العامة، بحيث يصل إلى الإدراك الكلي الشامل للأشياء، ويعرف ماضيه ويستمتع بتاريخ أمته مثلما يستمتع بذكريات طفولته، فتغدو منظومة الأشياء أمامه مترابطة ومتسقة، تدمج ما يحياه ويعيش فيه في بنية أوسع وأشمل، برؤية كلية تأخذ الأشياء الجزئية معناها من خلالها. ومثل هذه الثقافة المتعددة الأبعاد والزوايا المتكاملة الأثر لن تكون وحيدة الجانب، عقلية فقط، وإنما تشمل العقل والوجدان والعواطف والقيم، كما تشمل الماضي والحاضر والتوجه نحو المستقبل، مكونة من طريق النظرة الشاملة والحية روحًا مبثوثة عبر ثقافته كلها، قاسمها المشترك فهم الكون والعالم فهمًا متكاملاً، جماله في اتّساقه وترابطه، ومتعته في عمقه وإبداعه وكشفه لحجب الحقائق. وفي هذا كله تتبوأ الثقافة العامة الأهمية في إدراك كنه الحياة وجمالها وروعتها.

الثقافة العامة لا غنى عنها لكل إنسان. ولا يُعدّ المرء متمتعًا بشخصية متكاملة ومتوازنة ومتطورة من جميع الوجوه إلا إذا كان ذا ثقافة عامة!

رحلة مع الشيخ على متون القصائد

جرجس ناصيف

تتساقط الأوراق في الخريف، تتلاعب بها رياح الفناء، تحشرها في الزّوايا الميّتة، هناك يُسْمَع صراخها أو لا يُسْمَع، وهناك، حيث تبدأ رايات الموت تتعالى على رايات الحياة، تختلف المشاعر وتختلف نغمة الصّراخ باختلاف النّاس؛ ذاك يتحدّى في محاولة منه لإثبات الوجود المنفيّ، وذاك يستسلم مطمئنًا إلى راحة السّكون، وآخر يتسلّى بالذكريات يملأ بها فراغ الخريف الذي راح يعشّش في كلّ عضو من أعضاء الجسد المتداعي، وفي كلّ خليّة من خلاياه التي كانت تتمرّد يومًا بقوّة الحياة على قوّة الموت.

والشاعر إذا كُتِبَتْ له الشّيخوخة واحد كبقية النّاس، لولا أنّه مشحون بإحساس متوفّز وشعور مرهف، وقدرة على تجسيد مشاعره في كلام، في صور، في لوحات تتفاوت فيها المعاني والأحاسيس نوعًا وعمقًا بتفاوت الشّعراء وتفاوت مناظيرهم التي يفلسفون بها الحياة والموت.

هذا عمرو بن قميئة (ت: نحو ٥٤٠م) الشّاعر الذي عاصر المهلهل وامرأ القيس، هذا هو، وقد أشرف على التّسعين ثمّ تجاوزها، يطل على الشّباب من زاويته في الشيخوخة، فيراه شيئًا عظيمًا قيّمًا قد ضاع، ولم يتبقّ له منهُ إلاّ ذكريات يبكيها ويبكي فيها ملاذّه:

يا لهف نفسي على الشّباب ولم
أفقد به إذ فقدته أمَما(١).
إذ أسحب الرّيط والمروط إلى
أدنى تجاري وأنفض اللّمما(٢).

ثمّ هو لا يغبط من طال عمره وإن قيل عنه سيّد حاكم، ويدعوك إلى ألاّ تغبطه لأنّه بذلك يدفع ثمنًا غاليًا تبدو آثاره على وجهه:

لا تغبط المرء أن يُقال له
أمسى فلانٌ لسِنّه حكما
إن سرّه طول عمره فلقد
أضحى على الوجه طولُ ما سلما(٣).

وهو بذلك إنّما يفضّل أن لا يطول بالإنسان عمره مادام سيؤدّي الثمن، ومادام هذا العمر، وقد بلغ أرذله، لا يستطيع فيه أن يدفع عن نفسه شيئًا يؤذيه، وبنات الدّهر لا ترحم، وهي بالشّيوخ أشدّ قسوة، وما بنات الدّهر عنده إلاّ أفاعيل الشّيخوخة التي لا يرى سهامها، ولا يستطيع لها ردًا:

كأنّي وقد جاوزت تسعين حجّةً
خلعت بها عنّي عذار لجامي
رمتني بنات الدّهر من حيثُ لا أرى
فكيف ومن يُرْمَى وليس برامِ
فلو أنّها نبلٌ إذًا لاتّقيتُها
ولكنّني أُرمَى بغير سهامِ(٤).

وكأنّ الشّاعر هنا يحاول أن يفلسف قصّة الحياة والموت وما بينهما من شباب وشيخوخة، فيرى أنّ كلّ شيء بثمن، ولكنّه ثمن باهظ لا يستطيع أن يقول فيه: «لا»، فليستسلم.

وهذا زهير بن أبي سُلْمَى (ت: ٦٠٩م) شيخ من شيوخ الشّعراء كُتِبَ له أن يعمّر وأن يتجاوز الثمانين بل التّسعين، فلم يعد شيء يسلّيه بعد أن أضاع الشّباب على دروب العمر الطّويلة والمفعمة بـ«التّكاليف» على حَدِّ ما يقول:

سئِمتُ تكاليف الحياة ومن يعش
ثمانين حولاً - لا أبَا لَكَ - يسأمِ(٥).

وماذا بعدُ غير انتظار الموت؟ تلك نظرة زهير وقد بلغ الثّمانين، ماذا في حياة الشّيوخ غير السّأم، هكذا وفي تعميم «ومن يعش ثمانين حولاً يسأم».

ولكن زهيرًا هذا على المستوى الإنسانيّ لم يرضَ أن تذهب شيخوخته سدى، فإذا كان الشّباب قد ولّى ولم يعد شيء يسلّيه فله من تجارب الأيّام ما يستطيع به أن لا يركن إلى اليأس، وأن لا يستسلم إلى السّأم، فليكثّف إذًا تجاربه في أبيات يفلسف بها الحياة، وتكون صوًى وأدلّة لغيره ممّن ما زالوا على دروبها سائرين وفي وعورها سالكين:

رأيت المنايا خبطَ عَشْواءَ من تُصِبْ
تمته ومن تُخطِئْ يُعَمَّرْ فيهرمِ



ومن لا يصانعْ في أمورٍ كثيرة
يُضرَّسْ بأنيابٍ ويُوطَأْ بمنْسمِ(٦).

إلى آخر ما له من عظات.

هكذا رأى نفسه ـ وقد بلا الأيّام ـ حكيمًا مجرِّبًا، فقدّم ما بوسعه أن يقدّم للإنسانيّة، فكانت شيخوخته مخصبة، وصار لها مُسوِّغ.

أمّا أبو كبير الهذلي الشّاعر المخضرم (عامر بن الحُلَيْس) وقد صار شيخًا وأحسّ بالضّعف وبضيعة الشّباب بما يرافقه من قوّة ونشاط، وبأن لا مهرب من هذا الواقع المؤسي؛ فقد عمد إلى إظهار أسفه في خطابه ابنته زُهَيرة:

أزُهيْرَ، هل عن شيبة من معدلِ
أم لا سبيل إلى الشّباب الأوّلِ؟
أم لا سبيلَ إلى الشّباب، وذكرُهُ
أشهى إليَّ من الرّحيق السّلسلِ
ذَهَبَ الشّبابُ، وفاتَ منّي ما مضى
ونضا ـ زُهيْرَ ـ كريهتي وتبطّلي
وصحوت عن ذكر الغواني، وانتهى
عمري، وأنكرت الغداة تَقَتُّلي(٧).

لقد استكان أبو كبير إلى واقع الشّيخوخة فلم يفعل كما فعل قبله زهير، بل عاد إلى أيّام الشّباب الشّهيّة يستعيد ذكرياتها كما يفعل الشّيوخ من عامّة النّاس:

أزهيرَ، إن يَشِبِ القَذَالُ فإنّني
رُبَّ هَيْضلٍ(٨) مَرِسٍ لففتُ بهيْضلِ
فلففتُ بينهمُ لغيرِ هوادة
إلاّ لسفكٍ للدِّماءِ مُحلَّلِ
حتى رأيتُ دماءَهُمْ تغشاهُمُ
ويُفَلُّ سيفٌ بينهمْ لم يُسْلَلِ(٩).

ثمّ لا يلبث أن يعيد فيكرّر مثل هذه الذّكريات:

أزهيرَ، إن يُصبحْ أبوك مُقصِّرًا
طفلاً ينوء، إذا مشى، للكلكلِ
يهدي العمودُ له الطّريقَ إذا هُمُ
طعنوا ويعْمد للطَّريقِ الأسهلِ
فلقد جمعْتُ من الصِّحاب سريّةً
خُدُبًا لدات غير وخْشٍ سُخَّلِ(١٠).
ولقد شهدتُ الحيَّ بعد رقادهم
تُفْلَى جماجمهم بكلّ مُقَلِّلِ(١١).

هكذا أبو كبير لم يكن ليرى في شيخوخته ما يُمسكه فيها إلاّ ذكريات الشّباب، يجترّ ما كان له فيه من كرٍّ وفرٍّ، وقيادة لسرايا كان يحمل بها على الأعداء، وإذًا فليس له في الشّيخوخة إلاّ أن يبكي ويتباكى على الشّباب المولّي.

أمّا لبيد بن ربيعة، الشّاعر الذي ناطح المئة أو جاوزها (٥٦٠ ـ ٦٦١م) فهو شيء آخر، وإن كان قد سئم الحياة:

ولقد سئمتُ من الحياة وطولها
وسؤالِ هذا النّاس: كيف لبيدُ؟(١٢).

ولم يرَ في الشيخوخة إلا التّعب والضّنى:

المرء يدعو للسّلا
م وطول عيش قد يضُرّهْ
تودي هشاشته ويأ
تي دون حلو العيش مرّه
وتَصرُّفُ الأيام حتّـ
ـى ما يرى شيئًا يسرُّه(١٣).

فإن السّأم هذا لم يكن كسأم زهير المنتج إذ لم يقُدْه إلى الحكمة فيُثري بها حياته وحياة النّاس، بل ربّما قاده طول العمر ـ على السّأم ـ إلى شيء آخر هو تمنّي الخلود وإن كان يعلم أنّه غير مستطاع:

وغَنيتُ سبْتًا قبل مجرى داحسٍ
لو كان للنّفس اللّجوج خلودُ(١٤).

عبد العزيز الرفاعي

وإذا كان ـ وهو العارف ـ ليس لها خلود كما تبتغي هذه النّفس اللجوج الطّالبة للمزيد فليكن خلودها فيما فعله لبيد نفسه حين كان قويًا يستطيع أن يفعل ما يخلّد اسمه، فيذهب في تعداد نوافله في خطاب يوجّهه إلى ابنته «بُسْرَةَ» مشيدًا بتغلّبه على مُناظره الربيع بن زياد في يوم معلوم اتّخذ أسماء منها الأفاقة والغبيط:

وشهدت أندية الأُفاقة عاليًا
كعبي، وأرداف الملوك شهودُ
فأبوكِ، بُسْرةُ، لا يفنّد عمره
وإلى بلًى ما يَرْجِعَنَّ جديدُ
وحميْتُ قومي إذ دعتْني عامر
وتقدّمَتْ يوم الغَبيط وفودُ
أكرمْتُ عِرضي أن يُنال بنجوةٍ
إنّ البريء من الهنات سعيدُ
ما إن أهابُ، إذا السُّرادق غمّه
قرعُ القِسيّ، وأرعشَ الرِّعديدُ(١٥).

وإذا كانت النّفس لجوجًا تطالب بالمزيد فعقله (عقل لبيد) يدلّه على الحقيقة؛ فلا يخرج

استكان بعض الشعراء إلى واقع الشيخوخة، وعاد إلى أيام الشباب الشهية يستعيد ذكرياتها!

عن واقع الحياة وما أراده الله للإنسان؛ فيعلن لابنتيه، حين يراهما تبكيانه وتتمنّيان له الحياة، أن لا بدّ من النّهاية، ثمّ يعزّيهما بمصارع الغابرين وأنّه لا يستطيع أن يشذّ عن القاعدة، ثمّ يدعوهما إلى التعقّل والتصبّر، والتّعزّي بأفعال أبيهما ومكارم أخلاقه:

تمنّى ابنتاي أن يعيش أبوهما
وهل أنا إلاّ من ربيعة أو مُضرْ؟
ونائحتان تندُبان، بعاقلٍ،
أخا ثقة لا عين منه ولا أثر
وفي ابني نزار أسوة إن جزعتما
وإن تسألاهم تُخبرا فيهم الخبر
فقوما فقولا بالّذي قد علمتما،
ولا تخمشا وجهًا ولا تحلقا شعر
وقولا هو المرء الّذي لا خليلَه
أضاعَ، ولا خان الصّديق ولا غدر(16).

إذًا فتلك الخلال الطّيّبة هي وسيلته إلى الخلود كما هي وسيلة التّعزّي.

وإذا ما انتقلنا إلى ما بعد لبيد التقينا الأخطل غياث بن غوث بن الصّلت الذي لم يعمّر أكثر من سبعين عامًا (٢٠- ٩٢هـ)، التقيناه ينعى طول الحياة إذ لا يجلب لصاحبه إلاّ الخبال وتنكّر من كنّ عليه مقبلات:

فتنكّرتْ لمّا علتني كبرة
عند المشيب وآذنتْ بزيالِ
لمّا رأتْ بدل الشّباب بكتْ له
والشّيب أرذل هذه الأبدال
والنّاس همّهمُ الحياة، وما أرى
طولَ الحياة يزيد غير خَبال(١٧).

فهو رافض للشّيب والشيخوخة، متمسك بالشّباب لا يريدُ عنه بديلاً، وفيمَ يُريد البديل ما دام بديله الشّيب؟ ولمَ الشيخوخة ما دام شأنها هذا «وما أرى طول الحياة يزيد غير خبال»؟

أمّا إذا سرنا على خطّ الزّمن ووصلنا إلى ابن الرّوميّ (٢٢١- ٢٨٣هـ) في العصر العبّاسيّ؛ فإنّا نراه لا يكاد يحسّ بأفول نجم الشّباب حتى يأخذ في نعيه والتّباكي عليه، والسّبب الأوفى عنده نفور الجنس الآخر منه، نفور من كان الشّباب ضامنًا لهنّ:

كبرْتَ وفي خمس وخمسين مكبر
وشبْتَ فألحاظ المها منكَ نُفّرُ
إذا ما رأتْكَ البيض صدّت وربّما
غدوْتَ وطرْف البيض نحوكَ أصورُ(١٨).

وكيف لا يصدُدْنَ عنه وهو ـ أي الأشيب ـ لو رأى وجهه في المرآة لصدّ عن وجهه وكره نفسه:

إذا شنئتْ عين الفتى وجه نفسه
فعين سواه بالشّناءة أجدر(١٨).

وهكذا نراه يطيل العزف على هذا الوتر؛ فما يؤسف ويؤسِي في ضيعة الشّباب أنّه كان الضّمانَ من هروبهنّ أو المعوّض أمثالهنّ. تلك كانت فلسفة الشّباب عنده، وتلك كانت مصيبة الشّيخوخة:

قد كنت أبكي من صريمة خلّة
كان الشّبابُ معوّضي أمثالها
وإذا شبابُكَ بتّ منك حبالَهُ
بتّتْ لك منه النّساء حبالَها(١٩).

ويُؤسِي الشاعرَ فقدُ الشّباب إلى حدٍّ أنه يرى التّعزية عند فقده واجبًا إنسانيًا حريًا بالمعزّين:

أأُفجَعُ بالشّباب ولا أُعزّى؟
لقد غفل المعزّي عن مصابي(٢٠).

وإنّ رؤية ابن الرّوميّ هذه للشّباب والشّيخوخة لتقودنا إلى قول ابن خفاجة الأندلسيّ (٤٥٠-٥٣٣ هـ) في الشّيب:

كفاني رزء نفسي أن تبدّى
وأعظم منه رزءًا أن يغيبا
فأحسن من حَمام الشّيب عنْدي
غرابُ شبيبةٍ ألِفَ النّعيبا
يَطيب بنفسه عند الغواني
فيُغني عن فتيت المسك طيبا(٢١).

ولكنّنا نرى ابن خفاجة، على فزعه من الشّيب، متمسّكًا بالحياة، فهو لا يريد فواتها «وأعظم منه رزءًا أن يغيبَا». حتى لكأنّما هو ـ على خلاف ابن الروميّ ـ لا يرى مع فقد الشّباب مكانًا للتّعزية:

وكيف يفيض الدّمع أو يبرد الحشا
وقد باد أقران وفات شبابُ
فما ناب عن خلّ الصّبا خلّ شيبة
ولا عاض عن شرخ الشّباب خضابُ(٢٢).

وإلى هذا فالشّيخوخة ودنوّ شبح الموت كلاهما دفعا الشّاعر إلى اللجوء إلى الله ورجاء الآخرة مادام العمر إلى نفاد، والبقاء تقصّره الأيّام:

ألا قصّر كلّ بقاء ذَهابُ
وعمرانُ كلٍّ حياة خرابُ
ولا خطّه غير احدى اثنتين
فإمّا نعيم وإمّا ذهاب
فرحماك يا من عليه الحساب
وزُلفاك يا من إليه المآب(٢٢).

بيد أنّ لابن خفاجة قصيدة في وصف الجبل يلبس فيها مسوح الواعظين المجرّبين، وهو في كثير من أبياتها ينسى أنّ الجبل هو الجبل، فيتحوّل بين يديه في لحظات كثيرة إلى هذا الشّاعر الذي امتدّ به العمر ولاقى مصارع الكثيرين، ويروح في تأمّلات طويلة يستجلي سيرورة الحياة ودوّامة الموت والفناء؛ فحينًا يعدّد من عرفهم وطوتهم يد الردى على ما بينهم من تناقض:

وقال: ألا كم كنتُ ملجأ قاتل
وموطن أوّاه تبتّل تائبِ

لم يكد ابن الرومي يحس بأفول نجم الشباب، حتى أخذ في نعيه والتباكي عليه؛ بل إنه يطلب من أصحابه تعزيته فيه!


بشارة الخوري

وكم مرّ بي من مُدْلِجٍ ومؤوّب
وقال بظلّي من مَطِيّ وراكب
ولاطم من نُكْبِ الرّياح معاطفي
وزاحم من خُضر البحار غواربي
فما كان إلاّ أن طوتّهم يد الردى
وطارت بهم ريح النّوى والنّوائب(٢٣).

وحينًا تخفق ضلوعه حزنًا على فراقهم فيصرخ ويندب:

فما خفقُ أيكي غير رجفة أضلعٍ
ولا نوحُ وُرْقِي غير صرخة نادب(٢٤).

وحينًا لا يستطيع أن يسلوهم وقد عايشهم دهرًا وصاحبهم زمنًا:

وما غيّض السّلوان دمعي وإنّما
نزفْتُ دموعي في فراق الصّواحب(٢٥).

ثمّ إنّه يستطيل عمره حتى كأنّما يتمنّى انتهاءه لأنّه لم يعد قادرًا على تحمّل مواقف الوداع:

فحتى متى أبقى ويظعن راحل
أودِّع منه راحلاً غير آيبِ(٢٥).

فيلجأ إلى رحمة الله لتخلّصه من عناء البقاء الطّويل:

فرحماك يا مولاي رحمة ضارع
يمدّ إلى نعماك راحة راغب(٢٥).

تلك كانت رؤية ابن خفاجة للحياة والموت وما بينهما من شيخوخة تنوء بها السّنون الطّوال. فإذا صرنا إلى العصر الحديث مع شيخ آخر من شيوخ الشّعر، مع بشارة الخوري الملقّب بالأخطل الصّغير (١٨٨٥- ١٩٦٨م) رأيناه حريصًا على الشيخوخة متمسّكًا بالشّيب خائفًا من الموت، ولا يضيره أن يفدّي الشيخوخة بكلّ ما مضى من شبابه، إنّها الرغبة في الحياة:

أنا لا أشيّع بالدّموع صَبابتي
لكنْ ألفُّ جناحها بجناحي
دعني وما زرع المشيب بمفرقي
ما كنت أدفن في الثلوج صداحي
من كان من دنياهُ ينفضُ راحه
فأنا على دنياي أقبض راحي
إنّي أفدّي كلّ شمس أصيلة ـ
حذر المغيب ـ بألف شمس صباحِ(٢٦).

هي فلسفته التي تحاول أن تنأى به عن الموت، وتُقبل به على الحياة أيًا كانت هذه الحياة، إنّه يرفض برودة الشّيخوخة، يُطَعِّمها بصبابات الشّباب وحرارته، ولا يستسلم للموت، إنّه يخشاه، ويعلم أنّه مقبل، ولكنّه يرفضه، يصارعه بأشواق الشّباب «لكنْ ألفّ جناحها بجناحي»، «فأنا على دنيايَ أقبض راحي». لم يكن كابن خفاجة، ولا يقول قولته: «فحتى متى أبقى؟»، ولم يكن كابن الرّومي، ولا يقول ما قال: «أأُفجَعُ بالشّباب ولا أُعزّى».

وهذا لا يعني أنّ الشّاعر لم يشعر بوطأة السّنين؛ فهي قد أوهت قواه وغيّبت شمسه وقمره، يعلن ذلك في حفل تكريمه:

اليوم أصبحت لا شمسي ولا قمري
من ذا يغنّي على عود بلا وترِ!(٢٧).

وينعى على صداقة القوافي خيانتها وغدرها:

ما للقوافي إذا جاذبتها نفرت
رعت شبابي وخانتني على كبري؟
كأنّها ما ارتوت من مدمعي ودمي
ولا غذتها ليالي الوجد والسّهر(٢٧).

ثمّ إلى شاعر ثان معاصر، إلى عبدالعزيز بن أحمد الرّفاعي من السّعوديّة، إنّه يطوي السّبعين فيُحسّ بهول المصاب ويلوذ بالأصحاب وتبدّله السّنون بالرّحيق الصّاب:

سبعون يا صحبي وجلّ مصابُ
ولدى الشّدائد تُعرف الأصحابُ
سبعون يا للهول أية حقبة
طالت، وران علَى الرّحيق الصّابُ؟(٢٨).

إنّه تراكم الأعوام فوق الرّقاب:

تتراكم الأعوام فوق رؤوسنا
حتى تئنّ من الرّكام رقابُ(٢٨).

ومن هذا الصّاب، الذي يشكو منه ويتألّم بعد انقضاء الشّباب، زيارةُ الشّتاء شتاء العمر ببرده إذ لا نار تُدفئ، وحنينُه إلى التّراب حنينًا إلزاميًا، ومخالفةُ النّوم لما هو بحاجة إليه:

سبعون، قد وفد الشّتاء يزورني
والنار قد خمدتْ وليس ثقابُ
حنّتْ إلى عَبَقِ التّراب جوانحي
لاغروَ يشتاق التّرابَ تُرابُ
في يقظتي أغفو، وقد يجفو الكرى
جفني، فيحلم بالمنام طلابُ(٢٨).

كأنّما هي النّبوءة، فحنّ إليه التّراب والتقاه في العام ذاته ١٩٩٣م.

أمّا الخلاصة التي تنتهي إليها رحلة السّبعين عامًا فهي المحبّة، إنها الفلسفة التي آمن بها، إنها رحلة لم تخلُ من عظة ولم تعوزها الحكمة:

طوبى لمن جعل المحبّة جدولاً
وسقى أحبّته فطاب وطابوا(٢٨).

ولصديقه (صديق عبدالعزيز الرفاعي) الشاعر أحمد عبدالرحمن المعلّمي(*) ديوان سمّاه «حديث الأعوام» فيه إحدى عشرة قصيدة نظم ثمانيَ منها بعد أن جاوز السّبعين، ولا تُشعر واحدة منها أنّه يشكو الشيخوخة أو يتشكّى أو يبدي أسفه على الشّباب الراحل، فهو قويّ متماسك، على الصّعاب التي عاشها. حتى إذا أرسل إليه صديقه الرّفاعي قصيدته

رحلة مع الشيخوخة
على متون القصائد

التي تناولناها في حديثنا هذا طالبًا إليه أن يُعارضها؛ رأيناه يبني قصيدة نُحسُّ فيها دفق روحه الأبيّة على الشكوى من ضعف أو ألم، بل نراه يجعل الزّمن يأتيه في شيخوخته مستغفرًا ممّا ألحقه به من أذّى أيّامَ الطفولة والشّباب:

وأتى الزّمان إليّ في شيخوختي
مستغفرًا فعدا الذنوب عتابُ(٢٩)

ثمّ يأخذ نفسَه في تعداد أيّام نضاله وعذاباته التي أقلّها الغلّ والقيد وتدحرج الرؤوس أمام عينيه بعد أن كتب وصيّته:

ملّت سراديب الشّقاء تعاستي
إنْ أنَّ سردابٌ بكى سردابُ
حبّ العدالة قد أضاع سعادتي
طلب المحال تعاسة وعذابُ
جُرْجِرْتُ بالأغلال، عنقي موثقٌ
وتدعّني عند الوقوف حرابُ
وعليّ في الأقدام قيد ناهش
لكأنّما قد دربّته ذئابُ
دهري ترصّد لي بكلّ صلافة
حمقاءَ مذ جاءت بي الأصلابُ
فطفولتي يُتمٌ وأمراضٌ وتشـ
ـريدٌ، وفقر مدقع وسيابُ
من عاش فصلاً واحدًا بضياعه
فأنا لمأساة الضّياع كتابُ
والطيش قد يعرو الشّباب، وحبّذا،
لكنّ عمري ما اعتراه شبابُ
صحراء قاحلة حياتي كلّها
ويبابها يُطْوى عليه يبابُ
وأتى الزّمان إليّ في شيخوختي
مستغفرًا فعدا الذنوب عتابُ(٣٠).

أجل، من حقّه على الزّمان بعد هذا أن يعتذر ويستغفر. والقصيدة طويلة لا يألو فيها جهدًا في بيان نضاله الطّويل وعذاباته المرّة التي منها ما عاناه في سجون حجّة في اليمن:

وسجون حجّة كيف أشرح هولها
وأمام عيني يُذْبحُ الأحبابُ
ويدحرج الهامات سيفٌ طائش
نجس النّوايا طبعه الإرهابُ
كم ظلّ يرنو نحو رأسي غاضبًا
وبصفحتيه من الدّماء خضابُ
ما جزّ رأسًا من رؤوس أحبّتي
إلاّ ورأسي قبله ينسابُ
وخرجت من سجني أهيم مطاردًا
خلفي ومن كلّ الجهات كلابُ(٣١).

إذًا فالشّاعر المعلّمي لم تشغله هموم الشّيخوخة. وإذا رأيناه في مطلع القصيدة يشكو من عزوف ليلى وزينب وسوسن عنه فما ذلك إلاّ لبثّ روح الدّعابة استجلابًا للقارئ واستهواء له:

سبع على سبعين كيف أُجابُ
لو أنّني غازلْتُ يا أصحابُ
«ليلى» ستسخر بي، وتحسب أنّني
خرِف، إلى حدّ الجنون مُصابُ
وتقول «سوسن» وهي أرملة على
ظمأ: أأطمع فيه وهو سَرابُ؟
وتصيح «زينب» والكهولة قد دنت
منها: وهل بقيت له أنياب؟(٣٢).

حتى إذا اطمأنّ إلى مصاحبة القارىء راح يجوب الماضي بما فيه من نضال عانى منه الأمرّين معرّجًا على كلّ آماله الوطنية التي تحقّقت أو ما زالت في طريق التحقّق. فالقارئ يحسّ بعد أبيات الدّعابة المطلعيّة أنّ الشّاعر لم يكن يعبأ بالسّنين التي ناء كاهله بها؛ فهو مشغول عنها بهمومه الوطنية التي عاش لها صباه وشبابه وكهولته وما زال يعيش لها في شيخوخته. تلك فلسفة الشاعر في الحياة: نضال وعراك مع الصّعاب، عاشهما ولا يأسف، بل يفخر لأنّهما من أجل أن تعيش الأجيال بعده في عزٍّ ورفاه:

إنّا زرعنا الكرم لا لنفوسنا
لكن لتُشْربَ بعدنا الأنخابُ
ما جاءنا «سبتمبرٌ» إلاّ على
أشلاء من بذلوا النفوس وغابوا(٣٣).

تلك هي فلسفة الشّيخوخة بل الحياة كلّها لدى شاعرنا المعلّمي.

إنها رحلة الحياة الهاربة طفنا فيها بين القصائد نستجلي مشاعر الشّيوخ يوم أصبحوا لا شمسهم ولا قمرهم على حدّ قول الأخطل الصغير: «اليوم أصبحت لا شمسي ولا قمري»، فبرزت لنا معان تأتلف حينًا وتتنافر أحيانًا، ومشاعر تتباكى على اللّذات الغاربة، أو تتباهى بما قدّمت للإنسانيّة يوم كان بمقدورها أن تقدّم، ونفوس تستكين إلى برودة الموت الذي يقترب، أو تتمسّك بالحياة حتّى آخر قطرة فيها بقوّة وكأنّها مستمرّة.

الهوامش:

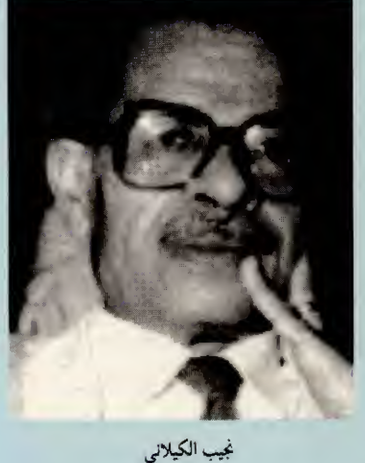
١ـ الأمَم: القصد القريب.
٢ـ٣ـ الريط والمروط: من أنواع الكساء الثمين. التّجار: جمع تاجر وهو هنا بائع الخمر. ديوان الحماسة لأبي تمّام، مختصر من شرح العلاّمة التبريزي، مكتبة محمد علي صبيح وأولاده، مصر ١٩٥٥م، ٢ / ١٧، ١٨ .
٤ـ المرزباني: معجم الشّعراء، تحقيق د. ف. كرنكو، دار الجيل، د.ت.
٥ـ٦ـ شرح ديوان زهير بن أبي سلمى، تحقيق د. أحمد طلعت، دار القاموس الحديث ودار الفكر للجميع، بيروت، ط١، ١٩٦٨م، ص٣٠، ٣١ .
٧ـ تقتُلي: تكسُري وتغنّجي. ديوان الهذليين، نسخة مصوّرة عن طبعة دار الكتب المصرية، الدار القومية للطباعة والنشر، القاهرة ١٩٦٥م، ٢ / ٨٨ ، ٨٩ .
٨ـ الهيضل: الجماعة من النّاس يُغزى بهم.
٩ـ المصدر السابق، ص٨٩ .
١٠ـ الخدب ج الأخدب: هم الذين يركبون رؤوسهم لا يردّهم شيء. السُّخْل: الضّعاف. الوخْش: النّذل.
١١ـ المقلّ: صفة للسّيف. المرجع السابق، ص٩٠، ٩٢ .
١٢ـ١٣ـ فؤاد أفرام البستاني، المجاني الحديثة، المطبعة الكاثوليكية، بيروت، ط٣، ١٩٦٦م، ١ / ١٢٥ ، ١٢٦ .
١٤ـ المصدر السابق، ص١٢٥ . غنيتُ: عشتُ. سبتًا: دهرًا.
١٥ـ١٦ـ المصدر السابق، ص١٢٥،١٢٦ .
١٧ـ العماد مصطفى طلاس، شاعر وقصيدة: مختارات شعرية، دار طلاس، ط٢، دمشق ١٩٨٥م ص٢٧٦ .
١٨ـ٢٠ـ ديوان ابن الروميّ، تحقيق د. حسين نصّار، وزارة الثقافة، مطبعة دار الكتب، مصر ١٩٧٦م، ٣ / ١٠٨٣ ، ٥ / ١٩٦٥، ١ / ٢٥٨ .
٢١ـ٢٣ـ محمد عبدالمنعم خفاجي، قصة الأدب في الأندلس، مكتبة المعارف، بيروت ١٩٦٢م، ٢ / ٢٣١، ٢٣٢، ٢٣٥، ٢٣٣ .
٢٤ـ٢٥ـ د. جودت الركابي، في الأدب الأندلسي، دار المعارف بمصر ١٩٦٠م، ص١٤١،١٤٢ .
٢٦ـ بشارة عبدالله الخوري، شعر الأخطل الصغير، دار الكتاب العربي، بيروت ١٩٩٣م، ص٣٣ .
٢٧ـ التّراجم والنقد، الثالث الثانوي الأدبي، مديرية المطبوعات والكتب المدرسية، الجمهورية العربية السورية ١٩٧٩-١٩٨٠م، ص١٥ .
٢٨ـ من مخطوطة قصيدة «سبعون».
(*) شاعر يمنيّ ولد عام ١٩١٧م وما زال حيًا أمدّ الله في عمره.
٢٩ـ٣٣ـ أحمد عبدالرحمن المعلّمي، حديث الأعوام، مطبعة عكرمة، دمشق ١٩٩٤م، ص٣٣،٣٢،٣٣،٣٤،٣١،٣٥ .

حمامة سلام

قصة الحل الإسلامي للصراع

الحسين زروق

الدكتور نجيب الكيلاني من الأدباء المرموقين الذين لهم باع طويل في الأدب الإسلامي. ولا يكاد يذكر مجال من مجالات الأدب، سواء أكان هذا المجال قصة، أم شعراً، أم مسرحية، أم نقداً، أم مقالة اجتماعية، إلا تردد فيها اسم نجيب الكيلاني. وقد حاز العديد من إسهاماته جوائز مهمة. وما نقوله هنا يعرفه الجميع على العموم، والكيلاني، على ذلك كله، غنيّ عن التعريف.



نجيب الكيلاني

المسحة الأولى

وإذ نتناول قصة «حمامة سلام»، فإننا نتوقع - انطلاقًا من النظرة الموجزة عن أدبياته - أن تكون هذه القصة ضمن سلسلة الأدب الإسلامي. وبذلك فلها خصائصها وميزاتها التي تبعدها من العديد من أنماط القصة. وفي قراءتنا هذه نستعين ببعض إيجابيات المنهج البنوي، ونحاول أن ننزاح قليلاً لننفتح على الواقع، ومن ثم نجمع بين بنية النص الداخلية والخارجية.

وعمومًا فإننا نغض النظر عن شخصيات القصة؛ ومن ثم عن جانب الحوارية. وإن كنا نؤمن أن لهذين الجانبين أهمية بالغة في القصة، ذلك أن الحوار في قصص الكيلاني هو وثيقة تعبّر عن نمطية الطبقة التي ينتمي إليها الشخص، والفئة التي هو منها. كما أن أشخاص قصص الكيلاني لهم خصائصهم وميزاتهم، وهم جزء من الحجج التي يمتلكها القاص، وجزء من الأدلة التي يتكئ عليها، والتي من منطلقها يحاكم الواقع، أو يشير إلى أوجه الخلل فيه(١)، ونركز في قراءتنا هذه على جانب المضمون وجانب خط القصة فقط.

قطبا القصة

يمكن هنا أن نستعين ببعض المفهومات الرياضية دون الإخلال بأدبية القراءة. ذلك أن القصة في شكلها من البداية إلى النهاية تمثل قطعة مستقيمة قطبها الأول «أ» ويجسد «الوعي» المفرط إلى حد السلبية، وهو ممثل في شخص الحاج عبدالودود رضوان. وفي المقابل نجد القطب الثاني «ب» ويجسد «اللاوعي» المفرط إلى حد السلبية كذلك، وهو ممثل في طبقة الفلاحين. وبين الوعي واللاوعي يحدث صراع يعطينا مجموع أحداث النص. هذه الأحداث هي مجموع النقط المنتمية إلى المسافة نفسها الفاصلة بين القطب «أ» والقطب «ب»، وسلبية القطبين تؤدي حتمًا إلى اصطدامات عنيفة عبر صفحات القصة، ويمكن أن يجسد لنا المقتطف التالي هذا النوع من الوعي واللاوعي:

«كانت الأمور تسير سيراً حسنًا، حسبما رسم الحاج عبدالودود رضوان، وخاصة بعد أن كتب العقود مع الفلاحين المستأجرين لأرضه، وانتزع منهم التوقيعات على بياض، حتى يستطيع في أي وقت من الأوقات أن يقدّر إيجار الفدان حسبما يشاء»(٢).

وإذا كان الصراع بين الوعي واللاوعي هو صراع داخلي، أي مُضمر، فإننا نجد نوعًا آخر من الصراع، غير مُضمر، هو الصراع الخارجي. وهذا الصراع نجد له سوابق في العديد من بوادي مصر، ومن ثم نسجل واقعية من واقعيات القصة(٣)، ونقتطف بعض الفقرات لنستعين بها في إظهار خصائص هذا النوع من التصادم المباشر:

«ويقول بعض أدعياء الحكمة من الفقراء: هناك طريقان للتخلص من الظلم. الطريق الأول هو التفاهم والإقناع، والطريق الثاني هو القوّة. لقد أخفقت وسيلة الإقناع فلم يبق إلاّ القوّة»(٤).

«فيرد حكيم فقير: ياعبد قم وأنا أقوم معك، وإن لم تقم ياعبد من سينفعك»(٥).

«لقد سرى خبر يقول: إن مجهولين قد أتلفوا نصف فدان من مزرعة الحاج عبدالودود الكبيرة، مزرعة الخضروات»(٦).

«وجاءهم الرد الحاسم ذات صباح عندما وجدوا واحداً منهم قتيلاً»(٧).

وأمام هذا الصراع نجد الحاكي يوظف الخطاب الديني ليميل بقصته أكثر إلى الأدب الإسلامي، انطلاقًا من القول بأن الأدب الإسلامي هو «أدب» في المقام الأول، ثم «إسلامي» في المقام الثاني، إن لم يكن هناك تراكب بين «أدب» و«إسلامي» إلى الدرجة التي تصعب فيها معرفة «من له السَّبْق»(٨).

والكيلاني بتوظيفه الخطاب الديني لا يغفل الواقع، وإنما يوظفه - الخطاب الديني - بوجهيه كما هو معروف في هذا الواقع، أي يعتمد تقنية النص والنص المضاد، أو بعبارة أوضح التأويل والتأويل المضاد. فنجد كل قطب يؤول حسب رؤيته وحسب مصالحه. وإذا كان الفلاحون يتحدّون الحاج عبدالودود بواسطة الخطاب الديني، فإن ردة الفعل هي قبول التحدي واللجوء إلى الخطاب الديني أيضًا.

فالصراع يبدأ بالمشادات الكلامية ثم يتطور إلى إتلاف المحصولات، فالقتل، فالصراع باعتماد الخطاب الديني:

«وأخذ الطالب الشاب يصول ويجول فوق المنبر ويهاجم الذين لا يرون الفقراء، وينعى عليهم الأخلاق الفاسدة، والظلم الذي ملأ السماء والأرض حتى وقع العالم في حرب طاحنة لا يعلم إلا الله مداها»(٩).

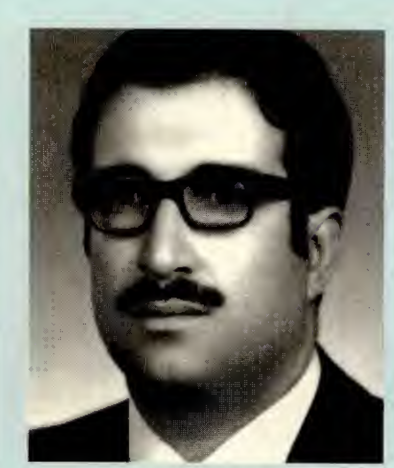
«وقاطعه الشاب جلال الدين قائلاً وقد تضاعفت حماسته: المال مال الله، وما أنت إلا مستخلف فيه، والأرض لله يورثها من يشاء من عباده»(١٠).

وإذا كان هذا فعل قطب اللاوعي الذي انبثق منه «الشاب جلال» كحالة شاذة. فإن ردة فعل الحاج عبدالودود/ قطب الوعي كانت:

«وفي يوم الجمعة التالي كان المسجد يبدو خاويًا، وفي الصفوف الأولى يجلس العمدة وبعض رجال الشرطة والحاج عبدالودود، وصعد شيخ عجوز المنبر، وأخذ يتحدث بنبرات مرتعشة واجفة عن طاعة أولي الأمر، لأن طاعتهم من طاعة الله، ولم يكن هناك أحد من الفلاحين بقادر على أن يتابع موضوع الخطبة»(١١).

وبذلك ترى أن هذا النمط من الصراع والتوظيف للخطاب الديني منبثق من الواقع المعيش، ومن ثم نسجل واقعية أخرى من واقعيات القصة.

وإذا كان هذا هو الحال الذي وصل إليه الصراع بين القطبين، فإنه لابد من تدخل السلطة، وهنا يكمن الحل/ المقترح الثاني.


د. عماد الدين خليل

محمد قطب

في البداية تتدخل السلطة لتحمي - كما في معظم الأزمنة - مصالح الحاج عبدالودود، لكن هذه المساندة سوف تتحول/ تتغيّر بعد وصول فئات واعية شابة إلى مراكز السلطة ومناصب الإدارة. وبدأت هذه الفئات تحاول جهد الإمكان تهدئة الأوضاع بنصح الحاج بدل مساندته، والضغط عليه ولو شفهيًا، ومحاولة القيام بدور وسيط خير، بدل العصيّ التي لا ترحم:

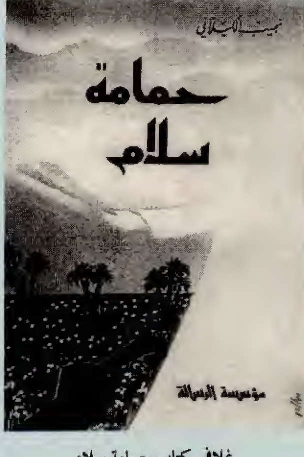
«وكان المأمور من السذاجة بحيث حاول أن يقنع الحاج بأن يرحم الفلاحين، وألاّ يغالي في الإيجارات، وأفهمه أن عطفه عليهم ورحمته لهم سوف تقضي على كل عدوان متوقع»(١٢).

«تضايق المأمور وتوترت أعصابه، وصرخ دون وعي: أنت تهذي، لو أتوني برأسك ورؤوس أمثالك لعذرتهم، أنت المسؤول عن هذه الكارثة، ومع ذلك تأبى أن تعترف، ليكن القانون في صفك، لكن أي منطق يوافق على أن ترفع قيمة الإيجار في الوقت الذي أصابت الآفات المحصول؟»(١٣).

لكن لا الخطاب الديني يحل المشكلة، ولا حتى السلطة، مادمنا نجد أن كل قطب يلجأ إلى الفعل/ ردة الفعل من جنس فعل الآخر، لنجد ثنائيات الصراع الجناسية متمثلة، إلى حد ما، في: «العنف البدني# العنف البدني» «حرب المصالح# حرب المصالح» «السلطة# السلطة»، «الخطاب الديني# الخطاب الديني». وأمام هذا الإخفاق، يتدخل أصحاب الفضيلة والغيرة، وفي هذا الصدد نجد الشيخ عبدالباقي عندما سمع بهذه الظاهرة انزعج لها، وصعد المنبر يوم الجمعة ثم قال: «أيها الناس اتقوا الله، فقد كفى ما كان. هل رزقنا الله بنعمائه حتى ندمرها؟ وهل أخرج لنا الزرع كي نتلفه؟ وهل جاء بالأنعام من مواش وأغنام كي نقتلها بالسم، فلا يستفيد منها أحد؟ أهل القرية في حاجة إلى كل نبتة يعصف بها الشر،

الراوي في القصة يوظف الخطاب الديني ليميل بقصته أكثر إلى الأدب الإسلامي؛ انطلاقًا من أن الأدب الإسلامي هو «أدب» أولا، و«إسلامي» ثانيًا

قصة الحل الإسلامي للصراع



غلاف كتاب حمامة سلام

وإلى كل بهيمة يقضي عليها السم، نحن في أيام حرب وغلاء فاحش، أيام سوداء لا يعلم إلاَّ الله متى تنتهي، الناس لا يجدون ما يأكلون، يا مسلمون أما فيكم رجل رشيد؟»(١٤).

تطابق القطبين

أمام الصراع بين الوعي واللاوعي، القبح والجمال، الغنى والفقر، ينبثق الحل من القطبين. ويكون بتزاوجهما، ومن ثم يكون من اشتراكهما، وإذا كان الزواج بين الفئتين لم يؤت أُكله عاجلاً، فإنه قد مهد لحل آجل:

«وفي ليلة سوداء عاصفة، يكمن الخطر في كل أرجائها زُفَّت سكينة إلى الحاج عبدالودود رضوان»(١٥).

وإذا كان الحاج عبدالودود من الطبقة الغنية فسكينة من طبقة الفلاحين، ونجدها هي نفسها تفصح عن وضعها المزري:

«أنت تعلم أننا عائلة مساكين، العين لا تعلو على الحاجب، من نحن بالنسبة لكم؟ عندكم الأرض والمال والموظفون، وصلاتكم بالأكابر، ونحن على قدّ حالنا»(١٦).

هكذا. وكلما قويت علاقة عبدالودود بسكينة سارا معًا نحو الأمر الواقع، حتى لانَ القلب، وكان الحنين للولد/ الأمن/ الاستقرار. ويتفق أبناء الحاج من زوجته الأولى، مع الشيخ عبدالباقي وأهل الخير في القرية، فيناقشون المسألة، ويضعون حدًا للخصام، دون أن يعترض الحاج:

«وأطرق الحاج واجمًا، إن سكينة تقول الكلام نفسه، والشيخ عبدالباقي لا يدري حلاً غير ذلك، وأولاده يؤكدون أنها الوسيلة الوحيدة للقضاء على الفوضى والأخطار، ومدير المركز يشاركهم الرأي، والفلاحون ينتظرون هذه الخطوة الحاسمة، والحاج بينه وبين نفسه يؤمن بذلك»(١٧).

إن هذا الحل الذي أسهم فيه الجميع هو حل إسلامي، يأتي بعد سلسلة من الأحداث الدامية، والتخريبية المنافية للمبادئ الإسلامية، وهذا يجعلنا نتفق مع محمد قطب، إذ يقول: «ليس من المفروض في الأديب المسلم أن يخرج عن بشريته، ولكن المفروض فيه مع ذلك ألا يذيع على الناس إلا ما هو خير»(١٨)، ويجعلنا نتفق أيضًا مع الدكتور نجيب الكيلاني نفسه، إذ يقول: «والأدب الإسلامي يحرص أشد الحرص على مضمونه الفكري النابع من قيم الإسلام العريقة، ويجعل من ذلك المضمون ومن الشكل الفني نسيجًا واحدًا معبِّرًا أصدق تعبير...»(١٩).

اللمسة الأخيرة

نخلص من كل ما قلنا إلى تحديد خط القصة، هذا الخط الذي يتجه، كما هو واقع، إلى العلاقة بين قطبي القطعة المستقيمة بشكل أفقي، بحيث يمكن استخلاص الترسيمة التالية:

صمت جبري + صراع جبري = سلام اختياري.

فجبرية الصمت يجسدها القانون الذي هو في صف الحاج عبدالودود، وكونه جعلهم يوقعون على بياض معناه أن له الحق في أن يتصرف كما يطيب له من الناحية القانونية، ومن ثم ما على الفلاحين إلا الصمت والصبر.

وأما الصراع الجبري فإن الظروف هي التي تفرضه، إذ هذه الظروف لقسوتها حتَّمت على الفلاحين تكسير كل قاعدة قانونية، وتهميش كل وثيقة رسمية، أو سَنَد رسمي. فقد وجدوا أنفسهم مجبرين على التحدي من أجل كسرة خبزٍ، وإلا تَشَرَّد الجميع، وألقى بهم الحاج عبدالودود خارج القرية بكاملها.

ويكون السلام الاختياري كسرًا للقاعدة الرياضية:

[جبري + جبري = ٢ جبري]

ما دام الواقع الإسلامي يفرض ذلك، وما دامت الرؤية الأدبية الإسلامية تحتم هذا النوع من التوجه.

ونجد ما لجأ إليه الحاكي/ السارد هو نفسه ما ذهب إليه محمد قطب عندما قال: «إن الأديب المسلم مفروض فيه أن تكون أفكاره ومشاعره ـ كأعماله وتصرفاته ـ نابعة من الإسلام، منضبطة بضوابط الإسلام. والأديب بشر على أي حال، وليس البشر ملائكة ولا مفروضًا فيهم أن يصبحوا ملائكة»(١٩).

ختامًا

أتمنى أن تكون هذه القراءة دليلاً على أن المناهج الغربية ليست فاسدة، أو مرفوضة، أو سلبية دائمًا، وإنما ثمة إيجابيات وسلبيات. وليس بوسعنا أن نرفض ما وصل إليه العقل الإنساني في مجال من المجالات، وإنما بوسعنا أن ننتقي من النتائج ما يساير واقعنا ويتناسب معه، ولا يتنافى مع عقيدتنا، وبذلك فإن وضع منهج نقدي ينطلق من تصور إسلامي لا بد أن يستفيد من إيجابيات مختلف المناهج، وألاّ يضرب بالتطور الذي أحرزته الإنسانية عرض الحائط، وصدق د. عمادالدين خليل إذ قال: «ليس بالضرورة أن يعتمد الناقد منهجًا محددًا للتعامل مع الظاهرة الأدبية، وإنما بمقدوره أن يتلقى جوانب إيجابية من هذا المنهج أو ذاك لصياغة رؤية منهجية أقدر على التعامل مع الأدب من حيث كونه معطى إنسانيًا يجافي الرؤى الضيقة»(٢٠).

الهوامش:

١- حول أهمية دراسة الحوارية يمكن الرجوع إلى أسلوبية الرواية، مدخل نظري، فصل: الأسلوب في نطاق الحوارية والمونولوج لـ: حميد الحمداني.

٢- حمامة سلام، د. نجيب الكيلاني، ص٦.

٣- من الأفضل مراجعة «يوميات نائب في الأرياف» لتوفيق الحكيم، فهي تجسد هذا النمط من الصراعات أيما تجسيد.

٤-٧- حمامة سلام، ص ٦٨، ٦٩، ٩٩، ٨٠ .

٨- مدخل إلى الأدب الإسلامي، د. نجيب الكيلاني، ص٣٤ .

٩-١٦- حمامة سلام، ص ١٩، ٢٢، ٢٦، ٧٠، ٧٤، ٧٧، ٨٤، ١٧ .

١٧- لا إله إلا الله عقيدة وشريعة ومنهاج حياة، محمد قطب، ص ١٢٠ .

١٨- مدخل إلى الأدب الإسلامي، ص ٣٤ .

١٩- لا إله إلا الله عقيدة وشريعة ومنهاج حياة، ص ١١٩ .

٢٠- ملحق الراية، العدد ٧٢، حوار مع د. عمادالدين خليل، أجراه: المصطفى أبو ياسر.





عبدالشكور كونزا

تلاوة الصبي قادته إلى الإسلام

جاء مولده عام ١٩١٩م والحرب العالمية الأولى قد وضعت أوزارها، وبلاده ألمانيا تضمد ما بقي من جراح الحرب وآلامها. وفي خضم تلك الأحداث العاتية كان مولده في أسرة كاثوليكية، تتعصب لمذهبها، ومعظم رجالها من القساوسة، أما النساء فانتمى معظمهن إلى الراهبات.

نشأة صارمة.. وأسئلة حيرى!

من هنا كانت نشأته نصرانية صارمة. فالأسرة قد اعتادت قراءة الإنجيل بصفة مستمرة يوميًا كلما سنحت لها فرصة فراغ. وعلى هذه التربية النصرانية المتشددة؛ إلا أن عبدالشكور كونزا، الذي حباه الله منذ طفولته بعقل راجح وروح طموح إلي المعرفة، كان كثيرًا ما يعترض على إيمان أهله بالتثليث وهو بعد لما يناهز الخامسة من عمره، ويناقشهم في ذلك، لكنهم لم يحملوا اعتراضه على محمل الجد، بل كانوا يرونه تهويمات طفل غر يريد أن يسأل عما غمض عليه، ولا ضرر من أسئلته واعتراضاته، فيومًا ما سوف يكبر ويؤمن بالله الذي يؤمنون به، ويسير على درب أجداده وأعمامه فيصير قسًا، بل ربما كاردينالاً.

وحين دخل المدرسة وتعلم أن ١ + ١ = ٢ أدرك أن النصرانية بعيدة من التوحيد، فقرأ التوراة أو العهد القديم - كما يسمونه -، فوجد أن بني إسرائيل ينادون بإله واحد، لكنه إله خاص بهم وحدهم من دون سائر البشر!! فأدرك أنه ليس منهم وأنهم ليسوا منه.

لم يكن أمامه من خيار سوى أن يستمر نصرانيًا، على عدم اقتناعه بالنصرانية، وبخاصة أنه لم يقبل بالتوحيد على الطريقة اليهودية، أما توحيد الإسلام فلم يكن له علم به، فكل ما سمعه عن الإسلام شريعةً وأسلوبَ حياة يُنَفِّر ولا يُبَشِّر، لكونه مستمدًا من آراء القساوسة وأقاويلهم.

الحرب.. وويلاتها

وشاءت عناية الله أن يُجَنَّد ضمن الجيش النازي حين هبت رياح الحرب العالمية الثانية، حيث رأى كيف يتصارع النصارى ويقتل بعضهم بعضًا متناسين تعاليم المسيح عليه السلام، الذي يزعمون انتماءهم إليه، وهو منهم براء.

لقد أدت الحرب الضروس، وما رآه من جثث القتلى وبقايا المشوهين، وما سمعه من صرخات الأرامل والثكالى إلى تنامي عدم اقتناعه بالنصرانية، لكنه لم يتخذ خطوة لتركها، حتى نُقل إلى الجبهة الليبية عام١٩٤١ م ليمضي قرابة العامين في القطر الليبي المسلم، ولم يفته أن يلحظ اهتمام الشعب الليبي بدينه، وحرصه على أداء مناسك الصلاة يوميًا جماعة، كما استوقفه صوت الأذان وهو يعلو من فوق مآذن المساجد مناديًا جموع المصلين، لكنه لم يهتم بذلك كثيرًا، قدر اهتمامه بمتابعة صبي صغير، ذي وجه مشرق، كثيرًا ما لاحظه يردد ما ظنّه أنشودة رائعة كل صباح بصوت عذب دافئ النبرات، وعلم - فيما بعد - أن ما ظنه أنشودة لم يكن إلا سورة «الفاتحة»

الخطوة الأولى: حفظ الفاتحة

بلغ تأثره بصوت الصبي مبلغًا عظيمًا، فسعى ذات مرة ليعطيه طعامًا، لكنه فوجئ به يشكره ويعتذر من عدم قبوله. وقتها ظَنَّ أن الصبي يرى أن طعام النصارى حرام على المسلمين، ولم يشغله هذا الرفض كثيرًا، فكل ما كان يهمه سماع تلك الأنشودة التي عشقها وتسربت داخل روحه، على عدم فهمه لمعانيها، وظل يردد كلماتها مع الصبي، حتى حفظها.

وحين لقي النازي هزيمة منكرة، وانقسمت قواته بين قتيل وجريح وفارٍّ وأسير، كان عبدالشكور كونزا من بين الذين وقعوا في أسر الحلفاء، فَسُجِنَ في ليبيا ثم رُحِّل إلى سجن بالولايات المتحدة الأمريكية، وهناك بدأ في تعلم اللغة العربية حتى حفظ أحرفها وأجاد القراءة بها، وكان - آنذاك - في الرابعة والعشرين من عمره، وكان تعلمه اللغة العربية، لغة القرآن الكريم، إرهاصًا وخطوة أولى نحو اعتناق الإسلام، إذ إنه ما كاد يتعلمها حتى بادر إلى الحصول على نسخة من المصحف الشريف، وبدأ في قراءتها، ليكتشف أن ما كان يظنه أنشودة ما هو إلا سورة الفاتحة، أم الكتاب.

بعد قراءة القرآن الكريم، قرأ ترجمة لمعانيه كان المستشرق الألماني هننج قد قام بوضعها، وأحس حين تَدَبَّر معاني القرآن الكريم أنه وجد معنى التوحيد الذي طالما بحث عنه، التوحيد المنزه عن الشرك، الذي يسمو برب الخلق في ملكوته، وينزهه عن أي شريك ويجعل له وحده ـ عز وجل ـ الربوبية.

محاولة القاديانيين اصطياده!

لم يتردد عبدالشكور كونزا كثيرًا وأشهر إسلامه، مرددًا الشهادتين، ومعاهدًا ربه على أن يصير من عباده الصالحين القانتين، بعدما شَدَّهُ إلى الإسلام ما لمسه فيه من سماحة تجاه غيره من الأديان، وبساطة ووضوح في تفسير معنى الربوبية وخلق الكون، وإحاطة بكل شيء من خلال تنظيمه لحياة العباد جميعًا، وشموله لنظريات اجتماعية وسياسية واقتصادية لو أخذ بها العالم لَحَلَّ السلام والوئام محل الحروب والنزاعات.

وبطبيعة الحال، فإن إشهار إسلامه لم يمر ببساطة أمام تعصب أسرته للنصرانية، إذ رفض أهله تمامًا أن يقبلوا به بعدما صار «كافرًا» في نظرهم، وسعى هو من ناحيته للتعرف إلى إخوانه في الإسلام، بغية تحصيل المزيد من العلم بجوهر الإسلام وحقائقه. وكاد خلال بحثه يقع فريسة لجماعة القاديانية، التي حاولت جذبه إلى نحلتها الضالة؛ إلا أن عناية الله تداركته حيث أدرك ـ بما حباه الله من عقل ـ زيف تلك النحلة وبطلانها، فتركهم بعد أن أمضى معهم مدة طويلة، لم يؤمن خلالها بشيء من دعاويهم الكاذبة، ونذر نفسه لخدمة العقيدة الصحيحة، وهداية من يعرفهم إلى طريق الحق، مسترشدًا في ذلك بسيرة الرسول صلى الله عليه وسلم والسلف الصالح، وما كان يعرفه قبلاً عن نفسيات النصارى ومعتقداتهم بوصفه كان واحدًا منهم يومًا ما!

قصيدة

شادن

«أطلت شادن قبسًا وفرحة، وطيبًا وبهجة، وأملاً وبسمة، فجعلت لحياتنا معنى بديعًا، لا تشيعه إلا الطفولة بروعتها وسحرها».

شعر: **د. حيدر الغدير**

أطلت بأفراحها شادن   يسابقها حلمها الفاتن
كقطر الندى في الصحارى الظماء   وكالروض باكره الهاتن
وكالطيب يهديه قلب نبيل   وفيه العلا والندى ساكن
طلعت على عالمي فانتشى   كأنك سر به كامن
أعدت إليه الشباب الذي   تولى وما عابه شائن
وأيقظت فيه هواه القديم   لسحر الطفولة يا شادن
وأسعدت منه غدًا قادمًا   يضاحكه حاضر راهن
أظل حيالك ثبت الرؤى   كأني في المعبد السادن
أحدق فيها فلا أرتوي   وشوقي جوى ظاهر باطن
مقيم بربع أقامت به   فإن ظعنت عنه فالظاعن
حماك الإله من الشانئين   وأخطأك الحاسد العائن
ولقّاك أكرم ما أرتجي   وصانك في عينه الصائن
وزان حياتك أهل الوفاء   فلا غادر مر أو خائن
كأني أراك غدًا تلعبين   وحولك فارس أو مازن
وعاتك في دعة يعبثون   ولا خائف ثم أو واهن
وأمك ترنو ويدعو أب   وحفظ الإله هو الضامن
وحيدر يرمق ما تفعلون   سعيدًا وسربكم آمن
أشادن كوني فتاة التقى   وصوني الفضيلة يا شادن
فيوم التقاة غد فائز   ويوم العصاة غد غابن



فضيلة الشيخ
د. صالح بن سعد اللحيدان

توزيع التركة، وصحة حديث

إذا توفي شخص فكيف تتم عملية توزيع التركة؟ وهل صح حديث: «لا وصية لوارث»؟

محمود بن سالم بن ردهان العمري.
الأردن.

كنتُ قد بيَّنتُ شيئًا من هذا قبل، ولا بأس في النظر في الجواب من جديد عسى أن تعم الفائدة به إن شاء الله تعالى، فأقول:

إذا توفي شخص ما فيقوم الورثة بما يلي:

١- حصر التركة كلها من عقار ومال ونحوهما.

٢- حصر الورثة كلهم.

٣- حصر الديون التي للمُتَوَفَّى.. والتي عليه.

٤- إثبات الوصية لغير الوارث إن كان قد أوصى لأحد، أو أوصى بثلث ماله أو ربعه بشيء معين لا معصية لله تعالى فيه.

٥- ثم يتم بعد ذلك توزيع التركة على الورثة كما جاء في سورة النساء، وما صحَّت به السنة ما لم يُنْسَخ أو يُقيَّد.

وحديث: «لا وصية لوارث» صحيح، وهو عمدة في باب الوصايا كما نَصَّ عليه علماء الأثر الصحيح.

ومعنى الحديث: أن المُتَوَفَّى لو أوصى لأحد الورثة بوصية من ماله بعد وفاته لا يُنظر إليها لأن الوارث يأخذ نصيبه من التركة، والوصية له مع حقه زيادة على النص فلا تجوز، ولأنه ظلم لبقية الورثة. ولهذا أبطل الشارع الحكيم هذه الوصية.

صحة قول شائع

ما حكم قول القائل: «يا رحمة الله ارحميني»؟

سعيد: م. م. أ. أبها.

الأصل في الدعاء والتوسل أن يكونا على ما ورد بنص صحيح، ولما كان الدعاء أصلاً مهمًا في حياة المسلم فلا يجوز للمسلم أن يدعو بشيء إلا عن علم وفهم سليمين من المعارض.

فقول القائل: «يا رحمة الله ارحميني»، و«يا وجود الله جُدْ عليَّ» ونحوهما لا يجوز لأنه دعاء مفرد للصفة، ولم يرد أن أحدًا قال مثل هذا الدعاء ولم يُنقَل إلينا. لكن على المسلم أن يدعو فيقول: يا رحمن ارحمني، يا جواد جُدْ عليّ، يا غفور اغفر لي، ونحو ذلك مما يتقدم فيه الاسم على الصفة أو مما اتصل به ضمير يعني الاسم بدلالة الحس والمعنى كقول الداعي: برحمتك أستغيث..إلخ.

أرض عليها نزاع

ما حكم الأرض المملوكة بصك شرعي وعليها نزاع بين الورثة كيف تُزكّى؟

عبدالله بن بكر بن حمد.
قطر.

الأصل في هذا أن النزاع على الثابت ثابت لا يتغير؛ فَتُزَكَّى الأرض كلما حال عليها الحول، ويشترك في زكاتها أهل النزاع ماداموا لم يستقروا على شيء ولم يتضح لمن تكون الأرض.

زكاة الذهب

مامقدار زكاة الذهب؟ وهل يجوز إبدال ذهب جديد بذهب قديم وأخذ زيادة؟

م م م، العليا، الرياض.

إذا حال الحول على الذهب وبلغ نصابًا فتكون زكاته أحد عشر مثقالاً.

أما إبدال ذهب جديد بذهب قديم وأخذ زيادة على هذا الاستبدال نظرًا لقدم الذهب فهذه الزيادة باطلة. والمخرج من هذا هو: بيع الذهب القديم وشراء ذهب جديد بقيمته، لكن دون اتفاق سابق على هذا. والله أعلم.

الشفعة

هل الشفعة تبطل بالجهالة؟

صالح. م. ن.
البكيرية، القصيم.

الشُّفْعَة - بإسكان الفاء - مأخوذة من الشفع وهو الزوج. فإذا شفع الشفيع على مبيع فإنه بسبب الشفعة يضم المبيع إلى ملكه لأنه أحق به من غيره، لكن بعوض مالي صحيح، والشفعة يجب أن تكون على الفور من حين علم الشريك بمجرد البيع.

وإذا ثبتت جهالة الشريك بعد البيع بمدة طويلة، ولحقه ضرر بالغ من هذا، وثبت بما لا يدع مجالاً للشك، فإن الضرر يُزال بقدره لما صَحَّ من حديث: «لا ضرر ولا إضرار».

والله أعلم.

حَمْزَة شَحَاتَة

عبقريّ زمانه!

روّاد الأدب في بلادنا كثر. ولست بمدَّعٍ أنني عرفتهم جميعًا. ولكن الأقطاب منهم كان لي مع بعضهم لقاء، كما أتاح لي عملي في الصحافة الاقتراب كثيرًا من آخرين منهم. وعن هؤلاء وأولئك يسعدني أن أكتب لـ «مجلة الفيصل» بعض ما عرفته عنهم أو تعلمته منهم.

٢

ظلَّت الملامح المكونة لشخصية حمزة شحاتة مدة طويلة مجهولة حتى لأولئك الذين اقتربوا منه بعض الشيء. وكان حمزة في كل مراحل حياته نموذجاً للفكر المثالي الواقعي الذي لم تلن له قناة، وكانت إقامته الدائمة أو شبه الدائمة في خارج الوطن أشبه بناقوس يدق في أعماقه بصفة مستمرة، وبخاصة تلك المرحلة التي تركته فيها ابنته الكبرى «شيرين» لتعيش في كنف زوجها وكانت من أقرب بناته إليه.




عبدالله عمر خياط

تفجرت في أعماقه تلك المكونات فخرجت أعماله الأدبية - نثرًا وشعرًا على حد سواء - في مستوى تلك الأعمال الخالدة لأبي العلاء المعري وأبي الطيب المتنبي، وكان تنقله المستمر من عمل إلى آخر يبرز جوانب العبقرية في شخصيته وأبعادها، وهي الجوانب التي بلورت مواقفه الجادة سواء من أجل أهدافه، أو من أجل القيمة الفكرية التي ظلت تؤرقه طويلاً حتى في رسائله إلى المقربين إليه، وكانت هذه الحالة تمور في أعماقه دائمًا وتتوهج قلقًا مستمرًا في أغوار نفسه، وإن كانت ملامحه تبدو دائمًا باسمة هاشة.

ولكي نواصل الحديث عن معطيات حمزة شحاتة الفكرية، وإبداعاته الشعرية، لابد أن نقدم عنه للقارئ بعض سطور من سيرة حياته التي يروي جانبًا منها الأستاذ محمد علي مغربي - رحمه الله - في كتابه «أعلام الحجاز» فيقول:

«طويل القامة، ممتلئ الجسم، أسمر اللون، أقنى الأنف، واسع العينين، يضع على عينيه نظارة طبية، وهو لا يستطيع الرؤية من دون هذه النظارة. أصلع الرأس، تزين وجهه لحية صغيرة، حليق العارضين، جسيم وسيم، متناسق الأعضاء له قامة رياضية. عرفته في النصف الثاني من الأربعينيات وكان يرتدي الثوب القصير وتحته السروال الطويل، الذي يشبه البنطال، وهذا هو زي الشباب الذين عاشوا في الهند يتعلمون أو يعلمون الطلاب هناك علوم الدين واللغة العربية، وكان حمزة واحدًا منهم كما سيأتي بعد. وفوق الثوب يرتدي (الكوت) الطويل ويضع على رأسه كوفية حجازية، ويضع الشال على كتفيه أو يعتمّ به اتقاء للشمس. وعلى أي حال فقد كانت له هيئة طيبة، إذ كان أنيق الملبس دائمًا يختار الألوان الهادئة والأقمشة الجيدة. وأذكر أن أستاذًا مصريًا كان يعمل في المدرسة السعودية الابتدائية في جدة اجتمع به مرة فوصفه لأحد أصدقائنا قائلاً: «الأفندي اللي هيئته كويسة» وذلك تمييزًا له من الآخرين، وربما لم يكن يعرف اسمه. وعلى أي حال فإن حمزة أصبح فيما بعد يرتدي العباءة العربية والعقال وبخاصة بعد أن عمل موظفًا بوزارة المالية بمكة المكرمة، ومديرًا للنقليات الحكومية في عهد معالي وزير المالية الأسبق الشيخ عبدالله السليمان رحمه الله.

ولد بمكة عام ١٣٢٨هـ وتلقى مبادئ تعليمه بها أولاً، ثم في مدرسة الفلاح بجدة. وكان الشيخ عبدالرؤوف جمجوم عميد آل الجمجوم قد سافر إلى مكة، وكانت تربطه بعلي شحاتة ومحمد نور شحاتة، شقيقي حمزة، صلات صداقة وعمل، وحينما انتقل آل شحاتة إلى مدينة جدة كان بيتهم ملاصقًا لبيت الجمجوم، وكان الشيخ عبدالرؤوف يعنى عناية خاصة بالغلام حمزة شحاتة لما لمسه فيه من ذكاء مبكر. وقد التحق حمزة بمدرسة الفلاح بجدة وكان محل عناية الشيخ عبدالرؤوف، رحمه الله، حتى إنه كلف إحدى بناته العناية بحمزة ومذاكرة دروسه، فكان يقضي أوقات فراغه كلها بدار آل الجمجوم. وأتم حمزة دراسته في مدرسة الفلاح وكانت مدة الدراسة بها ست سنوات، وقد أدركته وهو طالب في آخر مراحل الدراسة بالفلاح وأنا مبتدئ بها. ثم سافر إلى الهند ليعمل في دار آل زينل هناك، وأقام في مدينة بومباي عدة سنوات، ثم عاد إلى جدة ليتسلم أولى وظائفه الحكومية سكرتيرًا للمجلس التجاري بجدة الذي كان يرأسه الشيخ سليمان قابل.

لم تطل مدة عمل حمزة - يرحمه الله - بالمجلس التجاري، فقد كان من النمط القلق الذي لا يستطيع الاستمرار، وكانت طموحاته وتطلعاته تدفعه إلى

التغيير. وقد جاء هذا التغيير بإلحاح من أخيه المرحوم الشيخ محمد نور شحاته الذي أسس شركة للنقل بالسيارات ـ في أوائل العهد السعودي ـ تعمل بين مكة المكرمة والمدينة المنورة لنقل الحجاج، وكانت هذه الشركة تسمى شركة السلامة. وقد أخبرني حمزة أنه اضطر مرة إلى قيادة السيارة اللوري من جدة إلى المدينة المنورة والعودة بها بعد أن لاقت شركتهم ـ كما لاقى غيرها من الشركات ـ المصاعب الكثيرة من السائقين الأجانب الذين كانوا يتولون قيادة تلك السيارات. وما لبثت هذه الشركة أن انضمت، كما انضم غيرها من الشركات، إلى الشركة العربية للسيارات. ولكن محمد نور وحمزة شحاتة كانا قد عملا في استيراد قطع الغيار للسيارات وبيعها، وفي هذا العمل بالذات اتصلت أسبابي بأسباب حمزة شحاتة ـ يرحمه الله ـ في النصف الثاني من الأربعينيات في جدة حيث كنت أعمل في شركة القناعة للسيارات، وكانت تبيع قطع الغيار للسيارات، كما تبيع المحروقات، والإطارات الخاصة بالسيارات؛ وبحكم تجانس العمل كان يزورنا الشيخ محمد نور شحاتة وكذلك حمزة، فاتصلت أسبابي بأسبابه وتوثقت عُرا الصداقة بيني وبينه.

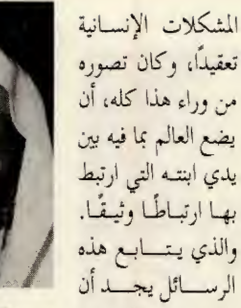
كان حمزة نمطًا فريدًا في الأدباء لم يكن يشبهه غيره. وكان ساحر الحديث يمتلك قلوب سامعيه وأفكارهم، وكانت لغة حديثه أقرب إلى الفصحى منها إلى العامية، ولكنها الفصحى المحببة التي لا تصدمك منها لفظة موحشة أو كلمة غريبة قاسية، وكان يمزج أحاديثه بالطرائف والنكات في أسلوب أخاذ.

ويتفق الأستاذ محمد علي مغربي مع ما ذكره الأستاذ عزيز ضياء عن رسائل حمزة شحاتة من أنها ثروة أدبية؛ فيضيف إلى ماسبق:

«وكان حمزة إذا كتب لا يختلف كثيراً عنه حينما يتحدث، وكانت رسائله قطعًا أدبية رائعة، ولو جمعت هذه الرسائل التي كان يبعثها إلى أصدقائه الكثيرين لتكونت منها مجلدات، ولكانت فنًا عجبًا في أدب الرسائل، وقد جمعت ابنته شيرين الرسائل التي كان يرسلها إليها وقد أصدرتها في كتاب».

وتعد هذه الرسائل نموذجًا رفيعًا لأدب الرسالة، كما أنها تُظهر بجلاء ـ كما يقول الأستاذ المغربي ـ الحب الكبير الذي يربط شيرين بأبيها فقد كانت له كل شيء: الابنة وسيدة البيت والصديقة التي يتحدث إليها، ويبثها مكنون صدره وأفكاره. وليس هذا بغريب على أي حال.

ومن الرسائل التي كتبها الأستاذ حمزة شحاتة لابنته شيرين هذه المقتطفات التي تمثل أسلوبه في كتابة الرسائل، كما تمثل أفكاره وخلجات نفسه، إذ استطاع من خلال رسائله أن يثبت قدرته على التفاعل مع أكثر المشكلات الإنسانية تعقيداً، وكان تصوره من وراء هذا كله، أن يضع العالم بما فيه بين يدي ابنته التي ارتبط بها ارتباطًا وثيقًا. والذي يتابع هذه الرسائل يجد أن مضمونها خارج عن نطاق رسالة الأب العادية لابنته.. فالشمولية في هذه الرسائل جعلتها قطعًا أدبية عميقة المستوى، رفيعة الأسلوب ذات منبع إنساني ممتلئ بالمعاني السامية.

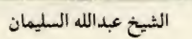




محمد علي مغربي



محمد سرور الصبان — الشيخ عبدالله السليمان



يقول حمزة شحاتة في الرسالة الثلاثين، وهي ترجمة لإحدى حالاته النفسية:

«لقد تحطمت قبل أن أبدأ قصة حياتي، والذي شغلني عنها ولعي بإنقاذ الغرقى وإطفاء الحرائق».

ويقول في رسالته الرابعة:

«تمت عزلتي الآن، ولم تعد لي علاقة بأحد إلا بالمقدار الذي لا يزيد عما يتهيأ لأي نزيل في فندق ـ صغير ـ».

ومنها: **«إننا في سفينة أو أوتوبيس، وكل الفرق أن الرحلة أطول، إنني أشعر بضغط الوحدة ضغطًا مخيفًا، أراني غريقًا أتخبط وأرسل صرخات الهلع، وأسمع أصوات ضحكات السخرية ممن يتظاهرون بإنقاذي!**

أبدًا أبدًا لم أعد أقوى على احتمال هذا الشقاء وحدي بلا معين، إنني أبدأ الفكرة ولا أعرف كيف أتمها، وفي الليل عندما يهدأ كل شيء وينام، أظل أنا كالآلة الدائرة تدور بلا نهاية».

ويقول في الرسالة العاشرة ـ بعد أن فقد البقية الباقية من بصره فيما أظن ـ: **«إني لا أنام الليل أبدًا، حتى الساعة السابعة أو الثامنة، لا تسألي لماذا؟ فأنا لا أعرف شيئًا يقتضي هذا الأرق الثابت، ربما كانت الشيخوخة، أو طبيعة انعدام الشاغل الليلي، كالقراءة، والتلهي بنظم الشعر، أو على الأصح ما اصطلح الناس على تسميته بالشعر لتمييزه بأنه الكلام غير المألوف، وربما كانت طبيعة الوحدة والشعور بالظلمة التامة، ويظهر أن وقتًا كافيًا للاعتياد لم يمر على هذه التجربة القاسية».**

والرسائل تتضمن أفكارًا وآراء كثيرة تستوقف القارئ المتأمل. إذ يقول في الرسالة الحادية عشرة:

«عندما نفعل خيراً للغير، ينبغي لنا أولاً أن لا ننتظر أو نتقبل جزاء عليه من غير الله، وأن نحتمل ما يقابلنا من مكاره، أقلها الجحود وسوء الجزاء، إلا إذا عافانا الله من التعرض لها. إن احتمال مغارم الخير وما قد يجره علينا من البلاء للابتلاء مضاعفة لجزائنا عليه من الله».

ويواصل الأستاذ المغربي حديثه عن حمزة شحاته فيقول:

«إن هذه الرسائل تمثل فترة من حياة حمزة شحاتة لعلها فترة الكهولة في حياته، ولو جُمعت كل الرسائل التي كتبها في صدر شبابه ورجولته لرأينا فيها «العجب العجاب»؛ فلقد كان حمزة شحاتة أحسن من يعبر عن عواطفه وخوالجه، ولقد كان يكتب إليّ كما كان يكتب إلى قنديل وإلى عزيز ضياء وإلى عبدالله عريف وإلى محمد عمر توفيق وإلى الأخ الشيخ محمد نور جمجوم وإلى غيرهم من أصدقائه الكثيرين. وبالنسبة لرسائله إليّ فإني فقدتها كلها، فُقدت بين الكثير من أوراقي الضائعة، ولعلها تكون موجودة بين ركام الأوراق الكثيرة التي لا أستطيع فرزها والتي لا أعرف مكانها. على أي حال كان حمزة فريداً في أحاديثه، وفريداً في رسائله، لا يشابهه أحد، ولا يشبه أحداً، فهو صاحب أسلوب خاص في الحديث وفي الكتابة على سواء، توثقت الصلة بيني وبينه عقوداً من السنين فكنت ألقاه أصيل كل يوم وصدر كل مساء حينما كان بجدة.

ولكن حمزة ما لبث أن غاب عن جدة، فقد ذهب إلى مكة للعمل سكرتيراً للشيخ محمد سرور الصبان، بطلب منه، وكان حمزة ـ كما ذكرت ـ لا يطيق البقاء في عمل واحد، حتى ولو كان هذا العمل التجاري الذي يمتلكه هو وأخوه. ولعل خلافًا دب بين الأخوين رأى حمزة معه أن يترك عمله التجاري ليعمل سكرتيراً خاصاً للشيخ محمد سرور الصبان. وقد بقي حمزة في هذا العمل عامًا واحدًا أو نحو ذلك، إن لم تخني الذاكرة في تحديد الوقت. وكانت من ضمن أعمال السكرتارية لدى الشيخ محمد سرور الصبان ـ رحمه الله ـ الإجابة عن عشرات الرسائل التي ترد إليه يوميًا من شتى أنحاء المملكة، ومن مختلف طبقات الناس، وكثير منها يتعلق بمعاملات لهم في وزارة المالية، وفي شؤون خاصة بهم، وضاق حمزة ذرعًا بهذا العمل الروتيني فطلب من الشيخ محمد سرور الصبان إعفاءه، ولكن الشيخ محمد سرور الصبان لم يوافق

عبقري زمانه! ٢

على إعفائه، ومازال حمزة يلح حتى وافق الشيخ محمد سرور على إجابة الطلب، ولكنه ألزمه أن يختار له من يقوم بعمل السكرتارية بدلاً منه، وكتب إليّ حمزة - رحمه الله - يعرض عليّ العمل لدى الشيخ محمد سرور في مكة، فاعتذرت بادئ ذي بدء لأن ظروفي العائلية لم تكن تسمح بالانتقال إلى مكة، وعاد حمزة إلى جدة، ثم طرأ ما جعلني أقبل العمل لدى الشيخ محمد سرور في مكة، وانتقلت إليها، وكان ذلك في شهر ذي القعدة عام ١٣٥٥هـ. عاد حمزة مرة أخرى للعمل مع أخيه في جدة، ولم يمض على هذه العودة الكثير من الزمن حتى رأيت حمزة يسافر إلى أبها وجيزان بصحبة المرحوم الشيخ عبدالعزيز جميل، وكان يعمل هناك مديراً لماليات وجمارك جيزان وتوابعها.

كانت هذه الرحلة تفقداً للمنطقة وأحوالها، وكان لحمزة صديق آخر في أبها هو المرحوم طلعت وفا الذي كان مديرًا لشرطة أبها، ووصل فيما بعد إلى منصب مدير الأمن العام بمكة المكرمة.

وقضى حمزة بضعة أشهر وهو يتنقل بين جيزان وأبها وصبيا وأبي عريش ورجال ألمع، ثم عاد إلى مكة بصحبة الشيخ عبدالعزيز جميل الذي نُقل رئيسًا لماليات وجمارك الأحساء وتوابعها، وبعد هذه العودة عهد معالي الشيخ عبدالله السليمان، وزير المالية الأسبق، إلى حمزة بإدارة سيارات النقليات الحكومية، وبقي فيها بضعة أشهر، ثم انتقل بعد ذلك للعمل في ديوان المحاسبة في وزارة المالية.

ثم ترك العمل في وزارة المالية وعاد إلى جدة لإدارة العمل التجاري مع شقيقه محمد نور الذي ما لبث أن سافر إلى مصر واستقر هناك إبان الحرب العالمية الثانية.

كان حمزة يحلم بالهجرة إلى مصر والاستقرار بها، وكان خياله الخصب يصور له جمال الحياة على شاطئ النيل وإمكانية النجاح الاقتصادي في أرض الكنانة.

وكانت ابنته الطفلة شيرين في القاهرة في حضانة أمها هناك، وكانت هي بكر أولاده من زوجته الأولى التي تزوجها في جدة، وكان حريصاً على ضمها إليه بعد أن تعذرت سبل الوفاق بينه وبين زوجته الأولى التي تزوجها في جدة. ثم تهيأت الأسباب لسفره إلى مصر فسافر إليها مع بناته وأسرة أخيه جميعًا، ونزلوا أول نزولهم في مدينة حلوان، ثم استقر بهم الأمر في القاهرة، وكان هذا عام ١٣٦٤هـ وكنت هناك، وكنت أرى حمزة تقريبًا في كل يوم. وكان أخوه الشيخ محمد نور قد اشترى قطعة أرض في الدقي، وكانت البعثات السعودية تسكن في دار مؤجرة، وكان القائمون على شؤون البعثة يتمنون لو أنهم سكنوا في دار مملوكة لأحد السعوديين، وقام حمزة وأخوه محمد نور ببناء دار البعثات السعودية على جزء من الأرض المملوكة لهما بالدقي، وأصبحت هذه الدار مقراً للبعثات السعودية، ثم عُيِّن حمزة محاسبًا لإدارة البعثات بعض الوقت، ولكنه ما لبث أن ترك العمل في دار البعثات.

وعاد إلى مكة بناءً على طلب الشيخ محمد سرور الصبان - رحمه الله - ليكون أول رئيس لنقابة السيارات في عهدها الجديد في ١٣٧٢هـ، ولم تطل إقامته في هذا العمل كما لم تطل في أي عمل مارسه من قبل. كان قلق النفس لا يستقر على حال، كانت طموحاته تتمرد على العمل «الروتيني» الرتيب، وكانت تلك هي ضريبة العبقرية التي تتحدى القيود والأعراف.

وعاد حمزة أخيراً ليستقر في القاهرة، وقد استشرت الخلافات بينه وبين أخيه حتى بلغت حد القطيعة. قلت له يومًا: وفاقك مع أخيك وتعايشكما ملزم لكما جميعًا، فأنتما لم تنجبا ولدًا، كل ذريتكما من البنات، فاطويا صفحة الخلاف وليضع أحدكما يده في يد الآخر. ولكنهما كانا عنيدين.

كان حمزة شحاتة نمطًا فريدًا في الأدباء لم يكن يشبهه غيره. وكان ساحر الحديث يمتلك قلوب سامعيه وأفكارهم!

ولقد ضعف بصر حمزة في السنوات الأخيرة من حياته فكان إذا خرج صحبته صغرى بناته، وكان قد أصيب بانفصال في الشبكية كما أصيب قبله أخوه محمد نور بها، وفقد كل منهما بصره في آخر حياته - غفر الله لهما -.

وانتقل إلى رحمة الله بتاريخ ١٣٩٢/١٢/١٢هـ ودفن في مكة المكرمة».

هذه خلاصة ترجمة حياة حمزة شحاتة كما كتبها الأستاذ محمد علي مغربي. أما الأديب والصديق الأثير للأستاذ حمزة شحاتة الأستاذ عبدالحميد مشخص فقد كتب مقدمة «رفات عقل» الصادر عن «تهامة» ضمن سلسلة «الكتاب العربي السعودي» وفيها يقول:

«دكت حصونه الأيام والسنون، وعصفت به أعاصير الحياة ورياحها القاسية، تدافعته الأمواج. قذفت به يمينًا، وقذفت به شمالاً. سبح فوق ضوء القمر، وتركزت على جسده أشعة الشمس، وملأت ذرات الرمال الصفراء عينيه، فظل قمة من القمم، وعلماً من الأعلام، وراية بيضاء. ظل مناراً وسط محيط ينام موجه تحت ليل مظلم طويل. عرف القلق حينما كان في السفح، وعندما تربع على القمة عرف القلق، وحرارة الحُمّى التي تنهش الجسد والقلب. وعرف الهزيمة والانتصار، فآثر الهزائم النظيفة على الانتصارات القذرة. عرف الكثير والكثير، وجهل نفسه في بحر اللا انتماء.

آمن بالله ثم بالإنسان، وعاش للحياة يعطيها، ولا يأخذ منها، فقد أحس أنه أكبر من عطائها، وأن عطاءها لا يدوم، وشق لنفسه هذه المعرفة.

شق لنفسه عبر الصخور، والرمال، والأوحال، والخرائب الفكرية طريقًا: تصطف على جانبيه شموع، لا يتراقص ضياؤها، ولا ينطفئ سراجها.

فعزف عن الأشياء، وظل يطل على الحياة من على ضفاف غير تلك التي يعيش فوقها البشر، يطل ويشمئز، يطل فيحس بالاختناق، يطل والآمال تحرق وجدانه، وجمر الأماني يكوي ضلوعه.. ويرتد بصره إلى نفسه، فلا يرحمها من اشمئزازه، وضيقه بها، وحنقه عليها. ولكنه بالرغم من كل ذلك كان يرفع قلمه بين الحين والحين، ليكتب بالدمع شعرًا، وبالآمال غناء، وبجمر الأماني نشيداً.

كذلك عاش شاعر العروبة الراحل حمزة شحاتة، وهكذا كانت حياته.. حياة زاخرة بالهموم والآلام، حياة كانت شبيهة إلى حد كبير بحياة أستاذه الشاعر العملاق أبي الطيب المتنبي.

عاش شاعرنا الفيلسوف الراحل حمزة شحاتة هذه الحياة التي يطل على القارئ بها من خلال جانب من مذاكرته الخاصة التي استطعنا، بعد جهد جهيد، أن نعثر عليها بخط يده بين أوراقه المهملة المتناثرة.

وهكذا عاش حمزة شحاتة.. ثم رحل عنا إلى مثواه الأخير. ولم يزل إخوانه يبذلون قصارى جهدهم في سبيل جمع ما تركه من إنتاجه النادر القيم، وفاءً بحقه عليهم، وتخليداً لذكراه».

وحقيقة.. فإن كتاب «رفات عقل» الذي قام بجمع مادته وتنسيقها الأستاذ عبدالحميد مشخص يمثل نموذجًا لفكر الأستاذ حمزة شحاتة.. كما يعبر كتاب «شجون لا تنتهي» و«حمار حمزة شحاتة» عن بعض ملامح عطائه الرائع مما سيكون موضوع حديث الحلقة القادمة بإذن الله.

مِنَ الأخطاءِ اللغويّةِ الشائعةِ:

التّذكيرُ والتّأنيثُ

في الاستعمالات المعاصرة

د. محمود عمّار

التذكير في العربية أصل، والتأنيث فرع عنه، وفي ذلك يقول سيبويه: «الأشياء كلها أصلها التذكير»(١). ويقول: «اعلم أن المذكر أخف عليهم من المؤنث؛ لأن المذكر أول... وإنما يخرج التأنيث من التذكير»(٢). ولهذا احتاج التأنيث ـ في الغالب ـ إلى علامة تدل عليه، كقولنا: جاءت المعلمة، وقد يكون بالوضع: كزينب وسعاد، أو بالتحوير، كقولنا: زيد يكتب، وزينب تكتب.

وقد احتفلت العربية بقضية التذكير والتأنيث، فالاسم إما مذكر وإما مؤنث، سواء أكان مفردًا أم مثنى أم جمعًا، وتأثر بذلك الفعل، والضمير، وأسماء الإشارة، والأسماء الموصولة، والخبر، والصفة، والحال، والعدد، وغيرها؛ وقُسِّم المؤنث إلى: حقيقي ومجازي، وكذا إلى: لفظي ومعنوي ولفظي معنوي(٣).

ومع ذلك أبقت العربية بعض قنوات الاتصال بين المذكر والمؤنث مفتوحة، ليبقى للتعبير الأدبيّ والفنّي لمساته في التذوق والإبداع. وحتى لا تكون القاعدة صارمة بالقدر الذي يخنق الفن، أو يقتل الحركة الذهنية عند المتحدث أو الكاتب، فقد أجازت اللغة كلمات «مذكّرة وُصف بها المؤنث، كما يوصف المذكّر بمؤنث»(٤)، وقد يكون الشيء المذكّر يوصف بالمؤنث، ويكون الشيء المذكّر له الاسم المؤنث... ويكون الشيء المؤنث يُوصف بالمذكر، وقد يكون الشيء المؤنّث له الاسم المذكّر(٥)، ويتولد من ذلك ثلاث حالات، تضم كلٌّ منها عدة صور كما يأتي:

أولاً: ما يُذكَّر ويُؤنَّث، ويظهر في:

ـ ألفاظ محفوظة، أشهرها، كما ذكره السيوطي: القليب، والسلاح، والصاع، والسكين، والإزار، والسراويل، والعرس، والعنق، والسبيل، والطريق، والدلو، والسوق، والعسل، والعاتق، والعضد، والعجز، والسُّلَّم، والفُلْك، والنهر، والحال، والمتن، والكراع، والذراع، واللسان، والزقاق، والصراط، والروح، والخوان، والسنان(٦).

ـ المواضع التي يجوز فيها إلحاق تاء التأنيث بالفعل، ويجوز تركها، وهي أربعة:

أحدها: أن يكون الفاعل اسمًا ظاهرًا مجازيّ التأنيث، فتقول: طلعت أو طلع الشمس.

الثاني: أن يكون الفاعل حقيقي التأنيث وهو منفصل عن العامل بغير (إلا) تقول: حضرتْ أو حضرَ القاضيَ امرأةٌ، والتأنيث هنا أفصح وفي الأول أرجح.

الثالث: أن يكون العامل: نعم أو بئس، تقول: نعمت أو نعم المرأةُ هندٌ.

والرابع: أن يكون الفاعل جمعًا مكسرًا، أو اسم جنس، أو اسم جمع، وقد ألحقت بمجازيّ التأنيث، تقول: جاء أو جاءت الزيود، وقال أو قالت الأعراب، وأورق أو أورقت الشجر(٧).

ثانيًا: ما جاء بالتاء دالاً على المذكر، ويظهر في:

ـ الأعلام المذكرة المختومة بالتاء: كمعاوية، وحمزة، وطلحة، وحذيفة... إلخ.

ـ الصفات المختومة بتاء المبالغة: كراوية، وطاغية، ونابغة، وطلاّبة... إلخ.

ـ التاء الدالة على توكيد المبالغة: كعَلاّمة، ومِطْرابة، ومَلولة، وفَروقة، وغيرها.

ـ ما بني على (فُعَلَة) للدلالة على المبالغة: كَهُمَزة، ولُمَزَة، وهُزَأة، وضُحَكة، وهُذَرة. قال المبرد: «وهذا كثير لا تنزع منه الهاء، فأما راوية وعلاّمة ونحوهما فحذف الهاء جائز فيه، ولا يبلغ في المبالغة ما تبلغه الهاء»(٨).

ـ ما بُني على التاء مما يوصف به المذكّر والمؤنّث، تقول: رجل رَبْعَة وامرأة رَبْعَة، وغلام يَفَعَة، وجارية يَفَعَة، وهذا كِبْرَةُ ولد أبويه، وهذه كِبْرَة أيضًا، وهو عجْزَة وهي عجْزَة لآخر الإخوة، ورجل إكْبِرَّة قومه وامرأة إكبِرَّة(٩). ويقال: درهم قَفْلَة أي موزون، ولا يقال قَفْل(١٠).

ـ ما جُمع بالتاء كعمود وأعْمدة (أفْعِلَة)، وغلام وغِلْمة (فِعْلة)، وقاض وقُضاة (فُعَلة)، وكاتب وكَتَبَة (فَعَلَة) وقِرْد وقِرَدَة (فِعَلَة)، ومثل ذلك ما جاء على (فَعْلَى) كقتيل وقتلى، أو على (فُعَلاء) كشريف وشرفاء، أو على

(أفعلاء) كغنيّ وأغنياء.

ـ صيغ منتهى الجموع، إذا لحقتها التاء؛ إما عوضًا من ياء النسب: كأشاعرة ومغاربة جمعًا لأشعريّ ومغربيّ، وإما عوضًا من الياء المحذوفة: كقنادلة وزنادقة في جمع قنديل وزنديق، وإما لإلحاق الجمع بالمفرد: كصيارفة وصياقلة، ونحو ذلك: أساتذة، وتلامذة، وجهابذة(١١).

ـ ذكر السيوطي في «المزهر» أسماء مشتملة على تاء التأنيث تقع على المذكر والمؤنث. مثل: السَّخْلة، والبَهْمة، والحيّة، والشاة، والبطة، وحمامة، ونعامة، ودجاجة، ونحلة، وجرادة، وبومة، وحُبارَى، وبقرة. فتقول مثلاً: هذا دجاجة (للذكر)، وهذه دجاجة (للأنثى)، وتقول: هذا بقرة وهذه بقرة. ويختص الذكر بلفظ ثور(١٢).

ثالثًا: ما جاء دالاً على المؤنث من غير تاء، ويظهر في:

ـ المؤنثات المعنوية وهي أربعة أنواع: أعلام الإناث: كمريم وزينب، والأسماء المختصة بالإناث: كأخت وبنت وأم، وأسماء البلاد والمدن والقبائل: كمصر وعرعر وقريش، وأسماء الأعضاء المزدوجة: كالعين والأذن واليد، ومنها ما هو مذكّر: كالصُّدْغ والمِرْفق والحاجب والخَدّ(١٣).

ـ المؤنثات المجازية: ويُتوقف فيها على السماع، وقد أورد منها عباس أبو السعود نحو ستين كلمة(١٤) وأورد المنجد أربعين(١٥)، ونكتفي بما أورد السيوطي، وهي: السماء، والأرض، والقوس، والحرب، ودرْع الحديد (أما درع المرأة فمذكر)، وعَروض الشِّعر، وبمعنى ناحية، والرَّحِم، والرمح، والغُول، والجحيم، والنار، والشمس، والنمل، والعصا، والرَّحى، والدار، والضُّحى، والقَتَب، والفأس، والقَدوم(١٦).

ـ أسماء الرياح، قال سيبويه: سمعناهم يقولون: هذه ريح حرور، وهذه ريح شَمَال، وهذه ريح الجَنوب، وهذه ريح سَمُوم. سمعنا ذلك من فصحاء العرب لا يعرفون غيره(١٧) ومثلها: صَبَا وقَبول ودَبُور ودَبُور وهَيْف.

ـ المصدر الذي يقع خبرًا أو صفة للأنثى. مثل: امرأة صدْقٌ، أو عَدْلٌ، أو صَوْمٌ (بمعنى اسم الفاعل) ويجري هذا المجرى كلمات مثل: بَحْت، مَحْض، قُلب، لَح، قُح...

ـ جمع التكسير لغير العاقل: سواء أكان مفرده مؤنثًا: كجواهر وعيون، أم مذكرًا: كثياب ورماح، تقول: جفّت الثياب.

ـ الصفات الخاصة بالأنثى سواء أكانت من النساء، أم الظباء، أم الشاء، أم النوق، أم الخيل. فمن صفات النساء: كاعب، وناهد، ومُعصر، ومُغيل، وعارك، وطامث، وحائض، وثاكل، وسافر، ومُذْكر ومِذكار، ومُؤنِث ومِئْناث (إذا كانت تلد الذكور أو الإناث)(١٨).. إلخ.

ـ ما يُوصف به المذكر أو المؤنث خاليًا من علامة التأنيث، مثل زوج، ضيف، دنف، عاشق، عاقر، أيّم، عانس، حاسر، ثيّب، خادم، بِكْر، ناشئ. ومنها: شاب أو جارية أملود، وثوب أو عمامة خَلَق، وبعير أو ناقة ظهير أو بازل، ورجل أو امرأة غِرّ، وهو أو هي وَقاح الوجه، أو مصاص القوم (أي خالصهم)، ورجل رقوب وامرأة رقوب (إذا كانا لا يعيش لهما ولد)، ورأس أو لحية ناصل الخضاب، وجمل ضامر وناقة ضامر، ورجل عروس (الجمع: عُرُس)، وامرأة عروس (الجمع: عرائس).

ـ الأوزان الخمسة التي يستوي فيها المذكر والمؤنث (فعيل بمعنى مفعول، وفعول بمعنى فاعل، ومِفْعيل، ومِفْعَال، ومِفْعَل) تقول: امرأة جريح، وصبور، ومعطير، ومعطار، ومغشم.

ـ ذكر السيوطي أسماء تقع على الذكر والأنثى من غير علامة، مثل: إنسان للرجل والمرأة، الفرس للذكر والأنثى، وكذا الذباب، والجزور، ويطلق على الجمل والناقة بعير(١٩).

ـ ومن لطائف ما أورده السيوطي قوله: لم يأت مؤنث على المذكر، إلاّ في ثلاثة أحرف، الأول: في التاريخ تقول: صمت عشرًا، ولا تقل عشرة، ومعلوم أن الصوم لا يكون إلا بالنهار، وفي الحديث: «من صام رمضان وأتبعه ستًا من شوال»، الثاني: يقال للمؤنث ضَبُع وللمذكر ضبعان فإذا جمعت بينهما قلت ضَبُعان ولم تقل ضبعانان، الثالث: أن النفس مؤنثة فيقال: ثلاثة أنفس ولا يقال ثلاث أنفس(٢٠)، إلا إذا قُصد اللفظ أو معنى النساء.

والمتأمل في كتابات الكتّاب، وفي بعض الخطب والمقالات، وأحاديث الناس، ولغة الصحافة ونشرات الأخبار، وفي بعض البحوث والرسائل العلمية، يجد أن استعمال التذكير والتأنيث يقع فيه بعض الخلط والاضطراب الذي يخرج عن القواعد التي قررتها العربية لغير غرض بلاغي أو أدبي ـ كما نراه في بعض النماذج العليا(٢١)، وفيما يأتي صور لما أمكن استخراجه من هذه الاستعمالات:

١ـ العدد مثل: أخذت خمس كتب، وقرأت خمسة صحائف، والصواب: أخذت خمسة كتب، وقرأت خمس صحائف؛ لأن الثلاثة والعشرة وما بينهما تُؤنَّث مع المذكر، وتُذَكَّر مع المؤنث، وتعد هذه المخالفة من لطائف العربية، إذ كان يتبادر إلى الذهن أن تنحو اللغة إلى المطابقة بين العدد والمعدود، ولكن لما كانت هذه الأعداد قد بُنيت على التأنيث عند الوضع، وكان التذكير أصلاً، فقد ناسب أن يبقى العدد مؤنثًا مع المذكر، ولما كان التأنيث فرعًا، ويحتاج إلى علامة، جُعلت علامته حذف التاء، فَذُكِّر مع المؤنث.

٢ـ تمييز العدد، حيث يُفرد فيما حقّه الجمع مثل: سبعة كتاب، وتسعة قلم، ويقولون: ثلاثة مليون، وستة مليار، والصواب: سبعة كتب، وتسعة أقلام، وثلاثة ملايين، وستة مليارات؛ لأن الأعداد (٣ـ ١٠) تضاف إلى جمع مكسر من أبنية القلة، إن وجد(٢٢).

المتأمل في كتابات الكتاب وفي بعض الخطب والمقالات، يجد أن استعمال التذكير والتأنيث يقع فيه بعض الخلط والاضطراب!

٣ـ تأنيث المفرد المذكر إذا كان مضافًا إلى جمع مؤنث سالم، أو جمع تكسير، فهم يقولون: زرت إحدى المستشفيات، وأعجبت بإحدى الأقسام، وأعجبني إحدى الأسئلة، وفي إحدى المؤتمرات، والصواب في كلّ ذلك (أحد)؛ لأن المفرد مذكر.

ـ تذكير المؤنث المضاف ـ

عكس الحالة السابقة - مثل: بدأ أحد العيادات في استقبال المرضى، وكانت الصيدلية في أحد الزوايا، وحضرت أول جلسات النشاط، وأول المحن وفاة والدي، والصواب: (إحدى)، و(أولى)، لأن المفرد مؤنث. فيقال: إحدى العيادات، وأولى الجلسات... إلخ.

٥- تأنيث الخبر إذا كان المبتدأ مضافًا إلى مؤنث، مثل: عدد المحاضرات كثيرة أو ملائمة، وعدد الساعات قليلة أو مناسبة. والصحيح المطابقة، فيقال: كثيرٌ أو ملائمٌ، وقليلٌ أو مناسبٌ.

٦- تأنيث الصفة إذا كان الموصوف مضافًا إلى مؤنث. مثل: عدد المحاضرات الكثيرة مجهدة، وعدد الساعات القليلة مضيعة للوقت. والصواب: التذكير، إذا أردت الإخبار عن العدد.

٧- تأنيث الفعل؛ لأن الفاعل مضاف إلى مؤنث مثل: تكون عدد المحاضرات كذا، وكانت عدد الساعات كذا. وربما قُبِل هذا على التوسع. قال سيبويه: «سمعنا من يوثق به من العرب يقول: اجتمعت أهل اليمامة، على ما يكون عليه في سعة الكلام»(٢٣).

٨- إذا كان المضاف جزءًا من المضاف إليه جاز أن يكتسب التأنيث منه نحو: ذهبت بعض أصابعه. غير أنّ ترك التأنيث أقوى، قال سيبويه: «وترك التاء في جميع هذا: الحدُّ والوجه، وإثبات التاء فيه حسن لكثرته في كلامهم»(٢٤).

غير أن الفعل في الاستعمالات المعاصرة لا يكاد يفارق التأنيث. فهم يقولون: مرّت بعض العبارات، وأجرت بعض المستشفيات، وقامت بعض المدارس، واحتفلت بعض البلاد. ولا نكاد نسمع تذكير الفعل، وربما عدّه بعضهم خطأً، مع أنه - كما يقول سيبويه - الحدُّ والوجه.

٩- الفعل الذي يرفع اسمًا ظاهرًا مجازيَّ التأنيث، يجوز أن تلحقه التاء وأن يتجرَّد منها، والأول أرجح - كما سبق - إلا أن الاستعمال المعاصر على إيثار التأنيث، وتجنب التذكير، فلا نكاد نسمع من يقول: طلع الشمس، وامتلأ الأرض بالعشب، ونشب الحرب بين الطرفين، وامتد النار إلى الهشيم، وازدان الدار بالضيوف، وانكسر العصا، مع جواز ذلك.

١٠- إذا جرى الخبر أو الوصف على مؤنث حقيقي أو مجازي متقدم، وجب تأنيثه، ولكنهم لا يلتزمون ذلك فيأتي الضمير أو الوصف مذكّرًا، كما في قولهم: فُزْنا بكأس العالم الذهبي، أو الفضي، وهذا اليمين حلفت به، ومدّ كفه فشددت عليه، وأصبعه يؤلمه، ونعله مقطوع، وهذا بئر عميق. والصواب كأس العالم الذهبية أو الفضية، وهذه اليمين حلفت بها، ومدّ كفّه فشددت عليها، وأصبعه تؤلمه، ونعله مقطوعة، وهذه بئر عميقة.

المؤنثات المعنوية أربعة أنواع، أما المؤنثات المجازية فيُتوقف فيها على السماع!

١١- الأسماء التي تذكر وتؤنث - كما سبق - مثل: السلاح، والصاع، والإزار... لا تكاد تستعمل عند المعاصرين إلا مذكرة، فيقال: هذا السلاح، وهذا الصاع، والإزار ارتديته، والعرس حضرته، وجُرح العنق، وامتلأ الدلو. وندر استعمالها مؤنثة. فمن يقول اليوم: العسل شربتها، واللسان حفظتها والزقاق مشيت فيها، وهذا ولد (للأنثى)، مع جواز ذلك؟

ويؤثرون تأنيث الفعل مع السكين، فيقال تثلمت السكين، مع جواز تثلم. لأن السكين تُذَكَّر وتُؤَنَّث.

١٢- الأسماء التي تقع على المذكر والمؤنث، وهي مشتملة على تاء التأنيث، مثل: شاة، ودجاجة، وبقرة، لا تطلق في الاستعمالات المعاصرة إلا على المؤنث، فلا نسمع من يقول: هذا شاة (للخروف)، وهذا سخلة (للجدي)، وهذا دجاجة (للديك)، وهذا بقرة (للثور)، مع جواز ذلك.

١٣- تأنيث الألفاظ المذكرة، مثل: رأس، وبطن، ومستشفى، فيقولون: رأسي تؤلمني، ورأسك عالية، وبطني منتفخة، وهذه مستشفى واسعة. والصواب: رأسي يؤلمني، ورأسك عالٍ، وبطني منتفخ أو يتحسس من كذا، وهذا مستشفى واسع (والقول بتذكير البطن على الأرجح)(٢٥).

١٤- الإكثار من أعلام النساء المتخذة من المصادر، صحيح أنها تكتسب التأنيث المعنوي بالدلالة واقترانها بالمسمى؛ إلا أن العرب حين أطلقوا المؤنثات المعنوية، مثل: سعاد وزينب وهند وجُمْل، كانوا يحتكمون إلى ذوق مرهف، ألا ترى أنهم كانوا يطلقون: رياض، وربيع، ومشتاق، وناعم، ووحيد على الأنثى، وياقوت، ومرجان، وجوهر، وكافور على العبيد؟

وبعض المصادر التي تُستخدم أعلامًا، لا يشتم منها عبق الأنوثة، ولا يضوع منها أريج النساء، مثل: إخلاص، إحسان، اعتماد، انتصار، ابتسام، نضال، تيسير، نجاح، رجاء، دعاء، لعمق دلالتها على التذكير، وقد ناقشت صديقًا، رزقه الله بنتًا، فسمّاها «أمان» في مدى توافر عناصر الأنوثة في هذا الأسم.

١٥- تأنيث الصيغ التي يستوي فيها المذكّر والمؤنّث، إذا جرت على مؤنث، فهم يقولون: بلاد معطاءة، وسيّدة مهذارة، ولحية حليقة، وامرأة جريحة، وبنت وليدة (أي مولودة)، وهذه عدوَّة هند، وإدارة غيورة، وفتاة شكورة، وأم صبورة، والصواب: بلاد معطاء، وسيدة مهذار، ولحية حليق، وامرأة جريح، وبنت وليد، وهذه عدوّ هند، وإدارة غيور، وفتاة شكور، وأمّ صبور.

١٦- إلحاق تاء التأنيث ببعض الأوصاف التي تُطلق على المذكّر والمؤنث. مثل: عاشقة، عاقرة، عانسة، خادمة، ناشئة، غِرَّة، ويقولون: ناقة ضامرة، ولحية ناصلة الخضاب. وكلّها للمذكّر والمؤنث بلا تاء. فيقال: رجل عاشق، وامرأة عاشق، وهكذا.

١٧- يجري هذا المجرى كلمات مثل: إنسان، وزوج، وعرس، وعجوز، فهي للمذكّر والمؤنث، غير أنهم يقولون: إنسانة نبيلة، وزوجة فلان، وهذه عروسة، وأصبحت عجوزة. قال السيوطي: سُمع إنسانة وبعيرة ولا نظير لهما، ومن العرب من يقول: فرسة(٢٦)، وأما زوج فوقع الخلاف فيها قديمًا، فتَميم تقول: هي زوجته. وأبى الأصمعي ذلك، وقال: زوج لا غير، واحتجَّ بقوله تعالى: *اسكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الجَنَّةَ*. **البقرة**:٣٥،

التذكير والتأنيث في الاستعمالات المعاصرة

الأعراف:١٩. فقيل له: نعم. كذلك قال اللّه تعالى. فهل قال عز وجلّ: لا يقال زوجة؟ ومذهب الأصمعي على لغة أهل الحجاز، وأزد شنوءة، فتقول المرأة: هذا زوجي، ويقول الرجل: هذه زوجي(٢٧).

١٨- تأنيث بعض المصادر لجريانها على المؤنث، فيقولون: من ناحية فكرية محضة، ولوحة فنية بحتة، وعملية اجتهادية صرفة، وامرأة عدلة، ونظامية قحة، والصحيح ترك التاء: محض، بحت، صرف، عدل، قح.

١- إلحاق تاء التأنيث بالأوصاف الخاصة بالمؤنث، مثل: امرأة سافرة، أو مُطفلة، وأم مرضعة، أو ثاكلة، أو حادّة، أو مُحدّة، وجارية ناهدة، أو حائضة، أو طالقة. والصواب: سافر، ومُطفل، ومُرضع... إلخ. وقد تدخل التاء على هذه الأوصاف إذا أريد بها الاستقبال، أو القيام بالحدث، تقول: هذه حائضة أو طالقة غدًا، وستكون سافرة. ومن ذلك قوله تعالى: *يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ*. **الحج**:٢. فالمرضعة هي التي في حال الإرضاع، ملقمة ثديها، وهي بخلاف المرضع، - بلا هاء - فإنها التي من شأنها أن تُرضع(٢٨).

٢٠- قد يأتي (فاعل) وصفًا للمؤنث بمعنيين، فتثبت التاء في أحدهما دون الآخر، يقال: امرأة طاهر من الحيض وطاهرة من العيوب، وحامل من الحمل وحاملة حقيبتها، وقاعد عن الحيض وقاعدة عن السفر(٢٩).

وكثيرًا ما يقع اللبس بين ما فيه التاء وما عري منها، فيحل أحدهما محل الآخر، فيقال: طاهرة من الحيض، وطاهر من العيوب، وهكذا...

٢١- إدخال التاء على (فَعْلان) لتأنيثه، فيقولون: هند غضبانة، وكسلانة، وهي كالسكرانة، والمدرسة ملآنة بالوسائل، وجاء في أحد كتب الهجاء: هي عطشانة، والصواب: غضبى، وكسلى، وسكرى، وملأى، وعطشى. لأن أنثى (فعلان) على (فَعْلَى) إلا اثني عشر اسمًا تأنيثها على (فعلانة) وبنو أسد يذهبون إلى (فعلانة) مطلقًا(٣٠).

٢٢- إحلال (فَعْلاء) محل (فَعْلة)، فيقولون: امرأة سمحاء، وقوانين سمحاء، وشريعة سمحاء، والصواب في كلٍّ: سمحة، لأن المذكّر (سمح)، تقول: هو سمح الوجه، وهي سمحة الوجه، ونظام سمح، ورجل سمح وجمعه سُمَحَاء، وامرأة سَمْحة وجمعها (سماح) بالكسر(٣١).

٢٣- يلحق بهذا وضع (فُعلى) موضع (فعيلة) لغير مفاضلة، فيقولون: امرأة فصحى، وعبارة فصحى، يريدون الوصف بالفصاحة من غير اشتراك ولا تفضيل، والصواب: امرأة فصيحة، وعبارة فصيحة، وكتابة فصيحة. لأننا نقول: رجل فصيح، وكلام فصيح، ولسان فصيح(٣٢).

٢٤- تبعيض المؤنث من المذكر، مثل: كانت فاطمة من الأوائل، وفي مقدمة الناجحين، وتسلمت جائزتها مع الفائزين، والصواب: من الأُولَيَات أو الأُوَل. وفي مقدمة الناجحات. ومع الفائزات.

٢٥- إحلال جمع الإناث محل جمع الذكور، فيقولون: فلان من الطلاب الأُوَل، وهذا جمع الأولى مؤنث الأوّل، كما أنها تُجمع على (الأُوَل) كرُكَع، وتجمع بالألف والتاء على (أُوليات). أما (الأوّل) فجمعُهُ: (الأوّلون) و(الأوائل)، ويقع فيه القلب، فيقال: (الأوالي)(٣٣)، فيكون الصواب: الطلاب الأوّلون، أو الأوائل، أو الأوالي، والطالبات الأُوَل، أو الأُوليات.

٢٦- وضع جمع الذكور موضع جمع الإناث، فيقولون: نساء كتبة، وسحرة، وباعة، وصاغة، وهذه جموع مذكرة لأن مفردها: كاتب، وساحر، وبائع، وصائغ. ومؤنثها بالتاء، ويُجمع على (فواعل) أو بالألف والتاء، فيقال: كواتب وسواحر وبوائع وصوائغ، أو: كاتبات وساحرات وبائعات وصائغات.

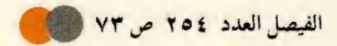
٢٧- استعمال ضمير جمع المذكر مكان ضمير جمع المؤنث، فنسمع: البنات ذهبوا، والمعلمات انصرفوا، والممرضات لبسوا ملابسهم، والطالبات استمعوا لمدرستهم، والسيارات (واقفين) أمام الباب، والصواب: ذهبن، وانصرفن، ولبسن ملابسهن، واستمعن لمدرستهنّ، والسيارات واقفات.

٢٨- ومن ذلك استعمال ضمير جمع المذكر لغير العقلاء، وإنما يستعمل في هذه الحالة ضمير المفرد والمؤنث، فهم يقولون: الأقلام وقعوا، والأقلام ضيّعتهم، ونحو ذلك. والصواب: الأقلام وقعت، والأقلام ضيّعتها، ويمكن أن تُستعمل نون النسوة، إذا لوحظت أغراض بلاغية أو فنية على غرار قوله تعالى: *فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا*. الأحزاب:٧٢(٣٤).

٢- تذكير أفعل التفضيل الجاري على المؤنث، في حالة وجوب المطابقة. مثل: اخترت الجائزة الأفضل، واشتريت العمارة الأوسط، وسكنت الشقة الأكبر، وكافأت البنتَ الأصغر، وتمسكت بالكلمة الأحسن، ويلحق بهذا مجيء (من) بعد هذه الصيغ، فيقولون: الشقة الأكبر منهما، والبنت الأصغر منهن. والصواب في كل ذلك: الجائزة الفضلى، والعمارة الوسطى، والشقة الكبرى، والبنت الصغرى، والكلمة الحسنى.

الهوامش:

١- كتاب سيبويه ٢٤١/٣، تحقيق: عبدالسلام هارون، دار سحنون، تونس ١٤١١هـ.
٢- السابق ٢٢/١.
٣- انظر: شذا العرف للحملاوي ٨٥، ومعجم القواعد للدقر ١٣٢، دار القلم، دمشق.
٤- كتاب سيبويه ٣٦/٣.
٥- السابق ٢١٢/٢.
٦- المزهر للسيوطي ٢٢٤/٢-٢٢٥، تحقيق: محمد أحمد جاد المولى، دار التراث، د.ت. وانظر: أزاهير الفصحى لعباس أبي السعود ١٦٤، دار المعارف، والمنجد ص(و).
٧- انظر: منار المسالك ٢٤٨/١، وقطر الندى ١٨٢-١٨٣ وكلاهما لابن هشام.
٨- المزهر ٢٠٦/٢.
٩- السابق ٢١٨/٢.
١٠- السابق ٢٠٥/٢.
١١- منار السالك ٢٧٨/٢، وشذا العرف ١١٠.
١٢- المزهر ٢٢٢/٢، وأزاهير الفصحى ٣١٥.
١٣- سيبويه ٢٤٧/٣-٢٤٩، والمنجد ص(و).
١٤- أزاهير الفصحى ١٥٧-١٦٣.
١٥- المنجد كالسابق.
١٦- المزهر ١٢١/٢.
١٧- سيبويه ٢٣٨/٣.
١٨- المزهر ٢٠٦/٢-٢١٦، وأزاهير الفصحى ٣٢٢-٣٢٤.
١٩- المزهر ٢٢٣/٢.
٢٠- السابق ٨٧/٢.
٢١- انظر: سيبويه ٤٧/٢، وتفسير الآلوسي ٥٦/٢٣، دار الفكر ١٤٠٣هـ، وظلال القرآن ١٤١٤/٣، دار الشروق ١٤١٢هـ.
٢٢- منار السالك ٢٥٢/٢.
٢٣- سيبويه ٥٣/١.
٢٤- السابق ٥١/١-٥٣، ٢٤٧/٣.
٢٥- اللسان والتاج ومختار الصحاح (بطن)، والمزهر ٢٢٣/٢-٢٢٤، وديوان حاتم ٦٨، دار صادر.
٢٦- المزهر ٢٢٣/٢.
٢٧- لسان العرب (زوج).
٢٨- تفسير الآلوسي ١١٢/١٧.
٢٩-٣٠- المزهر ١١٣/٢-٢١٧.
٣١- مختار الصحاح (سمح).
٣٢- المعجم الوسيط (فصح).
٣٣- القاموس المحيط (أول).
٣٤- انظر: الكشاف للزمخشري ٢٧٧/٣، دار الفكر، بيروت، د.ت.



أهمية التغطية البيئية في الصحافة العربية

م. محمد غياث الأشرف

كانت البيئة، وما زالت، موضع اهتمام البشر. والبيئة لفظة شائعة الاستخدام يرتبط مدلولها بنمط العلاقة بينها وبين مستخدمها؛ فالبيت بيئة، والمدرسة بيئة.. أما من خلال النشاطات البشرية المختلفة فنقول: البيئة الزراعية، والبيئة الصناعية، والبيئة التجارية والبيئة الحضرية، والبيئة الريفية.. فالبيئة مفهوم يفهمه كل فرد في حدود استخدامه له(١).

والبيئة ليست مجالاً معزولاً عن الأفعال والطموحات والحاجات البشرية؛ لأنها محصلة العوامل الخارجية كافة التي قد تؤثر في حياة الكائن الحي، فهي الوسط الذي يعيش فيه ذلك الكائن، وتشمل عدة عناصر، كالمناخ، وطبيعة الأرض الطبوغرافية، ونوعية تركيب التربة، ومدى توافر كمية المياه ونوعيتها وزمن هطلها وتوزعها، والحيوانات والنباتات وأعدادها وأنواعها، وفي القمة من الكائنات الحية يأتي الإنسان وفعالياته ودورة حياته اليومية والاجتماعية وما يتطلبه لمعيشته. فالبيئة نظام ديناميكي مُعَقَّد، فيه الكثير من المكونات التفاعلية. إن الأنظمة البيئية لكل منطقة ذات طبيعة خاصة متميزة، فالنظام البيئي يعني: أي مناطق طبيعية تتفاعل فيها عناصرها الحية وغير الحية مع بعضها؛ بحيث ينشأ نوع من الاكتفاء الذاتي من طريق سلسلة من العلاقات الغذائية(٢).

إن التوازن والاختلال البيئي عملية معقدة لا تُلاحظ بشكل واضح إلا في مراحلها شبه النهائية، وإن أيّ تدهور كلي أو جزئي يحدث لأي عنصر من عناصر النظام البيئي الطبيعي سيكون له آثار اجتماعية واقتصادية وتنموية شديدة الوطأة على المجتمعات المحلية، وبخاصة إذا كان النظام البيئي الطبيعي يقع جغرافيًا ضمن حزام المناطق الجافة وشبه الجافة.

إن معرفتنا لمكونات البيئة والتفاعلات فيما بينها، والعلاقات بين السكان والموارد الطبيعية والخطط التنموية، قد مرَّ بتطور عميق في العقدين الماضيين. ونحن ندرك الآن - أكثر من أي وقت مضى - أنه ما لم تسترشد خطط التنمية بالاعتبارات البيئية والاجتماعية والثقافية والأخلاقية، فإن كثيرًا من خطط التنمية سيكون له نتائج غير مرغوب فيها أو قد تخفق. فنحن لا نزال من العجز البشري إلى درجة عدم الملاءمة بين الأفعال البشرية والأنظمة الطبيعية ودوراتها ومكوناتها من إنسان وحيوان ونبات وتربة وماء وهواء. إن السلوكيات البشرية تجاه البيئة ومواردها قد يكون لها تأثيرات بيئية سلبية شديدة الأثر. ومن المعتقد أن التغيرات المناخية باتت مترابطة إلى درجة كبيرة مع السلوكيات البشرية تجاه البيئة ومفهومات البشر للتنمية. فالعديد من البشر تناسوا أن البيئة هي المكان الذي نعيش فيه جميعًا، وأن التنمية هي ما نحاول جميعًا عمله لمحاولة تحسين نصيبنا جميعًا في هذا المكان، والاثنان مرتبطان ولا يقبلان التجزئة. إن التنمية يجب أن يكون هدفها تلبية حاجات الجيل الحاضر دون الاخلال بقدرة أجيال المستقبل على تلبية احتياجاتها. إن السلوكيات والعوامل البشرية لها أكبر الأثر في استقرار توازن الأنظمة البيئية الطبيعية، لأن الإنسان هو أساس استقرار هذا التوازن للمكان الذي يعيش فيه، ويمكنه أن يحقق هذا التوازن من طريق عدم إجهاد البيئة، واستثمار موارد البيئة بشكل يجعلها قابلة للاستمرار في العطاء.

الصحافة والبيئة

إن أهم ما يجب أن أشير إليه هو أننا جميعًا لدينا الاعتقاد الجازم بضرورة الحفاظ على البيئة، وهو موضوع لا خلاف عليه، وأمر نقره جميعًا. إلاّ أن ما يثير الخلاف هو كيفية القيام بذلك، وهذا يتطلب جهدًا موجهًا ومنسقًا من قبل صانعي الصحافة. وبادئ ذي بدء سأقوم بتحديد بعض النقاط التي يجب وضعها في الحسبان عند تحرير المادة البيئية:

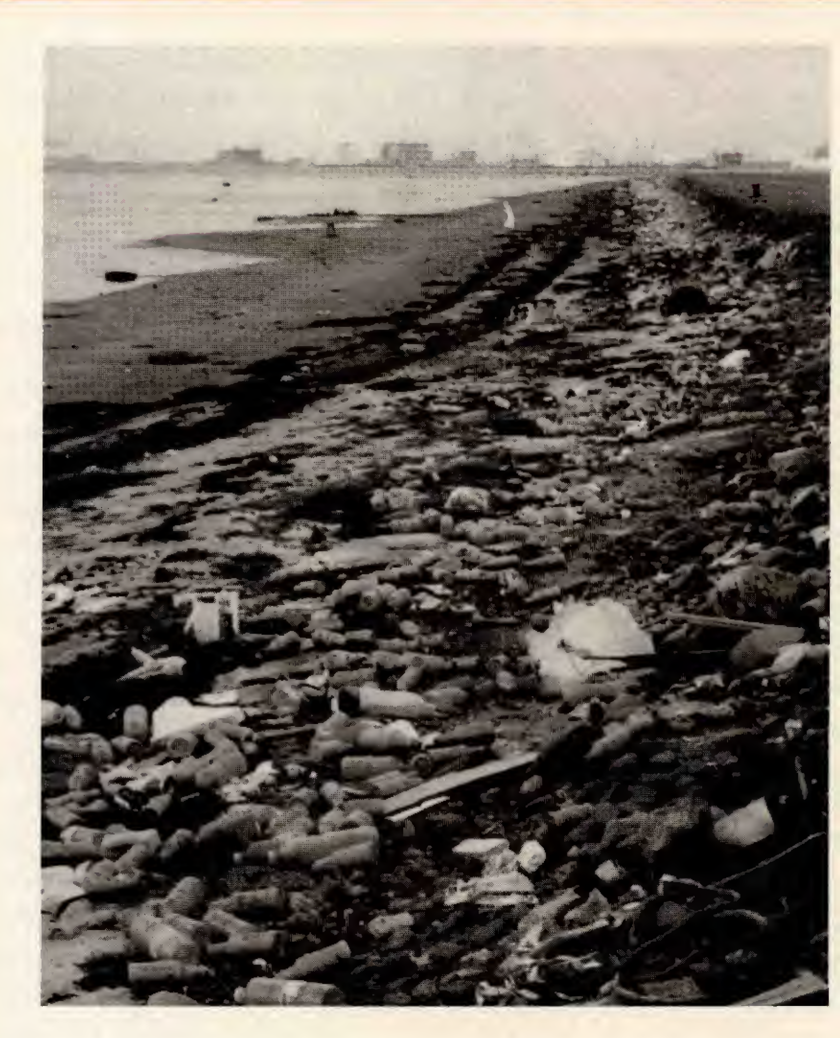
١- يجب اختيار محرر للمادة البيئية يريد أن يعمل في مجال الصحافة البيئية بالفعل، ولديه الرغبة الأخلاقية للقيام بذلك النوع من النشاط الصحفي، وهذا يتطلب الاستماع إلى أفكاره ومفهوماته تجاه البيئة وتقويم معارفه عنها من قبل إخصائي بيئي.

٢- إفساح المجال أمام المحرر البيئي لكي ينهمك في عملية التحرير بشكل كامل، فالمقال البيئي الجيد هو نتاج عمل جماعي من قبل المحرر وفريق العمل من أرشيف وتصوير ورسم تخطيطي.

٣- توافر أرشيف للمعلومات البيئية يتم تحديثه بشكل دائم.

٤- مراجعة المادة البيئية الصحفية من قبل مختص ومُلِم بالموضوع قبل نشرها.

٥- يجب تحديد نوع القارئ الذي يتم توجيه



المعلومة إليه، فإذا كان المقال موجهًا إلى مجموعة معينة من المهتمين بالعلم؛ فإنه من الأسلم أن يكون المحرر ملمًا بعلم الأحياء والكيمياء، أو يستعين بالعلماء والمتخصصين بالبيئة في تحرير مقالته، أو يجعل مقاله في شكل ندوة. أما عندما يكون المقال موجهًا إلى الشريحة العامة من المجتمع فلا داعي للطرح الدقيق للموضوع من الناحية العلمية البحت، ولكن الوضع هنا يتطلب مزيدًا من الاستشهاد بآراء العلماء والتعليق من قِبَل المختصين. فدراسات الرأي واستطلاعاته أثبتت أن الجمهور يحترم تعليق الاختصاصيين على الخبر والحدث البيئي. ويجب الانتباه إلى أن المعلومة البيئية تختلف طريقة عرضها وأسلوب معالجتها عندما تكون موجهة للمجتمعات الريفية عنه في الحضرية، وللمرأة عنه للطفل، وفي المجتمعات الثرية عنه في المجتمعات الأقل ثراءً.

٦- وكما هو الحال في الإعلام المرئي، فإن الصورة الصحفية الجيدة والمعبرة المرافقة للموضوع تدعم الفكرة والحدث البيئي. فمثلاً صورة «مصرف صحي» يصب في مجرى مائي وبجواره أسماك ميتة هي تعبير كاف لدعم الفكرة موازنة بصورة مسؤول حكومي، أو شخص يعمل في مختبر.

٧- إنّ الاستعانة بالرسوم البيانية والأشكال التوضيحية الجيدة التصميم لتوضيح الفكرة والحدث البيئي مهمة جداً. ولنتذكر أن الرسوم الرديئة التصميم والإخراج تجعل العمل بأكمله رديئًا، ومن المحمود أيضًا استخدام رسوم الكاريكاتير في التعليق على الأحداث البيئية.

فمثلاً عند التكلم على إزالة نباتات المانغروف (الشورى) على امتداد الشريط الساحلي لأغراض العمران وإقامة المنشآت السياحية والترفيهية؛ فإن إرفاق شكل توضيحي يبين أهميتها لتوافر المأوى لتكاثر الأسماك ونمو صغارها وأنها مصدر أساسي للمادة العضوية لسلسلة تغذية الكائنات البحرية، يُعدّ أمرًا مرغوبًا فيه لدرجة كبيرة، وكذلك الحال عند التعرض لضرر المبيدات وانتقالها ضمن السلسلة الغذائية حتى تصل إلى الإنسان الذي هو المستهلك النهائي في قمة السلسلة الغذائية.

٨- تؤدي الاستعانة بالعلماء والمتخصصين والاقتصاديين والمسؤولين الحكوميين للتعليق على الخبر البيئي، إلى زيادة تفهم القارئ وتعلقه بالموضوع؛ حيث يقوم هؤلاء المتخصصون بالعلوم بإعطاء خلفية عن الأثر أو الضرر الذي نجم أو قد ينجم، والسبب الذي كان وراء هذه الحادثة الضارة. فمثلاً: الفيضانات وعلاقتها بإزالة أشجار الجبال، وتدهور مصائد الأسماك نتيجة لإزالة أشجار المانغروف، وردم الشريط الساحلي، والصيد بشباك مخالفة والصيد الكثيف الجائر، والتصحر وعلاقته بالتحطيب والرعي الجائر والكثافة الرعوية المرتفعة، وملوحة المياه والتربة وعلاقة ذلك بأنظمة استثمار المياه.

٩- يُستحب الربط بين الحدث البيئي الذي يحدث في مكان ما من العالم وواقعنا المحلي والإقليمي كي يتم تنبيه القارئ على أهمية السلوك الصديق للبيئة في مجتمعه، تجنبًا لأخطار قد تصيبه مثلما أصابت غيره. فمثلاً: إزالة الأحراج وحرقها من أجل إقامة المجمعات السياحية، وأثر ذلك في انجراف التربة، وقلة تسرب المياه إلى الخزانات المائية الجوفية، وحدوث السيول الجارفة والفيضانات، وانجراف التربة الذي يؤدي إلى زيادة استخدام المخصبات الزراعية، ومن ثم إلى المزيد من تلوث المسطحات المائية، الأمر الذي يسبب ضرراً للإنسان، ومثل الأثر المتبقي لبعض المبيدات في الأغذية وعلاقتها بالإصابة بالسرطان وانخفاض معدل الخصوبة لدى الرجال.

١٠- يجب التوضيح أن مفهوم حماية البيئة هدفه دعم الحفاظ على الأنظمة الداعمة للحياة من هواء وتربة وماء وتنوع بيولوجي. وأن الحفاظ على البيئة ليس نظافة الشارع أو المدرسة أو إيجاد شبكة مياه مجاري أو غرس شجرة وجمع النفايات وحرقها في مرادم النفايات فحسب؛ بل إن البيئة هي ترشيد استهلاك الموارد البيئية، وإعادة استخدام المعادن والزجاج والبلاستيك بغية خفض كمية الملوثات الضارة بالبيئة والناجمة عن النشاط الصناعي والتعديني، والحفاظ على بقاء عطاء الموارد الطبيعية واستمرارها للأجيال القادمة. صحيح أن المشكلات البيئية معقدة ومكلفة اقتصاديًا، ولكن التجارب أثبتت أن الرقابة أرخص تكلفة من معالجة التلوث والتدهور البيئي.

١١- من الضروري تخصيص صفحة أسبوعية ثابتة بكل صحيفة عربية لتغطية أخبار البيئة. كما يجب على الصحيفة وضع خطة منهجية دائمة للإعلام البيئي. فالملاحظ أن هذا النوع من الإعلام يتكاثف بمناسبة الاحتفال بيوم البيئة العالمي في الخامس من حزيران/ يونيو من كل عام، أو أن هذا الإعلام ينشط إثر تصريح لمسؤول، أو عند حدوث كارثة بيئية كتحطم ناقلة نفط، أو مفاعل نووي، أو فيضان في بلد من دول الشمال الغنية.. هذا النشاط غالبًا ما يستمر حسب التغطية من وكالات الأنباء العالمية ويخبو بسرعة بعد ذلك. فالتغطية الصحفية البيئية هي بين مد وجزر. فالاهتمام البيئي في أكثرية الصحف العربية لا يأتي ضمن جهد منتظم ومستمر بناءً على خطة مرسومة مسبقًا.

١٢- تشجيع التأليف القصصي والدراما البيئية ذات العلاقة بحياة الإنسان وتغيراتها نتيجة لتدهور موارد البيئة أو لمرض نتيجة تلوث بيئي ما. فمثلاً: قصة تتعرض لهجرة الزوج للعمل خارج القرية نتيجة لتدهور نوعية التربة أو المياه بسبب سوء الاستخدام، أو مرض الرضيع نتيجة لتلوث هواء المدن، أو المرض المزمن لعائل الأسرة نتيجة التلوث البيئي أو المهني وما يجلبه مرض هذا العائل من آثار اجتماعية على أفراد الأسرة.

١٣- نظرًا لكون المنطقة العربية متشابهة إلى درجة كبيرة في الظروف البيئية والجغرافية فإنه لمن الأهمية بمكان الدعوة والعمل على اعتماد جهة صحفية معينة للقيام بإصدار مجلة دورية شهرية رفيعة المستوى تُعنى بترجمة خيرة المقالات العلمية المرتبطة بالبيئة ومشكلاتها والسكان والتنمية. ويُعهد أيضًا إلى هذه الجهة بمهمة ترجمة عدد من أمّهات الكتب العالمية المتخصصة بعلم التبيؤ وعلم البيئة البشرية على أن يتم بيعها بسعر يكون في مقدرة جميع مواطني الدول العربية دفعه، لخلق ثقافة ووعي وسلوك بيئي جماهيري لكي تكون خططنا التنموية قابلة للاستمرار بفضل الدعم الجماهيري لها.

١٤- الدعوة عبر وسائل الإعلام إلى إنشاء جهات غير حكومية تعنى بالبيئة، مثل: أندية أصدقاء الطبيعة وجمعيات الدفاع عن البيئة بغية زيادة المشاركة الجماهيرية في الاهتمام بالبيئة.

١٥- الدعوة إلى دعم مراكز البحوث العلمية التطبيقية المتخصصة بالبحوث البيئية؛ لأنه من دون هذه المراكز لا يمكن تقويم الأوضاع البيئية الحالية ولا المستقبلية، ولا يمكن معالجة الخلل الحاصل حاليًا أو الذي قد يحدث مستقبلاً. ومن الواجب تضافر الفعاليات الصناعية كافة بتقديم الدعم المالي الكافي لمراكز البحوث هذه.

ملاحظات حول واقع التغطية الصحفية للقضايا البيئية

مما لا شك فيه أن هنالك تعاونًا قائمًا بين الجهات المسؤولة عن البيئة والصحافة ماعدا استثناءات قليلة. وتبذل أغلبية الصحف في المنطقة العربية جهودًا لنشر الثقافة والوعي والسلوك البيئي لدى شرائح أفراد المجتمع كافة. وعلى محدودية الانتشار والإمكانات المادية المحدودة لأكثرية هذه الصحف وقلة الخبرة والمتخصصين في هذا المجال، إلا أنها نجحت في توجيه الانتباه نحو البيئة ومشكلاتها موازنة بوسائل الإعلام الأخرى.

ولكن هذا النشاط الصحفي البيئي لا يخلو من بعض السلبية التي تعرقل مسيرته. وهذه السلبية التي تلقي ظلالها - وبكثافة متفاوتة - على نسبة كبيرة من وسائل الإعلام المقروءة في منطقتنا يمكن إجمالها فيما يلي:

١- من الملاحظ أن الصحافة البيئية يزداد ظهورها في المناسبات الخاصة كيوم البيئة وعيد الشجرة مثلاً.

٢- الصحافة البيئية ذات مد وجزر بحسب الأحداث والمشكلات التي تحدث في العالم، أو المادة الإعلامية التي تُنشر في الصحف العالمية، لأنها تستمد مادتها الإعلامية من وكالات الأنباء العالمية. وهذه الوكالات تكون تغطيتها - في الأغلب - لحوادث التلوث الكيميائي والنفطي، ولكن من النادر أن تغطي مشكلات التصحر وتدهور المراعي وتملح التربة والمياه الجوفية والنمو العشوائي للمدن؛ لأنها مشكلات بيئية لا تمس - في الأغلب - الدول المتقدمة التي ينتمي إليها معظم هذه الوكالات الإعلامية ودور النشر الصحفية العالمية.

٣- عرض الموضوعات البيئية يكون في صورة «خبر» دون تعليق عليه، ولا يتم التعليق من قِبل العلماء والمتخصصين المحليين على مثل هذه الأخبار - في الأغلب -؛ إمّا لعدم توافرهم، وإما لضعف الإمكانات المالية وضغط المصاريف، وإما لاعتقاد الجهات الصحفية أن مشكلات البيئة ليست ذات أولية على لائحة المشكلات المحلية التي يهتم بها القراء.

٤- ليس هناك زاوية أسبوعية دائمة مخصصة - في أغلبية الصحف العربية - لتغطية الأخبار البيئية مثلما هو الحال في الأخبار الرياضية والفنية. كما أن المجلات التي تصدرها بعض الجهات الحكومية المسؤولة عن البيئة تكون محدودة الانتشار ومتكررة المحتوى وغير متعمقة بالمشكلات البيئية. كما أنها لا تتطرق للمشكلات البيئية المحلية - في الأغلب.

٥- معظم الصحف لا ينبه الجمهور على الأضرار البيئية المحتملة للمشاريع التنموية التي تجري إقامتها أو التي قد أقيمت، فليست هناك تغطية تُذكر لتقويم الأثر البيئي لمثل هذه المشاريع أو الصناعات، أو إقامة المنشآت السياحية بامتداد الحزام الساحلي، أو في سفوح الجبال والغابات.

٦- ضعف الارتباط - في المناطق الجغرافية التي تصدر منها هذه الصحف - بين المشكلات البيئية وما توردە هذه الصحف من أخبار البيئة. فهي مثلاً تذكر فيضانات بنغلاديش، ولكنها لا تتطرق إلى الانخفاض الكبير في كميات الأسماك وارتفاع أسعارها بسبب سوء الإدارة البيئية لمناطق الصيد ولمناطق الحياة الفطرية الساحلية. وتذكر أضرار تلوث الهواء في أوربا وأمريكا، لكنها لا تذكر حالة وسائل النقل السيئة في منطقتها المستخدمة لوقود الديزل ذي النوعية المتدنية والحاوي نسبة مرتفعة من الكبريت، ولا سوء التخطيط لمسارات السيارات والشاحنات، وسوء تخطيط التجمعات السكنية. وتذكر تلوث المياه في بعض البلدان، وتنسى أن مصانع كثيرة في المنطقة ترمي مخلفاتها السائلة الضارة في مياه الأنهار والبحيرات التي يشرب منها الناس، وأن الوسائل التي يتبعونها لمعالجة مياه الشرب لا تزيل العديد من المركبات الكيميائية

الإلمام بالثقافة البيئية يشكل الركيزة الأساسية لنجاح التخطيط البيئي التنموي واستمراره من أجل رفاهية المجتمع وأجيال المستقبل

أهمية التغطية البيئية

في الصحافة العربية

الضارة التي طُرحت في موارد شربهم الطبيعية، وهذا يؤدي إلى ضعف في تشكيل الفكر والسلوك البيئي الإيجابي لدى الأفراد، لأنهم يظنون أن كل شيء على ما يرام.

٧- تتعرض الصحف لمشكلات البيئة في الدول الأخرى ولا تتطرق - في الأغلب - إلى ما يحدث في دولها، وهذا ربما يعود لعدم توافر الكوادر الصحفية المستوعبة لمفهومات البيئة ومشكلاتها، أو بسبب توجيه حكومي بعدم التعرض إلى الموضوعات السلبية التي تعاني منها بيئتنا أو قد تتعرض لها.

٨- ضعف الاستناد إلى آراء العلماء والمتخصصين البيئيين واقتصاديي البيئة عند تغطية الأحداث البيئية لزيادة مصداقية الفكرة لدى الجمهور والقادة، وكثيرًا ما يتم حجب الرأي الآخر للعلماء مقابل آراء المسؤولين الحكوميين أو الجهات المسؤولة عن أحداث المشكلات البيئية.

٩- الخبر والموضوع البيئي يتم وضعه في الصفحات الداخلية لأغلبية الصحف، بينما القضايا المهمة، حسب التقاليد الصحفية، تكون في الصفحة الأولى والأخيرة من الصحيفة اليومية، وغلاف المجلة ومنتصفها.

١٠- عدم إغناء المادة البيئية بالرسوم البيانية والأشكال التوضيحية، لذا تمر المعلومة البيئية بالقارئ دون أن تسترعي اهتمامه وتشد انتباهه وتشعره بأثرها السلبي على معيشته ومستقبله.

١١- هنالك قلة لدرجة الندرة في التحقيقات الصحفية المدعومة بالإحصاءات عندما تكون التغطية للأحداث المحلية، وفي حالة توافر هذه الإحصاءات تكون لسنوات خلت أو أفضل تقديرات ممكنة أو غير واقعية.

١٢- بعض المقالات البيئية تحوي معلومات غير صحيحة أو مبالغًا فيها. فمثلاً يقال: إن ثاني أكسيد الكربون سبب ثقب الأوزون، أو إن الكلمات والجمل تُرجمت واستُخدمت بطريقة لا تفي بالمعنى مثل استخدام عبارة ظاهرة البيوت الزجاجية بدلاً من عبارة ظاهرة الاحتباس الحراري والدفء العالمي، أو ظاهرة الاحترار والدفء العالمي، أو الخلط ما بين التصحر والصحراء. ومن المفضل دومًا إعطاء شرح مركز للمفهومات والتعبيرات البيئية الحديثة الاستخدام ليتم استيعابها من قبل القراء.

١٣- بعض المقالات البيئية لا يتطابق عنوانها مع محتواها مطلقًا، فمثلاً نجد مقالاً عنوانه: الأبعاد الاقتصادية لتطبيق اتفاقية فيينا لحماية طبقة الأوزون، وفي أثناء سرد المقال لا نجد أية إشارة مالية لتكاليف التطبيق؛ بل المقال مجرد سرد تاريخي للاتفاقيات الدولية لحماية طبقة الأوزون الستراتوسفيري.

١٤- بعض المقالات البيئية ضعيف المحتوى العلمي إلى درجة كبيرة، يشعر معها القارئ المتخصص بالبيئة أن من كتب هذه المقالة قد التبس عليه العديد من المفهومات الأساسية في علم الأحياء والكيمياء، لأن المقالة لم يُعهد بها إلى مختص لمراجعتها على الأقل. أو قد يكون المراجع غير كفء في هذا المجال بالذات ذي العلاقة بالبيئة. أو أن من قام بترجمة الخبر قليل الخبرة بالترجمة العلمية.

١٥- تفتقر الصحافة البيئية - في الأغلب - إلى التحقيقات والتحليلات والمقالات البيئية المتعمقة، ويكاد دورها ينحصر في نقل الخبر البيئي سواء المحلي أو الأقليمي أو العالمي دون معالجة تُذكر له، أو ربطه بالواقع الإقليمي للدول التي تنتمي إليها هذه الصحف.

خلاصة القول

إذا كانت الدول العربية ترغب حقًا في تنمية الإحساس والثقافة والسلوك البيئي الإيجابي لدى مواطنيها من أجل أن تكون خططها التنموية قابلة للاستمرار وتلقى الدعم والمشاركة الجماهيرية الفعالة لإنجاح هذه الخطط التنموية، فلا بد من المزيد من الدعم والتوجيه عبر وسائل التربية والإعلام؛ لأن الإلمام بالثقافة البيئية يشكل الركيزة الأساسية لنجاح العمل والتخطيط البيئي التنموي كي تكون خططنا الإنمائية قابلة للاستمرار من أجل رفاهية أفراد المجتمع الحالي وأجيال المستقبل كافةً.

فالإعلام البيئي يجب أن يكون موجهًا إلى الجمهور والقادة معًا لخلق السلوك البيئي الإيجابي تجاه البيئة، ولكي يكون هناك تضامن وتكافل وتكامل بين البيئة والتنمية. فالاهتمام بالبيئة ليس ترفًا كما تظن بعض الدول النامية؛ فقد أثبتت التجارب والخبرات المكتسبة في الدول المتقدمة أن تكلفة الوقاية من التدهور البيئي أقل بكثير من إصلاح التدهور ومعالجة نتائجه.

فعلى سبيل المثال قُدِّرت قيمة التلف السنوي الناجم عن التلوث الهوائي والمائي والضوضائي في هولندا عام ١٩٨٦م بمبلغ يترجح بين ٠,٦ إلى ١,١ مليار دولار أي ٠,٥ إلى ٠,٩٪ من الناتج القومي الإجمالي تقريبًا. ويقدر التلف الناجم عن مصادر التلوث هذه نفسها في ألمانيا خلال المدة من ١٩٨٣م إلى ١٩٨٥م بمبلغ قدره ٣٤ مليار دولار أو ٦٪ من الناتج القومي السنوي الإجمالي تقريبًا.

إن التغطية الإعلامية لأمور البيئة ليست خبرًا بيئيًا وحسب، وإنما هي قضية اقتصادية وتجارية وعلمية وصحية وسياسية ذات أبعاد قانونية واجتماعية، وعلى الإعلاميين أن يشاركوا بأقلامهم في تغيير اتجاهات البشر الاستهلاكية ومفهوماتهم السلوكية تجاه بيئتهم المحلية والعالمية، وعليهم اتخاذ مواقف إيجابية؛ ليس بالاكتفاء بعرض الخبر فقط؛ بل يجب أن يكون لهم موقف محدد(٢).

إن الإنسان هو القادر بسلوكه أن يُخَرِّب توازن المنظومة البيئية ويلحق الضرر بالتوازن البيئي الطبيعي، فهو الذي يخلق التصحر وتدهور التربة وتلوث المياه والهواء، ويستنزف موارد البيئة بشكل جائر. ولكن الإنسان هو القادر أيضًا على أن يصلح ما أفسد ويستعيد التوازن للأنظمة البيئية الطبيعية ويستثمرها، ولكن بتعقل كي يحافظ على طاقتها الإنتاجية لنفسه ولأبنائه وأحفاده وللأجيال القادمة، فنحن لم نرث الأرض من آبائنا ولكننا اقترضناها من أحفادنا.

فالإنسان هو القادر على الإفساد والإصلاح والصون، ويُعدّ التثقيف والتوعية والتربية البيئية عبر وسائل الإعلام أهم السبل لجعل الإنسان عنصر إصلاح ورعاية للبيئة. وللإنسان الإعلامي دور فعال في الحفاظ على البيئة ومواردها، لذا عليه أن يستقي معلوماته من مصدر موثوق به وأن يتحرّى مصداقية الخبر وصحته قبل نقله، وأن يعرض الأمور دون تحيز من أجل فائدة أفراد المجتمع كافة.

كما أن التعاون الإقليمي شرط أساسي لتطوير الوعي والسلوك البيئي. فمشكلات البيئة من تلوث هوائي ومائي وتصحر وجفاف وتغير مناخي محتمل واستنزاف طبقة الأوزون أمور لا تعترف بالحدود الوطنية لكل دولة. وهذا يُعدّ حافزًا لزيادة الوعي البيئي بالعمل محليًا والتفكير عالميًا بغية إقامة علاقات طيبة مع محيطنا الحيوي الذي نحيا فيه. إنه عالم واحد يمكننا جميعًا المشاركة في الحفاظ عليه.

المراجع:

١- رشيد الحمد ومحمد سعيد صباريني، البيئة ومشكلاتها، عالم المعرفة، الكويت ١٩٨٤م، ص٤.

٢- الحفار محمد سعيد، الاتجاهات العالمية في صون البيئة، الأليكسو، تونس ١٩٨٤م ص٣٥.

العنوان: هموم سياسية.
المؤلف: أبو عبدالرحمن ابن عقيل الظاهري.
الناشر: دار ابن حزم للنشر والتوزيع، ط١، ١٤١٨هـ، ٢٠٤ص.


غلاف الكتاب

يقع الكتاب في مقدمة وخمسة فصول. تضمنت المقدمة الكلام على إحسان الله وعدله، وحرية العبد وما يجري عليه من حتميات، وتعليق الثواب والعقاب بما صدر عن قدرة العبد وحريته، وبيان أن صلاح خلق الله في شرع خالقهم.

وفي الفصل الأول عقد الكاتب موازنة بين التاريخ الإسلامي المشرق وتاريخ الدول العظمى الراهن. فتحدث عن عراقة التاريخ الإسلامي وإنسانيته ومثاليته، وظلم الدول العظمى الراهنة وقيامها على التسلط والإرهاب الفكري وإفساد الضمائر.

أما الفصل الثاني - وهو أغنى فصول الكتاب فكريًا - فقد ناقش فيه مفهوم الوحدة العربية التي أخذ ينادي بها النصارى الكاثوليك لإفراغها من مضمونها الإسلامي بنفخ روح العلمانية فيها، وعدّ ذلك كيدًا صهيونيًا. وتحدث عن خروج الاستعمار الذي قسم البلاد العربية، وزرع فيها قيادات ليست من فطرتها ودينها لمسخ هوية العربي. أما العربي المسلم فيرفض الوحدة بهذا الشكل، ويطالب بوحدة عربية مفهومها الإسلام.

وعرض لمكايد ميشيل عفلق والحزبيّين تحت ستار الوحدة. ومكايد الصهيونية السياسية ووسائلها ومنظماتها السرية التي تقف لدعوة الإسلام بالرصد والكيد، ومن أساليبها: السيطرة على المال والإعلام، وزرع القيادات الخائنة للسيطرة على صناع القرار السياسي في العالم العربي، والسيطرة على المجتمعات الغربية الديمقراطية بالمال، وشراء أصوات الناخبين، والتصفية الجسدية من طريق المافيا، وتحلية الإلحاد، والدفع إلى الإباحية باسم الحرية والديمقراطية والوجودية والعلمانية وعبادة المال، والدعوة إلى القومية العربية العلمانية والأخوة الإنسانية؛ فأسقطوا الخلافة الإسلامية، وفصلوا الدين عن الدولة. ومع كل ذلك فالمستقبل للمشروع الإسلامي لأن كل الشعوب تريد ذلك.

وفي الفصل الثالث: بسط الكلام على واقع الدولة إذا كانت عصبيتها بالدين، وحقها على الرعية، وإذا تمت البيعة للإمام والحاكم المسلم وجبت طاعته، ولا يجوز الخروج على هذه الدولة إلا أن تأمر بمعصية أو تنهى عن معروف، ولا تنفصم البيعة إلا بكفر صراح. وتحدث عن كيد الأعداء للدولة السعودية باسم شعارات حقوق الإنسان والحيوان لأنها دولة سلفية. ولا يجوز تبني شعارات أعداء الله كالحرية والديمقراطية وإنما نتبنى حكم الشرع والشورى والحسبة. وتحدث عن التعامل مع الدولة الكافرة وأن له ضوابط شرعية جعلت للحاكم الأمر بمقدار ما يحقق للأمة من المصالح ويدفع عنها من المفاسد.

وفي الفصل الرابع ناقش مفهوم الديمقراطية وحكمه في الدين وحكم الأحزاب في الإسلام والتعددية السياسية، ومفهوم الحرية وفلسفتها، وعدّ الشورى من أوجه الحرية المشروعة في ديننا، وناقش موضوع الشورى والخلط بينه وبين الإجماع، وموضوع الخلافة والملكية المتوارثة.

وفي الفصل الخامس أوضح القول عن جيل الشباب الإسلامي الملتزم والمتحمس للإسلام وموقف العلمانيين من هذا الجيل في عهد ثورة ١٩٥٢م. وأعطى لمحة عن الناصرية العلمانية وإفسادها للمجتمع المصري المسلم وقتلها سيد قطب والهضيبي وغيرهما. وبيّن واقع رجالها: ما لهم وما عليهم، وأثر الإعلام الصاخب في توجيه الناس نحو الباطل، وموقف الأصوات الخيرة كآل قطب وآل غزالي وآل مودودي وندوي. ثم تحدث بكلمة عن مصر حاملة الهم العربي والإسلامي، وناقش الصحافة الصليبية والعرقية - وعلى رأسها مجلة روز اليوسف وغالي شكري وأسامة أنور عكاشة وغيرهم من الحاقدين - في حملتها المسعورة الظالمة على السعودية، مناقشة هادئة.

العنوان: المقطعات الشعرية في الجاهلية وصدر الإسلام.
المؤلف: د. مسعد بن عيد العطوي.
الناشر: مكتبة التوبة، ط١، ١٤١٤هـ - ١٩٩٣م، ٢٤٨ ص.



غلاف الكتاب

موضوع الكتاب دراسة لجانب من جوانب الشعر الجاهلي، جاءت الدراسات فيه قليلة ونادرة، وهو المقطعات الشعرية في الجاهلية وصدر الإسلام. وأهم ما تتميز به هذه الدراسة الاستقصاء والاستيعاب لأغلب الشعر الجاهلي والإسلامي المطبوع من خلال دواوينه الكثيرة وكتب الأدب والمجموعات الشعرية والمختارات. وقد استقصى الكاتب كل ما وقع تحت يديه من الشعر الجاهلي والإسلامي واستوعبه، فجاءت الدراسة وافية من جميع جوانبها، كما جاءت النتائج التي توصل إليها واقعية صحيحة سدّت ثغرة في الدراسات الأدبية الشعرية.

وقد انتظم الكتاب في مقدمة وفصلين وخاتمة.

تناول المؤلف في المقدمة سبب الإعراض عن دراسة المقطعات الشعرية في العصر الجاهلي مع أن المقطعات أكثر بكثير من

القصائد، وتسير جنبًا إلى جنب مع القصيدة عبر رحلة الشعر العربي. وذكر أن المقطعة تشبه القصة القصيرة بينما القصيدة تشبه القصة الطويلة، وأن الشعر العربي تطور من البيت إلى المقطعة إلى القصيدة.

أما الفصل الأول فقد عقده للحديث عن نشأة الشعر وتكوين بنيته الأولى بدءًا من السجع ثم الرجز ثم المقطوعة ثم القصيدة. ثم عرض للعناصر المكونة للمقطعات من تجارب فطرية للشعراء ينفثونها في عدد قليل من الأبيات، إلى ارتجال الشعر، ورواية المشافهة وعدم الكتابة، إلى الحديث عن الأيام والمعارك الحربية. ثم ناقش نشأة المقطعات، وذكر أنها مرت بثلاث مراحل: الأولى: السجع، والثانية: تكوّن الرجز القريب من السجع، والثالثة: الاتجاه نحو الكمال وتوليد البحور الشعرية. ثم تحدث عن ماهية المقطعات وأنها تجربة شعورية فردية عاطفية في لحظة موقوتة. وتناول عدد أبيات المقطعات وتكاثرها مع تنامي الكيان العربي وتكاثر قبائله والحروب التي دارت بينها.

وأخيرًا تناول المقطعات في بواكير الدواوين العربية ثم في بقية الدواوين والمجموعات الشعرية، وشعر القبائل. وختم هذا الفصل بالحديث عن الخصائص الفنية لهذه المقطعات.

وخص الفصل الثاني للمقطعات في صدر الإسلام، فأوضح مراحلها في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم، وعهد الخلفاء الراشدين رضي الله عنهم، مثل النقائض بين شعراء المسلمين وشعراء قريش، وشعراء الوفود والرد عليهم، وحروب الردة وما قيل فيها من أشعار؛ سواء من المسلمين أم من الكافرين. وأخيرًا الفتوح الإسلامية وما قيل فيها من مقطعات شعرية. وختم هذا الفصل بالحديث عن الخصائص الفنية للمقطعات الإسلامية.

ثم ختم الكتاب بخاتمة بيّن فيها أن المقطعات فاقت القصائد بكثير، وأنها ترسخت في أرض الواقعية مضمونًا وشكلاً، وأنه كان لها فاعلية وتأثير أقوى من المطولات، وصنع للكتاب فهرسًا لأسماء المراجع والمصادر وفهرسًا لموضوعات الكتاب.

العنوان: ازدواجية اللغة: النظرية والتطبيق.
المؤلف: د. إبراهيم صالح الفلاي.
الناشر: العبيكان، ط١، ١٤١٧هـ - ١٩٩٦م، ٢٠٧ ص.

د. إبراهيم صالح الفلاي



غلاف الكتاب

يتألف الكتاب من مقدمة وخمسة فصول وخاتمة وفهرس للمراجع العربية والأجنبية.

تحدث المؤلف في المقدمة عن وظيفة اللغة، وأنها وسيلة رئيسة للاتصال بين الشعب الواحد والشعوب المختلفة. وذكر أن اللغة المستعملة في البيت مع الأهل والأصدقاء تختلف عن اللغة التي تُستعمل في المحاضرات والجامعات. وقد أدّى هذا التقسيم الوظيفي للغة واللهجة والأسلوب إلى ما يعرف بازدواجية اللغة. وازدواجية اللغة ظاهرة لغوية وسمة من سمات شعوب الأرض، ولم تُدرس بشكل علمي منظم إلا حديثًا في عام ١٩٥٩م عندما وصف فرجسون حال بعض المجتمعات بأنه ازدواجي اللغة، أي إنها وصف لوجود شكلين لغويين هما الفصحى والعامية في المجتمع الواحد. وذكر المؤلف أن كتابه يهدف إلى مناقشة ازدواجية اللغة بشكل علمي منهجي بوصفها ظاهرة لغوية تتعلق بالمجتمع بعيدًا من التعصب للعامية أو الفصحى.

في الفصل الأول ناقش المؤلف نظرية فرجسون التي تحدثت عن تعريف ازدواجية اللغة، وخصائص ازدواجية اللغة، وقد قسمها إلى تسع خصائص: الوظيفة والمنزلة والتراث الأدبي والاكتساب والمعيارية والثبات والقواعد النحوية والمفردات والتراكيب الصوتية. ثم العلاقة بين خصائص ازدواجية اللغة، وبعض المسائل المرتبطة بازدواجية اللغة، ومشكلات ازدواجية اللغة.

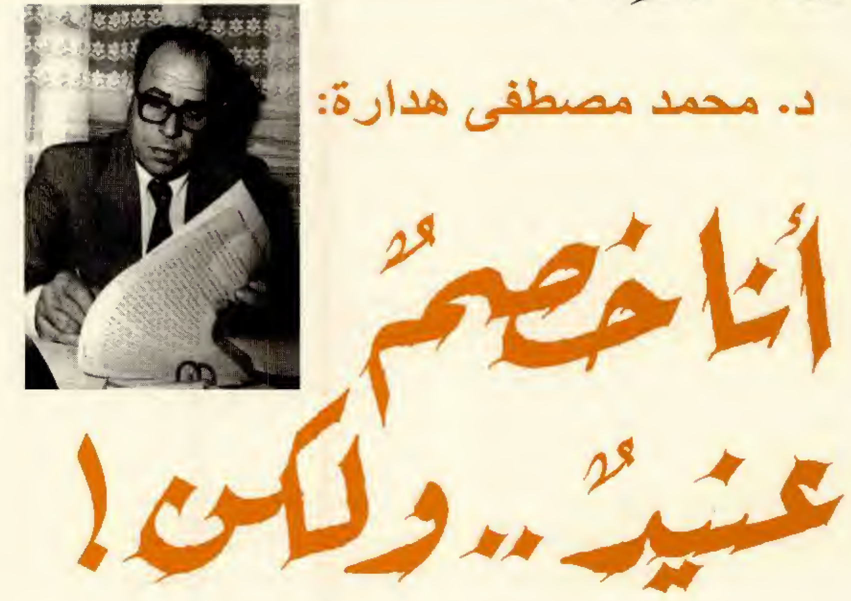
وفي الفصل الثاني تناول القصور في نظرية فرجسون، ولخص هذا القصور في خمس نقاط، وفرّق بين ازدواجية اللغة وثنائية اللغة. ثم تحدث عن نظرية فيشمن التي تعدّ النظرية الثانية بعد نظرية فرجسون، وهدفها ربط ظاهرتين لغويتين: الأولى ظاهرة ازدواجية اللغة التي ترتبط بعلم اللغة الاجتماعي. والثانية ثنائية اللغة التي تعدّ جزءًا من علم اللغة النفسي. وتنصب دراسة هذه الظاهرة على الفرد لا على المجتمع. وذكر أن فيشمن تناول في دراسته أربع نقاط: ازدواجية اللغة مع ثنائية اللغة، ازدواجية اللغة من دون ثنائية اللغة، ثنائية اللغة من دون ازدواجية اللغة، انعدام كل من ازدواجية اللغة وثنائية اللغة.

وأدار القول في الفصل الثالث على نظرية فاسولد التي لخص فيها الأمور الأربعة التي تدور عليها نظريته وهي: الشكل اللغوي المعياري واللهجات، العلاقة الثنائية، الترابط، الوظيفة.

وعقد الفصل الرابع لتحليل نظريتي فرجسون وفيشمن، وعرض آراء علماء اللغة الاجتماعيين في ماهية ازدواجية اللغة، وناقش آراءهم التي انقسمت بين مؤيد ومعارض للنظريات السابقة الذكر. واختتم الفصل بذكر تعريف اقترحه لازدواجية اللغة هو: أن الازدواجية اللغوية وصف لسلوك لغوي يُستخدم فيه شكل لغوي أعلى - سواء أكان لغة أم لهجة أم أسلوبًا - أكثر معيارية في أغراض الاتصال الرسمية بينما يُستخدم شكل لغوي أدنى لوظائف الاتصال غير الرسمية.

أما الفصل الخامس والأخير فقد ناقش فيه ازدواجية المفردات اللغوية وذكر لها أربعة أسباب. وختم هذا الفصل - وكذلك الكتاب - بذكر أسباب عدم الاختلاف الكبير بين المفردات العربية المستخدمة في العامية وتلك المستخدمة في الفصحى وهي: وجود القرآن الكريم مكتوبًا بين أيدي العرب المسلمين، احترام العرب وتقديرهم للغة العربية والشعر العربي، الشعائر الدينية وأثرها في حفظ العربية، وسائل الإعلام المقروءة والمرئية والمسموعة.

د. محمد مصطفى هدارة:



أنا خصمٌ عنيدٌ.. ولكن!

حاوره في تجربته: د. عبدالمجيد الإسداوي

في شتاء عام ١٣٩٩هـ/١٩٧٨م كان الدكتور إبراهيم عبدالرحمن محمد يُدرّسنا الأدب العربي وتاريخه في العصر العباسي؛ فجذب انتباهي وانتباه زُملائي إلى أهمية كتاب للدكتور محمد مصطفى هدارة هو «اتجاهات الشعر العربي في القرن الثاني الهجري»، وكان الدكتور أحمد إبراهيم الهواري يُدرّسنا النقد العربي القديم فاستدعى أنظارنا إلى أهمية كتاب آخر للدكتور هدارة هو «مشكلة السرقات وأثرها في النقد العربي»؛ فطالعناهما، كغيرهما من البحوث والدراسات الطليعية الشامخة التي وضعتْ خُطواتنا الشابة على ذخائر تُراثنا العربي في عصوره الزاهرة.

وشاءت إرادةُ الله سبحانه أن أقطع خُطوات في دراستي للماجستير بكلية الآداب جامعة الزقازيق، عن «الأرجوزة من الجاهلية حتى نهاية القرن الثاني الهجري»، وفي صباح يوم السبت ٢٧ من أكتوبر ١٩٨٦م ذهبتُ إلى كلية الآداب بجامعة الإسكندرية لمطالعة بعض الرسائل الجامعية المتصلة ببحثي؛ فوجهني أمينُ مكتبتها إلى رئيس قسم اللغة العربية بها، فإذا بي أجدُني أمام أستاذنا الدكتور محمد مصطفى هدارة وجهًا لوجه، وإذا به ـ رحمه الله تعالى ـ يُقابلني بكل الحفاوة والترحاب، ويُوجهني إلى ما يُسدد خُطواتي في البحث.

وأعود إلى بيتي ـ بالطويلة شرقية ـ تتدفقُ المشاعر بداخلي إعجابًا وسرورًا وتقديرًا وسعادة بهذا اللقاء التاريخي بالنسبة لي، مما حلمتُ به على امتداد سني دراستي الجامعية والعليا.

وفي صيف عام ١٤٠٨هـ/١٩٨٧م ترأس ـ رحمه الله ـ لجنة المناقشة والحُكم على بحثي الذي حصلت به على درجة الماجستير في الآداب.. ثم حظيتُ بشرف رعايته المباشرة لي فائزًا بقسط وافر من خبراته المتجددة، ورؤيته المتعمقة الواعية بإشرافه عليّ في مرحلة الدكتوراه.. وخلال سني إعدادي للبحث الذي قدمتُه عن شعر «مُزينة في الإسلام» ١٩٨٨-١٩٩٢م كان لي نعم الأب الحاني العطوف والأستاذ الرشيد، وكانت مكتبته العامرة ذُخرًا لي ولأمثالي من طلاب العلم ومُريديه.

وفي صيف عام ١٤١٤هـ/١٩٩٤م فاتحتُه ـ رحمه الله تعالى ـ بشأن رغبتي في إعدادي بحثًا عن حياته وآثاره، فرحّب مُبديًا استعداده التام للتعاون معي على إنجاز هذا البحث، وبدأ يُطلعني على ذخائر مكتبته بأجزائها من الكتب والدوريات والرسائل الجامعية في الإسكندرية وغيرها، وتنقلتُ معه عبر مواطن إقامته بدارته الخاصة بقصر الصفا وشقتيه بقرية كرير السياحية وبشارع عدلي يكن بجليم بالإسكندرية، وأخذ يجذب أنظاري إلى بعض المزالق كالتعصّب والتطرف والسطحية وغيرها من آفات البحث، محذرًا من الوقوع في مهاويها المُهلكة.

وبعد عصر يوم الجمعة الموافق ٢٣ سبتمبر ١٩٩٤م، كان لي معه شرف هذا الحديث الذي لم يُنشر من قبل:

ـ ماذا عن ميلادكم ومؤثرات ثقافتكم؟!

* وُلدت بالإسكندرية في فبراير ١٩٣٠م/١٣٤٩هـ لأب مثقف يعمل بالتجارة، فوجهني صغيرًا إلى «الكُتّاب»، فعرفتُ مبادئ القراءة والكتابة والحساب، وحفظتُ قدرًا كبيرًا من القرآن الكريم قبل دخولي المدرسة الابتدائية، وتلقيتُ تعليمي الابتدائي والثانوي، ثم التحقتُ بقسم اللغة العربية وآدابها بكلية الآداب بجامعة الإسكندرية سنة ١٣٦٨هـ/١٩٤٨م، وكانت تقديرات السنوات الدراسية الأربع تشهد لي بأنني طالب مُتفوقٌ واعدٌ، حتى تخرّجتُ في القسم سنة ١٣٧٢هـ/١٩٥٢م بتقدير ممتاز مع مرتبة الشرف الأولى، ثم عملتُ مُعيدًا بقسم اللغة العربية بكلية الآداب جامعة عين شمس، وحصلت على درجة الماجستير في الآداب عن موضوع «مشكلة السرقات وأثرها في النقد العربي: دراسة تحليلية مقارنة»، سنة ١٣٧٧هـ/١٩٥٧م فانتقلتُ للعمل مُلحقًا بجامعة الدول العربية بالقاهرة.. ثم حصلت على درجة الدكتوراه في آداب اللغة العربية عن «اتجاهات الشعر العربي في القرن الثاني الهجري»، فعُينتُ مدرسًا للأدب العربي بكلية الآداب جامعة الإسكندرية، سنة ١٣٨٠هـ/١٩٦٠م، ثم رُقّيتُ أستاذًا مساعدًا بها ١٣٨٧هـ/١٩٦٧م فأستاذًا عام ١٣٩٢هـ/١٩٧٢م، ثم عيّنتُ أُستاذًا مُتفرغًا في فبراير ١٩٩٠م/١٤١٠هـ بعد إحالتي إلى التقاعد.

ـ وماذا عن أساتذتك الرواد؟!

* أساتذتي الذين أثّروا في حياتي وشكّلوا مسيرتي العلمية كثيرون، في مقدمتهم: الأستاذ الدكتور طه الحاجري، ببراعته الفائقة في التحليل الجيد للنصوص والتحقيق، والأستاذ الدكتور محمد محمد حسين بقدراته العظيمة على تذوق النصوص وتحقيقها ورؤيته الصحيحة للقضايا المعاصرة، بالاستناد إلى وعي إسلامي رشيد، والأستاذ أمين الخولي بمنهجه البلاغي، ومزجه بين التراث والمعاصرة، وكانت تجمعني به لقاءات دائمة في بيته بالقاهرة، وكان يزورنا بالكلية، فنرتشف من معينه ما يروي غُلّتنا الصادية.

والأستاذ محمود محمد شاكر الذي تربطني به علاقة قوية حتى الآن، إذ كان يُلقي علينا دروسه عن «المفضليات» و«الأصمعيات» وغيرهما، وترك فينا آثاره الجليلة باستيعابه الكامل للتراث العربي، مصادره وبواطنه،

وقدراته المتجددة على تحليل النصوص وتذوقها وتحريرها من الأوهام والأخطاء.

والدكتور طه حسين ولقاءاته شبه الأسبوعية الغنية عن الوصف، والرافعي بما كتب عن إعجاز القرآن، وسحر بيانه الأخّاذ ومقالاته الرصينة.. والعقاد.. وغيرهم ممن أغنوا حياتنا الثقافية في نهضتنا المعاصرة.

ـ ومـاذا عن رفاق دربك وزملاء رحلتك على امتدادها؟!

• عايشتُ زملاء وأساتذة أفاضل، كانوا ـ وما زالوا ـ مشاعل ونجومًا في مجالات عطائهم المتجدد، ومنهم: د. ماهر حسن فهمي الأستاذ بآداب قطر، ود. محمد زكي العشماوي، ود. محمد زغلول سلاّم، ود. عزالدين إسماعيل، ود. حسين نصار، ود. إبراهيم عبدالرحمن محمد، ود. سيد حنفي حسانين، ود. يوسف خُليف، ود. الطاهر أحمد مكي، ود. عبدالقادر القط، ود. إحسان عباس، ود. ناصرالدين الأسد، ود. نوري حمودي القيسي، والشيخ حمد الجاسر، ود. أحمد الضبيب، ود. شوقي ضيف الذي أختلفُ مع منهجه في دراسة تاريخ الأدب العربي، ولكني مع ذلك أُكنُّ له كل الحب والإجلال والتقدير. إضافة إلى صداقاتي الحميمة مع بعض المستشرقين كإيفالد (فاغنر) محقق ديوان أبي نواس الحكمي في خمسة مجلدات، وستيفان (بيلد)، ود. محمد فؤاد سزكين التركي الألماني صاحب «تاريخ التراث العربي» وصاحب الإصدارات التراثية الفريدة.

ـ وماذا عن تلاميذك؟ ومنْ أكثرهم قُربًا منك؟

• بحمد الله وفضله سعدتُ بالإشراف على أكثر من مئتي طالب وطالبة في حصولهم على درجتي الماجستير والدكتوراه من شتى البلدان العربية والإسلامية، وشاركتُ في الحُكم على بحوث مئات الطلاب والطالبات في درجتي الماجستير والدكتوراه، وفي الترقي لدرجتي أستاذ مساعد وأستاذ. وإنني أعتز بكل منهم، دون تمييز، بقدر وفائهم للعلم والتزامهم المنهج الصحيح. وأخصّ من هؤلاء الدكاترة: محمد زكريا عناني وزوجه د. سعيدة، وصالح حسن اليظي من آداب الإسكندرية، وبدر أحمد ضيف وحسن عباس من آداب طنطا، ومحمد رزق خفاجي من آداب سوهاج، ومحمد أبوالفضل بدران من آداب قنا، والمتحدث معي الآن (كاتب هذه السطور) من آداب المنيا، ومحمد الهرفي من جامعة الملك فيصل بالأحساء، وحمد المنصور بجامعة الإمام بالرياض، وعبدالحميد جيدة بطرابلس، ومفيد قميحة بصيدا.

ـ وما أقرب عصور الأدب العربي إلى قلبك؟ ومن الشاعر الذي استحوذ على حبك وتقديرك طوال رحلة بحثك؟!

• الشاعر الجاهلي أو القديم، بشكل عام، والشعراء الصعاليك بشكل خاص هم أكثر الذين أثاروا إعجابي، لأنهم صدقوا في تصوير معاناة الإنسان العربي القديم، في بحثه عن العدالة الاجتماعية.. ومن بين شعراء صدر الإسلام ينفرد الحُطيئة بصدقه ونجاحه في تشكيل انفعالاته، على كونه شاعرَ هجاء خبيثَ اللسان.. وفي العصر الأموي يأسرني جرير بشاعريته ووفائه وإنسانيته، مُتفوقًا لديَّ على الفرزدق وأقرانه.. وبعد جرير يأتي ذو الرمة.

أما في العصر العباسي فإن ابن الرومي من أحبّ الشعراء إليَّ، وما زلتُ أعتقد أنه إنسان مظلوم، وأرى أن الذي قال: إن لسانه أطول من عقله كان من بين ظالميه.. وبعد ابن الرومي يأتي المتنبي الإنسان الشاعر العبقري.

وتأسرني فلسفة أبي العلاء المعري بعمقها وتفرُّدها الإنساني ولو في منظور عصره.. وفي عصرنا الحديث يسبق أحمد شوقي أكثر سابقيه ومعاصريه ولاحقيه.

ـ عرفناك ناقدًا يُحسن تذوّق النصوص. فما مفتاح أي نص؟!

• إذا خصصنا القول في مجال الشعر مثلاً، فإن مفتاح القصيدة، أية قصيدة، هو الانطباع التأثيري لدى أي قارئ، ويكون نتيجة ما تثيره فيه من إحساس بقيمة التجربة، وحرارتها، أكثر مما تُثيره ببهرجة الألفاظ أو جمال الإيقاع.. وإن كانت الألفاظ والموسيقا من العناصر المؤثرة في الانطباع العام.. ولعل أهم ما يجذبني إلى النص ـ أي نص ـ أنني أحس بوجود شخصية مُتميزة لصاحبه، تفرض عبقها الخاص، وتدلف بي إلى عالمه السحري، بحثًا عن لآلئه وكنوزه التي تتجلى عبر روافد تجربته الفنية.

ـ جُبتم بُحور النقد العربي شابًا فتيًا. فهل ترون أنكم تركتُم لنا أنتم وأقرانكم شيئًا للكتابة فيه؟!

• بوصفي أحد دارسي النقد العربي القديم ومُتخصصيه أرى أن النقد العربي القديم قد دُرست قضاياهُ دراسة مُستفيضة في البحوث والدراسات الجامعية ولم يبق شيء للكتابة فيه بعُمق وأصالة، غير تحديد المصطلحات النقدية التي لا نجد لها مدلولاً واحدًا في كتابات النقاد، كالطبع والصنعة والجزالة والرونق وما إلى ذلك. وأرى أن الأمر يحتاج إلى مُدارسة ناقد يعيش بقلبه وروحه في النقد القديم، وبعقله في النقد الحديث، ليستطيع أن يضع أيدينا بذكاء على قيمه ومعاييره بروح عصرنا الشديد التطور والتغيُّر.

ـ شاركتم في مئات الندوات العلمية والأدبية والمؤتمرات، وكتبتم مئات المقالات والبحوث والدراسات.. فما رأيكم في إصداراتنا المعاصرة من المجلات، كفُصول والثقافة الجديدة والرافعي والأدب الإسلامي؟!

• مجلة «فُصول» في عهدها القديم كانت قوية رائدة تستحقُّ الإعجاب والتقدير، وقد شاركتُ بالعديد من البحوث في أعدادها الأولى.. ولكن بعد تغيير إدارتها، وتحوُّل مسارها الفكري، كففتُ يدي عن الكتابة فيها.

أما الثقافة الجديدة فمجلة فنية تتوسط في أسلوبها بين المنهجية العلمية المتخصصة، ومُخاطبة عموم القراء، مما يأخذ بأيدي أنصاف المثقفين إلى مُلاحقة روافد الإبداع عبر قنواته العذبة.

وقد شاركتُ في إصدار مجلة «الرافعي» تشجيعًا للحركات الأدبية والنقدية الشابة، كما شاركتُ في مجلة «الأدب الإسلامي» التي تصدرها رابطة العالم الإسلامي.

ـ على ذكر الأدب الإسلامي، ماذا تقصد بهذا المصطلح الأدبي والنقدي الذي بدأت راياته تخفق في سماء عالمنا المعاصر؟!

• الأدب الإسلامي ليس أدب وعظ وإرشاد ديني، وليس أدبًا تقريريًا، تسجيليًا، وإنما هو أدب تتحقق فيه عناصر جمال الفن، ويكون نابعًا من نفس إسلامية واعية غير صادر عن قهر أو رغبة ملحّة في القول.. الأدب الإسلامي ليس موجةً جديدةً طارئة تزول بزوال أشياء كثيرة من حياتنا، ولكنه اصطلاح يدل على منهج نقدي جديد في مواجهة ما يفِدُ إلينا من الغرب أو الشرق من اتجاهات نقدية مخالفة للقيم الإسلامية الرشيدة. وكل ما يتماشى مع النظرية الإسلامية عن الله والكون والإنسان هو من صميم الأدب الإسلامي ما دامت تتحقق فيه شروط الجمال الفني وعبقه الأخّاذ.

ـ عرفتك الساحةُ العربيةُ مُترجمًا. فما أهمية الترجمة وما آفاق نجاحها في رأيكم؟

• للترجمة دورها البنّاء في إغناء حياتنا العلمية والثقافية بشكل عام والأدبية بشكل خاص، وقد ترجمتُ «يوميات هيروشيما» لهاشيا، و«قاهر القطب الجنوبي» لرتشارد بيرد، و«عالم القصة» لبرنارد دي فوتو، و«الإسلام» لألفرد جيوم. وإيماني بدور الترجمة في إغناء الحياة الثقافية والأدبية في بلادنا محفوف بالوعي والحذر حفاظًا على هويتنا الثقافية العربية، وإبرازًا لقدواتنا الإسلامية.

ـ تابعت الساحة الثقافية العربية معاركم الأدبية طوال العقود الأربعة المنصرمة.. فما تعليقكم على من يتهمكم بالحدّة في النقد؟!

• نعم أنا خصم عنيد.. ولكن في الحق.. ولعل الفرصة تسنح لي أو لغيري بجمع مقالاتي التي شهدت جوانب من هذه المعارك الأدبية في الأيام القادمة.

أبو حيان التوحيدي

المغترب البائس

د. نوره صالح الشملان

قال أبو حيـان: «وأغرب الغرباء من صار غريبًا في وطنه»(١). وقال: الغريب من إذا قال لم يسمعوا قوله، وإذا رأوه لم يدوروا حوله.. الغريب من إذا أقبل لم يُوسع له، وإذا أعرض لم يُسأل عنه.. الغريب من إذا سكت لم يُبدأ.. الغريب من إذا عطس لم يُشمَّت، وإن مرض لم يُتفقَّد.. الغريب من إذا زار أُغلق دونه الباب، وإذا استأذن لم يُرفع له الحجاب(٢).

ماذا يمكن أن نستخلصه من نصوص كهذه؟

بعد دراسة متأنية لحياة أبي حيان ومؤلفاته يظهر لنا أن الرجل كان يعاني انفصالاً حادًا عن المجتمع، وأن هذا الانفصال ينبع من منابع متعددة لعل أولها اضطراب الحياة السياسية التي أوصلت إلى السلطة أناسًا لا يستحقونها. وإذا كان قد تبوأ السلطة رجالٌ، يبدو للوهلة الأولى أنهم أكفياء، فإن مخالطة التوحيدي لهم كشفت له عن سوء أخلاقهم؛ ومن نماذج ذلك الصاحب بن عبّاد (ت:٣٨٥هـ) الوزير الكاتب المشهور الذي احتل مركزًا سياسيًا كبيرًا، وكان يُنتظر منه أن يحتضن رجال الأدب والعلم، وأن يحسن معاملتهم. إلا أن ما كتبه عنه التوحيدي يظهر عكس ذلك، فقد كان متغطرسًا يلذّ له أن يهين الآخرين، ومن صور إهانته لأبي حيان أنه طلب منه أن ينسخ له كتبًا، فعكف أبو حيان على تلك الكتب يواصل ليله بنهاره، وبينما هو في يوم من الأيام جالسٌ ينسخ إذا بالصاحب يخرج عليه. يقول أبو حيان: «.. وطلع يومًا في داره وأنا قاعد في كسر رواق أكتب شيئًا كأدني به، فلما أبصرته قمت قائمًا فصاح بحلق مشقوق: اقعد فالوراقون أخسّ من أن يقوموا لنا»(٣).

واتصل أبو حيان بابن العميد (ت:٣٦٠هـ) الكاتب المترسل الذي طالما استقبل بلاطه نجوم العصر أمثال المتنبي. ولم يكن حظ أبي حيان مع ابن العميد بأفضل من حظه مع الصاحب، فهجاهما معًا في كتابه المشهور «مثالب الوزيرين» الذي أودعه كل ما في نفسه من عتاب وحزن وألم لسوء المعاملة التي مُني بها في ظلّهما.

تلك نماذج من العلاقة التي جمعت أبا حيان مع رجال عصره. ولا نستطيع أن نضع تبعة هذا النفور على رجال عصره فقط، فقد كانت هناك أمور تغذي هذا النفور من المجتمع في نفس أبي حيان، منها يُتْمُه المبكِّر. ويبدو أنه كان متعلقًا بوالدته تعلقًا شديدًا يعزّز ذلك قوله: «فإني لا أكاد أنساها ولا أذهل عن شأنها وشأني معها، هذا على بُعد عهدي بها وامتداد الزمان بيني وبينها، لأنها صارت إلى جوار اللّه وأنا غلام»(٤).

ويبدو أن أباه مات هو الآخر فكفّله عمه الذي كان يقسو عليه، ويسيء معاملته، ولما شبّ عن الطَّوق لجأ إلى مهنة الوراقة التي أنهكت قواه، فهو يعبّر عن معاناته مع تلك المهنة المتعبة بالقول: «لقد استولى عليّ الحرف، وتمكّن مني نكد الزمان إلى الحد الذي لا أسترزق، مع صحة نقلي وتقييد خطّي وتزويق نسخي وسلامته من التصحيف والتحريف، بمثل ما يسترزق البليد الذي ينسخ ويمسخ الأصل والفرع»(٥).

إن اضطراره للعيش جعله يطرق أبوابًا لا يؤمن بأصحابها بل إنه يحتقرهم، ولكنه مضطر إلى ذلك للحصول على الرزق، ومن هنا فقد كان ينادي بأعلى صوته بالرفض لهذا الزمان الغادر الذي لم ينصفه، والأيام التي جارت عليه، والناس الذين ظلموه وجحدوا فضله، فهو غريب بينهم، بائس في زمن ظالم اختلت فيه الموازين.

وكان يعاني معاناةً شديدة من المسألة. ويطلب من اللّه أن يغنيه عن الناس؛ مما يدل على أنه كان متألمًا مزدريًا لنفسه التي تمد يدها طالبة الرفد ممن لا يستحقون. وكان يؤلمه أن يستخدم أدبه وسيلة للشراء أو جمع المال، وتسخير قلمه لمدح من لا يستحق المدح. ومن هنا فقد توجه لخالقه تعالى بالدعاء قائلاً: «اللهم صن وجوهنا باليسار ولا تبذلها بالإقتار فنسترزق أهل رزقك ونسأل شرار خلقك؛ فنُبتلى بحمد من أعطى وذمّ من منع، وأنت، من دونهما، دليل الإعطاء بيدك خزائن الأرض والسماء»(٦).

إن المعاملة السيئة التي تلقّاها أبو حيّان من معاصريه جعلته يرفض هذا المجتمع رفضًا تامًا، وقد عبّر عن هذا الرفض بقيامه بإحراق كتبه، وعلّل قيامه بهذا العمل الغريب بالقول: «فشقّ عليّ أن أدعها لقوم يتلاعبون بها، ويدنّسون عرضي إذا نظروا إليها، ويشمتون بسهوي وغلطي إذا تصفحوها، ويتراءون نقصي وعيبي من أجلها. فإن قلت: ولِمَ تَسِمُهُم بسوء الظّن، وتقرعُ جماعتهم بهذا العيب؟ فجوابي لك أنّ عياني منهم في الحياة هو الذي يحقق ظني بهم بعد الممات، وكيف أتركها لأناس جاورتهم عشرين سنة فما صحّ لي من أحدهم وداد وما ظهر لي من إنسان منهم حفاظ؟»(٧).

إن سخطه على الناس امتد إلى سخط على نفسه، فلجأ إلى جلد ذاته وتعذيبها وفضحها وتقريعها، يقول مخاطبًا نفسه: «ظاهرُك أعبثُ من باطنك، وباطنُكَ أخبث من ظاهرك، وإشارتك أنكد من عبارتك، وعبارتك أفسد من إشارتك، وكلك مستغيث من بعضك، وبعضك هاربٌ من كلك»(٨).

وحفلت مؤلفات أبي حيان بذم الناس لأنهم يظهرون خلاف ما يبطنون؛ فهم يذمون البخل مع غلبته عليهم، ويمدحون الكرم مع ابتعادهم عنه، فهو كثير السؤال عن التباين الحاد بين الأقوال والأفعال، فلجأ إلى كشف الأقنعة عن تلك الوجوه التي كانت تتخذ من التمسك بالأعراف ستارًا تخفي خلفه الرياء والكذب والنفاق.

الهوامش:

١-٢- الإشارات الإلهية، ص٨١.
٣- مثالب الوزيرين، ص٩٦.
٤- المقابسات، ص٢٧٥.
٥- معجم الأدباء، ٢٨/٥.
٦- مثالب الوزيرين، ص٣٦١.
٧- معجم الأدباء، ٣٨٠/٥.
٨- الإشارات الإلهية، ص٨٦.

عندما يدور الشهر.. أو يستدير القمر
أنت على موعد دائم مع

الجيل



«الصحافة الشابة لكل الأجيال»

تقرأ فيها باستمرار:



- معالجات عميقة وجادة وشيقة لأحداث الرياضة السعودية والعربية والعالمية.
- لقاء مع نجوم الرياضة في مختلف الألعاب.
- تحقيقات في مختلف المشكلات والقضايا الاجتماعية الشبابية.
- حوارات مع كبار المفكرين والأدباء والفنانين.
- دراسات نقدية لروائع الأدب، ومتابعات لأحداث الفن والثقافة.
- إبداعات الشباب في مختلف الفنون الأدبية.
- كل ما يهم الأسرة من طب وعلوم وتربية واقتصاد.



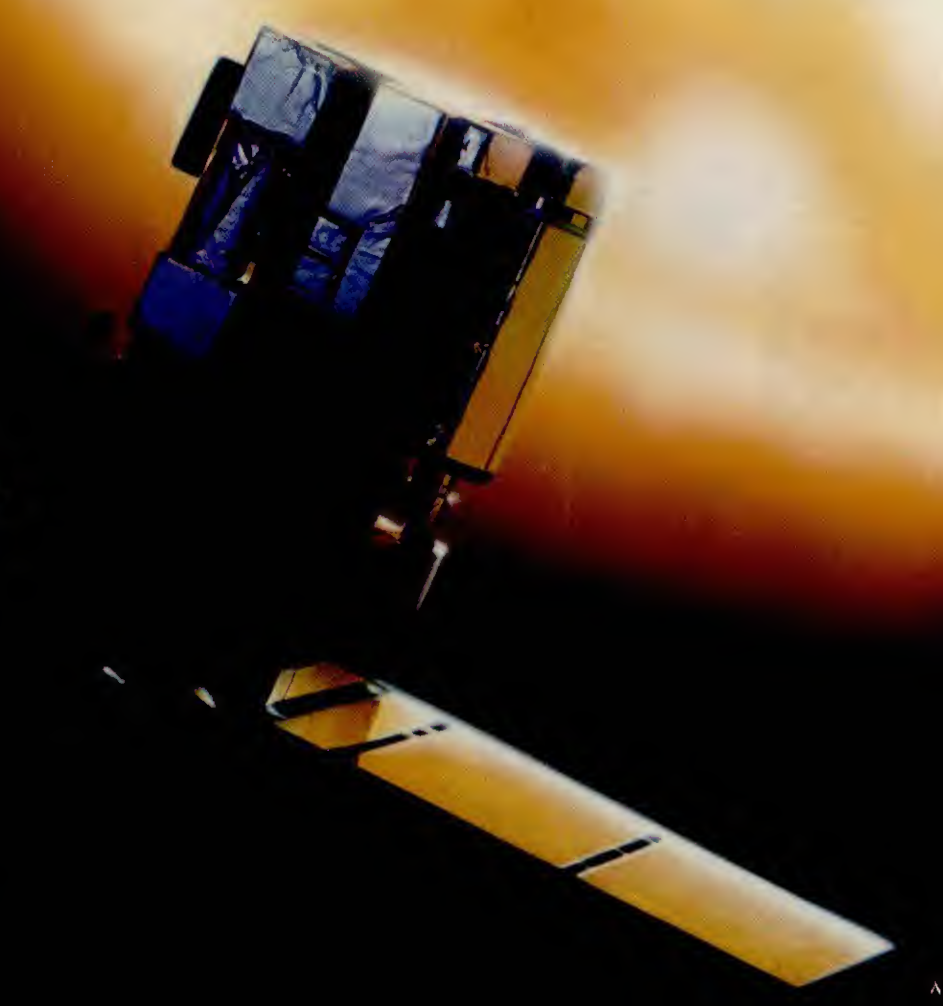


لكل ذوق.. ونحن نرضي كل الأذواق
مع «الجيل».. أنت تقرأ في كشكول الحياة

علوم الفضاء

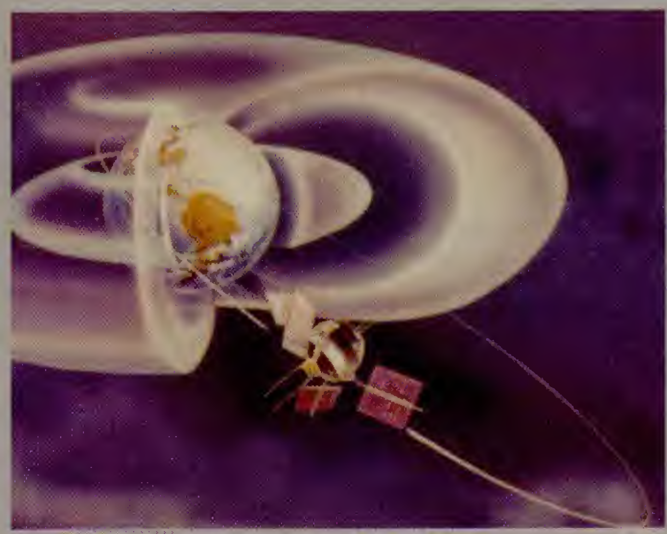
عشرة أقمار صناعيّة لدراسة التأثيرات الشمسية في الأرض

م. سليمان قيس القرطاس



القمر الصناعي سوهو مواجها الشمس (المصدر ESA)

الشمس، بما حباها الله من مزايا وإمكانات، تُعَدُّ عنصرًا أساسيًا للحياة على سطح الأرض بما تمنحه من ضوء وطاقة.
إلا أن أشعة الشمس والسيول المختلفة للطاقة الواردة منها من الممكن أن تقضي على جميع مظاهر الحياة على سطح الأرض لولا ما منح الله الأرض من أغلفة وقاية تحيط بها.





صورة تخيلية توضح القمر الصناعي أكسبلورر مع حزام فان ألن (المصدر TRW)

وخلال السنوات الأخيرة ولتفسير التغيرات المناخية التي حصلت، طُرحت نظرية علمية سميت بنظرية «الانحباس الحراري» أو ما عرف بنظرية البيت الزجاجي، وتم إعداد هذه النظرية لتفسير ارتفاع ضئيل في درجات الحرارة على مستوى عالمي بين منتصف السبعينيات حتى الثمانينيات (على افتراض كون القياسات تشمل جميع أنحاء العالم)، وتستند هذه النظرية إلى بعض القياسات التي تشير إلى ارتفاع درجات الحرارة عالميًا نصف درجة مئوية منذ بداية القرن الميلادي الحالي؛ وأرجعت ذلك إلى استخدام الوقود الحفري، من فحم حجري وبترول وغاز طبيعي، والذي أدى، حسب هذه النظرية، إلى زيادة نسبة غاز ثاني أكسيد الكربون الناتج من عملية احتراق ذلك الوقود، وسلوك الغاز سلوكًا مشابهًا لعمل البيت الزجاجي من خلال السماح بدخول الضوء من الإشعاع من الوسط المضيء إلى الوسط المظلم، وعدم السماح له بالانتقال في الاتجاه المعاكس.

واستُغلّت هذه النظرية لأغراض اقتصادية، وأغراض أخرى من بعض الدول من خلال فرض الضرائب على البترول دون الفحم الحجري.

لكن هذه النظرية ما لبثت أن تلقت هزات قوية، منها كون السنوات من ١٩٤٠ـ ١٩٧٠م كانت أكثر برودة مما سبقها، كما أن المصادر التاريخية في القرون السابقة قد سجلت برودة في المناخ مع انخفاض لعدد البقع الشمسية.

وجاءت الأرصاد من المركبات الفضائية التي تؤكد علاقة التغيرات المناخية بالفاعلية الشمسية لتزيد من ضعف نظرية البيت الزجاجي، ولتجعل مسألة التغيرات المناخية مسألة معقدة، تحتاج إلى الكثير من البحوث والدراسات المتعلقة بالغلاف الجوي والبحار والشمس.

وكان نصيب الشمس وتأثيرها في الأرض برنامج ISTP (البرنامج العالمي للترابط بين الشمس والأرض) الذي اشتركت فيه وكالة الفضاء الأمريكية ووكالة الفضاء الأوربية ووكالة الفضاء الروسية ومعهد بحوث الفضاء والفلك الياباني.

ويرمي المشروع إلى تكوين شبكة من الأقمار الصناعية والمركبات الفضائية لدراسة الفضاء المحيط بالأرض، ودراسة فيزياء الشمس للحصول على المزيد من المعلومات عن التأثيرات الشمسية في الأرض.

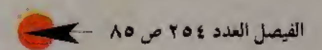
الشمس والأرض

يعتقد المختصون بعلم الأجرام السماوية أن قرابة ٩٩٪ من المادة في الكون هي ما يُعرف بالحالة الرابعة للمادة أو البلازما.

ومن المعروف أن حالات المادة ثلاث هي: صلبة وسائلة وغازية، إلا أن هناك مصطلح المادة الرابعة وهو يُطلق على الغازات الساخنة المشحونة كهربائيًا والتي لها خواص غريبة تختلف عن المادة الغازية.

والمادة الرابعة أو البلازما لا تملأ الفضاء ما بين الكواكب فحسب، بل يُعتقد أنها تملأ الفضاء ما بين النجوم أيضًا.

وكوكب الأرض محمي من



تأثير هذه المادة من خلال ما منّ الله به عليها من مجال مغناطيسي، وربما يكون أول اكتشاف لمهمة فضائية علمية، وهي القمر الصناعي أكسبلورر، هو أن هناك جسيمات قادمة من الشمس تصطدم في الطبقات العليا للجو، وتُحتجز في أحزمة فوق خط الاستواء، أطلق عليها اسم حزام فان ألن.

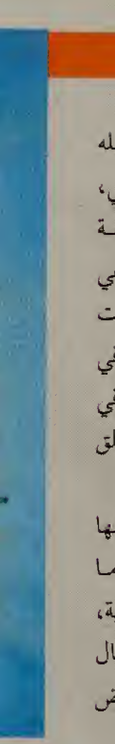
هذه الجسيمات يتم إشعاعها من الشمس كسيل من البلازما الساخنة، تُدعى بالرياح الشمسية، وتتفاعل بطريقة معقدة مع المجال المغناطيسي للأرض، ولا تزال بعض نواحي هذا التفاعل مبهمة.

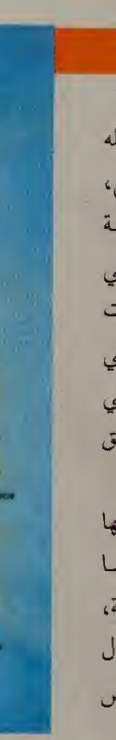
ومن الظواهر الغريبة لهذا التفاعل: الشفق القطبي، واضطراب الخطوط الطويلة لنقل الطاقة الكهربائية، والتشويش على الاتصالات اللاسلكية والإرسال الإذاعي ولاسيما الموجات القصيرة، وتعطل الأقمار الصناعية.

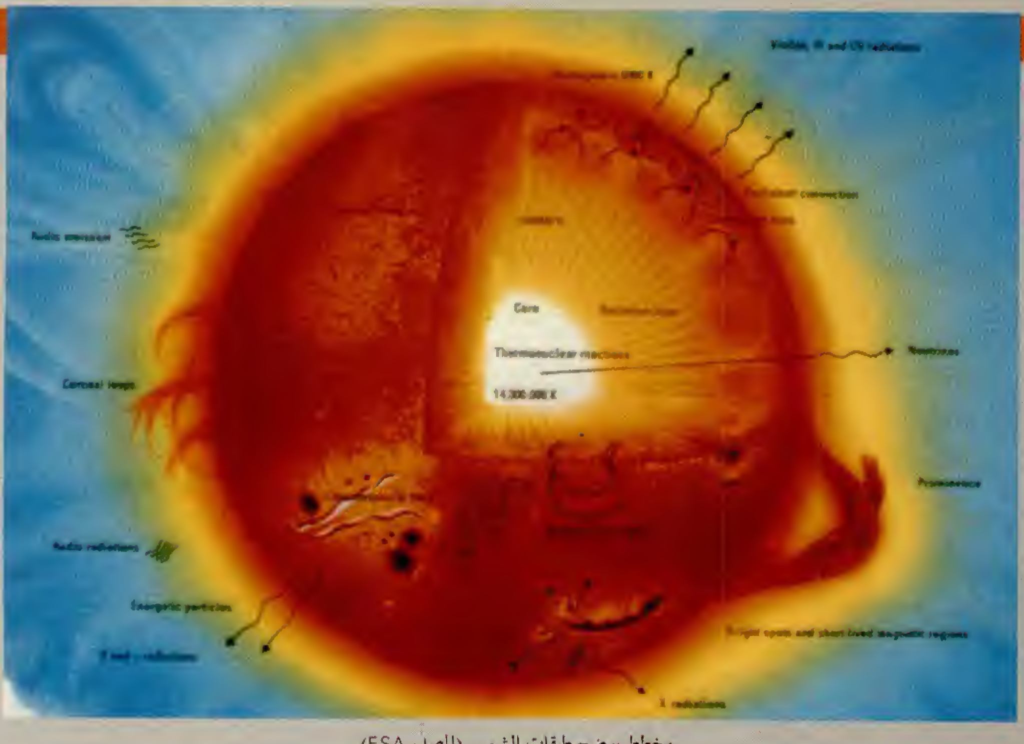
طبقة الماجنتوسفير

وهي الطبقة الأكثر خارجية من طبقات الغلاف الجوي للأرض والتي يكون فيها للمجال المغناطيسي تأثير سائد، وتبدأ بارتفاع ٥٦٠ كيلومتر، وتتعرض هذه الطبقة في الجهة المقابلة للشمس للانضغاط بسبب ضغط الرياح الشمسية، وعندما يكون تدفق الرياح الشمسية شديدًا فإن ارتفاعها يصل إلى ٣٥ ألف كيلومتر فقط، بينما تمتد أضعاف ذلك في الاتجاه المعاكس، لذلك فإن تلك المنطقة تدعى بذيل طبقة الماجنتوسفير.

وقد تصطدم هذه الجسيمات المشحونة (الرياح الشمسية) بطبقة







مخطط يوضح طبقات الشمس (المصدر ESA)

الماجنتوسفير فيخترق بعضها الطبقات العليا للماجنتوسفير لتخزن في اثنين من الأحزمة المشعة المحيطة بالأرض وهما حزام فان ألن، والثاني يدعى بصفيحة البلازما في الجانب المظلم من الماجنتوسفير. إضافة إلى ذلك فإن جسيمات أخرى تدخل إلى طبقة الماجنتوسفير من الفجوتين المخروطيتين اللتين تشكلان ما يشبه القمعين المفتوحين عند القطبين الشمالي والجنوبي، وعند اصطدام هذه الجسيمات بالهواء على ارتفاع ٩٠ - ١٦٠ كيلومتر عن سطح الأرض فإنها تؤدي إلى تحفيز جزيئات الهواء مما يجعلها تشع ضوءًا يسمى بالشفق الشمالي والجنوبي، وبألوان مميزة لعملية انتقال الطاقة بين الشمس والأرض.

أجزاء المشروع العالمي للترابط بين الشمس والأرض

١ـ القمر الصناعي الياباني «جيوتيل»:

وهو مشروع مشترك بين معهد بحوث الفضاء والفلك الياباني ISAS ووكالة الفضاء الأمريكية NASA يتولى فيه المعهد الياباني تصنيع قمر صناعي لدراسة المجال المغناطيسي في منطقة ذيل طبقة الماجنتوسفير وتطويره، بينما تشارك وكالة الفضاء الأمريكية بثلث الأجهزة العلمية المحمولة في هذا القمر الصناعي، بالإضافة إلى تكاليف عملية الإطلاق بوساطة صاروخ دلتا الأمريكي.

القمر الصناعي جيوتيل ذو شكل أسطواني بقطر ٢,٢م وارتفاع ١,٦م، ركبت على سطحه الأسطواني خلايا شمسية لتمده بالطاقة الكهربائية الضرورية لعمل أجهزته العلمية والمساندة، ويزن ١٠٠٨كغ، منها ٣٦٠كغ من الوقود الدافع. وتمتد من القمر الصناعي ذراعان بطول ٦ أمتار تحملان جهازين لقياس المجال المغناطيسي، بينما تمتد منه أيضًا أربعة أسلاك كل منها بطول ٥٠ مترًا لقياس المجال الكهربائي، بالإضافة إلى خمسة أجهزة علمية أخرى لتحليل الجسيمات العالية الطاقة وتعجيلها والعمليات الحرارية في منطقة الذيل.

كما يحمل جهازي تسجيل بشريط ممغنط لحفظ المعلومات المستقاة من الأجهزة العلمية إلى حين إرسالها إلى محطات الاستقبال التابعة للمعهد الياباني أو التابعة لناسا.

إن مهمة هذا التابع الصناعي، كما يستدل من اسمه، هي دراسة ذيل طبقة الماجنتوسفير. وتتولد الجسيمات العالية الطاقةُ بصورة متقطعة في ذيل طبقة الماجنتوسفير عندما تتحرر هذه الطاقة بصورة مفاجئة. وعلى سبيل المثال فإن الألكترونات التي تندفع إلى المنطقة القطبية من الغلاف الجوي مسببة الشفق القطبي ذات منشأ من الذيل.

وَمَرَّ التابع الصناعي هذا بعدة

مدارات منذ إطلاقه في ٢٤ تموز/ يوليو ١٩٩٢م بوساطة صاروخ دلتا الأمريكي، الأولى كانت على بعد يساوي ضعف بُعد الأرض من القمر لكشف هذه المنطقة على بعد يزيد على مدار القمر ليكمل ١٤ دورة خلال السنتين الأوليين من عمره وصل فيها بُعْدهُ من الأرض، في إحدى الدورات، إلى مليون و٣٦٠ ألف كيلومتر. ثم بُدئ بالتحكم في القمر الصناعي ليتخذ مدارًا أكثر قربًا من الأرض لدراسة الذيل القريب منها، وليكون أكثر أثرًا في كشف ألغاز ظاهرة الشفق القطبي.

٢ـ القمر الصناعي الأمريكي «وند»:

وهو مشروع لوكالة الفضاء الأمريكية ناسا، وهو أحد قمرين صناعيين أمريكيين في هذا البرنامج.

تم إطلاق هذا القمر الصناعي بوساطة الصاروخ الأمريكي دلتا ٢ في تشرين الثاني/ نوفمبر ١٩٩٤م، واتخذ موقعًا مداريًا بين الأرض والشمس على بعد ١,٦ مليون كيلومتر، وفي هذا الموقع الذي يدعى لانغرجيان تتساوى جاذبية الشمس والأرض.

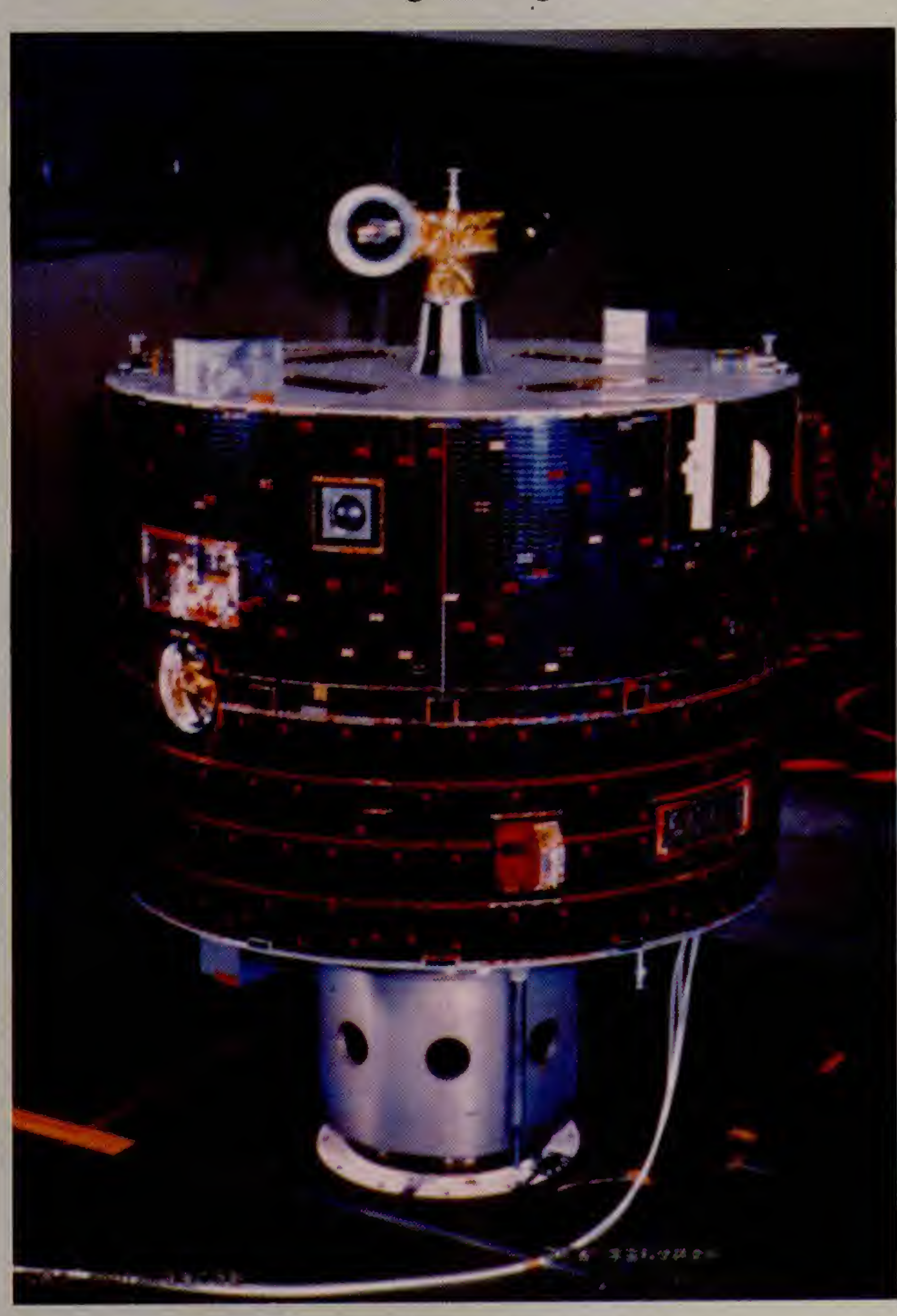
هذا القمر الصناعي ذو شكل أسطواني، مكسو بالخلايا الشمسية، ويحمل ستة أجهزة علمية أمريكية، وجهازًا فرنسيًا، وآخرَ روسيًا لقياس أشعة جاما الكونية، والرياح الشمسية، وقياس المجال المغناطيسي.

ويرمي إرسال هذا القمر الصناعي إلى هذا المدار البعيد إلى تحقيق قياسات دقيقة قبل أن تتأثر بالمجال المغناطيسي للأرض.

ويبلغ قطر القمر الصناعي وند ٢,٤م وارتفاعه ١,٨م ويزن ١٢٥٠كغ منها ٣٥٠كغ من الوقود، ومن المؤمل أن يكفي هذا الوقود لضمان استقرار المركبة في مدارها ٣ سنوات على الأقل، وتم صنع هذا القمر الصناعي من قبل شركة لوكهيد مارتن لحساب وكالة الفضاء الأمريكية.

٣ـ المركبة الأوروبية الأمريكية SOHO:

مشروع SOHO مشروع مشترك بين وكالة الفضاء الأوربية ESA والإدارة الوطنية للطيران والفضاء الأمريكية NASA يعتمد إطلاق مركبة فضائية لكشف الأسرار العلمية المتعلقة بباطن الشمس،



القمر الصناعي الياباني جيوتيل في أثناء الفحص (بإذن من ISAS)

وحل ألغاز غلافها الغازي الشديد القسوة.

تحمل هذه المركبة التي يعني اسمها (راصد الشمس والكرة الشمسية) ١٢ جهازًا علميًا لدراسة النجم القريب من الأرض الذي يبلغ قطره ٨٦٥ ألف ميل وهو الشمس، والذي تؤثر حالته بشكل مباشر في الحياة على سطح الأرض. وتم إطلاق هذه المركبة بوساطة الصاروخ الأمريكي أطلس في ٢ كانون الأول/ ديسمبر ١٩٩٥م من مركز كنيدي الفضائي.

تولت شركة ماترا ماركوني الفضائية قيادة فريق من الشركات الأوربية والأمريكية في عقد تصنيع هذه المركبة وتطويرها. ويزيد وزن هذه المركبة على ١٨٠٠كغ، وتتكون من جسم مركزي بشكل متوازي المستطيلات يحمل الأجهزة العلمية والمساندة، ويمتد على جانبيه لوحان مكسوان بالخلايا الشمسية.

وللحصول على موقع مداري يمكن فيه للمركبة مراقبة الشمس بصورة مستمرة بدلاً من الدوران في مدار حول الأرض وتأثرها بالأرض سواء بالإشعاعات المنعكسة منها أو بانحجاب الشمس خلفها، فقد تم اختيار موقع يبعد من الأرض قرابة ١,٦مليون كيلومتر بين الشمس والأرض. وهذه النقطة مثالية لهذا الغرض، فجاذبيتا الأرض والشمس في هذا المكان تعادل إحداهما الأخرى، وبالأحرى فإن المركبة SOHO تصل إلى ذلك الموقع وتدور في مدار دائري فوق مستوى الخسوف وتحته.

مخطط يوضح تشكيل طبقة الماجنتوسفير حول الأرض (المصدر ESA) وتظهر فيه التوضيحات الآتية: الرياح الشمسية، جسيمات رياح شمسية منحرفة، الشفق البيضي، القمع القطبي، جبهة الصدمة، جسيمات رياح شمسية قادمة، خطوط المجال المغناطيسي، ذيل طبقة الماجنتوسفير، صفيحة البلازما، حجاب البلازما

وتوزعت مشاركة الوكالتين في المشروع، فوكالة الفضاء الأوربية تولت تطوير المركبة بالإضافة إلى تسعة من الأجهزة العلمية، بينما تحملت ناسا تصنيع الأجهزة المتبقية وبعض الأنظمة المساندة في المركبة وتطويرها، بالإضافة إلى تكاليف عملية الإطلاق.

وتكشف هذه المركبة التذبذب في سطح الشمس بتقنية مشابهه لتقنية الجس الزلزالي على الأرض (وهو أسلوب معتمد للكشف عن المكامن البترولية)، وهذه الحركة مرئية من خلال الطبقات المشعة مثل السطح المنير Photosphere الذي يبلغ سمكه قرابة ٥٠٠ كيلومتر، وهي الطبقة الأكثر خارجية من سطح الشمس.

وسطح الشمس سطح حُبيبي يتضمن فجوات بقطر ١٠٠٠ ميل، وقد يصل قطر بعضها إلى ٢٠ ألف ميل (مايقارب قطر الأرض) ذات إشعاع أقل تدعى بالبقع الشمسية، وهي في حركة دائمة في السطح المنير، وهناك ثلاثة أجهزة من أجهزة المركبة SOHO لدراسة هذه الظاهرة.

إن درجة الحرارة في السطح المنير تترجح بين ٤٠٠٠ و٦٠٠٠ درجة مئوية. وهي أقل مئة مرة من الطبقة التي تحتها، أما في الطبقة الخارجية للغلاف الجوي للشمس، وهي الهالة، فإن درجة الحرارة تصل إلى مليون درجة مئوية.

إن من أهداف رحلة SOHO محاولة معرفة ذلك، ومعرفة معلومات أكثر عن الطبقة الملونة، وهي الطبقة التي تقع بين السطح المنير والهالة. وكثير من المختصين يفترضون أن سبب ارتفاع درجة حرارة الهالة ناشئ عن الشواظ الشمسي الذي ينطلق كل بضع ساعات من الطبقة الملونة ويعادل انبعاث بليون طن من الغاز بسرعة ١٢٥٠ ميل في الثانية. ولهذه الغاية فإن هناك خمسة أجهزة علمية لدراسة الطبقة الملونة والهالة والشواظ الشمسي، وتتضمن دراسة درجة حرارة تدفق البلازما

وكثافتها، وتصوير أجزاء من الطبقة الملونة التي تبدأ فيها زيادة درجة الحرارة بصورة حادة.

وبالإضافة إلى ما سبق فهناك عدة أجهزة ذات أهداف محددة، منها جهاز لقياس درجة الحرارة والتكوينات المختلفة في الهالة، وآخر يعمل بالأشعة فوق البنفسجية لمعرفة معلومات عن طبقات الشمس الأربع، وهي: المركز والسطح المنير والطبقة الملونة والهالة.

وفي النهاية هناك جهاز لدراسة الهالة والرياح الشمسية، وهي أكثر ما تكون لخدمة المعلومات المتعلقة بتغير مستوى الرياح الشمسية وتأثيرها في المناخ الأرضي.

وتعد مهمة SOHO من أكثر مهمات البرنامج تقديمًا للمعلومات العلمية من خلال المعلومات عن المجال المغناطيسي للشمس بطبقاتها المتعددة، وتسجيلها لانبعاثات ضخمة للأجسام المشحونة والرياح الشمسية، التي أدت إلى تعطل أحد الأقمار الصناعية في بداية العام الحالي. كما كشفت حصول فاعليات عنيفة على الشمس؛ الأمر الذي يتناقض مع النظريات الحالية التي تشير إلى أن الشمس تعيش حاليًا مرحلة سُبات تصل إلى الفاعلية القصوى في عامي ٢٠٠٠ و٢٠٠١، وهو أمر يحتاج إلى تفسير.

٤ ـ القمر الصناعي الأمريكي «بولار»:

وهو المشاركة الثانية لوكالة الفضاء الأمريكية في هذا البرنامج. ومن المؤمل أن يحقق بولار قياسات لدخول البلازما الشمسية وانتقالها فوق القطبين المغناطيسيين، ويرصد تبادل الطاقة بين الماجنتوسفير والأيونسفير في طبقات الجو العليا من خلال تصوير عالمي للشفق الشمالي.

كذلك يقوم بولار بقياس تدفق البلازما من - وإلى - الأيونسفير إلى خطوط المجال المغناطيسي، ويرصد تفريغ الجسيمات العالية الطاقة في الأيونسفير وطبقات الجو العليا. وبمرور الوقت سيتم تعديل مدار بولار ليسمح بقياسات من ارتفاعات منخفضة على القطب الشمالي، ومن ارتفاعات عالية على القطب الجنوبي، ومن هذا المدار سيتم تصوير الشفق الجنوبي.

القمر الصناعي بولار ذو استقرار دوراني، وشكل أسطواني بقطر ٢,٤م وبارتفاع ٢,١م ويزن ١٢٧٥كغ، منها قرابة ٢٧٠كغ من الوقود المستخدم في التحكم في مدار القمر الصناعي والكافي لثلاثة أعوام على الأقل.

ويحمل القمر الصناعي بولار أحد عشر جهازًا علميًا، منها ثلاثة أجهزة لقياس المجال المغناطيسي مُرَكَّبة على أذرع طويلة؛ وخمسة أجهزة لتحديد كثافة الجسيمات المشحونة في الارتفاعات العليا لطبقة الماجنتوسفير، وثلاثة أجهزة لتحليل الطيف المنعكس من الأرض في الطيف المرئي وفوق البنفسجي والأشعة السينية. هذه الأجهزة ستكون في الأسطوانة التي تدور باتجاه معاكس لدوران القمر الصناعي.

القمر الصناعي بولار في الفضاء (المصدر NASA)

٥ ـ ٨ ـ الأقمار الصناعية «كلستر»:

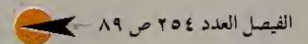
وهي الجزء الثاني من مشاركة وكالة الفضاء الأوروبية. ويتضمن المشروع إطلاق ٤ أقمار صناعية أسطوانية متشابهة، وبأجهزة قياس متطابقة، في تشكيل محدد يتم فيه بعناية اختيار المسافة بين هذه الأقمار لإجراء قياسات للمجال المغناطيسي والكهربائي والرياح الشمسية وطاقة الجسيمات المشحونة في جميع مناطق طبقة الماجنتوسفير.

هذه الأقمار الصناعية ذات شكل أسطواني بقطر ٢,٩م وارتفاع ١,٣م، ويزن كل منها ١٢٠٠كغ، يشكل الوقود الدافع نسبة ٥٥٪ من وزنها.

وكان من المقرر إطلاق هذه الأقمار في عملية الإطلاق الأولى للصاروخ الأوربي الجديد آريان ٥، لكنّ عملية الإطلاق تلك أخفقت، فإن انفجار الصاروخ أدى إلى تدمير الأقمار الأربعة وخسارة الباحثين لوسيلة مهمة في هذا البرنامج.

واتخذت وكالة الفضاء الأوروبية في ٢ نيسان/ أبريل ١٩٩٧م قرارًا بإحياء مشروع كلستر بالكامل، وتصنيع أربعة أقمار صناعية مشابهة للأقمار السابقة أطلق عليها اسم كلستر ٢، بعد مفاوضات استمرت عدة أشهر ليتم إطلاقها في منتصف عام ٢٠٠٠م.

٩ـ ١٠ـ القمران الصناعيان



الروسيان «أنتربول»:

تم في ٣ آب/ أغسطس ١٩٩٥م إطلاق المهمة العلمية الروسية أنتربول من على متن الصاروخ الروسي إس إل٦ .

وتتألف هذه المهمة من قمرين صناعيين يدوران متقاربين في مدار يصل بعده إلى أكثر من المسافة بين الأرض والقمر، ويحمل القمران معدات وأجهزة علمية من نحو ٢٠ بلداً تشمل مشاركة رئيسة من جمهورية التشيك وفرنسا وإيطاليا وكندا.

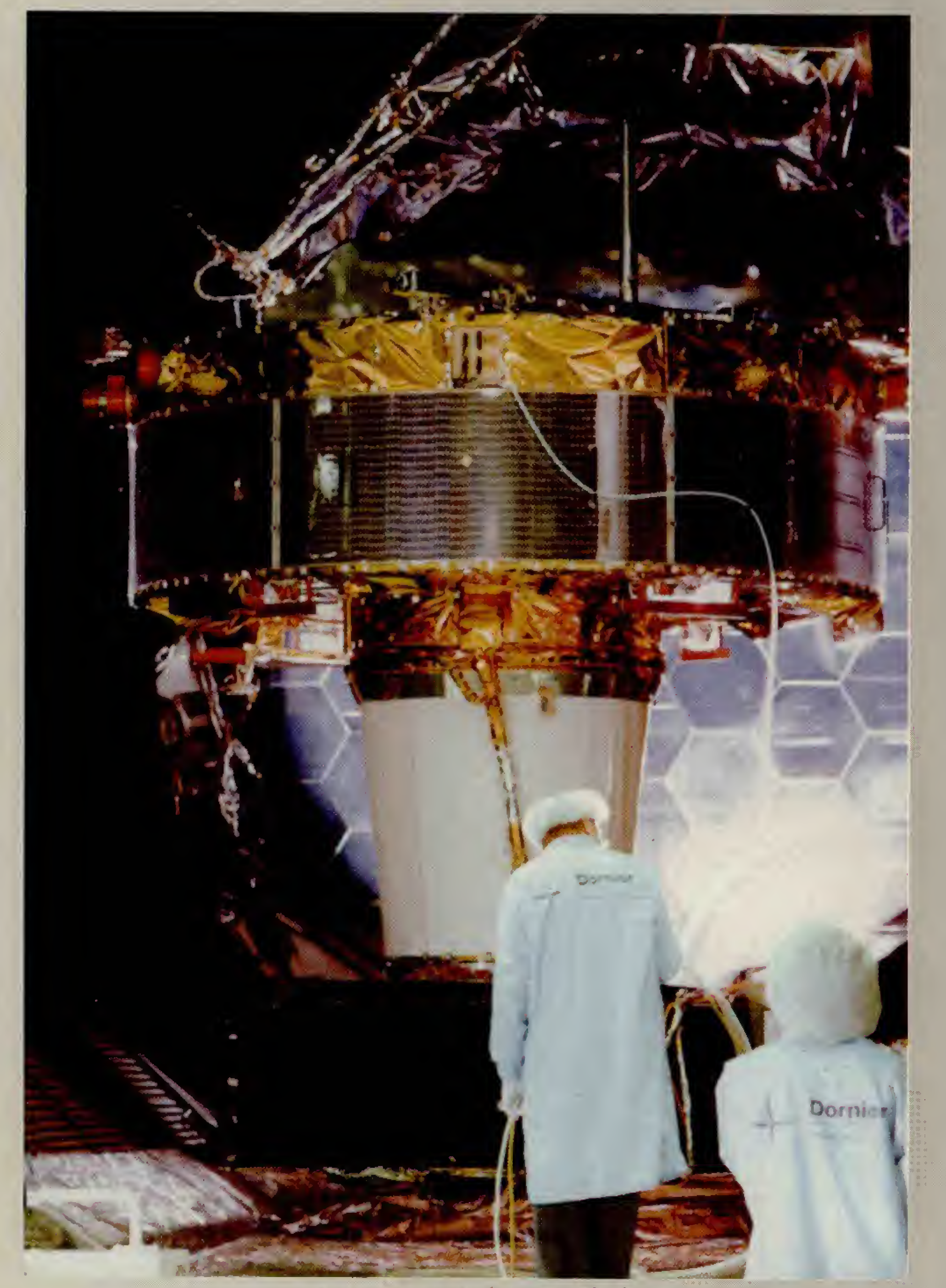
ويدرس كلا القمرين انتقال الطاقة من الرياح الشمسية إلى طبقة الماجنتوسفير الأرضية، مع تركيز على مدار يكون بعيداً من الأرض وفي نهاية ذيل طبقة الماجنتوسفير.

وتعود أهمية استخدام قمرين صناعيين إلى طبيعة التجارب التي تتمثل في إطلاق أحدهما حزمة من الطاقة ليتم قياسها بواسطة الأخر، وبذلك تتم دراسة خواص وتأثير المحيط في انتقال الطاقة.

وبدأت التجارب الأولى بعد انفصال الجزأين عن الصاروخ الحامل، ويزن القُمير الأكبر حجماً قرابة ٧٥٠ كغ، بينما يزن القمير الأصغر قرابة ٥٠ كغ، وهو من صنع تشيكي سُمي بـ ماجيون ٤ .

وتتضمن الأجهزة العلمية في القمر ماجيون عدة أنواع من مقاييس المجال المغناطيسي على جميع مستوياته: المنخفضة، والمتوسطة، والعالية، بينما يحمل الآخر أجهزة علمية تزن قرابة ١٥٠ كغ منها تسعة لقياس البلازما.

ومن بين هذه الأجهزة العلمية جهاز لتحسس الألكترونات من تطوير المركز الفرنسي للبحوث العلمية بالاشتراك مع وكالة الفضاء الفرنسية، كما توجد أجهزة إيطالية لقياس المجال الكهربائي وتعجيل جسيمات الرياح الشمسية، وهي أجهزة تم تشغيلها وتعمل الآن بصورة جيدة.



أحد أقمار كلستر في أثناء الفحص (المصدر ESA)

المصادر:

١- نشرة علمية بعنوان Geotail صادرة عن ISAS.
٢- نشرة علمية بعنوان Wind صادرة عن NASA.
٣- نشرة علمية بعنوان SOHO صادرة عن ESA و NASA.
٤- نشرة علمية بعنوان Polar صادرة عن NASA.
٥- نشرة علمية بعنوان Cluster صادرة عن ESA.



حفل التراث العربي بأنواع شتى من التأليف، فلم يدع المؤلفون موضوعاً لم يكتبوا فيه، فقد ألفوا في الموضوعات الجادة في دقائق العلوم والفنون، ولم يغفلوا الموضوعات الطريفة، كما خصوا كل موضوع بتأليف، وكل مسألة بمصنف، وكل فن بكتاب أو رسالة، في جد أو هزل.

أدب الغرباء

تأليف: أبي الفرج علي بن الحسين الأصبهاني

٢٨٤-٣٥٦هـ = ٨٩٧-٩٦٧م

قليل من الناس مَنْ لم يتجرَّع مرارة الغربة وفُرقة الأهل والأحبة، ويكتم ذلك في نفسه وقلبه، وربما ظهرت مشاعره على لسانه، فيعبر عنها بخاطرة أو أبيات من الشعر.

وقد كنت أقرأ في بعض كتب التراجم أو المجاميع الأدبية بعض حكايات الغُربة وأشعارها؛ كقول ذلك الغريب:

أنا في الغُربة أبكي
ما بكت عينُ غريبِ
لم أكن يومَ خروجي
من بلادي بمُصيبِ
عَجَبًا لي ولتركي
وطنًا فيه حبيبي

ومثل هذا الشعر لم أجده مجموعًا إلا في كتاب واحد، وهو كتاب فريد في بابه، لم يُسبق إليه ولا نُسج على منواله، إلا شذرات مفرقة في كتب مختلفة، وهو كتاب «أدب الغرباء» لأبي الفرج علي بن الحسين الأصبهاني صاحب كتاب «الأغاني».

وكما يقول الدكتور صلاح الدين المنجد محقق الكتاب: «نجد فيما قاله أبو الفرج أصالة الموضوع، فلم يُسبق أحدٌ من القدامى إلى جَمْع مثل هذه الأخبار والأشعار، وإن كنّا نجد بعضها مفرقًا في كتب الأدب. ثم نجد في الكتاب هذه المجموعة الغنية من العواطف الإنسانية التي تثيرها الغربة أو الفراق من حنين ولوعة وشكوى وعذاب وتلهُّف وأماني، مسطَّرة في بلدان الدنيا المتباعدة على الحيطان والجدران. وثمّت ميزة أخرى لهذا الكتاب، هو أن معظم أخباره لا توجد في مصادر أخرى، إلا القليل المعدود منها، وما نجده في هذه الكتب، معظمه منقول عن أبي الفرج».

أما الكتاب فيقول عنه صاحبه أبو الفرج: «وقد جمعتُ في هذا الكتاب ما وقع إليَّ وعرفتُه، وسمعتُ به وشاهدته، من أخبار من قال شعرًا في غُربة، ونَطَقَ عمَّا به من كُرْبة، وأعلن الشكوى بوَجْده إلى كلِّ مشرَّد عن أوطانه، ونازح الدارَ عن إخوانه، فكتب بما لقي على الجدران، وباح بسره في كل حانة وبستان، إذ كل ذلك قد صار عادة الغرباء في كل بلد ومقصد، وعلامة بينهم في كلِّ مَحْضَر ومَشْهَد، فأرى الحال تدعو إلى مُشاكلتهم، وحَيْف الزمان يقود إلى التَّحلّي بسَمْتهم».

فأبو الفرج يورد في هذا الكتاب ما وقع له وما شاهده من غيره أو سمع به من أشعار الغربة وحكاياتها.

ونورد هنا بعض تلك الحكايات والأشعار؛ فمن ذلك:

- لما اجتاز [هارون] الرشيد في طريقه إلى خراسان أقام بحلوان أيامًا، ثم رحل، فوجد بخطٍّ على حجر كان بالقُرب منه:

حتى متى أنا في حلٍّ وترحال
وطول سَعْيٍ وإدْبارٍ وإقبالِ
ونازح الدار لا أنفَكُّ مغتربًا
عن الأحبّة لا يدرون ما حالي
بمَغرب الأرض طورًا ثم مشرقها
لا يَخطُر الموت منْ حرْص على بالي
ولو قنعت أتاني الرِّزق في دَعَةٍ
إنَّ القُنوعَ الغنى، لا كَثرة المالِ

- ويقول أبو الفرج: كنت بجامع الرصافة في مدينة السلام يوم جمعة، فمرّت بي رقعةٌ قد حُذفَ بها، فأخذتُها غير متعمد، فإذا فيها بخطٍّ مليح في معنى خطوط الكُتّاب:

رحمَ الله من دعا لغريب
مُدْنف قد جفاه كُلُّ حبيبِ
ورماه الزَّمانُ منْ كلِّ قُطْرٍ
فهو لا شكَّ ميِّتٌ عَنْ قريبِ

- وقال: كنت انحدرت إلى البصرة، فلما وردتها صعدت سكَّة قريش أطلبُ منزلاً أسكنه؛ لأنني كنت غريبًا لا أعرف أحدًا من أهلها، فدلني رجل على خان، فصرتُ إليه، واكتريت منه بيتًا، وأقمت بالبصرة أيامًا، ثم خرجتُ عنها، وكتبتُ هذه الأبيات على حائط البيت الذي كنتُ أسكنُه:

الحمد لله على ما أرى
منْ ضَيْعتي ما بين هذا الورى
أصارني الدهر إلى حالة
يعدَمُ فيها الضَّيفُ عندي القِرى
بُدِّلْتُ منْ بعد الغنى حاجةً
إلى كلاب يلبَسون الفرَا
أصبح أُدْمُ السُّوق لي مأكلاً
وصار خبزَ المبيت خبزُ الشِّرا
منْ بعد ملْكي منزلاً مُبهجًا
سكنتُ بيتًا من بيوت الكِرَا
فكيف أُلْفَى ضاحكًا لاهيًا
وكيف أحْظى بلذيذ الكَرى
سبحان من يعلمُ ما خلْفَنا
وتحت أيدينا وتحت الثَّرى
والحمد لله على ما أرى
وانقطع الخَطْبُ وزال المرَا

- وحكى عن رجل، قال: اجتزت بمدينة من بلاد الروم حسنة البناء.. وجلستُ أحادث رجلاً من أهل المدينة يُحسن العربية، فقال: كان طرأ إلينا شابٌ ذكر أنه من أهل العراق، حسنُ الوجه، نظيف الجملة، غزير الأدب، وكان لا يُفارقني، فأقام في بلدنا سنين، ثم مرض فعلَّلْته، وقمتُ بأمره، فلم يلبث أن مات فحزنني، ودفنتُه في تلك القبة، وأومأ بيده إليها، وكان في مرضه كتب على الحائط من البيت الذي كان فيه، ووصّى أن يُكتب على قبره، فقم لتقرأه فإذا قد كُتب على الحائط:

تَعَسَّفْتُ طولَ السَّير في طلب الغنى
فأدركني رَيْبُ الزَّمان كما ترى
فيا ليْتَ شعري عن أخلاَّي هل بكَوا
لفَقدي أم ما منهم مَنْ به درى

قال: فكتبتُ الأبيات وانصرفت من الموضع حزينًا.

- ويحكي أن شيخًا له حدثه، قال: قرأت على حائط مقبرة سيبويه مكتوبًا:

رحل الأحبَّةُ بعد طول توجُّعِ
ونأى المزارُ فأسلموكَ وأوجعُوا
تركوكَ أوحشَ ما يكونُ بقَفْرَةٍ
لم يُؤْنسُوكَ، وكُرْبَةً لم يدفعوا

وقد نشرت الكتابَ دارُ الكتاب الجديد في بيروت عام١٩٧٢م.

عصر النهايات القصوى

القرنُ العشرُونَ القصِيرُ

إيريك هوبزباوم مؤرخ بريطاني من أصل نمساوي، يُوصف بأنه واحد من أكبر مؤرخي القرن العشرين، كما يوصف بأنه «مؤرخ القرون»، فقد أرّخ للقرن السابع عشر، والثامن عشر، والتاسع عشر، وها هو ذا - وهو يناهز الثمانين من عمره - يختتم آخر أعماله الكبيرة بتاريخ القرن العشرين.





ERIC HOBSBAWM

تأليف:
إيريك هوبزباوم
عرض وتقديم:
د. هشام الدجاني

يقول المؤرخ في مقدمة كتابه: «ليس الغرض من هذا الكتاب أن يروي تاريخ الحقبة التي هي موضوع محتواه، وهي وجيز القرن العشرين (من ١٩١٤ إلى ١٩٩١م). إن غرضي أن أفهم الناس وأشرح لهم: لماذا تحولت الأشياء إلى الوجهة التي سارت إليها، وكيف يتعلق بعضها ببعض..».

يقسم هوبزباوم القرن العشرين ثلاثة أعصر متميزة: عصر النكبة (١٩١٤-١٩٤٥م)، والعصر الذهبي (١٩٤٥-١٩٧٣م)، والانهيار، وهي المرحلة الممتدة من عام ١٩٧٣م إلى نهاية القرن.

لماذا رأى المؤرخ الحرب العالمية الأولى بداية هذا القرن؟

لقد عدّ المؤلف الحرب العالمية الأولى (١٩١٤-١٩١٨م) نقطة النهاية في انهيار حضارة القرن التاسع عشر الغربية التي وصفها بأنها «الحضارة البورجوازية المجيدة في ميدان تقدم العلم والمعرفة والتربية والتقدم المادي والمعرفي».

كانت العقود الممتدة بين الحربين الكونيتين بمنزلة «عصر نكبة» للمجتمعات الغربية راحت تتعثر خلاله بين فاجعة وأخرى طوال أربعين عامًا. وكان من إرهاصات تلك المرحلة أنها جلبت نظامًا جديدًا إلى أوربا (روسيا القيصرية) زعم أنه بديل تاريخي للنظام البورجوازي، ونعني به ثورة تشرين الأول/ أكتوبر ١٩١٧م الماركسية. كما شهدت تلك المرحلة أزمة اقتصادية عالمية طاحنة أركعت أقوى الاقتصادات الرأسمالية على ركبتيها، حيث بدت الولايات المتحدة التي سلمت من الحرب والثورات قريبة من الانهيار. ومع هذا فإن المؤرخ يرى أن ما قامت به الولايات المتحدة من دور حاسم في نتائج الحربين العالميتين هو ما وفّر مناخات «العصر الذهبي» الذي تلا الحرب العالمية الثانية، وأشاع البحبوحة في جميع أرجاء العالم الرأسمالي، وأقال الديمقراطيات الغربية من عثرتها.

كان نصيب روسيا (ثم الاتحاد السوفيتي من بعد) هو الأوفر من الكوارث في هذا العصر الذي أطلق عليه «عصر النكبات». فقد عانى هذا البلد أسوأ ما في الحرب العالمية الأولى، وعانى أهوال الثورة الروسية، والحرب الأهلية، والمجاعة، و«الرعب الأكبر»، وأرخبيل القولاق، وأخيرًا الحرب العالمية الثانية. وخلال ثلاثة عقود قضت هذه السلسلة من النكبات الرهيبة على حياة أكثر من ستين مليون إنسان بالحرب والقتل والجوع.

وعلى كل ما عانى الاتحاد السوفيتي من نكبات، فإن الانتصار على ألمانيا الهتلرية ما كان ليتحقق، كما رأى المؤلف، لولا الجيش الأحمر. ويصف هوبزباوم تلك المرحلة القصيرة من تحالف العالم الغربي مع روسيا الشيوعية بأنها «مفصل تاريخ القرن العشرين ولحظته الحاسمة». فلولا هذا التحالف لكانت الفاشية قد اكتسحت العالم. ومع هذا فقد كانت تلك «اللحظة الحاسمة» مفارقة ساخرة - أيضًا - يعلق عليها المؤلف فيقول: «ومن بين مفارقات القدر أن أعظم نتائج ثورة أكتوبر بقاءً، والتي كان من هدفها الإحاطة الشاملة بالرأسمالية، كان إنقاذ عدوتها في الحرب والسلام على السواء».

في «العصر الذهبي»، وهي المرحلة الممتدة، كما حددها هوبزباوم، بين ١٩٤٧و١٩٧٣م وجدت الرأسمالية نفسها تندفع قُدُمًا نحو عصر من الرخاء والبحبوحة لا سابق له.. عصر شهد مقدارًا هائلاً من التحول الثقافي والاجتماعي والاقتصادي الأعظم، والأسرع من نوعه في التاريخ. وبفضل دور أمريكا البارز في العصرين المذكورين أطلق بعض المؤرخين على هذا القرن وصف «القرن الأمريكي».

على أن العصر الذهبي لم يدم طويلاً، إذ سرعان ما بدأت «عقود الأزمات»، أو «الانهيار» وهي المرحلة

الثالثة والأخيرة في تقسيم المؤلف للقرن العشرين تاريخيًا.

كانت عقود الأزمات أزمة كونية شاملة راحت الرأسمالية خلالها تبحث لاهثة عن حلول لها، بينما أخذت تظهر للعيان بواكير أزمة «النظام الاشتراكي» التي حاول أن يتجاهلها أو يتستر عليها خلال عقدي السبعينيات والثمانينيات إلى أن وصل إلى «الانهيار» الشامل في نهاية العقد الثامن وبداية العقد التاسع. وكان سقوط الاشتراكية واحداً من أكثر الأحداث درامية في هذا القرن ترك بصماته واضحة على أجزاء متفرقة من العالم بطرق ودرجات مختلفة.

بيد أن انهيار جزء من العالم كشف ضعف الجزء الباقي. فمن بداية التسعينيات بات مؤكدًا أن الأزمة العالمية لم تكن اقتصادية فحسب، بل كانت سياسية أيضًا. فانهيار الأنظمة الشيوعية لم يُفض إلى خلق منطقة شاسعة من القلاقل السياسية وعدم الاستقرار والحروب الأهلية فحسب، بل أدى كذلك إلى تدمير النظام الدولي الذي ثبت قواعد العلاقات الدولية قرابة ٤٠ عامًا. كذلك كشف الانهيار هشاشة الأنظمة السياسية التي استندت أساسًا إلى ذلك التوازن.

وعكست الأزمة الاجتماعية والأخلاقية التخبطات التي جرت في حياة الإنسان في المرحلة التي بعد منتصف القرن، والتي ربما كانت أكثر وضوحًا من قلاقل عالمي الاقتصاد والسياسة. لقد كانت أزمة المعتقدات والافتراضات التي قام على أساسها المجتمع الحديث، أزمة الافتراضات الفكرية والإنسانية المتنازع عليها بين الرأسمالية الليبرالية والاشتراكية.

ويختتم هوبزباوم مؤلَّفه التاريخي الكبير، الذي يزيد على ٧٠٠ صفحة بكلمة تجمع بين التشاؤم والتفاؤل، فيقول: «نحن نعيش في عالم لا نعرف فيه أين تحط بنا عصا الترحال، أو ينبغي أن تحط بنا؟ ولا ندري ما سيكون عليه شكل المستقبل؟ لنأمل أن يكون عالمًا أفضل وأعدل وأكثر قابلية للحياة. فالقرن العشرون لم ينته نهاية حسنة».

لا أزعم - بالطبع - أنني أحطت، ولو بعجالة، بهذا العمل الضخم. إنه مجرد تعريف موجز بمؤرخ كبير وبسفر نفيس سيظل أبدًا مرجعًا لا يُستغنى عنه، لا لفهم تاريخ القرن العشرين بأحداثه السياسية والاقتصادية والاجتماعية فحسب، بل لفهم فنونه وآدابه وعلومه ومتابعتها كذلك. إنه بحق تاريخ حضارة القرن العشرين.

أحب أن أنوّه أخيرًا بأن هذا الكتاب سوف يصدر قريبًا باللغة العربية عن وزارة الثقافة السورية في ثلاثة أجزاء، وقد كان لي شرف ترجمته إلى العربية.

قصة قصيرة

قتلة العفاريت

د. محمد أحمد الشافعي

تمدد بعضهم، اضطجع آخرون على جنوبهم، بينما اتكأ فريق منهم على جذع صفصافة أو شجرة كافور أو جازورينا من الأشجار التي تكوّن سياجًا بين المُصلّى وماء الترعة، وقد سرى في أوصالهم خدر الراحة بعد يوم من العناء. يسكرهم هواء الصيف العليل، وضوء القمر البازغ.

يسمرون كعادتهم كل ليلة ويتجاذبون أطراف الأحاديث حول الزراعة، أو مشاهدات الحجاج في رحلة الحج، أو ذكرياتهم عن حياة عاشوها أو عاشها آباؤهم وأجدادهم من قبل: خمس بيضات بمليم، رطل لحم بقرش صاغ، سمن بلدي يعبونه عبًا. ذكريات عن الفحولة والفتوة، عن أبطال شعبيين من اللصوص والطغاة، وعن الكرامات وأولياء الله الصالحين.

كانت أحاديثهم موشاة مونقة، معجونة بالخيال، مصبوغة بالأساطير. لكن أطرفها كان ما يدور حول العفاريت وشُطَّار البندر، وكل الحضور مملوء الجعبة بحكايات فرَّت فيها العفاريت منهم لا تلوي على شيء؛ فواحد برز له العفريت عند بئر الساقية أو حَوَّال المياه فأشعل عود كبريت ورماه به فاختفى. وآخر باغت العفريت قائلاً: تشطُّ على من قتلك، فأفحم وتلاشى، إلا عفريتًا واحدًا جرَّب معه عم المعداوي كل طرق الصرف فما انصاع ولا ارعوى، فما كان منه إلا أن توكل على الله وجعل يصارعه ساعات حتى صرعه. ولا يُذْكَر عم المعداوي إلى اليوم في مغيبه أو محضره إلا ويضحك السامعون قائلين: أليس هو الذي صرع العفريت؟

ولا أذلّ بعد العفاريت في أسمارهم من شُطَّار المدينة، فالواحد منهم يسلب لبك بحكاية شائقة قد تمتد ساعة أو ساعات، يصور رحلته من القرية إلى البندر، وكيف طارده اللصوص في الأسواق والدكاكين لينتهزوا غفلة من هذا الذي يظنونه ساذجًا، حتى إذا حاولوا الظفر ببغيتهم، فأجأهم بلدينا بعبارة مأثورة: العبوا غيرها. والعبوا غيرها هي النهاية الوحيدة المعروفة أو المسموح بها في حكاياتهم عن البندر.

وبعد ساعات من السمر تنفض القعدة، وينصرفون إلى منازلهم، وقد غمرهم صمت ولفهم أمان، تفتقده على وجوههم في نهار اليوم التالي فلا تجد بصيصًا منه، إذ تراهم وقد أنصبهم العمل الشاق وذوت أرواحهم تحت وطأة القهر والخوف، فكل شيء في نهارهم مخوف: الخفير، العمدة، ضابط النقطة، موظف الجمعية، خولي مقاومة دودة القطن، وكل شيء في نهارهم مدقع مسغب: خبزهم من الذرة الصفراء والبامية المطحونة، وإدامهم العصيدة والرِّجلة والخُبِّيز وسمك «أبو دنيّه»، فإذا تيسَّرت في غير الأعياد فاللحم «الوقيع» حين تشرف جاموسة أو بقرة لأحدهم على الموت بسبب السُّمّ أو المرض فيذبحونها، ويتنادون: جاموسة فلان «انجرحت»، لاتفوتهم الكناية اللطيفة في الحادث الجلل.

كنت طفلاً أندسّ بينهم في أماسيهم الحلوة، فأحبهم، وأذوب في عالمهم، وكانوا من السماحة بحيث يعدونني واحداً منهم، لكنهم في النهارات القائظة تحت وطأة الشمس، أو الباردة الموحلة في الشتاء، كانوا لا يعيرونني أي انتباه.



أحمد منيف العائدي وجهوده في تعريب علوم الطب في سورية

مطيع النونو

أنجبت الأمة العربية في القديم والحديث كثيراً من العباقرة والعلماء والمفكرين الذين قدموا لأمتهم وأوطانهم علماً ومعرفة وجهوداً محفوفة بالإخلاص موصوفة بأنها جليلة ومثمرة. لذلك فإن حضارات الأمم تقاس بما تضمه جوانحها من العلماء العاملين والعباقرة المفكرين من رجالاتها الأفذاذ المخلصين، كما تقاس حضارتها بمقدار تكريمها وإعزازها لهم والمفاخرة بهم، والاستفادة مما قدموه لأوطانهم وأمتهم من أعمال جادة مثمرة؛ حرصاً منها على تخليد أسمائهم وأعمالهم؛ لكونهم القدوة الصالحة؛ للسير على منهاجهم نحو الواجب المقدس في البذل والعطاء، وتقديم ما يجب على الفرد نحو المجتمع وعلى المواطن نحو وطنه وأمته.

وفي جميع الأمم المتقدمة نرى شواهد هذا التكريم في إحياء ذكرى العلماء والأدباء وكبار العاملين في الحقل السياسي والاجتماعي؛ سواء أكان ذلك بتسمية المنشآت العلمية أو الاقتصادية أو السياسية أو الاجتماعية بأسمائهم، أم بإقامة المهرجانات وحفلات التكريم للتذكير بأعمالهم الخالدة، أم بإطلاق أسمائهم على الساحات العامة أو الشوارع الرئيسة.

والمربي الكبير الدكتور أحمد منيف العائدي يُعَدُّ من كبار رجال العلم والمعرفة في عالمنا العربي؛ إذ رفع راية العلم والثقافة في عهد كان العلم فيه نادراً إلا لبعض أبناء الخاصة. فعمل على نشر الثقافة والوعي بين أبناء المجتمع العربي في بلاد الشام منذ العقود الأولى للقرن الميلادي الحالي، وكان رجلاً مثاليًا، أوجد أكبر صرح ثقافي تعليمي في مدينة دمشق قلب العروبة النابض.

كان الدكتور العائدي من رواد النهضة العربية، فقد نذر نفسه للعمل العام، وهو رجل الإصلاح والإنجازات، وحامل لواء العلم والمعرفة في الوطن العربي كونه شخصية فذة عملت بجهد وشجاعة وصمت في تنشئة الأجيال التي ترتكز عليها أركان الأمة في العلوم والطب والسياسة والاقتصاد والإدارة. وتربت هذه الأجيال على يديه منتشرة في جميع المدن السورية، وفي البلاد العربية؛ فمنهم من قضى نحبه بعد أن أدّى الواجب في وطنه الأصلي، ومنهم من لايزال يعمل بجد ونشاط في نشر المبادئ التي تلقوها على مقاعد الدرس في المدارس التعليمية للذكور والإناث التي أنشأها المربي الكبير الدكتور العائدي.

لقد درس الدكتور العائدي الطب في معهد الإمبراطورية العثمانية، ولم يقتصر على مهنة الطب؛ بل نذر نفسه للعمل العام من أجل مجد العرب والإسلام، ولهذا كان الرائد المبدع في مآثره وأعماله الجليلة، وقام بتطوير التعليم والإدارة، وأسّس أول معهد للطب العربي في دمشق، وتبوأ في ذاك المعهد أستاذاً للعلوم الفيزيولوجية وعميداً، فأداره بحنكة ودراية وتنظيم.

وتخليداً لذكرى المربي الكبير الذي عاش من عام ١٨٨٦م إلى عام ١٩٦٢م، ونشراً لفضائله وعلمه وجليل أعماله، أصدر نجله الدكتور المهندس عثمان العائدي كتابًا تاريخيًا عنه وعن الأسرة العائدية، وتولى الدكتور عزة مريدن، أحد كبار الأطباء في دمشق، إعداد مادة الكتاب، وذكر فيه بعض ما عرفه ولمسه في ظل تربية الدكتور العائدي الصالحة، وما قام به في حياته التي قضاها مملوءة بالأعمال المثمرة المحفوفة بالإيمان العميق والأخلاق الكريمة والإدارة المخلصة الحازمة.

والدكتور عزة مريدن كان تلميذاً في مدرسة الكلية العلمية الوطنية التي أسسها الدكتور العائدي ورعاها بأفضل مناهج التعليم والتنظيم، كما كان طالبًا في المعهد الطبي العربي، وقد تلقى مع زملائه العلم والأخلاق والتوجيه الوطني، وكان طبيبًا لأسرة العائدي، وصهراً لها.

وعن تاريخ «الأسرة العائدية» أشار الدكتور مريدن إلى معلومات ذكرها الصحافي المصري الكبير فكري أباظة نقلاً عما ذكره ابن خلدون، وماورد في «صبح الأعشى» للقلقشندي من أن الأسرة العائدية يعود أصلها إلى قحطان الذي جاءت منه العرب العاربة، وإلى فخذ من جذام كان جاء إلى مصر مع عمرو بن العاص لدى فتحها.

وذكر المقريزي في تاريخه: إن أهل (العائد) فخذ من جذام نزلوا قريبًا من القاهرة، ومازالوا فيها. كما جاء في كتاب «الخطط التوفيقية» للعالم الكبير علي باشا مبارك أن كبيرهم شيخ العرب إبراهيم العائدي كان

مسيطرًا على قبيلة (العائد) إلى زمن الاحتلال الفرنسي وإلى أن تولى محمد علي باشا حكم مصر.

ويضيف ابن خلدون: «أن أهل (العائد) كان عليهم ضمان السابلة من مصر إلى العقبة وإلى الكرك» بينما يقول القلقشندي: «كان عليهم ضمان الحجيج من القاهرة إلى العقبة».

أما الدكتور منير العجلاني السياسي والنائب والوزير البارز والأستاذ السابق في معهد الحقوق في دمشق فقد تحدث عن الأسرة العائدية في كتاب مقتضب له إلى المؤلف قال فيه: «يذكر الناس رواد النهضة العربية في بلاد الشام وفي طليعتهم عبدالرحمن الكواكبي. غير أن التاريخ لم يقف عند هؤلاء الرواد، وظهرت فيما بعد أسماء جديدة لرجال من ألمعهم الدكتور أحمد منيف العائدي. وقد كان لقب العائدي وحده يعني شيئًا كثيرًا، فالأسرة - أو العشيرة - العائدية من الأسر الحجازية العريقة ومن أصفاها نسبًا وأكرمها حسبًا، ولا عجب إذا استوحى أرومته فسمى أبناءه: عدنان وغسان وعثمان. ويقول النقادة الفيلسوف الفرنسي فولتير: إن أعظم الرجال هو الذي يستطيع بموارد محدودة وأنصار قليلين أن يقلب الموازين المتوارثة، ويصنع لنفسه وبلاده ذكرًا. والدكتور العائدي هو من هذا النسيج من الرجال الأفذاذ.. لقد علم طلابه الجدية».

والجد الأكبر لأسرة العائدي هو محمد العائدي الذي كان قائدًا لإحدى فرق الجيش، وهو من أبناء عشيرة «العائدية»، ولحق به ولده عثمان الذي كان لا يزال يافعًا حيث ألحق بإبراهيم باشا في حملة كبيرة لاحتلال بلاد الشام، وطابت له الإقامة في دمشق وعاش فيها أعوامًا طويلة حتى بلغ عمره المئة والأربعين سنة. وحينما كان في المئة والعشرين طلب الزواج - وحدث بذلك ولده عثمان - فكان له ما أراد. وعثمان العائدي هو والد الدكتور أحمد منيف عثمان العائدي.

وعند قيام الحرب العالمية الأولى عام ١٩١٤م أُلحق الدكتور العائدي طبيبًا عسكريًا في الجيش التركي، وكُلِّف تدريس علم الفيزياء والتشريح لطلاب المدرسة الحربية في الإمبراطورية العثمانية. وكان من أحرار الوطنيين العرب الناقمين على الحكم التركي في سورية والبلاد العربية، وشارك في تأسيس الجمعيات الوطنية التي نشرت روح الوطنية ومقاومة الحكم التركي.

وفي عام ١٩١٩م تأسست الجامعة السورية، وصدرت الموافقة على تأسيس مدرسة لتعليم الطب باللغة العربية أطلق عليها اسم «المعهد الطبي العربي»، وتألفت من أجل ذلك لجنة ضمت خمسة من كبار الأطباء هم: عبدالرحمن الشهبندر، ورضا سعيد، وأحمد منيف العائدي، ومحمود حمدي حمودة، وعبدالقادر الزهراء.

وقام الدكتور العائدي بأكبر دور في تعريب الطب من خلال نظرته أنه لا مستقبل لأمته إن لم تعلم أبناءها كل العلوم بلغتهم، وبخاصة أن اللغة العربية تعدّ أوسع لغات العالم. لذلك رفع لواء تعليم الطب باللغة العربية في عالمنا العربي منذ سبعين سنة. وقد أُطلق اسم الدكتور العائدي على قاعة المحاضرات في مبنى مجمع اللغة العربية في دمشق.

وفي عام ١٩٣٦م وجه الدكتور العائدي الدعوة لعقد أول مؤتمر للطب العربي، وقد عُقد في دمشق وشارك فيه أطباء من مصر وفلسطين ولبنان والعراق وسورية، وتم الاعتراف بالشهادة الطبية السورية، وبجدوى تعليم الطب باللغة العربية الصالحة لاستيعاب العلوم الطبية بكل ما يستجد فيها. وألقى الدكتور العائدي في المؤتمر كلمة بدأها بحكمة قديمة نطق بها أحد أساطين الطب وهي:

«كان الطب معدومًا فأوجده أبقراط، وميتًا فأحياه جالينوس، ومتفرقًا فجمعه الرازي، وناقصًا فأكمله ابن سينا. ولو أنه عاش في عصرنا، ورأى ما تقوم به الجمعية الطبية المصرية من الجهود الجبارة لكان


فكري أباظه


د. منير العجلاني

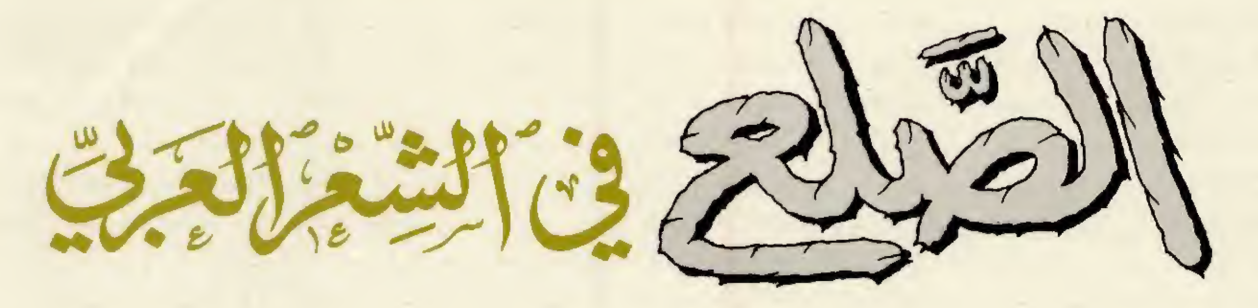
ضَمَّ إلى كلامه الذهبي هذه العبارة السديدة: ومشلولاً في الشرق فشفاه المصريون».

كانت مدارس الكلية العلمية الوطنية التي أنشأها الدكتور العائدي أول مدرسة أهلية وطنية في سورية، وكان مؤسسها يحث الطلاب والأساتذة على إتقان تعلم اللغة العربية نحوًا وصرفًا وإعرابًا ثم إنشاءً وفصاحة، وقد تخرج فيها جيل كامل من كبار الشخصيات من رجال السياسة والمال والاقتصاد والصناعة والتجارة والصحة. ولكن الكلية أغلقت أبوابها بعد صدور قرار التأميم عام ١٩٦٣م، وبعد مدة وجيزة من وفاة المؤسس والمربي الكبير الدكتور العائدي.

وكان في مقدمة تلاميذ الدكتور العائدي، الدكتور مدحة شيخ الأرض الطبيب الأول للمغفور له الملك عبدالعزيز مؤسس المملكة العربية السعودية، والدكتور رشاد فرعون الطبيب الثاني للملك عبدالعزيز والمستشار الخاص له ولأبنائه الملوك سعود وفيصل وخالد رحمهم الله، ولخادم الحرمين الشريفين الملك فهد ابن عبدالعزيز حفظه الله، وأيضًا الدكتور منير العجلاني المستشار في وزارة المعارف السعودية، وغيرهم من الرجالات السورية.

لقد سجل كتاب الدكتور أحمد منيف عثمان العائدي، الذي أصدره الدكتور عزة مريدن ورعاه الدكتور المهندس عثمان العائدي، تاريخ أسرة نذرت نفسها للعلم والمعرفة والوطن، وخرَّجت رجالاً كانوا خلال القرن العشرين ملء السمع والبصر، بعد أن أنشأت مؤسسات تعليمية حققت نهضة واسعة اشتملت على كل مراحل التعليم من الطفولة إلى المرحلة الجامعية. وقُدِّم هذا الكتاب من الأسرة وأنسبائها رمز اعتزاز وعهدًا على متابعة الجهد والعمل في إعلاء حضارة خالدة وبناء حضارة المستقبل.

ويعدّ الدكتور المهندس عثمان العائدي نجل الدكتور أحمد منيف العائدي، شخصية حيوية في تخطي كل العقبات الاقتصادية من خلال مناصبه التي يتولاها؛ سواء أكان في رئاسة الشركة العربية السورية للمنشآت السياحية في سورية، أم في رئاسة الاتحاد الدولي للفنادق، أم في رئاسة الاتحاد الأوربي المتوسطي للسياحة. وكان قد مُنح عام ١٩٩٦م وسام الأمم المتحدة الفضي تقديرًا لخدماته الكبيرة في مجال السياحة العالمية وتطويرها. وهو العربي الوحيد الذي مُنح ذلك الوسام.



الصلع في الشعر العربي

محمد عصام علوش

الصَّلَعُ ذهابُ الشَّعر من مقدَّم الرأس إلى مؤخره، وكذلك إن ذهب وسطه(١). والصَّلَع درجات، ولكل درجة لفظة تعبِّر عنها، فإذا انحسر الشعر عن جانبي الجبهة فصاحبُه «أنْزَع». هذا عديُّ بن الرِّقاع (ت نحو٩٥هـ) يتباهى بأن شعَره قبل أن يشيب كان أسود أفرع كثيفًا ما ترى في جانبيه نزعًا فيقول:

فاستبدلَ الرأسُ شيبًا بعد داجية
فيْنانـة ما ترى في صُدْغها نَزَعـا

غير أن بعض الشعراء كان يحب «النَّزَع» في الشَّعر، ويتباهى به، ويرى فيه مظهرًا جَماليًا رائعًا، ويفضله على الشعر الكثيف على جانبي الجبهة، ومن هؤلاء: هُدْبَةُ بن خَشْرَم (قُتلَ نحو٥٠هـ) الذي يوصي زوجه بأن تتزوج من بعده رجلاً «أنزع» إن فرّق بينهما الدهر أو حال بينهما الموت. يقول:

ولا تنكحي إنْ فرَّقَ الدهرُ بيننـا
أغـمَّ القفـا والوجـه ليسَ بأنزعا(٢).

وإذا زاد انحسار الشعرِ قليلاً فصاحبه «أجلح»، فإذا بلغ النصف فهو «أجلى» ثم هو «أجْلَه»، فإذا لم يبق على الرأس شعر فصاحبه «أقرع»(٣)، وقيل: «القرع» ذهاب الشَّعر من داء ونحوه.

وقد اهتم الشعراء بظاهرة «الصَّلَع» في درجاته المختلفة، فقد ارتبط عندهم على العموم بكبر السنِّ وعوارض الهرم والشيخوخة. هذا أبو النجم العجلي الراجز (ت:١٣٠هـ) يرسم لنا صورة لصلعته اللامعة فيها طرافة وجمال حين ينقل لنا الحوار الذي جرى بينه وبين زوجته التي تربط بين الصلع وسن الشيخوخة فيقول:

قالت سُلَيْمى أنت شيخٌ أنْزَعُ
فقلتُ: مـا ذاكَ؟ وإنّي أصْلَعُ
ثم حَسَرْتُ عن صَفـاةٍ تلمعُ
فأقبلتْ قـائلةً تستَرْجِـعُ
مـا رأسُ ذا إلا جَبيـنٌ أجْمَعُ(٤).

وأما الشاعر الراجز رؤبة بن العجاج (ت: ١٤٥هـ) فيعزو سبب صَلَعه إلى حوادث الدهر والأيام، ويرى في الصلعة نذير الموت وداعي الأجل، إذ صار رأسه كالأرض الجرداء، وكالرَّبع الذي عفاه الزمن فأضحت جبهته وقفاه سواء. يقول:

قد تَركَ الدهرُ صَفاتي صَفْصَفا
فصـار رأسِي جَبْهَـةً إلى القَفـا
كأنه قد كان رَبْعًا فَعَفَا
يُمْسي ويُضْحي للمنايا هَدَفا(٥).

والصلع قد يهون إذا كان ناتجًا من عوامل الحت والتعرية في الرأس، أو كان ابتلاء من الله عز وجل؛ أمّا أن يكون ناتجًا من عقوبة أو تعزير في شبهة، فذلك ما كان يصعب كثيرًا على نفس صاحبه، وبخاصة حين يرى الشعر الأفرع الكثيف يتساقط على الأرض ليُرمَى في سلّة المهملات. هذا نصر بن حجاج يأمر عمرُ بن الخطاب رضي الله عنه بحلق رأسه لتخايله بشَعْره أمام النساء؛ فيأسى على ذلك الشَّعْر الجميل ويحزن وينشد قائلاً:

لَضَـنَّ ابنُ خَطَّابٍ عَلَـيَّ بجُمَّــة
إذَا رُجِّلَتْ تَهتَـزُّ هَـزَّ السَّلاَسِـلِ
فَصَلَّـعَ رَأسًا لـم يُصَلِّعْـهُ رَبُّـه
يَـرُفُّ رَفِيفًا بَعْدَ أسْوَد جَـائِلِ
لقد حَسَـدَ الفُرْعـانُ أصْلَع لم يَكُـنْ
إذا ما مشى بالفَرْعِ بالمتخايلِ(٦).

وشاعر آخر غَزِل كان ذا جُمَّة حسنة هو يزيد بن الطَّثْرِيَّة (ت:١٢٦هـ) يُنْزِلُ به أحد القضاة عقوبة الحلق والتصليع حين يشكوه أخوه «ثور» بسبب أفعال منكرة كان يأتي بها، فيأمر القاضي «ثورًا» نفسه بحلق رأس أخيه إمعانًا في إيلامه؛ فلا يملك يزيد إلا أن يبكي وينشد:

أقـولُ لثورٍ وهو يَحْلِقُ لِمتّي
بِعَقْفَاءَ مَرْدُودٌ عَلَـيَّ نِصابُها
تَرَفَّقْ بها ياثَوْرُ ليسَ ثوابُها
بهذا، ولكنْ عِندَ ربِّي ثوابُها

ألا ربَّما ياثورُ فَرَّقَ بَيْنَهَا
أناملُ رَخْصَاتٌ حَديثٌ خِضَابُها
وَرُحْتُ برأسٍ كالصُّخَيرة أشْرَفَتْ
عليهَا عُصَابٌ ثم طارتْ عُقَابُها(٧).

والأسرى أيضًا كانوا يخسرون شعر رؤوسهم حين يحلقه المنتصرون أو يُودعون في السجون. هذا أحد الشعراء يقول: بأن الأيام دُوَل، وأن الحرب كرٌّ وفَرٌّ، فإذا كان قد هُزم مع قومه في هذه المعركة وأسروا وحُلقت رؤوسهم، فهم طالما هزموا أعداءهم وصلَّعوا رؤوسهم من قبل:

فإنْ تضربونا بالسِّياط فإنَّنا
ضَرَبْنَاكُمْ بِالمُرْهَفَاتِ الصَّوَارِمِ
وإنْ تَحْلِقُوا منا الرؤوسَ فإنّنا
حَلَقْنَا رؤوسًا باللُّها والغلاصِمِ(٨).

وحلق الشعر الذي يصعب على النفس في مثل هذه المواقف يصير محببًا إليها حين يفعله المسلم طاعة للّه عز وجلّ، واقتداء بسنّة نبيّه ـ صلى اللّه عليه وسلم ـ متحلّلاً في حجّ أو عمرة، فيسعد للموسى التي تمر على رأسه وترجعه كيوم ولدته أمه.

وللتغلب على مشكلة الصلع أو التصليع المتعمد، لجأ بعض الشعراء منذ القديم إلى الشعر المستعار أو لبس جُمَّة مصطنعة، كما كان يفعل ابن سريج(٩) المغنِّي وأمثاله من الصلعان. وأما من يرى في الصلع دليلاً على الذكاء والعبقرية، فقد كان يسير حاسرًا مباهيًا بصلعته ذوي الرؤوس الفرعاء والشعور الطويلة.

ولعله من المناسب أن نختم موضوعنا هذا بالقرعان، فقد روى المقريزي (ت: ٨٤٥هـ) هذه الحادثة الطريفة عنهم ضمن أحداث عام ١٤٢٧م، فقال: «في يوم السبت ٢٥ رجب ٨٣٠هـ انكشف رأس أحد المماليك وهو بين يدي السلطان، فإذا هو أقرع، فسخر منه زملاؤه الجراكسة؛ على حين اغتنم هو الفرصة وسأل السلطان أن يجعله كبير القرعان، ويولّيه عليهم، فأجابه من باب المزاح إلى ذلك... فنزل وشقّ القاهرة بالخلعة، بعد أن عقد النية على استغلال وظيفته هذه في تنمية دخله الشخصي، وصار يأمر كل واحد بكشف رأسه، فإذا كان أقرع أخذ منه الضريبة التي كانت قيمتها تتزايد بحسب حالة الرتبة، وتمادى في الأمر حتى فرض على بعضهم عشرة دنانير، وعندها أحسَّ السلطان بفداحة الخطأ الذي وقع فيه، فأمر بالكفِّ عن هذه المهزلة، ونودي بالقاهرة: معاشر القرعان، لكم الأمان».

الهوامش:

١ـ لسان العرب: مادة (صلع).
٢ـ لسان العرب: مادة (نزع).
٣ـ فقه اللغة للثعالبي ص٤٧ .
٤ـ٨ـ الكامل للمبرد، ١/٣٤٣، ٣٤٣، ٣٤٤، ٣٤٥، ٣٤٤ .
٩ـ الأغاني: أخبار ابن سريج المتوفى عام ٩٨هـ.



طفلة الأمس

شعر: عبدالجواد طايل

طفلة في مقلتيها دهشةُ المغ ـترب الفنان في أرض جديده
وشرودُ الشاعرِ المُلهمِ في لي ـلة صيفٍ وهو يجترُّ نشيده
ونداءٌ مبهَمٌ كالليل جذا بٌ.. وأحلامٌ بلا دربٍ شريده
وسنا بدرٍ على الأفقِ مُطِلٌّ في دلالٍ.. ونُجيمات بعيده
وخُطى عَذْراءَ في أوَّلِ عشقٍ يحتويها.. وهي مازالتْ عنيده
طفلةٌ تختال حينًا كالفراشا تِ.. وتبدو بعض أحيانٍ وحيده!
مثلما أبدو أنا والليلُ ساجٍ ورفيقاي كتابٌ.. وجريده
والمدَى خلفي وقُدَّامي فراغٌ ومتاهاتٌ من الصمتِ بليدَه!
وخيالي سارحٌ.. كيف استدارتْ طفلةُ الأمسِ التي كانت وليده؟!
كيفَ أمسي قدُّها الناحلُ غضًا ومحُيّاها تباشيرَ قصيدَه؟!
ولَمَاها وردةً حمراء تندَى خَمرة ساحرةَ اللونِ.. فريده؟!
كيف صارت قطة ناعمة وبَدَتْ أجملَ من كلِّ خريدَه؟!
عذبتني وهي تدعوني إليها مثلما الأمس.. بألقابٍ عديده
يوم كانت إن رأت بعضَ خيالي سكَنَتْ بينَ ذراعيَّ سعيده
ها هي الآن متى عُدت إليها هرولتْ تَركُضُ خجلى كالطريده
طفلتي كوني كما أنتِ على فط ـرتكِ الأولى.. على تلكَ العقيده
وارسمي فوق شفاهِ العالم المك ـدود.. أحلامَ الصِّبا الغضِّ الرغيده
وغدًا لا تبخلي كالدهر فالأيّـ ـامُ مهما طال ذكراها زهيده



بقلم: **كورت كوزينبرغ**

ترجمة: **علي محمد عودة**

رنّ الهاتف..

رفع رئيس الشرطة السماعة: نعم.

ـ هنا يتكلم رئيس المناوبين كيرتسيغ. لقد رمقني توًا أحد المارة بنظرة احتقار.

ـ ربما تكون مخطئًا ـ ذكّره رئيس الشرطة ـ فكل شخص تقريبًا يقابل الشرطة يعتريه إحساس غريب وتلوح في عينيه نظرةٌ ما، تبدو نظرة ازدراء.

ـ لا ـ رد رئيس المناوبين ـ لم يكن الأمر كذلك. لقد تطلّع إلي باحتقار من قمة رأسي حتى حذائي.

ـ لماذا لم تلقِ القبض عليه؟

ـ لقد كنتُ مذهولاً. واختفى الرجل قبل أن أستوعب الإهانة.

ـ هل بإمكانك التعرف إليه؟

ـ بالتأكيد، إنه ذو لحية حمراء.

ـ كيف تشعر حضرتك؟

ـ بالتعاسة.

ـ تجمّل بالصبر وسأبدّلك في الحال.

فتح رئيس الشرطة (الميكرفون) وأرسل سيارة إسعاف إلى منطقة كيرتسيغ، وأمر بإلقاء القبض على كل مواطن ذي لحية حمراء. استجابت شرطة النجدة على الفور. وما إنْ وصل إليهم الأمر حتى أخذ اثنان منهم يقومان باختبار السيارات لمعرفة من الأسرع، فيما كان آخران يحتفلان في إحدى الحانات بعيد ميلاد صاحب لهما. وثلاثة كانوا يساعدون زميلهم في نقل أثاث منزله. أما الباقون فكانوا يتسوقون. وما إن استوعبوا المهمة حتى سارعوا بعرباتهم إلى قلب المدينة.

أغلقوا الشوارع واحدًا بعد الآخر وبدؤوا في تمشيطها.. جروا في المحلات والحانات والبيوت، وأخذوا معهم كُلَّ ذي لحية حمراء.. توقف السير في كل مكان. دويّ أصوات الصفارات أرعب الناس، وسرت الشائعات أنّ المطاردة كانت للقبض على أحد المجرمين المحترفين. بعد ساعات قليلة من بدء المطاردة كانت الحصيلة وفيرة. لقد نُقل إلى مركز الشرطة ثمانية وخمسون رجلاً من ذوي اللحى الحمراء. استعرض كيرتسيغ المتهمين، متكئًا على ممرضين اثنين، لكنه لم يتعرف إلى الشخص المطلوب. أما الرئيس فعلل ذلك بحالة كيرتسيغ. وأمرَ باستجواب المعتقلين. وفي اعتقاده أنه إذا ما ظهرت براءتهم في هذه القضية، فسيكون لهم بالتأكيد أخطاؤهم الأخرى، فالاستجواب مُثمر دائمًا.

أجل، لقد كانوا كذلك بالتأكيد، وبخاصة في تلك المدينة. إلا أن بعضهم رأى أنه لا تجوز الإساءة إلى المستجوَبين، إذْ خلا الاستجواب من الفظاظة واتسمت أساليب التحقيق باللطف.

كانت الشرطة السرية قد وضعت فيضًا من أسئلة بسيطة تُطرح على المقربين والأعداء. ومن الإجابات عنها، تُعرف ميول كل واحد منهم: طقطقة أزاميل الحجارة، الضوء الوهاج، أغاني الشمال الشعبية، منظر الجرذان المسلوخة ونباح الكلاب، إلى آخر ذلك.

لقد اتُبعت هذه الطريقة بدقة من قبل، وكان لهذه الوسائل أثرها، إذ انتزعوا من المستجوَبين اعترافات، حقيقية وكاذبة، وكان رجال الشرطة مبتهجين لأن مثل ذلك ينتظر الرجال الثمانية والخمسين.

أما الرجل المطلوب، فهو في بيته منذ مدة طويلة. وعندما قرع رجال الشرطة باب بيته لم يسمع الجرس، بسبب خرير الماء المفتوح على حوض الحمام. لكنه سمع بعد ذلك قرع ساعي البريد، واستلم منه برقية. كان الخبر مفرحًا، أحدهم يعرض عليه وظيفة محترمة في الخارج؛ شريطة أن يُسافر من فوره.

«طيب». قال الرجل: طيب. الآن عليّ إنجاز مُهمتين: حلاقة اللحية، التي مللتها، والحصول على جواز سفر لا أملكه.

اغتسل بمتعة، وارتدى ملابسه، واختار ربطة عنق جميلة احتفاءً بهذه المناسبة. أُبلغ عبر الهاتف في أية ساعة عليه الحضور إلى المطار. غادر البيت، قطع بعض الشوارع، التي عاد الهدوء إليها، ودخل أحد محلات الحلاقة. بعد إنجازه حلاقة لحيته، توجه إلى رئاسة الشرطة، لأنه هناك فقط، كما علم، يتم إصدار جواز سفر بوقت قياسي.

ينبغي الاستدراك هنا، أن الرجل الذي نظر باحتقار إلى الشرطي، كان معذورًا، لأن الشرطي كيرتسيغ يُشبه ابن عمه إيغون إلى حدّ التطابق. كان الرجل يكره ابن العم هذا، الذي لا يصلح لشيء، وكان قد أسلفه بعض النقود فلم يردّها. وعندما لاحظ كيرتسيغ، رمقه بتلك النظرة غير متعمّد ذلك. وقد شاهد كيرتسيغ ذلك بدقة، ولا يستطيع أحد الاعتراض على بلاغه.

لدى دخول الرجل رئاسة الشرطة، صادف ثانية الشرطي الذي يُذكره بإيغون. لكنه هذه المرة صرف نظره عنه بسرعة حتى لا يهينه. يضاف إلي ذلك، أن حال المسكين لم تكن على مايرام، إذ كان يرافقه اثنان من الحراس إلى عربة الإسعاف.

ولم تبدأ مسألة جواز السفر ببساطة كما تخيل الرجل. فلم تساعده الأوراق التي قدمها، أو البرقية التي أبرزها في إنجاز جواز السفر، كما ارتاب موظف الجوازات في نية الرجل وعجلته اللافتة للنظر.

أوضح الموظف: جواز السفر، وثيقة مهمة، وإصداره يتطلب وقتًا.

أومأ الرجل: هذا ما ينبغي حسب الأصول، ولكن لكل قاعدة استثناء.

ـ لا أستطيع أن أحسم هذا الأمر ـ ردّ الموظف ـ هذا ما قد يفعله رئيس الشرطة فقط.

ـ إذن عليه أن يفعل ذلك.

جمع الموظف الأوراق ونهض قائلاً: اتبعني، سنسلك أقصر طريق بين المكاتب.

اجتازا ثلاث أو أربع غرف مكتظة برجال ذوي لحى حمراء. ضحك الرجل، وقال في نفسه: لم أكن أعرف أنه يوجد هذا العدد من الرجال الملتحين بلحى حمراء، ولم أعد واحدًا منهم الآن.

وكأيّ رجل مسؤول تصرف رئيس الشرطة بلباقة، فقد أذن له بالدخول، ودعاه للجلوس بعد أن قدمه الموظف إليه. بذل الرجل جهدًا بالغًا في مقاومة ابتسامة ساخرة كادت ترتسم على شفتيه، لأن رئيس الشرطة يشبه ابن عمه آرثر، الذي لا يحبه كذلك. إلاّ أن العضلات التي تُسبب الابتسامة أدّت واجبها ببراعة (إن الأمر يتعلق بجواز سفر).

قال رئيس الشرطة: صغار الموظفين جبناء ويتجنبون اتخاذ أي قرار. بالتأكيد ستحصل على جواز سفر فورًا، وفي الحال. إن استدعاءك إلى استنبول ليشرف مدينتنا. إنني أهنئك.

وضع ختمًا على الجواز ووشحه بإمضائه. باسترخاء ناوله الوثيقة المهمة قائلاً: لديك ربطة عنق جميلة. تزينها خريطة المدينة. أليس كذلك؟.

ـ أجل، ردّ الرجل، إنها خريطة مدينة استنبول.

ـ فكرة مثيرة.

نهض رئيس الشرطة وصافح الرجل: أتمنى لك رحلة سعيدة. ورافقه إلى الباب.

لوَّح له بلطف، ثم دلف إلى الغرفة حيث يُستجوب الموقوفون. ولكي يختصروا معاناتهم اعترف بعض تعيسي الحظ بجرائم لم يقترفوها، أما المتهم الحقيقي فقد بقي دون اتهام.

ـ استمِرُّوا، أمر رئيس الشرطة أعوانه، وغادرهم لتناول الغداء.

ولدى عودته وجد أمامه بلاغًا: اعترف أحد الحلاقين، أنه حلق لحية حمراء لأحد الزبائن بناءً على طلبه. ولا يستطيع أن يصف الرجل، لكنه يتذكر أن الرجل كان يرتدي قطعة ملابس لافتة للنظر: ربطة عنق مزينة بخريطة مدينة.

صاح رئيس الشرطة: أنا الغبي.

هبط الدرجَ مُسرعًا، كل درجتين بقفزة. في الباحة كانت تقف سيارته. صاح بالسائق بعد أن رمى بنفسه على المقعد الخلفي: إلى المطار.

عمل السائق ما قدر عليه: دهس كلبين وحمامتين وقطة. صدم ترامًا. وألحق أضرارًا بعربة يد تحمل أوراقًا قديمة، وأرعب مئات العابرين.

وعند وصوله إلى المطار كانت الطائرة المتوجهة إلى استنبول تُقلع من المدرج في موعدها المُحدد.

قصيدة

وداعًا يا من كنت صديقي!

شعر: عبدالمنعم محمد خير إسبير

آمنت في دنيـــايَ أنّ نـوائبي ... قَدَرٌ قضتْهُ مشيئة الرحمن

فمنحتُ صدري للشدائد باسمًا ... والظهر يُطعَنُ غيْبةً ويُعاني

من صاحبٍ قد خِلْتهُ لي جابرًا ... عثرات حظٍّ خانني فرماني

أو راجيًا لي في همومي فُرجةً ... بدعاء قلبٍ أو بطيب لسانِ

فهو العزاء ولستُ أبغي غيرَهُ ... وهو الدواء على جراح زماني

قد كان يصطنعُ الودادَ تزلُّفًا ... وجواد حظي في الدُّنا بأمانِ

لكنّه ما إن كبا وتقلّبَت ... دنيايَ لم ألقَ الذي يلقاني

فلكم أضأتُ من الوداد ظلامَهُ ... لكنّه في الحالكات جفاني

ولكم روى دمعي صحارى بؤسه ... فاخضوْضرت في وجهه شفتانِ

وحضنْتُه في مقلتيَّ تعطّفًا ... فغدا قذًى تعشى به العينان

يا خِلُّ يا من ضَلّهُ سهم القضـ ... ـاء فصار سهمًا في الحشا يُدميني

لا تغتذي من ظهر خِلّك ربّما ... بقضاء ربِّك في غدٍ ستليني

ويجيءُ دورك في احتياج صداقة ... في النائبات تكونُ راحَ حزينِ

فترى مثيلَك من تَقَلَّب قلبُهُ ... يَرمي فؤادَك بالذي ترميني

وهْمًا تظنُّ بأنّ يوم مذلّتي ... آتٍ إليك لتستطيب أنيني

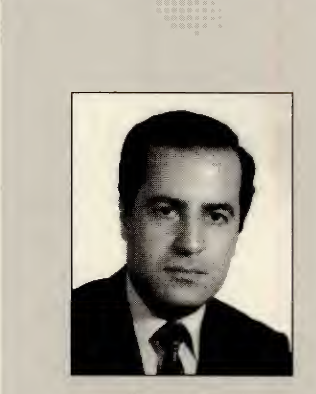
إنّي عزيزٌ لن أُذَلَّ بمحنةٍ ... مادام عِزّي بالإله ضميني

ساقي سأبترها ولن أمشي بها ... ذُلاً إليك لتستبيح جبيني

قدماي صلْدٌ، ركبتاي عَصيّةٌ ... شفتاي حمْدٌ، والكتاب معيني

فاخفضْ جناح الذلِّ غيرَ مُفاخرٍ ... فيما ملكتَ.. فقد ملكتُ يقيني

هل سُرقت الكلية؟


د. غسان حتاحت

للكاتب الأمريكي الطبيب روبن كوك رواية مشهورة بعنوان «السُّبات»، أو الغيبوبة، تحكي قصة عصابة تتاجر - بمعونة بعض الأطباء - بالأعضاء البشرية المختلفة، كالقلب والكلية التي تُستخرج من أشخاص يتم انتقاؤهم انتقاء دقيقًا، ثم يحدث لديهم عمدًا سُبات يجعلهم يفقدون وعيهم إلى الأبد، ويصبحون بلا عقل كالنبات. فيوضعون في مآوٍ خاصة، كي يُستفاد من أعضائهم حين الطلب، عندما يوجد المشتري الباذل.

وقد نجحت هذه الرواية الخيالية نجاحًا باهرًا، واقتُبس منها فيلم سينمائي لم يقلّ نجاحًا عنها، مثّله مايكل دوجلاس وجنيفييف بوجولد، وأخرجه مايكل كريتشتون (وهو طبيب أيضًا).

وغني عن البيان أن أحداث الرواية والفيلم خيال محض لا أساس له من الحقيقة.

على أنني قبل مدة من الزمن سمعت إشاعة رواها أكثر من راوٍ، تقول: إن طفلة صغيرة عمرها بضعة أعوام، خُطفت مع حقيبتها عندما كانت في طريقها إلى المدرسة. ثم عادت في اليوم التالي إلى بيتها سيرًا على الأقدام. وقد لوحظت ندبة جراحية على خاصرتها، ووُجد في حقيبتها المدرسية ذهب يعادل ثمنه مليون ليرة سورية. وتبين بعد إجراء فحص طبي أن إحدى كليتيها استؤصلت، كي تُزرع في جسم مريض ما.

وكما هي الحال في الإشاعات ثمة زيادات وتنقيحات وتعديلات.

فهناك من أكد أن الطفلة قريبة جاره، وأن اسمها سعاد، وآخر زعم أنها ابنة خال صهره وتدعى ليلى، وهناك من قال: إن الخبر نُشر في صحيفة، وإن جاره صالحًا قد قرأه. وثمة من أقسم أنه سمع هذا النبأ (وهنا أصبح صوته هامسًا، كي يعطي كلامه أهمية أكبر) من طبيب، أو من رجل أمن.

أما المبلغ الذي وجد في الحقيبة، فقيل إنه كان بالدولارات، وهناك رواية ثانية أنه كان بالعملة السورية، وبأوراق نقدية من فئة خمسمئة ليرة.

وهناك رواية ثالثة أن المبلغ كان بالمارك الألماني، فضلاً عن رواية رابعة ضعيفة أن النقد كان بالفرنك الفرنسي.

وبغض النظر عن الأيمان التي أقسمها الرواة - وكلهم ناقل عن ناقل - فإن هذه الإشاعة كاذبة من أساسها. فنقل الكلية وزرعها يحتاج إلى تقنية متقدمة عالية، لا تتوافر إلا في أرقى المراكز الطبية. ثم إنه يجب أن يُسبق بمجموعة معقدة من الفحوص والاختبارات كي يُعرف ما إذا كانت الكلية توافق جسم المريض الذي ستُنقل إليه أم لا، وهذه الاختبارات تحتاج إلى أيام أو أسابيع وليس إلى دقائق أو ساعات.

ثم إن استئصال كلية ما عملية جراحية كبيرة لا يستطيع من أجريت له أن يسير في اليوم التالي على قدميه حتى يصل إلى بيته، وهو يحمل حقيبة مملوءة ذهبًا أو سواه، حتى لو كان هرقل الإغريق.

ومن جهة أخرى، فإن استئصال الكلية لا يمكن أن يتم إلا من قبل أطباء اختصاصيين، ولا يمكن لطبيب أن يقوم بهذا العمل البعيد، كل البعد، من القيم الإنسانية وشرف المهنة.

من ناحية ثالثة، فإن من يدفع مليون ليرة (سواء أكانت العملة صعبة أم غير صعبة أم ذهبًا) لا يشق عليه أن يسافر إلى بلد آخر يتم فيه الزرع قانونيًا، كالهند مثلاً، حيث يقال إنه يوجد هناك من يرغب في بيع كليته أو حتى كليتيه، إن كان ذلك ممكنًا (وهو غير ممكن ويحتاج الأمر في هذه الحالة إلى صنع إشاعة جديدة).

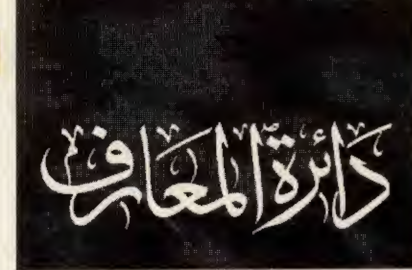
وليست القصة الآنفة بالوحيدة، فهناك قصص عدة عن سرقة الأعضاء البشرية غصبًا من أشخاص أحياء. وهي، وإن كانت تختلف باختلاف الرواة، كلها مختلقة تحمل دلالات كذبها في صميمها. إذ لا يتم زرع الأعضاء اعتباطًا، بل لابد من دراسات سابقة وتقنية متقدمة، فضلاً عن مراكز كبيرة مجهزة أحسن تجهيز.

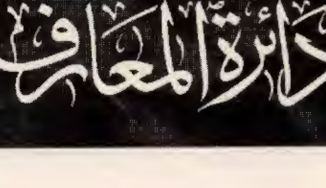
على كل حال، ومع كثرة هذه الإشاعات، فإنها لحسن الحظ لم تشمل قصصًا عن زراعة الدماغ. فهذا الزرع متعذر، بل مستحيل.

ومن جهة أخرى، إذا كان خطف إنسان ما أعجبنا شكله، كي نستأصل كليته أو أي عضو آخر من أعضائه، أمرًا مقبولاً في عالم الإشاعات، فإن خطف إنسان ما لاستئصال دماغه تمهيدًا لزرعه في شخص آخر أمر لو كان ممكنًا طبيًا - وهو غير ممكن - غير مقبول من الناس، إذ لا يرضى أحد بغير دماغه وعقله مهما كان سيئًا.

ثم ما أدرانا إلى كم من الناس يحتاج الأمر كي نجد دماغًا ما، كما تقول الفكاهة المشهورة، التي تذكر أسعار الدماغ لفئات مختلفة من الناس. وتغالي في سعر فئة ما (تختلف من رواية لأخرى. وبما أن الفكاهة أمريكية الأصل، فأكثر الفئات ذكرًا هم السياسيون وبخاصة أعضاء مجلس الشيوخ والنواب). لأنه لدى هذه الفئة يحتاج الأمر - كما تقول الفكاهة - إلى فتح رؤوس كثيرة، كي يُعثر على دماغ واحد. لكنه عندما يوجد يكون جديدًا تمامًا وغير مستعمل قط.

حتى التقدم الطبي الهائل في زراعة الأعضاء أصبح حائرًا بين الإشاعة والفكاهة.



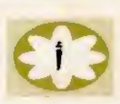


الكنى في التراث العربي

٢

«الأم»(*) وما يُنسب إليها من كنى وبيان مدلولاتها

إعداد:
مصطفى مقبول حلاوة



أُمُّ آدم:

كنية الأرض. قيل سميت كذلك لأن «آدم» أبوالبشر، عليه السلام، خُلق من أدمتها (أي ترابها)، ولذا سُمِّي «آدم» أي الذي في لونه أدمة أو سمرة. قال تعالى: *إنَّ مَثَلَ عيسَى عِنْدَ اللَّه كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِن تُرَابٍ.* **آل عمران:** ٥٩ .

قال الشاعر:

ولّما نبتْ أرضٌ بنا وتنكَّرتْ
نبوْنا وقُلْنا: اعْرِضي أُمَّ آدما

ومن كنى الأرض كذلك: أم كفات، وسوف يأتي الحديث عنها في موضعها.

أُمُّ أدْراص:

كنية الداهية، وقيل الغدر. والدِّرْص: هو ولد الفأر، واليربوع ونحوهما (اللسان: مادة درص). وأُمُّ أدْراص هي جحرة الفأر. قال طفيل:

فما أُمُّ أدْراصٍ بأرْضٍ مُضلَّة
بأغْدر مِنْ قيس إذّا الليل أظلما

وأُمُّ أدْراص يُضرب بها المثل في الغدر، أو عند وقوع المرء في شدة أو بلاء فيقال: «وقع في أمّ أدراص مُضلَّلة» أي في موضع استحكام البلاء، وذلك لأن أم أدراص جحرة محشيَّة مملوءة ترابًا، وغدرها أنها تعثر بمن يطؤها ظنًا منه أنها أرض مستوية.



أُمُّ بُعْثُر:

كنية الضبع. قيل: سميت كذلك لأنها كثيرًا ما تنبش القبور، وتبعثرها فتأكل الموتى لشهوتها لحوم البشر، لذا فهي تُكنى كذلك: أمّ المقابر، وأمّ القبور.

يقول الجاحظ في كتابه الحيوان (٦/ ٤٥٠) إن من عاداتها إذا كان القتيل بالعراء، وورم ذكره أن تأتيه فتركبه، وتقضي حاجتها منه، ثم تأكله. كما أنها إذا رأت إنسانًا نائمًا حفرت تحت رأسه، فإذا مال برأسه، وظهر حلقه ذبحته بأسنانها، وشربت دمه. وهي فاسقه لا يمر بها حيوان من نوعها إلا تعرَّضت له حتى يعلوها. ومن كناها أيضًا: أم عامر، وسوف يأتي الحديث عنها في مكانه.

أُمُّ البلاد:

كنية مصر، ويقال لها كذلك: أم الدنيا. قيل: إن سبب تسميتها كذلك أن أهلها مستغنون بما فيها عن كل بلد حتى لو ضُرب بينها وبين بلاد الدنيا بسور.

يقول النويري في كتابه نهاية الأرب (١/ ٣٤٧) إن أول من سمَّاها كذلك نوح، عليه السلام، فقد دعا لابن ابنه «بيصر بن حام»، وهو أبو مصر، فقال: «اللهم إنه قد أجاب دعوتي فبارك فيه، وفي ذريته، وأسكنْه الأرض الطيبة المباركة التي هي أمّ البلاد».

وأم البلاد اسم يُطلق على أشهر مدن كل أقليم فنقول: بغداد أم العراق، ودمشق أم الشام، وهكذا..



أمّ ثلاثين:

هي جعبة النشّاب. قال الشاعر:

لا مالَ إلاّ العطافُ تُؤْزِرُه
أُمُّ ثلاثين وابنةُ الجبل

ومعنى البيت أنه يصف رجلاً خائفًا من دمٍ، منقطعًا في الجبال فلا مال له إلاّ السيف، وهو العطاف، وأم ثلاثين وابنة الجبل، وهما النشاب والقوس، وجعل ذلك مالاً له بحيث إنه يصيد ويقتات.

وقيل أيضًا: إنها كنية النعامة لأنها تحضن ثلاثين بيضة، وتفقس فراريج بعدَّتها، وتقوم بتربيتها وحفظها.



أُمّ جميل:

هي فاختة بنت حرب بن أمية الملعونة، أخت أبي سفيان بن حرب، وزوجة أبي لهب

(عبدالعُزّى بن عبدالمطلب)، وهي المعروفة بحمَّالة الحطب التي ورد ذكرها في القرآن الكريم في قوله تعالى: *وامرأته حمَّالة الحطب*. **المسد: ٤.**

كانت من أشد النساء معارضة للإسلام، وأكثرهن إيذاء للنبي صلى الله عليه وسلم، فقد كانت تحمل أغصان الشجر الذي له شوك، وتطرحها في طريق الرسول صلى الله عليه وسلم لتؤذيه. ومن كلامها لرسول الله صلى الله عليه وسلم: «مذممًا عصينا، وأمره أبينا، ودينه قلينا»؛ كما يُضرب بها المثل في الخسران فيقال: «أخسر من حمَّالة الحطب». وفيها قال الشاعر:

جمعتَ شيئًا ولم تُحرِز له بدلاً
لأنت أخسرُ من حمَّالة الحطبِ

وهي غير أم جميل (امرأة من رهط أبي هريرة الصحابي) التي يضرب بها المثل في الوفاء فيقال: «أوفى من أم جميل»

أمُّ جُنْدُب:

كنية الداهية، وقيل الغدر، وقيل الظلم. يقال: «ركب فلان أم جُنْدُب» وذلك إذا ركب الظلم. ويقال: «وقع القوم في أم جُنْدُب» وذلك إذا ظلموا أو وقعوا في داهية عظيمة. قال الشاعر:

قتلنا به القومَ الذين اصطلوا
جِهارًا ولم نظلم به أمّ جُنْدَبِ

أي لم نقتل غير القاتل.

ومن كنى الدواهي أيضًا: أم حبوكر (أو حبوكرى)، وأم خنّور، وأم الدهيم، وأم الربيق، وأمّ الرقوب، وأمّ طبق. وسوف نتحدث عن كل منها في موضعها حسب تسلسلها.

ح

أمّ حبوْكَر (أو حبوكرى):

كنية الداهية. وهي أيضًا رملة ذات وهاد يضل فيها سالكها، فإذا سلكها إنسان وخرج من وهدة سار إلى أخرى. لذا يُضرب بها المثل لمن وقع في بلية أو داهية عظيمة فيقال: «وقع فلان في أمّ حبوكر (أو حبوكرى)»، و«جاء فلان بأم حبوكرى» أي بالداهية. قال الشاعر:

فلمَّا غسا ليْلي وأيْقنْتُ أنَّها
هي الأربى جاءت بأمٍّ حبوْكرى

أمُّ الحُوار:

هي الناقة، والحوار ولدها من حين يُوضع إلى أن يُفْطم، ويُفْصل، فإذا فُصِلَ عن أمّه فهو فصيل.

و«أمّ الحوار» يُضرب بها المثل في رأفتها على ولدها فيقال: «أرأف من أم الحوار بحوارها».

وقيل: هي أيضًا كنية العُقاب. قال الشاعر:

وكأنَّها لما غدتْ سرويَّة
مسعورة باللحم أمُّ حُوار

وسروية: عُقاب من عقبان السَّراة.

خ

أمّ خارجة:

كنية امرأة من بجيلة تدعى عمرة بنت سعد بن عبدالله بن قُداد بن ثعلبة. كانت من أجمل أهل زمانها، وكانت ذوّاقة تُطَلِّق الرجل إذا جربته فلم يعجبها وتتزوج بآخر. فتزوجت أربعين رجلاً ونيفًا، وولدت عامة قبائل العرب من آباء مختلفين. كان الخاطب يأتيها فيقول: خِطْبٌ، فتقول: نَكْحٌ. يُضرب بها المثل في سرعة الزواج فيقال: «أسرع من نكاح أم خارجة». وخارجة هذا ابنها من بكر بن يشكر بن عدوان بن قيس بن غيلان.

كانت أم خارجة هذه، ومارية بنت الجُعيد العبدية، وعاتكة بنت مُرَّة بن هلال السليمية، وفاطمة بنت الخُرشُب الأنمارية، والسَّوَّاءُ العنزية الهزّانية، وسلمى بنت عمرو بن لبيد أحد بني النجار (وهي أم عبدالمطلب بن هاشم) إذا تزوجت الواحدة منهن رجلاً فأصبحت عنده كان أمرها إليها إن شاءت أقامت، وإن شاءت ذهبت، وكانت علامة ارتضائها للزوج أن تعالج له طعامًا إذا أصبح.

أمّ الخَلِّ:

كنية الخمر لأن الخل يستحيل منها. قيل: إن أول من كناها بذلك مرداس بن خُدّاش حيث قال:

رميتُ بأمِّ الخلِّ حبَّة قلْبه
فلم يسْتفِقْ منها ثلاثَ ليالِ

وتكنى الخمر أيضًا بكنى أخرى كثيرة منها: أم الآثام، وأم الكبائر، وأم الخبائث وذلك لأنها تجمع كل خبيث، قال صلى الله عليه وسلم: «اجتنبوا الخمر فإنها أم الخبائث» (كنز العمال ١٣٦٩٦/٥).

أمّ خنُّور:

كنية من كنى الداهية. يُضرب بها المثل عند وقوع المرء في شدة أو بلاء، فيقال: «وقعوا في أم خنور» أي في داهية؛ وفي الحديث، برواية أبي حنيفة الدينوري (اللسان: خنر): أمّ خنوٌر يساق إليها القصار الأعمار».

وجاء في اللسان أيضًا: «أمّ خنور هي كنية الدنيا، ومصر، والنعمة الظاهرة». ويذكر أن عبدالملك بن مروان عندما قال: وقد تمكّنا من أمّ خنور - يعني الدنيا ونعمتها - لم يمض عليه أسبوع بعد قوله هذا حتى مات.



أمُّ دَرْز (أو درزة):

كنية الدنيا، فالدرز هو نعيم الدنيا ولذاتها. يقال: دَرِز الرجل إذا تمكن من نعيم الدنيا.

ومن كنى الدنيا كذلك: أمُّ العجب، وأمّ الفناء، وأمّ دَفْر، والدَّفْر: النَّتن، فكأن الدنيا كُنيت بذلك لنتنها. قال ابن الرومي في أبي الصقر:

لم تُظْلَم الدنيا بأمٍّ دفْرٍ
إذْ أنتَ من وُلاةِ الأمْرِ

أُمُّ الدُّهَيْم:

كنية الداهية. قيل: إنّما سميت بذلك لأنها تدهم المرء بغتة. و«الدهيم» في الأصل اسم ناقة عمرو بن الزّبان الذهلي، غزا عليها هو وإخوته الخمسة فقُتلوا عن آخرهم، وحُملت رؤوسهم عليها حتى رجعت بهم فصارت مثلاً في كل داهية؛ فقيل: «أثقل من حمل الدُّهَيْم»، و«أشأم من الدُّهَيْم». قال الكميت:

أهمدانُ مهلاً! لا تُصبِّحْ بُيُوتكم
بجهلكم أمُّ الدُّهَيْم وما تزْبِي

ر

أمُّ الرأس:

هي أعلى الهامة، وموضع الدماغ من الرأس، وما أحاط به (أي الجمجمة). قال أوس بن غلفاء التميمي:

وهم ضربوك أمَّ الرأسِ حتى
بدت أم الدماغ من العظام

وأمّ الدماغ: هي الجلدة الرقيقة المحيطة بالدماغ، سُميت بذلك لأنَّها تجمعه. يقال: بلغت الشَّجة أمّ الدماغ.

ويقول المتنبي يصف القلم:

نحيف الشَّوى يعدو على أمِّ رأسه
ويحفَى فيقوى عدْوُه حين يُقطَعُ

أمُّ الرُّبَيْق:

كنية من كنى الداهية. وقيل: أم الربيق هي إحدى الحيَّات، ومن كلامهم إذا وقع أحد في الشر: «جاء بأمّ الرُّبيق على أُرَيْق» يعني الداهية، وأُرَيْق: تصغير «أَوْرَق» وهو من الإبل ما كان في لونه بياض إلى سواد. قال الأصمعي: إنه من قول رجل زعم أنه رأى الغول على جمل أَوْرق فقال ذلك.

وقيل (في اللسان: أرق؛ والحيوان ٤/٢٣٥): إن «أُريق» ما له زنمة من الحيّات كما في قول العجاج:

وقدْ رأى دُوني مِنْ تهجُّمي
أمَّ الرُّبَيْق والأُرَيْق الأزْنَمِ

أمّ الرَّقوب:

كنية الداهية، وقيل: المنية. قال الشاعر:

إنَّ كسرى عدا على المَلْك النعما
ن حتى سقَاهُ أُمَّ الرَّقُوب

أي الداهية أو المنية. والرقوب: هو الرجل والمرأة إذا لم يعش لهما ولد، ويظلان يرقبان موته ويرصدانه خوفًا عليه.. قال الشاعر:

فلمْ يرَ خلْقٌ قبْلنا مثْلُ أُمِّنا
ولا كَأبينا عاش وهو رقُوب

وفي الحديث أنه صلى الله عليه وسلم قال: «ما تعدون الرقوب فيكم؟» قالوا: الذي لا ولد له: قال: «بل الرقوب الذي لم يُقدِّم من ولده شيئًا». (كنز العمال ٣/٦٥٨٥).



أمّ الصِّدق:

كنية من تقول الصدق دائمًا. أنشد الثعالبي للصاحب فقال:

يا أبا القاسم قل لي
لم لماذا لا تزورُ
كنت قد قدَّمت وعدًا
فإذا وعدُكَ زورُ
ونحرتَ الودَّ بالهجـ
ـر كما تُذكى الجزورُ
إنّ أُمَّ الصِّدق في الو
دِّ لَمقْلاتٌ نَزُورُ

المقلات: التي لا يعيش لها ولد، وقيل هي التي تلد واحدًا ثم لا تلد بعد ذلك.

وقد يُستعمل في الطير، قال كُثيّر:

بُغاث الطير أكثرها فراخًا
وأمُّ الصقر مقلاتٌ نزورُ

أمُّ الصريح (أو أمّ الصريع):

هي بنت أوس الكندية، شاعرة من شاعرات العرب في الجاهلية، وُلدت نحو ٣٠ قبل الميلاد النبوي. نشزت على زوجها علي بن الصريح الكليبي فقالت (أعلام النساء ٢/٣٢٥):

كأنَّ الدارَ يوم تكونُ فيها
علينا حفرةٌ مُلِئتْ دخانا
فليتك في سفين بني عباد
طريدًا لا نراك ولا ترانا



أمُّ طَبَق:

كنية من كنى الحيَّات. سميت بذلك لإطباقها على من تلدغه. ضربوا بها المثل في الدواهي فيقال: «جاءنا بأمّ طبق» أي: بالداهية الكبيرة.

قال خلف الأحمر حين نُعي إليه المنصور ولم يكن الخبر قد فشا بعد:

قدْ طَرَّقتْ ببكْرها أمُّ طبقْ
فنتجوها خبرًا ضخْم العُنُق
موت الإمام فِلْقةٌ من الفلَقْ

فارتفعت الضجة بالبكاء والاسترجاع.

أمُّ الطريق:

وسط الطريق ومعظمه، وذلك إذا كان الطريق عظيمًا وحوله طرق صغار. فالأعظم هو أمُّ الطريق، وبنات الطريق هي الطرق الصغار التي تتشعب عن معظمه. والطريق يُذَكَّر ويُؤنَّث فيقال: الطريق الأعظم، والطريق العُظمى، وكذلك السَّبيل، والجمع على التأنيث: طُرُقٌ، وأطْرُقٌ، وعلى التذكير: أطْرِقةٌ وطرقان (اللسان: طرق).

وأُمُّ الطريق: كنية الضبع أيضًا. قال كثير عزة:

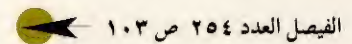
يُغادرْن عسْبَ الوالقيِّ وناصحٍ
تخُصُّ به أُمُّ الطَّريق عيالها

العسْب: ماء الفحل، والوالقيُّ وناصح: فَرَسان، وعيال الطريق: سباعها.

ويقول صاحب اللسان: إن الرجل إذا دخل على الضبع وجَارها قال: «أطرقي أمَّ طريق» أي استتري وتواري. يضرب لمن يخدع بلين الكلام.

أمُّ الطعام:

كنية الحنطة لما لها من فضل على سائر الحبوب. قالت أم ثواب الهِزّانية - شاعرة من شواعر العرب - في ابن لها وقد عاقها (أعلام النساء ١/١٨٦):



ربَّيتُه وهو مثل الفرخ أُطعمه
أُمّ الطعام ترى في جلده زَغَبا
حتى إذا آضَ كالفُحَّال شذَّبه
أبّارُه ونفى عن متنه الكربا
أنشأ يُمزق أثوابي يؤدّبني
أبعدْ شيْبي عندي يبتغي الأدبا؟

ويقال أيضًا: هي كنية المعدة حيث إنها أمّ الطعام.



أُمّ عامر:

كنية الضبع، وهي أشهركناها. يقول صاحب اللسان (مادة: عمر): كُنِّيت بذلك كأنَّ ولدها عامر، وفي ذلك يقول الهذليّ:

وكمْ مِنْ وجارٍ كجيْب القميص
به عامرٌ وبه فُرْعُل

الوِجار: جحر الضبع، والفُرْعُل: ولد الضبع.

وقال الشنفرى:

لا تقْبِروني إنَّ قبْري مُحرَّمٌ
علَيْكُمْ ولكنْ أبْشري أُمَّ عامرِ

والعرب تضرب بها المثل في الحمق، ولمن يُخدع بلين الكلام، فتقول: خامري أمّ عامر (أي استتري وتواري)؛ فمن حمقها الظاهر أن الصائد يأتي إلى وِجارها فيسد فمه بعد ما تدخله لئلا ترى الضوء ويقول لها: خامري أمّ عامر.. أبشري بشاء هزلى، وجراد عظْلى. فتُخدع، وتخرج فيأخذ بيديها ورجليها فيوثقها، ولو شاءت أن تقتله لأمكنها.

يروى عن علي رضي الله عنه أنه قال: «لا أكون مثل الضبع تسمع اللَّدم (الضرب على جحرها) فتخرج فتصاد» (فصل المقال ١٨٧).

ويروى أن فتيان خرجوا في صيد لهم فأثاروا ضبعة، فنفرت، ولجأت إلى بيت رجل فخرج إليهم بالسيف مسلولاً، فقالوا له: يا عبدالله! لم تمنعنا صيدنا؟ فقال: إنها استجارت بي. فخلوا بينها وبينه، فنظر إليها فإذا هي مهزولة، فجعل يسقيها اللبن حتى سمنت، وصلحت حالها؛ فبينما هو ذات يوم راقد عدت عليه فشقت بطنه وشربت دمه. وفي ذلك قال الشاعر (معجم التراكيب ٤١):

ومنْ يصْنع المعروفَ في غير أهْله
يُلاقي الَّذي لاقى مُجيرُ أُمِّ عامرِ

أُمّ عُبيْد:

هي المفازة، أو الأرض الخلاء، وقيل: هي القطعة من الأرض إذا مُطر ماحولها ولم تُمطر. قال الشاعر:

بئس قرينا يفَنٍ هالك
أُمّ عُبيد وأبو مالك

اليفن: الشيخ الهرم، وأبو مالك: كنية الجوع.

وقيل: هي أيضًا كنية الداهية فيقال: «وقعوا في أمّ عبيد تصايح حيّاتُها»؛ أي: وقعوا في داهية.

أُمّ عوْف:

كنيةُ الجرادة. يروى أنه كان في لسان زياد الأعجم لُكنة لا يقيم معها الرّاء، فألقى عليه بعض الشعراء هذا البيت:

فما صفْراءُ تُكْنى أمّ عوْف
كأنّ رُجيْلتيْها منْجلان

فأجابه على البديهة:

عنيتَ جرادةً وأظنُّ ظنًا
بأنّك إنّما تبْلو لساني

أُمّ عيال (أو العِيال):

كنية رئيس القوم، والمتولي أمرهم. قيل: إنما سُمِّي بذلك لأنه يلي طعامهم، وخدمتهم؛ ولأن الناس تلتف حوله. قال الشنفرى في تأبط شرًا:

وأُمِّ عيالٍ قدْ شهدْتُ تُقُوتُهم
إذا أطْعَمَتْهُم أحْتَرتْ وأقلَّت
تخافُ علينا العيْل إنْ هي أكْثرتْ
ونحن جياعٌ أيَّ أوْلٍ تألَّت

(اللسان: حتر).

ويقال له كذلك: «أم القوم».



أُمّ غيلان:

شجرة كثيرة الشوك بالبادية. قال الراجز وقد تأذّى بها وخرقت ثيابه:

يا أُمَّ غيْلان لقيت شرّا
لقد فجعت مُقترًا مُغْبرًّا
يَبرُّ بيتَ الله فيمن برّا
لاقيت نجّارًا يجر جرّا
بالفأس لا يُبْقي على ما اخْضرَّا



أُمّ قرفة:

هي فاطمة بنت ربيعة بن بدر الفزارية، شاعرة جاهلية، من ربات النفوذ والسلطان في قومها. كانت تحت مالك بن حذيفة بن بدر، وكان لها اثنا عشر ولدًا أحدهم قرفة الذي كنيت باسمه، وكان يُعلّق في بيتها خمسون سيفًا لخمسين رجلاً كلهم لها محرم، وبلغت من عز الجانب والرئاسة أن ضرب العرب بها المثل في العزة والمنعة فقالوا: «أعز من أمّ قرفة»، و«أمنع من أمّ قرفة».

قيل: إن ولدها قرفة قتله النبي صلى الله عليه وسلم، وإن سائر بنيها قُتلوا مع طُليحة الأسديّ «يوم بُزاخة» وكذلك هي، وإن خالد بن الوليد بعث برأسها إلى أبي بكر الصديق فعلقها فكانت أول رأس علقت في الإسلام فيما زعموا (أعلام النساء ٤/٥٨).

من شعرها في رثاء ابنها:

حذيفة لا سلمت من الأعادي
ولا وقيتَ شرَّ النائبات
أيقتل قرفةَ قيسٌ وترضى
بأنعامٍ ونوقٍ سارحات
أما تخشى إذا قال الأعادي
حذيفةَ قلبهُ قلب البنات

أُمّ القُرى:

كنية مكة المكرمة لقوله تعالى: *وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِّتُنذِرَ أُمَّ الْقُرَىٰ*.

الشورى:٧. قيل: إنما سميت كذلك لأنها أقدم القرى، وأعظمها شأنًا في جزيرة العرب، وقيل: لأنها توسطت الأرض، وقيل: لأنها تُقصد من كل قرية، ومن كل أرض. ومنه قيل للنبي صلى الله عليه وسلم: أُمِّيّ نسبة إلي أمّ القُرى مكة، ولما كان أهلها لا يقرؤون، ولا يكتبون فقد قيل لكل من لا يقرأ ولا يكتب أُمِّيّ.

و«أمّ القُرى» تُطلق كذلك على كل مدينة هي أمّ ماحولها من المدن إذا كانت كبيرة، كثيرة الأهل: فالبصرة كانت تسمى أمّ العراق، ومرو كانت تسمى أمّ خُراسان. قال تعالى: *وَمَا كَانَ رَبُّكَ مُهلكَ القُرَى حَتَّى يَبْعَثَ في أُمِّهَا رَسُولاً*. **القصص**:٥٩.

أُمّ القِرَى:

كنية النار لأنه لا بد منها لقرى الضيف: أيّ إضافته؛ يقال: هو قَرِيٌّ للضيف ومِقْراءٌ، وهي قرِيَّةٌ ومقْراةٌ. قال الشاعر:

لا بُدَّ منها في الشتا والصَّيف
لاسيَّما عند نُزول الضَّيف

وقال أبو طالب المأموني في وصف النار:

أمّ القِرَى عندك أم يوح
فقد سرى بنورها اللّوح
أمْ ذات قرطٍ ذهبيّ بدا
يُنيرها في الجوّ تلويح
فإنّني إخالها في دنّها
جسم لها وهي لها روح
كأنّها الشمس وما نفضت
من شررٍ عنها المصابيح

يُوح: من أسماء الشمس، واللّوح: الهواء.

أمّ قَشْعَم:

كنية الحرب، وقيل المنية، والداهية الكبيرة، والضبع التي يبدو من كراهية العرب لها أن وضعوها في إطار واحد مع المصيبة والموت.. قال زهير بن أبي سُلْمَى:

فشدَّ ولمْ يُفْزِعْ بيوتًا كثيرةً
لَدَى حيثُ ألقتْ رَحْلها أمُّ قشعم

وقيل: هي كنية ناقة نفرت فمرت على نار عظيمة فأجفلت، فألقت رحلها في النار، ومرّتْ في عدْوها. فصار ذلك مثلاً يضرب للذاهب الذي يُدعى عليه بالسوء كناية عن عدم رجوعه فيقال له: «إلى حيث ألقت رحلها أمّ قشعم».



أُمُّ الكتاب:

كنية سورة الفاتحة. قيل: إنّما سميت كذلك لأنها أول القرآن، وفاتحة الكتاب.. لذا فهي تسمى كذلك: «أمّ القرآن»، و«فاتحة الكتاب» لقوله صلى الله عليه وسلم: «الحمد لله رب العالمين أمّ القرآن، وفاتحة الكتاب، والسبع المثاني» (الكنز ١/٢٥٠٠)؛ وقوله: «فاتحة الكتاب تعدل ثلثي القرآن» (الكنز ١/٢٤٩٥). وقيل: لأنه يُبتدأ بها في كل صلاة، وتُقرأ أمام كل سورة؛ وقيل أيضًا: هي كنية اللوح المحفوظ، ومنه قوله تعالى: *وإنَّهُ في أمِّ الكتَابِ لَدَيْنا لَعَليٌّ حكيمٌ*. **الزخرف**:٤. أيّ اللوح المحفوظ. والله أعلم.

ومن قولهم عنها في الألغاز:

وأُمّ لم تلِدْ ولدًا وليست
بأمِّ الرأسِ يعرفها اللبيب

أمّ كِفَات:

كنية الأرض. والكفات: هو الموضع الذي يُضَمُّ فيه الشيء ويُقبض. وكفات الأرض: ظهرها للأحياء. وبطنها للأموات. قال تعالى: *أَلَمْ نَجْعَلِ الأرضَ كِفَاتًا. أحياءً وأمْواتًا*. **المرسلات**:٢٥-٢٦. والمعنى أنها تكفتهم أحياء على ظهرها في دورهم، وتكفتهم أمواتًا في بطنها: أي تحفظهم. وفي حديث الشَّعبي: أنه كان بظهر الكوفة فالتفت إلى بيوتها فقال: هذه كفات الأحياء، ثم التفت إلى المقبرة وقال: وهذه كفات الأموات (اللسان: كفت).



أمُّ اللُّهَيْم:

كنية الموت، وقيل: الحُمّى، والداهية العظيمة. واللهيم: الموت لأنه يلتهم كل حي.

قال ابن برِّي (اللسان: لهم):

لَقُوا أمَّ اللُّهَيْم فَجهزَّتهم
غَشُومَ الورْدِ نكْنيها المُنونا

ومن كنى الموت أيضًا: «أم الدهيم» لأنها تدهم المرء بغتة.



أُمُّ المثوى:

كنية ربة المنزل. والمثوى: الموضع الذي يُقام به. قال تعالى: *النَّارُ مَثْواكُم خالدينَ فِيهَا*. **الأنعام**:١٢٨ . أي: ذات إقامتكم، ومثوى الرجل: بيته، وأمّ مثوى الرجل: امرأته، وصاحبة منزله، فهي أمّ مثواه. وتُكنّى كذلك: أم المنزل (اللسان: ثوى).

وقيل: هي كنية من تُضيف. يُقال: كانت فلانة البارحة أمّ مثواي: أي مُضيفتي، ومنها قوله تعالى: *وقالَ الَّذي اشْتَراه مِن مصْرَ لامرأته أكْرِمِي مَثْواهُ*. **يوسف**:٢١؛ أي إضافته.

قال عبيدة:

من أمِّ مثوًى كريم قد نزلت بها
إنّ الكريمَ على علاته يَسَع

أمُّ مِلْدَم:

كنية الحُمّى. من اللدم: وهو ضرب الوجه حتى يحمر؛ يقال: ألدمت الحمّى على فلان: أي لزمته ودامت.. وقيل: «أمّ مِلْذم (بالذال المعجمة) من لذم به أي لزمه. قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «أمّ ملدم تأكل اللحم وتشرب الدم» (الكنز ١٠/٢٨٢٣٢)، وقال أيضًا: «إنّ أمّ ملدم تُخرج خبث ابن آدم كما يُخرج الكير خبث الحديد» (الكنز ٣/٦٧٤٩). ومن كُنى الحمّى أيضًا: «أمّ كلبة» وفيها جاء قوله صلى الله عليه وسلم لزيد الخيل: «ابرح فتًى - أي ما أعجبه فتى - إن لم تدركه أمّ كلبة» أي الحمّى (الحيوان ٢/٣٠٨)؛ و«أم الهِبْرزيّ» وفيها قال الشاعر (اللسان: هبرز):

فإن تكُ أمّ الهبرزي تمصَّرتْ
عظامي فَمِنْها ناحِلٌ وكسير

أمُّ المنايا:

كناية عن معظم المنية لأنه أعظم ما يُمنى

به الإنسان. قال الشاعر:

لأمّ المنايا علينا طريقُ
وللدّهْر فينا اتساعٌ وضيقُ

وجعل بعضهم «الدواة» أمّ المنايا، وأمّ العطايا فقال:

قد بعثنا إليك أمّ العطايا
والمنايا زَنْجيَّةَ الأحساب
في حشاها من غير حَرْب حرابٌ
هُنَّ أمْضى من مرهَفَات الحرابِ
لا كِفاءٌ لها ولا لك والد
ـه كفاءٌ في سادةِ الكُتّاب

أمُّ المؤمنين:

كنية عائشة رضي الله عنها، وكذلك كل واحدة من زوجات النبي صلى الله عليه وسلم «أمّ المؤمنين». قيل إنّما سُمِّينَ بذلك تشريفًا لهن، ولأنهن حرام على المؤمنين. قال تعالى: *النَّبِيُّ أَوْلَى بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُم*. **الأحزاب:٦.**



أمُّ نبيط:

هي نائلة بنت الحساس، صحابية، من فواضل نساء عصرها. قالت: أهدينا جارية لنا إلى زوجها، وكنت مع نسوة من بني النجار ومعي دف أضرب به وأنا أقول (أعلام النساء ١٦٣/٥؛ والاصابة ٣١٥/٨):

أتيناكم أتيناكم
فحيونا نحييكم
لولا الذهب الأحمـ
ـر ما حلت بواديكم

قالت: فوقف علينا النبي صلى الله عليه وسلم فقال: ما هذا يا أم نبيط؟ فقلت: بأبي أنت وأمي يا رسول الله.. جارية منا من بني النجار نُهديها إلى زوجها. قال صلى الله عليه وسلم: فتقولين ماذا؟ قالت: فأعدت عليه، فقال صلى الله عليه وسلم: قولي: لولا الحنطة السمراء ما سمن عذاريكم.

أمُّ النُّجوم:

كنية المجرة التي في السماء. قيل: إنما سميت بذلك لأن أكثر النُّجوم حولها. قال تأبط شرًا:

يرى الوحشة الأُنْسَ الأنيسَ ويهتدي
بحيْثُ اهْتدتْ أمُّ النُّجوم الشوابِكِ

وقيل: هي الشمس، وقيل: الثريا، وقيل: السماء. يقال: ما أشبه مجلسك بأمّ النجوم.

ومن كنى الشمس كذلك: «أمّ أنوار السماء»، وأنوار السماء: كواكبها.

قال الشاعر:

أمن ظِلِّي تحيدُ كأن بيني
وبينك أمّ أنوار السماء

(أعلام النساء ١٦٣/٥، والإصابة ٣١٥/٨).



أمُّ ورقة:

هي بنت عبدالله بن الحارث بن نوفل، يقال لها: «أم ورقة بنت نوفل» نسبة إلى جدها الأعلى، صحابية، من فواضل نساء عصرها. كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يزورها في بيتها، ويسميها الشهيدة. لما غزا الرسول صلى الله عليه وسلم بدرًا قالت له: ائذن لي فأخرج معكم فأداوي جرحاكم، وأمرض مرضاكم لعل الله يرزقني الشهادة، فقال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم: «قرّي في بيتك فإن الله يرزقك الشهادة». فكانت تسمى الشهيدة.

وكانت قد جمعت القرآن، كما كانت تؤمّ أهل دارها، وكان لها مؤذن. وكان عندها غلام وجارية فقاما إليها بالليل فغمّياها بقطيفة حتى ماتت، ولما بلغ عمر بن الخطاب ذلك أتى بهما فَصُلِبَا. وكانا أول مصلوبين بالمدينة (الإصابة ٣٢١/٨؛ أعلام النساء ٢٨٤/٥).



أمُّ يقظان:

كنية الحيّة، من اليقظة والانتباه. يقال: رجل يقظ ويقظان أي متيقظ حذر. قيل: سميت بذلك لحذرها وسرعة حركتها. يضرب العرب بها المثل في الانتباه والحذر فيقال: «أحذر من أمّ يقظان» و«أيقظ من أمّ يقظان».

(*) الأمّ (بالضم وتشديد الميم): هي الوالدة في مقابل الأب والوالد. قيل: إن أصلها أمه بزيادة الهاء، ولذا فهي تُجمع على «أمهات» في الناس، و«أمّات» في غير الناس أي البهائم للتفريق؛ ويجوز أن تُجمع على أمّات وأمهات من غير تفريق بين إنسان وغيره (الهادي: أمم)؛ كما يجوز العكس (اللسان: أمم) فقد قال ذو الرمة في الأمهات لغير الآدميين:

سِوَى ما أصابَ الذِّئْبُ منْهُ وسُرْبَةٌ
أطافَتْ بِه من أمهاتِ الجوازِلِ

فاستعمل الأمهات للقطا؛ بينما قال جرير في الأمّات للآدميين:

لقد وَلَدَ الأُخَيْطِلَ أمُّ سَوْءٍ
مُقَلَّدةٌ من الأُمَّاتِ عارا

ولأمّ كنى كثيرة تضاف إليها، وقد تناولنا في مقالنا هذا بعض أهم تلك الكنى مع بيان مدلولاتها.

المراجع:

١- أعلام النساء، عمر رضا كحالة. ط٥، بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٤٠٤هـ / ١٩٨٤م.
٢- ثمار القلوب في المضاف والمنسوب، الثعالبي؛ تحقيق محمد أبوالفضل إبراهيم، القاهرة: دار نهضة مصر، ١٣٨٤هـ/١٩٦٥م، ص٢٤٥-٢٥٢.
٣- الحيوان، الجاحظ، تحقيق عبدالسلام محمد هارون، ط٢، القاهرة: مكتبة عيسى البابي الحلبي، ١٣٥٧هـ.
٤- كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال، المتقي الهندي، ط٥، بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٤٠١هـ/١٩٨١م.
٥- لسان العرب، ابن منظور، القاهرة: دار المعارف، د.ت، مادة «أمم».
٦- معجم الأمثال العربية، خيرالدين شمسي باشا، الرياض: مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، ١٤١٧هـ/١٩٩٧م، ٨٨٤/١-٩٠٧.
٧- معجم التراكيب والعبارات الاصطلاحية القديم منها والمولد، أحمد أبوسعد، بيروت: دار العلم للملايين، ١٩٨٧م، ص٤١-٤٣.
٨- موسوعة أمثال العرب، إميل بديع يعقوب، بيروت: دار الجيل، ١٤١٥هـ/١٩٩٥م، ٤٨٧/٦-٥٣٠.
٩- نهاية الأرب في فنون الأدب، النويري، القاهرة: دار الكتب، د.ت.
١٠- الهادي إلى لغة العرب: قاموس عربي/ عربي، حسين سعيد الكرمي، بيروت: دار لبنان، ١٤١١/١٩٩١م. مادة «أمم».

قصة قصيرة

في الطريق إلى العاصمة

عائشة حمّاوي

في الطريق إلى العاصمة، وعبر نافذة القطار، تراءتْ لها الأرضُ عذراءَ شامخة.. الكثبانُ الرملية المتراصّة صفًا صفًا.. شجيراتُ العرعار الصامدة بصبر وسط عراء ممتد على مرمى البصر.. كل ذلك يوحي بأن الأرض في هذه القفار مازالتْ تحتفظ بأسرارها العجيبة! تساءلتْ في نفسها عن أمها ماذا عساها تصنع في هذه اللحظة.. من المؤكد إنها منغمسة في الدعاء لها بموفور السداد.. وأن قلبها الكبير أضحى يخفق من شدة القلق عليها، على ابنتها الوحيدة وهي تشق طريقها نحو بحار الدنيا المتلاطمة «الدنيا يم لا شطآن له يا ابنتي، فاحذري أن تكوني فيه من الغارقين». انتفضت من مكانها دون شعور منها، فاطمأنت حينما لاحظت أنّ العيون لا ترقبها. السيدتان البدينتان الجالستان قبالتَها في المقصورة شرعتا في الثرثرة؛ بينما بَدَا السيد الجالس إلى جانبها منهمكًا في قراءة كتاب متوسط الحجم. اختلست النظر إلى الغلاف الخارجي للكتاب فقرأت عليه عنوانًا كبيرًا هو «كيف تكون سعيدًا». انتابها شعورٌ غريب هو مزيج من الشفقة والسخرية، ثم سرعان ما تذكرت أنها أحضرت معها ديوان صديقها المتنبي. تناولته برفق من محفظتها وحاولت قراءة بعض الصفحات، بيدَ أنها ما كادت تتجاوز بضعة أبيات حتى ألِفَتْ نفسها تسبح في ملكوت الذاكرة:

قالتْ لها زميلتها وهما يدخلان مكتبة الكلية:

- في حياتي لم أر وفاءً بهذه الحرارة!

استغربت لكلامها فقالت:

- لم أفهم ما تقصدين؟!

قالت زميلتها والتعجب يغمر عينيْها:

- أقصد أنني لا أفهم سرّ ارتباطك الكبير بهذا الديوان!

- آه، تقصدين ديوان المتنبي!

- أجل فأنا لم أرك يومًا تطالعين غيره!

لم تكن تلك هي المرة الأولى التي يعبر فيها زميل أو زميلة عن دهشته من ارتباطها بالمتنبي.. وكانت هي في كل المرات تفضل أن تحتفظ بأسرارها غير آبهة بتقديم ما يعلل موقفها.. آه، تلك أيامٌ لا تُنسى!

- آنستي، ورقة السفرَ من فضلك.

انتبهتْ إلى أن مراقب القطار واقف أمامها. أحستْ بشيء من الخجل والضجر لأنها لاحظتْ أن السيدتيْن البدينتيْن قد كفتّا عن الثرثرة، في حين يبدو أن الرجل الذي كان جالسًا بجوارها قد غادر المقصورة تاركًا كتابه ومتاعه. ربما أراد أن يدخن سيجارة أو يشرب قهوة في المقصف أو يغيّر الهواء... على أيٍ، هذا ليس من شأني.

- شكرًا آنستي.

تناولتْ ورقة السفر من المراقب. ابتسمت له في محاولة لمداراة سهوها. ثم استرقت النظر إلى إحدى السيدتيْن البدينتيْن.. ما أضخم جُثتها لكنْ ما أبله نظراتها. أحستْ في باطنها برغبة في الضحك. لكنها استغفرتْ ربّها وتعجبتْ لهذه النزوات الغريبة التي تنتابها بين الفينة والأخرى. تذكرتْ من جديد أن أمها الآن قلقة الفؤاد عليها، شاردة التفكير فيها. أخذتْ تشعر ببعض العياء يدب في أوصالها. تحركتْ قليلاً فسقط من على ركبتيْها ديوان صديقها المتنبي. تناولته بعناية فائقة ووضعته في أحشاء محفظتها. لاحظتْ وهي تمدّد رجليْها أن ضجيج القطار قد خفّ، كما لاحظت أن إحدى السيدتيْن البدينتيْن تراخت بجسدها إلى الوراء مستسلمةً لنوم عميق؛ بينما أخرجت الثانيةُ «سندويتشًا» وشرعت في التهامه. وأمّا الرجل الذيْ كان غادر المقصورة، فقد عاد إلى مكانه يحمل معه كوبَ قهوة ساخنة وطفق هو الآخر يلتهم سطور كتابه.

في مُحاولةٍ لتجاهل العياء وقتل الضجر تناولتْ محفظتها من جديد وأخرجتْ منها هذه المرة ورقة بيضاء وراحت تقرأ ما هو مكتوب فيها بصمت وتدبّر:

«الآنسة س - م.

الموضوع: قرار تعيين.

بعد السلام، نفيدكم بقرار تعيينكم هذا كاتبة للضبط بمديرية الشؤون العامة بالمقر المركزي لوزارة التخطيط بالعاصمة. لذا يتعين عليكم الحضور إلى العنوان المفصّل أعلاه، مرفوقين بالوثائق المبيّنة أسفله، يوم... على الساعة... وفي حالة الغياب سيعتبر هذا القرار لاغيًا. والسلام».

قبل أن تنتهي من قراءة الورقة، هَوَتْ من عينيْها دمعتان.. لم تدر هل هما للتعبير عن فرحة الحصول على وظيفة بعد طول معاناة وصبر وانتظار، أمْ هما للتعبير عن المرارة التي باتت تستشعرها من جرّاء الابتعاد عن جلال ذلك الوجه المكابد الصبور، وجه أمها التي هي كل دنياها!! مجرد التفكير في أمها جعلها تحس بالإشراق يغمرها.. وراحت تردد في نفسها بيتَ شاعرها الأثير:

نحنُ أدرى وقد سألنا بنجْد

أقصيرٌ طريقُنَا أمْ يطولُ؟

عاودتها الرغبة في قراءة المتنبي ثانيةً، فتناولتْ ديوانه وشرعتْ تحلّق عبر أنوار الشعر ونيرانه. لحدّ الساعة هي لا تدري حقيقة السر الذي دفعها إلى إفراد المتنبي بكل هذه الصداقة والعناية والاحتفاء، ولحدّ الساعة مازالت تشعر في قرارتها بلذة الاحتفاظ بأسرارها الدفينة!

وفي غمرة الغوص في لجج الكلمات ومحاراتها وجدتْ نفسها تفكر في أيامها الآتية.. كيف ستقضيها؟ وأين؟

«سأبدأ بالفندق - قالتْ - ثم سأبحث عن غرفة مناسبة للإيجار. وعندما تتحسّن الأوضاع وأستقر سألحق بي أمي ليجتمع الشمل وتعم خيراتُ الله الدانية و... و... أحست فجأة أن العياء قد تمكّن منها وأنه لا سبيل إلى مقاومته، فضمتْ ديوان المتنبي إلى صدرها واستسلمت لغفوة مؤقتة.

استفاقتْ من غفوتها على صوت المراقب وهو يقول: «بعد ربع ساعة سنكون في العاصمة».

أحستْ بالقشعريرة تندفع إلى مسام جلدها كما أحستْ بخليط من النشوة والرهبة يجتاح دواخلها. الرجل الذي كان جالسًا إلى جانبها حمل كتابه ومتاعه وخرج، بينما السيدتان البدينتان عادتا إلى الثرثرة.

وعندما توقف القطار ووضعت أولى خطواتها على أرض العاصمة، تناهى إلى سمعها صوتٌ من أعماقها يقول: «هذه هي العاصمة.. قطرة في بحر الدنيا الذي بلاَ شطآن. اللهم لا تجعلني فيها من الغارقين!».

الحركة الثقافية في شهر

مهرجان في الشارقة عن الثقافة العمانية ، وآخر في البحرين لشعراء مجلس التعاون ، وثالث في الكويت عن كاظمة وابن لعبون

صدور مجلات جديدة ، وإقامة مهرجانات ثقافية في أنحاء عدة من العالم

مؤسسة ثقافية سعودية جديدة تمنح أربع جوائز في الإبداع الشعري ونقد الشعر والبحوث والدراسات

اكتشاف قصيدة مجهولة للرصافي ، ومخطوطة لأيان فيلمنج عن الكويت

اتحاد الكتاب العرب في دمشق يناقش التطبيع وأدب الطفل

الكويت تقيم معرضًا للفن الإسلامي في لشبونة ، ومعهد العالم العربي في باريس يقيم معرضًا عن آثار اليمن

الخوف من السيطرة الآلية لوسائل الإعلام يلقي بظلاله على معرض فرانكفورت للكتاب

مسابقة روائية عن حياة الملك عبدالعزيز



الملك عبدالعزيز آل سعود

أعلنت مكتبة الملك عبدالعزيز العامة بالرياض عن مسابقة مفتوحة للروائيين العرب كافة في مجال الرواية التاريخية من خلال كتابة رواية تستمد أحداثها من حياة الملك المؤسس عبدالعزيز آل سعود، رحمه الله. واشترطت المكتبة التزام الروائي اللغة العربية الفصحى والقواعد الفنية لكتابة الرواية التاريخية، إلى جانب التزام روح الحدث التاريخي المطابق مع حقيقة الواقع، وروح المنهج الإسلامي في عرض أحداث الرواية. وتحدد اليوم الثاني من شهر ذي القعدة المقبل ١٤١٨هـ موعدًا نهائيًا لاستلام المشاركات.

يُذكر أن المكتبة خصصت ثلاث جوائز قيمتها على التوالي: ٢٠ ألف ريال، ١٥ألف ريال، ١٠آلاف ريال.

جائزة الأمير ماجد للبيئة

يُنتظر أن يتم قريبًا الإعلان عن جائزة للبيئة تحمل اسم الأمير ماجد بن عبدالعزيز أمير منطقة مكة المكرمة، وتبلغ قيمتها نصف المليون ريال.

ويُتوقع أن تتضمن مجالات وموضوعات معينة من بينها: البحوث العلمية في مجال البيئة، والإعلام بوسائله المختلفة ودوره في التوعية البيئية، والكتب التي تُعنى بالبيئة والحفاظ عليها، والنشاطات التطوعية في هذا المجال.

الأمير سلطان بن سلمان افتتح معرض «عالم الزواحف»

افتتح صاحب السمو الملكي الأمير سلطان بن سلمان بن عبدالعزيز رئيس اللجنة الاستشارية لواحة العلوم في يوم ٥ رجب الماضي معرض «عالم الزواحف» الذي تتبناه واحة العلوم التابعة للهيئة العليا لتطوير مدينة الرياض بالتعاون مع متحف هاني العوفي للحياة الفطرية.

وقصد المعرض - الذي أقيم في مبنى واحة العلوم بحي السفارات - إلى نشر الثقافة العلمية بطريقة علمية مشوقة، والتعريف بأنواع عديدة من الكائنات الحية.

رافق المعرض نشاط ثقافي اشتمل على ورشة عمل في علاج لدغات الثعابين، وثلاث محاضرات عن تجربة إنتاج الأمصال في المملكة، ودور الثعابين في النظام البيئي، وأنواع الثعابين في المملكة، إضافة إلى محاضرات أخرى عن الزواحف.

ندوة تحاورية حول صحيفة «الوطن»

عقد فريق العمل المكلف إعداد الدراسات التأسيسية لصحيفة «الوطن» المقرر صدورها خلال الصيف المقبل في منطقة عسير، ندوة تحاورية مع عدد من أبرز الإعلاميين والمعنيين بالإعلام والثقافة في المملكة العربية السعودية لتَعَرُّف آرائهم ومقترحاتهم.

دار الحوار خلال الندوة عبر أربعة محاور: التوجه الأساسي للصحيفة، والأهداف التي ترمي إلى تحقيقها، والسياسات التحريرية العامة، ومضمون الصحيفة والنِّسَب التي تُخَصَّص

للنشاطات المختلفة من سياسة واقتصاد وثقافة وكاريكاتير، إلخ.. والشكل الأمثل للصحيفة من حيث الحجم وعدد الصفحات وطبيعة الإخراج، وأخيرًا الإصدارات المتخصصة ونوعيتها وموضوعاتها ودورية صدورها.

يُذكر أن فريق العمل قام بزيارة لكبريات دور الصحف في الولايات المتحدة وبريطانيا وفرنسا وألمانيا للاطلاع على أحدث التقنيات الصحافية والمطبعية والمعلوماتية فيها.

إعلان نتائج جائزة المدينة المنورة للبحث العلمي والخدمات العامة

أُعلنت - مؤخرًا - أسماء الفائزين بجائزتي البحث العلمي والخدمات العامة في جائزة المدينة المنورة.

فاز بجائزة البحث العلمي في مجال العلوم الشرعية، وموضوعها «الغلو في الدين: الأسباب والمظاهر والعلاج»، الدكتور عبدالرحمن بن معلا اللويحق من جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، وجاء في حيثيات منحه الجائزة: أن من مسوغات الفوز: وحدة الموضوع وسلامة المنهج، وتطور شخصية الباحث؛ فقد ابتكر أفكارًا جديدة وطرقًا مفيدة في عرضها.

أما جائزة الخدمات العامة في مجال الخدمات الاجتماعية، ففاز بها الأستاذ سليمان بن حامد بن محمد الأحمدي نظرًا لمشاركاته العديدة في إصلاح ذات البين، وقيامه بحفر العديد من الآبار في الأماكن المحتاجة إليها في منطقة المدينة المنورة. وفي مجال المرافق والخدمات العامة مُنحت الجائزة لمعالي المهندس عبدالعزيز بن عبدالرحمن الحصين أمين المدينة المنورة، ومن مسوغات هذا الاختيار مشاركته الفعالة في توفير مواقع مراكز الأحياء ودعم نشاطاتها، بالإضافة إلى جهوده الخيرة في تنفيذ المنشآت اللازمة للعديد من المرافق الحكومية والاجتماعية والرياضية والثقافية، وتشجيع أصحاب رؤوس الأموال على الاستثمار في تنفيذ العديد من مشروعات المرافق والخدمات.

ومُنحت جائزة أخرى في هذا المجال لشركة عزيز المحدودة للمقاولات والخدمات، ومن مسوغات الفوز الكفاءة العالية في تنفيذ الأعمال الموكلة إليها.

وفي مجال التصميم المعماري، فاز مشروع مباني مدرسة دار الحديث ومكتبة أهل الحديث بالمدينة المنورة، وقام بالتصميم شركة أبا الخيل - مهندسون استشاريون بالتعاون مع مكتب جعفر طوقان وشركاه.

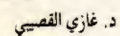
المؤتمر العام للإيسيسكو

تستضيف مدينة الرياض - حاليًا - المؤتمر العام للمنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة (الإيسيسكو)، الذي بدأ قبل أيام ويستمر حتى التاسع من شهر شعبان الجاري (٩ ديسمبر ١٩٩٧م) بمشاركة وزراء يمثلون ٤٤ دولة عضوًا في المنظمة.

يناقش المؤتمر موضوعات عدة تتعلق بمجالات عمل المنظمة، منها: جعل الثقافة الإسلامية محور مناهج التعليم، وحماية الشخصية الإسلامية للأقليات المسلمة في العالم، ودعم العلوم والثقافة في الدول الأعضاء، ومستقبل التربية والتنمية في العالم الإسلامي، وتوطين التقنية في العالم الإسلامي، وجهود الإيسيسكو وسبل تفعيلها، والجمهوريات الإسلامية المستقلة: واقعها وتطلعاتها.. وموضوعات أخرى.

الفائزون بجوائز علي وعثمان حافظ الصحفية

أُعلنت - مؤخرًا - أسماء الفائزين بجوائز علي وعثمان حافظ الصحفية في مجالاتها المختلفة لعام ١٩٩٦م.



د. غازي القصيبي

وقد اختير السفير الشاعر د. غازي بن عبدالرحمن القصيبي لينال جائزة مفكر العام. وفاز بجائزة الرسائل الأكاديمية في الدراسات الصحفية د. بخيت محمد درويش (مصري) عن رسالة الدكتوراه التي قدمها لجامعة القاهرة عام ١٩٩٦م بعنوان «قيم الأخبار في الصحافة المصرية للفترة من ١٩٨٦- ١٩٩٥م». ونال جائزة المقالة د. تركي الحمد (السعودية) عن مقالاته التي تنشرها صحيفة الشرق الأوسط.

وتقاسم جائزة الكاريكاتير كل من: سامي الملك (سوداني) عن رسومه في جريدة «الاتحادي»، وياسين الخليل (سوري) عن رسومه في جريدة «المستقلة» الصادرة في لندن، و«العرب» الصادرة في قطر، و«الوطن» الصادرة في سلطنة عمان.

كما تقاسم جائزة العمود الصحفي كل من: عبدالله الحكيم ووفاء كريدية (سعوديان) عن عموديهما في «الاقتصادية».

وتقاسم جائزة التحقيقات الصحفية كل من: فاطمة علي محمد عطية (مصرية) عن تحقيقاتها حول البوسنة والهرسك بعد اتفاق دايتون، التي نُشرت في مجلة «آخر ساعة»، وأمجاد رضا (سعودية) عن تحقيقاتها حول سكان الأربطة في جدة، التي نُشرت في جريدة «عكاظ».

وكانت مفاجأة للفائزين بعد أن أعلن رئيس مجلس إدارة المجموعة السعودية للأبحاث والتسويق صاحب السمو الملكي الأمير أحمد بن سلمان بن عبدالعزيز عن قراره بمضاعفة قيمة الجوائز من جيبه الخاص، لتكون بواقع عشرين ألف دولار جائزة مفكر العام مع ميدالية ذهبية، وعشرة آلاف دولار وميدالية فضية لكل فرع من فروع الجائزة.

أسبوع الجوف السادس

نظمت مؤسسة الأمير عبدالرحمن السديري الخيرية - مؤخرًا - أسبوع الجوف السنوي السادس، الذي يعد تظاهرة ثقافية فنية علمية متميزة ومتنوعة.

وفضلاً عن توزيع جائزة الأمير عبدالرحمن السديري، اشتمل الأسبوع على نشاطات ثقافية تضمنت ندوات ومحاضرات ولقاءات، إلى جانب معارض للفنون التشكيلية، والمنسوجات اليدوية، ومعرض للكتاب شارك فيه ٣٠ ناشرًا محليًا ودوليًا وعربيًا وأجنبيًا، عرضوا ما يزيد على عشرة آلاف عنوان، كما أقيمت مسابقات رياضية ومعرض زراعي.

ندوة تأصيل العمارة المحلية في مناهج التعليم الجامعي

استضافت مدينة الرياض ندوة علمية عن «تأصيل العمارة المحلية في مناهج التعليم العمراني في الجامعات السعودية» خلال يومي ٥، ٦ رجب الماضي.

أقيمت الندوة في رحاب كلية العمارة والتخطيط بجامعة الملك سعود، ورمت إلى إبراز التراث العمراني للمدن السعودية وهوية المجتمع وتاريخه.

كتب جديدة

فكر القائد، تأليف الأميرة جواهر بنت عبدالعزيز بن عبدالله بن جلوي. صدر عن دار العقل للطباعة الألكترونية في الرياض.

رائحة المدن، مجموعة قصصية لجار الله الحميد.

إنتاج الوهم أو عباءة الثقافة، تأليف جاسر عبدالله الجاسر.

صدر الكتابان السابقان عن نادي جدة الأدبي الثقافي

بلغت قيمتها مليون ريال:

إعلان شروط جائزة أبها للتفوق العلمي وأفرعها


صاحب السمو الملكي
الأمير خالد الفيصل بن عبدالعزيز

أعلنت أمانة جائزة أبها ـ فرع التعليم الجامعي ـ عن أفرع مسابقتها للعام الحالي ١٤١٨ ـ ١٤١٩هـ، وقد رُصدت لها جائزة مالية مقدمة من صاحب السمو الملكي الأمير خالد الفيصل بن عبدالعزيز أمير منطقة عسير، وقدرها (٢٥٠,٠٠٠) مائتان وخمسون ألف ريال.

علمًا بأن الجائزة تبلغ في مجملها وفي أفرعها الأربعة: الخدمة الوطنية ـ الثقافة ـ التعليم الجامعي ـ التعليم العام مليون ريال مقدمة من سموه.

وفيما يلي أفرع المسابقة مفصلة مع شروطها:

أولاً: التفوق العلمي: وقد خُصِّصت لأفضل ثلاثة طلاب أو طالبات من المتفوقين المتميزين في مرحلة التخرج في كل كلية من كليات المنطقة، ويتم الترشيح من طريق عميد أو عميدة الكلية، ومقدار جائزتها ثلاثة آلاف ريال لكل فائز مع شهادة تقدير.

ثانيًا: التربية الوطنية وتشمل المسابقات التالية:

أ ـ مسابقة القرآن الكريم: حفظ الأجزاء الثالث والرابع والخامس مع معرفة معاني الآيات والألفاظ، والمرجع هو «كلمات القرآن» للشيخ مخلوف.

ب ـ مسابقة البحوث والدراسات وهي على النحو التالي:

١ـ البحوث الأدبية: ويكون عنوان البحث «الشورى: المفهوم والتطبيق في المملكة العربية السعودية».

٢ ـ البحوث العلمية: ويكون البحث بعنوان «التنمية بين الإنتاج والاستهلاك في المملكة العربية السعودية».

ج ـ مسابقة المهارات العلمية والفنية وتشمل الآتي:

١ـ الابتكارات: يتقدم الطالب أو الطالبة بعمل مبتكر ذي تطبيق محسوس في الحياة العملية، أو تطوير عمل موجود بالفعل سبق ابتكاره بالشروط التالية:

أن يقدم المبتكر تقريرًا مختصرًا عن ابتكاره، وإذا كان الابتكار تطويرًا لعمل موجود فيركز التقرير على هذا التطوير.

٢ـ الرسم: يتقدم الطالب أو الطالبة بعمل فني مبتكر تُستخدم فيه الألوان الزيتية أو الشمعية أو الفحم الملون وتكون مساحة العمل الفني ٦٠ سم × ٨٠ سم.

٣ـ المهارات الأدبية: ويندرج تحتها:

ـ الشعر الفصيح.

ـ القصة القصيرة.

على أن يتقدم الطالب أو الطالبة بقصيدتين أو قصة قصيرة في أي من

قراءة في ملامح الزمن، تأليف د. يحيى محمود الساعاتي، صدر عن دار ابن حزم بالرياض.

الخروج من المرآة، ديوان لفيصل أكرم، صدر عن نادي الرياض الأدبي.

في بلاغة الدعاء النبوي، تأليف د. عبدالرزاق محمد محمود فضل، صدر عن رابطة العالم الإسلامي في مكة المكرمة.

استراتيجية لمستقبل التربية والتعليم والعمل، تأليف محمد بن صنيتان، صدر عن دار القبلة للثقافة الإسلامية في جدة.

الخطاب والقارئ: نظريات التلقي، تأليف د. حامد أبو أحمد، صدر ضمن سلسلة «كتاب الرياض» عن مؤسسة اليمامة الصحفية في الرياض.

المرأة والأرقام القياسية، تأليف عبدالرحمن الدوسري (ابن الجزيرة)، صدر عن دار سلمى للنشر والتوزيع.

محاضرات وندوات

«الأمة الوسط والمنهج النبوي في الدعوة»، عنوان محاضرة ألقاها في المدينة الجامعية في جامعة الملك فهد للبترول والمعادن بالظهران د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي.

«الدراسات النقدية للقصة القصيرة في الصحافة السعودية»، موضوع محاضرة ألقاها في مقر الجمعية العربية السعودية للثقافة والفنون بالرياض د. عثمان محمود صيني.

نظم فرع الجمعية العربية السعودية للثقافة والفنون في جدة أمسية شعرية شارك فيها الشعراء: د. محمد الخطراوي، ومحمد الثبيتي، وعبدالله الخشرمي، ومحمد زايد الألمعي، وقدم الأمسية وأدارها د. عبدالله المعطاني.

«حكم القانون في المملكة العربية السعودية»، عنوان محاضرة ألقاها في معهد الدراسات الأفريقية والشرقية بجامعة لندن البروفسور فرانك فوجل.

«الصحافة الكويتية: مسيرة واهتمام»، عنوان محاضرة ألقاها في معسكر الصمود بالمباركية في الكويت عدنان خليفة الراشد.

«الحداثة والذاكرة الشعرية»، عنوان محاضرة ألقاها في الرباط بدعوة من المجلس القومي للثقافة العربية خليفة التليسي.

«البعد الدولي لرحلة ابن بطوطة»، عنوان محاضرة ألقاها في مؤسسة الملك عبدالعزيز آل سعود للدراسات الإسلامية والعلوم الإنسانية في الدار البيضاء د. عبدالهادي التازي.

«أضواء على الآثار الإسلامية في مكة المكرمة»، موضوع محاضرة ألقاها في نادي مكة الثقافي الأدبي د. ناصر علي الحارثي.

«تاريخ مدينة كُتب بالضوء»، عنوان محاضرة ألقاها في نادي أبها الأدبي أنور محمد خليل عسيري.

«طه حسين والتنوير»، عنوان ندوة نظمها اتحاد كُتّاب مصر، تحدث فيها د.



الموضوعات التالية:
- أبرز مظاهر النهضة في المملكة.
- تأكيد المعاني الوطنية والأحداث التاريخية المضيئة في مسيرة المملكة.
- إبراز دور المملكة في نُصرة القضايا الإسلامية ودورها في المجالات الدولية.
- تناول ظاهرة من الظواهر البيئية في منطقة عسير.
- وصف ظاهرة اجتماعية في المجتمع الخليجي.
- معالجة بعض قضايا الشباب المعاصر مع التركيز على أهمية انتمائهم وولائهم لبلدهم وأمتهم بالشروط التالية:

أ - أن تكون الأعمال المقدمة باللغة العربية الفصحى.
ب - أن تشتمل على رؤية إبداعية مبتكرة.
ج - القصة القصيرة يجب ألا تزيد على عشر صفحات، وأن تستوفي العناصر الفنية للقصة القصيرة.

وتُقَدَّر الجوائز لجميع المسابقات أعلاه على النحو التالي:
الجائزة الأولى: خمسة آلاف ريال.
الجائزة الثانية: ثلاثة آلاف ريال.
الجائزة الثالثة: ألفا ريال.
مع شهادة تقدير في الحفل الختامي للجائزة.
أما شروط العامة للمسابقة فهي:
- أن يكون المتسابقون والمتسابقات من الطلاب والطالبات المنتظمين في كليات منطقة عسير.
- ألا يكون العمل المقدم سبق أن فاز بجائزة أخرى.

ويُشترط في الأعمال الكتابية أن تكون بخط واضح أو بالآلة الكاتبة وتقدم من ثلاث نسخ.
وسيكون آخر موعد لاستقبال أعمال المتسابقين يوم الثلاثاء ١٤١٩/١/١٩هـ.

الإمارات

أيام في الشارقة للثقافة العمانية

استضافت الشارقة - مؤخرًا - أيامًا للثقافة العمانية تضمنت معارض للفن التشكيلي والتصوير الضوئي والحرف والمشغولات اليدوية التقليدية.

وأقيمت ندوة علمية تحت عنوان «ملامح من تاريخ وتراث عمان»، كما أحيا نخبة من الشعراء العمانيين أمسيات شعرية لاقت حضورًا كبيرًا من محبي الشعر، وقدمت «الفرقة السلطانية الأولى للموسيقى والفنون الشعبية» عروضًا تجاوب معها الجمهور.

كتب جديدة

ثنائية مجبل بن شهوان: الحب والغضب، ثنائية روائية لعلي أبي الريش، صدرت عن مؤسسة الاتحاد في أبي ظبي.

المياه في العالم العربي: آفاق واحتمالات المستقبل (مجموعة دراسات ندوة أقيمت تحت العنوان نفسه عام ١٩٩٣م) تحرير بيتر روجرز، وبيتر ليدون، صدرت عن مركز الإمارات للدراسات والبحوث الاستراتيجية.



البحرين

المهرجان الثالث لشعراء مجلس التعاون

استضافت المنامة - مؤخرًا - مهرجان الشعر الثالث لدول مجلس التعاون لدول الخليج العربية، بمشاركة مجموعة من أبرز شعراء ونقاد وكُتّاب دول المجلس.

وفضلاً عن القراءات والأمسيات الشعرية، أقيمت ندوة تناولت القصيدة الحديثة في الخليج، كما نوقشت مجموعة من الأبحاث والدراسات المتعلقة بالحركة الشعرية في أقطار دول المجلس.

أحمد هيكل، و د. عبداللطيف عبدالحليم.

«التقنية في أدب الأطفال»، موضوع محاضرة ألقتها في جمعية أدب الأطفال بفرع اتحاد الكُتّاب العرب في حلب، لينا الكيلاني.

«الاستقامة»، عنوان محاضرة ألقاها في مسجد الغبان بمحافظة الوجه في السعودية الشيخ عبدالرحمن صمايل السلمي.

«البعد الحضاري والتاريخي لحرب أكتوبر»، موضوع ندوة نظمتها مكتبة القاهرة الكبرى في مقرها بالجيزة، بمشاركة كل من اللواءين عبدالمنعم واصل وعبدالمنعم خليل، والأديب جمال الغيطاني، وأدار الندوة محمد حمدي.

«ظاهرة الضواحي في أدب جون إبدايك وتوماس بنتشون»، عنوان محاضرة ألقاها في قاعة فويس بوكس بمركز ساوث هول في لندن فيليب هنسر.

«حماية المقتنيات الثقافية من الكوارث»، عنوان محاضرة ألقاها في قاعة المحاضرات الكبرى بمكتبة الملك فهد الوطنية في الرياض ديفيد وليم جيكوب.

«إطلالة على السيرة الذاتية في الأدب السعودي»، عنوان محاضرة ألقاها في أحدية المبارك الثقافية بالأحساء عبدالله الحيدري.

«ألمانيا الموحدة هل توحدت؟»، عنوان محاضرة ألقاها في أكاديمية الملك فهد في بون د. إسكندر الديك.

«الحركة الثقافية في موريتانيا»، موضوع محاضرة ألقاها في رواق عوشة بنت الحسين الثقافي بدبي الشاعر سيدي ولد الأمجاد.

نظم فرع اتحاد كتاب الإمارات وأدبائها في أبو ظبي أمسية شعرية أحياها الشعراء: لميعة عباس عمارة، وكريم معتوق، وإبراهيم علان، وعبد القادر الكتيابي.

«جارات أبي موسى»، رواية أحمد التوفيق، كانت موضوع لقاء نقدي نظمه المكتب المركزي لاتحاد كُتّاب المغرب، شارك في النقاش: أحمد اليابوري، وأحمد بو حسن، ومصطفى الشاذلي، وعبدالأحد السبتي.

أحيا الشاعر الأسترالي ليس موري أمسية شعرية في قاعة بورسيل روم في ساوث هول بلندن.

الكويت

مهرجان كاظمة للتراث وملتقى ابن لعبون

شهد شهر جمادى الآخرة الماضي إقامة مهرجان كاظمة للتراث الإسلامي في دورته الثانية، وملتقى ابن لعبون.

نظم مهرجان كاظمة الصندوق الوقفي للثقافة والفكر، وأقيم في مقر الجمعية الكويتية للفنون التشكيلية في حولي، بقصد التعريف بالعمق التاريخي والأبعاد الحضارية لمنطقة كاظمة، والإسهام بالتعريف بالفنون والحرف الإسلامية، والتوعية بدور الإعلام في خدمة الثقافة الإسلامية وفكرها الأصيل، وذلك من خلال تنظيم مجموعة من المحاضرات والندوات والأمسيات ومعارض الكتب والمعارض الفنية والتشكيلية. ومن أهم الفعاليات التي أقيمت ندوة عن «موقع الإعلام في المشروع الحضاري الإسلامي»، شارك فيها مجموعة من العلماء والمفكرين منهم: الشيخ د. يوسف القرضاوي، ود. عبدالقادر طاش، والفنان حسن يوسف، وزهير المزيدي، ومايسة عبدالرحمن. كما أقيم معرض لروائع الخط العربي، وآخر للسيوف الإسلامية، ومعرض لكتب الفنون الإسلامية.

أما ملتقى ابن لعبون فقد نظمته مؤسسة جائزة البابطين للإبداع الشعري، وحمل اسم محمد بن لعبون أحد أبرز شعراء الخليج والجزيرة العربية الذين كتبوا الشعر النبطي، حتى لقبه بعضهم بأمير شعراء النبط، ومتنبي الشعر النبطي.

ومحمد بن لعبون من مواليد عام ١٢٠٥هـ في قرية ثادق بمنطقة سدير بالمملكة العربية السعودية، ونبغ في الشعر النبطي، ومات بالطاعون عام ١٢٤٧هـ.

وشهد الملتقى إقامة ندوة رئيسة قُدِّمت فيها سبعة بحوث تدور حول القصيدة النبطية: النشأة، الإشكالية، الأعراض، الموسيقى، فضلاً عن دراسات حول ابن لعبون وشعره وريادته. كما أقيمت أربع محاضرات وأربع أمسيات شعرية، ومجموعة من العروض الشعبية.

كتب جديدة

الله والجماعة، تأليف محمد سليمان غانم، صدر عن دار قرطاس.

الاقتصادالسياسي لـلبطالة: تحليل لأخطر مشكلات الرأسمالية المعاصرة، تأليف د. رمزي زكي، صدر ضمن سلسلة «عالم المعرفة» عن المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب.

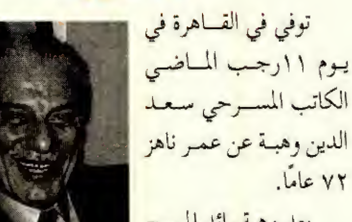


مصر

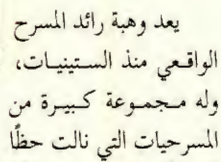
وفاة الكاتب المسرحي سعد الدين وهبة



سعد الدين وهبة



توفي في القاهرة في يوم ١١رجب الماضي الكاتب المسرحي سعد الدين وهبة عن عمر ناهز ٧٢ عامًا.



يعد وهبة رائد المسرح الواقعي منذ الستينيات، وله مجموعة كبيرة من المسرحيات التي نالت حظًا كبيرًا من الشهرة، من أهمها: «السبنسة»، و«سكة السلامة»، و«كفر البطيخ»، و«كوبري الناموس»، و«الحيطة بتتكلم»، و«رأس العش» و«المحروسة»، وتحولت هذه المسرحية الأخيرة إلى مسلسل تلفازي بعنوان «المحروسة الثانية».

وأعد الكاتب الراحل (سيناريوهات) عدد من الأفلام السينمائية مثل: «أريد حلاً»، و«زقاق المدق»، و«مراتي مدير عام».

وقد تخرج في كلية الشرطة عام ١٩٤٩م، ثم نال عام ١٩٥٦م درجة الليسانس من قسم الفلسفة بكلية الآداب جامعة القاهرة، وتولى إدارة تحرير صحيفة «الجمهورية» من عام ١٩٥٨م إلى ١٩٦٤م.

ومُنح جائزة الدولة التقديرية في عام ١٩٨٨م، ووسام العلوم والفنون في عام ١٩٩٠م، كما حاز وسام جوقة الشرف الفرنسي من رتبة ضابط عام ١٩٧٦م.

مؤسسة ثقافية سعودية تمنح ٤ جوائز جديدة

تأسست ـ مؤخرًا ـ في القاهرة مؤسسة ثقافية يرعاها رجل الأعمال والدبلوماسي السعودي السابق عبدالرحمن إبراهيم العلي التركي، وتحمل اسم «مؤسسة ابن تركي للإبداع الشعري والبحوث الفكرية والتراث».

بدأت المؤسسة نشاطاتها بالإعلان عن أربع جوائز تعتزم منحها سنويًا، وتشكيل مجلس أمناء للجائزة التي تحمل اسم المؤسسة برئاسة السفير الشاعر أحمد الغمراوي، وعضوية مجموعة متميزة من أدباء ومفكري ومثقفي عدد من الأقطار العربي، وكذلك الإعلان عن إقامة منتدى ثقافي شهري بمقر أمانة الجائزة يلتقي فيه المثقفون العرب، إلى جانب الندوات الثقافية المقرر أن تصحب توزيع الجوائز.

والجوائز التي تقررت هي كالتالي: جائزة الإبداع الشعري، وقيمتها ٢٥ ألف دولار، وتُمنح لأفضل عمل شعري نُشر خلال السنوات الخمس الأخيرة ولم يسبق له الفوز بجائزة.

جائزة نقد الشعر، وقيمتها ١٠آلاف دولار، وتُمنح للأعمال المتصلة بنقد الشعر أو تحقيقه أو ترجمته من العربية أو نشر أحد الأعمال التراثية المحققة على أن يكون العمل قد نُشر خلال السنوات الخمس الأخيرة، ولم يسبق فوزه بجائزة مماثلة.

جائزة البحوث وقيمتها ٢٥ ألف دولار، وتُمنح لعمل متميز يتناول الاستراتيجية والتخطيط المستقبلي للعالم العربي الإسلامي، بما يخدم الأمة ويساعد على حل مشكلاتها.

جائزة الدراسات القومية وقيمتها ١٠آلاف دولار، وتُمنح لأفضل الأعمال في مجال متغير من الدراسات القومية يحدده مجلس الأمناء سنويًا.

توصية بإنشاء جمعية عربية للنقد الأدبي

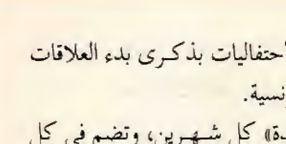
دعا المؤتمر الدولي الأول للنقد الأدبي في ختام جلساته بالقاهرة إلى تكوين جمعية عربية للنقد الأدبي. وناشد المؤسسات الثقافية أن تدعم نشاطات الجمعيات الأدبية والنقدية والعربية، مطالبًا بوجودها في كل بلد عربي.

واتخذ المؤتمرون احدى عشرة توصية من أبرزها: توصية بإصدار حولية للنقد الأدبي، وزيادة تمثيل الباحثين الشباب في المؤتمرات المقبلة، ورفع نسبة تمثيل الباحثين الأجانب فيها. وتقرر أن يقام المؤتمر الثاني عام ٢٠٠٠م.

توصية بإنشاء شبكة إنترنت عربية

أوصت الندوة الثامنة لاتحاد المكتبات والمعلومات العربية، في ختام اجتماعاتها بمقر الجامعة العربية في القاهرة في مطلع شهر رجب الماضي، الحكومات العربية بضرورة تسهيل تأسيس شبكات معلومات وطنية، وشبكات اتصال، بحيث تكون نواة شبكة «إنترنت عربية» تربط العالم العربي بالمصادر العالمية للمعلومات.

وطالب المشاركون في الندوة، الذين يمثلون



٩١ دولة عربية، بإيجاد سياسة عربية موحدة إزاء الجديد في تقنية المعلومات ووسائلها ومصادرها في العالم. ووضع إخصائيي وأمناء المكتبات في المكانة اللائقة بهم، بوصفهم من أهم أدوات التنمية العربية الشاملة.

وشددت الندوة على ضرورة تحقيق وحدة المعرفة العربية والتفاهم الدولي، وتحقيق تكامل عربي في مجال المعلومات، وتشجيع القطاع الخاص ودعمه للإسهام في مجال المعلومات، وتطوير علوم المكتبات في الجامعات العربية بما يواكب التطورات العالمية الحديثة، وتوصيات أخرى.

متحف جديد للآثار المصرية

تُعدّ حاليًا الترتيبات الخاصة بافتتاح متحف جديد للآثار المصرية في مدينة السادات خلال العام الميلادي المقبل ١٩٩٨م، بعد أن صدرت موافقة وزير الثقافة فاروق حسني على إقامته، ليضم تاريخ مصر في عصوره القديمة والحديثة، بدءًا من العصر الفرعوني إلى عهد الرئيس محمد حسني مبارك.

وتم بالفعل إنشاء مبنى المتحف على مساحة ١٠ آلاف متر مربع؛ حيث قُسم قسمين: الأول يضم القاعات المغلقة، والثاني متحف مفتوح.

خمسة فروع جديدة لمكتبة مبارك العامة

وُقِّعت - مؤخرًا - اتفاقية مصرية/ ألمانية لإنشاء خمسة فروع جديدة لمكتبة مبارك العامة في أحياء متفرقة من القاهرة الكبرى.

ويُنتظر أن ترتبط الفروع ببعضها بعضا وتديرها المكتبة الأم. واختير مبنى في حي الزيتون ليكون أول الفروع، التي يُنتظر أن تمتد في السنوات المقبلة لتشمل شبكة متكاملة من المكتبات تتيح إيصال الكتاب والمادة المسموعة والمرئية للمستفيدين في مناطق متعددة من القاهرة الكبرى.

صدور مجلة «التأصيل»

شهدت الساحة الأدبية والثقافية في مصر صدور العدد الأول من مجلة «التأصيل»، التي تصدرها جماعة التأصيل الأدبي والفكري بالقاهرة، ويرأس مجلس إدارتها الدكتور عبدالحميد إبراهيم. وتتبنى الجماعة - كما أعلنت في بيانها التأسيسي الصادر بالمجلة - الأخذ باعتدال من جميع الحضارات والثقافات دونما تطرف أو انغلاق أمام أي منها.

«الجريدة»

هذا هو اسم صحيفة خاصة صدر عددها الأول - مؤخرًا - عن المركز الثقافي الفرنسي بالقاهرة. متضمنًا تفاصيل الاحتفاليات بذكرى بدء العلاقات الثقافية المصرية/ الفرنسية.

تصدر «الجريدة» كل شهرين، وتضم في كل عدد تفاصيل عن جميع التخصصات العلمية والثقافية والتعليمية بالمركز.

مؤتمران دوليان في مئويتي الحكيم وناجي

يعد المجلس الأعلى للثقافة لتنظيم مؤتمرين دوليين خلال العام الميلادي المقبل بمناسبة مئويتي الأديب الراحل توفيق الحكيم والشاعر الراحل إبراهيم ناجي.

كما وضع المجلس خطة للاحتفاء بأدباء ونقاد ومفكرين راحلين من بينهم: عبدالرحمن الشرقاوي، وعلي أدهم، ود. يوسف خليف، ومحمد عثمان جلال.

رحيل عميد الجغرافيين العرب

توفي الدكتور محمد السيد غلاب، عميد الجغرافيين العرب، وعضو مجمع اللغة العربية.

وللفقيد عطاء امتد خمسين عامًا، وتخرجت على يديه أجيال وأجيال، وكان ضمن أول بعثة سافرت إلى إنجلترا بعد الحرب العالمية الثانية مباشرة، واستهوته الدراسات الجغرافية التي شملت، إلى جانب مصر وسورية، فلسطين ولبنان وامتدت لتشمل بلدانا في آسيا وأفريقيا وأوربا. ويعود إليه الفضل في إدخال جغرافية العمران إلى جامعة الاسكندرية، كما عمل على تأصيل جغرافية السكان، ثم انتقل إلى جامعة القاهرة عميدًا لمعهد الدراسات الأفريقية.

وأهلته شخصيته وأبحاثه ونجاحاته لعضوية المجلس العلمي المصري، والمجالس القومية المتخصصة، والحصول على جائزة الدولة التقديرية ووسامي الجمهورية والعلوم والفنون من الطبقة الأولى.

٤٠ جامعة بريطانية في أسبوع ثقافي بريطاني

شاركت أربعون جامعة بريطانية في أسبوع للثقافة البريطانية أقيم - مؤخرًا - في مدينتي القاهرة والإسكندرية.

تضمن الأسبوع افتتاح فرع جديد للمجلس الثقافي البريطاني في مصر الجديدة، وإقامة معرض عن التعليم العالي في بريطانيا، والاحتفال بالذكرى الخامسة والسبعين لقيام عالم الآثار البريطاني هوارد كارتر باكتشاف مقبرة الملك الفرعوني توت عنخ آمون، وصَاحَبَ الاحتفال إقامة معرض عنه.

كما تضمن الأسبوع عروضًا مسرحية وموسيقية ومجموعة محاضرات.

الحركة الثقافية في شهر

كتب جديدة

القصة مصدرًا للمعرفة، تأليف فتحي سلامة، صدر ضمن مكتبة الأسرة عن الهيئة المصرية العامة للكتاب.

نثريات أحمد شوقي: خواطره، حكمه، محاوراته، دراسة لسيد صديق عبدالفتاح، صدرت عن الدار المصرية اللبنانية.

العالم وحدوده، تأليف هرفيه لريرا، ترجمه إلى العربية حليم طوسون، وصدر ضمن سلسلة «المكتبة العالمية» عن دار المستقبل العربي.

مراجعات في لغات المعرفة، تأليف د. يحيى الرخاوي، صدر ضمن سلسلة «اقرأ» عن دار المعارف.

مذكرات الهواة والمحترفين، تأليف د. محمد الجوادي، صدر عن دار الشروق.

المرأة والعمل السياسي: رؤية إسلامية، تأليف هبه رؤوف، صدر عن المعهد العالمي للفكر الإسلامي بالقاهرة.

فلسفة اللغة عند الفارابي، تأليف د. زينب عفيفي، صدر عن دار قباء للنشر.

دفائن الأوهن تنمو، مجموعة قصصية لعبد الحفيظ الشمري، صدرت عن دار شرقيات.

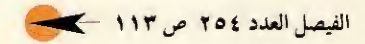
دفاع عن القرآن ضد منتقديه، تأليف د. عبدالرحمن بدوي، ترجمه إلى العربية د. كمال جاد الله، وصدر عن دار الجليل في القاهرة.

حكايات ومواقف دبلوماسية، تأليف فتحي الجويلي، صدر عن دار ابن سينا.

تجريد الأغاني، تأليف ابن واصل الحموي، تحقيق د. طه حسين وإبراهيم الأبياري، صدر في طبعة جديدة ضمن سلسلة «الذخائر» عن الهيئة العامة لقصور الثقافة.

الفكر الليبرالي في الصحافة المصرية، تأليف د. فاروق أبو زيد، صدر عن دار عالم الكتب.

المقالات اليابانية، تأليف محمد حسنين هيكل، صدر عن دار الشروق.



العراق

قصيدة مجهولة للرصافي

أُعلن في بغداد عن اكتشاف رسالتين وقصيدة كان الشاعر العراقي الراحل معروف الرصافي قد كتبها.

الرسالتان والقصيدة جاءت ردًا على زيارات قام بها الرصافي لوالده، وتتحدث عن إصابته بمرض منعه الأطباء على إثره من أكل الحبوب واللحوم، كما تكشف عما يحياه من شظف عيش.

وفاة الشاعرة عاتكة الخزرجي

توفيت في الشهر الماضي الشاعرة عاتكة بنت وهبي الخزرجي عن عمر ناهز ٧٣ عامًا.

كانت الراحلة، التي تخرجت في دار المعلمين العالية ببغداد، من جيل السيّاب والبياتي ونازك الملائكة. وقد عملت بالتدريس سنوات طويلة، ولها ستة دواوين شعرية منها: «أنفاس السحر»، و«أفواف الزهر»، و«لألاء العمر»، ولها أيضًا: «ديوان الوفاء في مراثي النساء»، وكتاب عن العباس بن الأحنف بالفرنسية، صدرت ترجمته ببغداد عام ١٩٧٧م؛ إضافة إلى تحقيق ديوان ابن الأحنف نشرته في القاهرة عام ١٩٥٤م. ولها أيضًا مسرحية شعرية بعنوان «مجنون ليلى».

وكانت «الفيصل» قد نشرت في العدد الماضي دراسة للدكتور توفيق علي منصور وازن فيها بين هذه المسرحية ومسرحية أمير الشعراء أحمد شوقي التي كتبها بالعنوان نفسه.

وفاة الشاعر عبدالأمير المعلا

توفي الشاعر عبدالأمير المعلا رئيس مجلس أمناء «بيت الحكمة» إثر جلطة في المخ عن عمر ناهز ٥٨ عامًا.

وكان الشاعر الراحل مشرفًا على مهرجان المربد الشعري السنوي. وفضلاً عن بروزه في مجال الشعر، كتب أيضًا الرواية، ومن أشهر أعماله ديوانه «أين وردة الصباح»؟.

من الكتب الجديدة

لوحة بدون إطار، مجموعة قصصية لمحمد سليم سواري، صدرت عن دار الثقافة والنشر الكردية في بغداد.



لبنان

كتب جديدة

الدين والدنيا في المسيحية والإسلام، تأليف مجموعة باحثين، صدر عن مركز الدراسات المسيحية ـ الإسلامية في جامعة البلمند.

أزمتنا الحضارية في ضوء سنة الله في الخلق، تأليف د. أحمد كنعان، صدر عن دار النفائس في بيروت.

الأمة العربية إلى أين؟ تأليف د. محمد فاضل الجمالي، صدر عن شركة المطبوعات للتوزيع والنشر.

باتجاه ليلنا الأصلي، شعر كريم عبدالسلام.

ما تبقى، ديوان شعر لخليل حنون.

صدر الكتابان السابقان عن دار الجديد.

الدخيل في الفارسية والعربية والتركية، معجم ودراسة، أعدها د. إبراهيم السامرائي، وصدرت عن منشورات مكتبة لبنان.

أسس النسب الحسابية الفينيقية، تأليف نديم شبشب، صدر عن الشركة العالمية للكتاب.

المسلمون في بنما، الواقع والتحديات، تأليف عبدالله عبدالرحمن الخطيب، صدر عن دار النفائس.

المسيحية العربية وتطوراتها، تأليف سلوى بلحاج صالح، صدر عن دار الطليعة.

سورية

ندوتان عن التطبيع وأدب الطفل في مؤتمر اتحاد الكتاب العرب

تستضيف دمشق أعمال المؤتمر العشرين للاتحاد العام للأدباء والكُتّاب العرب خلال المدة من ١٨إلى ٢١ شعبان الجاري (١٨-٢١ ديسمبر ١٩٩٧م).

ويناقش المؤتمر، الذي تشارك فيه جميع الاتحادات العربية، موضوعات تنظيمية وإدارية، وتُعقد على هامشه ندوتان، أولاهما بعنوان «المثقف العربي ومقاومة التطبيع» وتناقش محاورها الدعوة إلى التطبيع: مقولاتها ومخاطرها والردود عليها، وآليات التطبيع واستراتيجيات التصدي لها، وغير ذلك من الموضوعات ذات الصلة.

بينما تقام الندوة الثانية تحت عنوان «أدب الطفل بين التربية والمعلوماتية والإعلام»، وتتضمن ثمانية محاور منها: الهوية القومية في أدب الطفل العربي، ومخاطر العولمة على أدب الطفل العربي، والكتاب الإلكتروني ومستقبل الكتاب المطبوع، والثقافة العلمية وانعكاساتها في أدب الأطفال، والثقافة المعلوماتية وثقافة الطفل، وموضوعات أخرى.

نصب تذكاري روماني من القرن الأول الميلادي

اكتشف في مدينة أفاميلا بالقرب من حماة نصب تذكاري يعود إلى العصر الروماني، مهدي إلى عضو مجلس الشيوخ سي أوميديوس كوادراتوس الذي عاش في القرن الأول الميلادي، وكان حاكمًا لسورية في عهد الإمبراطور كلوديوس ومطلع عهد نيرون.

ويتخذ النصب شكل محراب تحف به عضادتان وعمودان، وهو مشيد على باحة الباب الشمالي للمدينة على قاعدة يصل ارتفاعها إلى ثلاثة أمتار.

كتب جديدة

قبو العباسيين، تأليف هيفاء البيطار.

خواطر مسافر، تأليف د. عبدالسلام العجيلي.

صدر الكتابان السابقان عن دار الأهالي في دمشق.

الأعمال الكاملة لمحمد الماغوط، قدمت لها سنية صالح.

متشردًا في باريس، رواية جورج أورويل، ترجمها إلى العربية سعدي يوسف.

صدر الكتابان السابقان عن دار المدى.

جواب المسائل العشر، تأليف ابن بري (٤٩٩ ـ ٥٨٢ هـ)، تحقيق د. محمد أحمد الدالي، صدر عن دار البشائر.

مذكرات وأحداث، تأليف راشد الكيلاني، نشر خاص في دمشق.

دراسة في تاريخ سورية المعاصر ١٩٢٠-١٩٥٠م، تأليف نزار الكيالي، صدر عن دار طلاس.

أحلام النساء.. طفولة في الحريم، تأليف فاطمة المرنيسي، ترجمته إلى العربية صباح الجهيم، وصدر عن دار عطية.

النعنع البري، رواية لأنيسة عبود، صدرت عن دار الحوار.

نظام التضليل العالمي، تأليف مجموعة مؤلفين، ترجمه إلى العربية غازي أبو عقل، وصدر عن دار المستقبل في دمشق.

الأردن

معرض للوحات الشيخ راشد بن خليفة

استضافت دار الفنون في عمّان ـ مؤخرًا ـ



الحركة الثقافية في شهر

معرضًا تشكيليًا للفنان البحريني سمو الشيخ راشد بن خليفة آل خليفة، الرئيس الفخري لجمعية البحرين للفنون التشكيلية.

أقيمت على هامش المعرض ندوة فكرية وعروض بالشرائح التصويرية الملونة تلقي ضوءًا على تاريخ الحركة التشكيلية في البحرين وتوجهاتها الإبداعية الحديثة، وأبرز مميزاتها وإنجازاتها. فضلاً عن التعريف بتجربة الشيخ راشد وخلفيته الإبداعية ونشاطاته.

من الكتب الجديدة

الزوبعة، رواية لزياد قاسم، صدرت عن أمانة عمان الكبرى.

فلسطين

كتب جديدة

العطب والدلالة: في الثقافة والانسداد الديموقراطي، تأليف محمد حافظ يعقوب، صدر عن دار نشر مواطن في رام الله.

سجدة الحناء، ديوان للشاعر فيصل قرقطي.

يوم ممطر، مجموعة شعرية لمروان برزون.

الشرفات ترحل أيضًا، مجموعة قصصية لزياد خداش.

صدرت الكتب الثلاثة السابقة عن اتحاد كُتَّاب فلسطين.

تونس

مقبرة ومعبد من العصر الروماني

عُثر في محافظة زغوان على موقع أثري روماني يعود إلى القرن الثاني الميلادي ويضم مقبرة ومعبداً نصرانيين، والأخير مبني من الحجارة الكبيرة.

واكتشفت بالقرب من المعبد منشآت مائية ومعاصر زيت بحالة جيدة، يُظن أنها بنيت بين القرنين الرابع والسادس الميلاديين.



المغرب

كتب جديدة

قوة الرموز، تأليف مجموعة باحثين بإشراف عبدالحي الديوري، صدر بالفرنسية عن دار نشر الفنك بالدار البيضاء.

البئر والسماء، رواية لرينيه الحايك، صدرت عن المركز الثقافي العربي في بيروت والدار البيضاء.

النخبة السياسية والسلطة: أسئلة التوافق، تأليف حسن قرنفل، صدر عن دار أفريقيا الشرق.

كتابات مغربية باللغة الإسبانية ـ فترة التسعينيات: مختارات، إعداد د. محمد بوسيف الركاب، صدر ضمن منشورات جمعية أطواف أسمير.

ما الذي نفعله؟، مجموعة قصصية للطيفة باقا، صدرت عن اتحاد كُتّاب المغرب.

تركيا

تكريم باحثين متميزين في مجال الحضارة الإسلامية

احتفى مركز الأبحاث للتاريخ والفنون والثقافة الإسلامية في استنبول بتكريم خمسة من العلماء والباحثين الذين تميزوا بإسهاماتهم في دراسات الحضارة الإسلامية؛ بمنحهم جائزة المركز «للتميز في البحث في ميدان الحضارة الإسلامية» في الثامن من شهر رجب الماضي.

والعلماء الخمسة المكرمون هم الدكاترة: عبدالرحمن بدوي، محمد الطيب عثمان، حيزا فهراواري، ليلى الصبّاغ، وكمال كاريات. وتسلموا جوائزهم في حفل كبير أقيم في مقر المركز بقصر جيت، أحد قصور يلدز التاريخية في استنبول.

الفاتيكان

معرض في الفاتيكان لفن الخط الإسلامي

يستضيف الفاتيكان معرضًا هو الأول من نوعه هناك عن فن الخط العربي الإسلامي خلال شهر مارس المقبل ١٩٩٨م.

المعرض يقيمه الفنان المصري الأصل المقيم في بريطانيا د. أحمد مصطفى أحد أبرز الذين يستخدمون الخط العربي في استلهام الرموز والدلالات البصرية كلغة مرئية تتخذ أشكالاً مجردة يمكنها أن تخاطب البشر على اختلاف لغاتهم.

يُذكر أن الملكة إليزابيث الثانية ملكة بريطانيا قد أهدت الشعب الباكستاني خلال زيارتها الأخيرة للباكستان لوحة للفنان أحمد مصطفى تحمل الآية الكريمة «مرج البحرين يلتقيان».

روسيا

قسم للدراسات الإسلامية بجامعة الدولة للمعلمين

افتتح ـ مؤخرًا ـ في جامعة الدولة للمعلمين في موسكو «قسم الإيسيسكو للدراسات الإسلامية واللغة العربية».

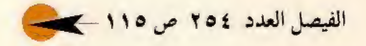
يأتي إنشاء القسم في إطار التعاون بين المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة، ومعهد الحضارة الإسلامية التابع لجامعة الدولة للمعلمين. ومن المقرر أن يبدأ نظام التدريس في القسم للسنة الدراسية ١٩٩٧/١٩٩٨م بفصلين للسنة الأولى من السلك الأول، وفصل واحد للسنة الأولى من السلك الثاني. وتم الاتفاق على اعتماد كتاب «تعلموا العربية»، وكتاب «البرنامج الموحد لتدريس تاريخ العالم الإسلامي وجغرافيته» اللذين أصدرتهما الإيسيسكو مصدرين دراسيين بالقسم الذي تحتوي برامج تدريسه على مقررات للغة العربية لغير الناطقين بها، وتاريخ دخول الإسلام وانتشاره في روسيا الاتحادية وجاراتها، وأوضاع الجاليات الإسلامية في روسيا عبر التاريخ، ومبادئ القرآن الكريم والسنة الشريفة والفقه الإسلامي، وغير ذلك من الموضوعات.

جائزة باسم سولجينتسين لإنعاش الأدب الروسي

أعلن الأديب الروسي ألكسندر سولجينتسين، الحاصل على جائزة نوبل للآداب، عن تخصيص جائزة أدبية باسمه لإنعاش الأدب الروسي.

سولجينتسين

تبلغ قيمة الجائزة ٢٥ ألف دولار، وتموَّل من أرباح كتابه «أرخبيل قولاق» الذي تناول فيه معسكرات العمل في عهدي لينين وستالين، والتي لاقى فيها ملايين المواطنين الروس مصرعهم.



يذكر أن سولجينتسين كان قد عاد إلى بلاده عام ١٩٩٤م، بعد أن أمضى ٢٠ عامًا في المنفى، وكان قد خصص عوائد كتابه ذاته لمساعدة أسر المعتقلين السياسيين في بلاده.

إسبانيا

افتتاح أكبر متحف في العالم

افتتح العاهل الإسباني الملك خوان كارلوس متحف جوجينهايم في مدينة بلباو عاصمة إقليم الباسك، بحضور ألف مدعو من رموز الفن والمشاهير في العالم، وعشرة آلاف من محبي الفنون.

ويُعدّ هذا المتحف أحد أكبر متاحف العالم وأعظمها، حيث بلغت تكاليفه قرابة مئتي مليون دولار، ويضم قرابة عشرة آلاف عمل فني من أعمال القرن الحالي، وخُصِّصَت له ميزانية تقدر بنحو أربعة ملايين دولار لاقتناء أعمال فنية أخرى خلال الأعوام القليلة المقبلة.

وتبلغ مساحة المتحف سبعة وعشرين ألف متر مربع، تتوزع على تسع عشرة قاعة. ويضاف إلى سلسلة المتاحف الأمريكية التي تحمل الاسم ذاته والموجودة في نيويورك والبندقية في إيطاليا.

أنطونيو جالا يفوز بجائزة المراسلين الصحافيين العرب

مُنح الكاتب الإسباني أنطونيو جالا جائزة جمعية المراسلين الصحافيين العرب للتعاون، لاهتمامه بالقضايا العربية، وبخاصة الحضور العربي في الأندلس.

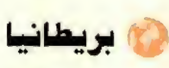
وتسلم جالا جائزته خلال احتفال نادي الصحافة الدولي بالذكرى الخامسة والثلاثين لإنشائه.

طاحونة مائية من العصر الأندلسي

اكتُشفت في مدينة بلنسية شرق إسبانيا طاحونة مائية يعود تاريخها إلى العصر الإسلامي للأندلس، وتحديدًا إلى القرن العاشر الميلادي.

وتمكن الآثاريون من تعرف البنيـة الكاملة للطاحونة ومنها عجلتان ما تزالان في حالة جيدة، فضلاً عن آثار قناة كانت تمدها بالماء من ساقية قريبة.

وأمكن تحديد تاريخ إنشاء الطاحونة من خلال قطع من الفخار تم العثور عليها أسفلها.



بريطانيا

جائزة بوكر لهندية من أصل سوري لبناني

مُنحت الروائية الهندية أروندانى روي جائزة بوكر للرواية، كبرى الجوائز الأدبية البريطانية، عن روايتها «إله الأشياء الصغيرة».

وأروندانى تعود جذورها البعيدة إلى أصول سورية ولبنانية، وتعد روايتها الفائزة عملها الأول، وقد فازت بالجائزة بعد تنافس مع خمسة روائيين آخرين هم جيم جريس، ميك جاكسون، برنارد مكلافرتي، مادلين سنجن، وتيم باركس.

مخطوطة مجهولة لأيان فيلمنج عن الكويت

كشفت صحيفة صنداي تايمز عن وجود مخطوطة لم تُنشر قبلاً عن الكويت كتبها عام ١٩٥٩م أيان فيلمنج مخترع شخصية العميل السري «جيمس بوند».

وأوضحت الصحيفة أن المخطوطة من ١٤٥ صفحة، ومكتوبة بخط اليد، وموجودة في الجامعة الهندية بالولايات المتحدة. ولم تذكر الصحيفة مضمون المخطوطة، لكنها أشارت إلى أن فيلمنج كتبها بتكليف من شركة الزيت الكويتية، التي دفعت له أجره وتكاليف زيارته للكويت، إلا أن مسؤوليها لم تعجبهم الطريقة التي انتقد بها بعض مظاهر الحياة في البلاد.

عمارة وغنيمة يفوزان بجائزة عبدالله بن الحسين

مُنح العالمان المصريان د. محمد عمارة، ود. عبدالفتاح مصطفى غنيمة ـ مناصفة ـ جائزة عبدالله ابن الحسين العلمية لعام ١٩٩٧م في الفكر العربي والثقافة الإسلامية عن موضوع «التنوع والتعدد في إطار الوحدة».

رسائل جامعية

«المشكلات المدرسية كما تصورها مجلتا اليمامة واقرأ.. دراسة تحليلية»، عنوان رسالة ماجستير نوقشت في جامعة أم القرى، تقدم بها تركي بن كديميس العتيبي.

«الإجهاض بين التحريم والإباحة في الشريعة الإسلامية والنظم الوضعية»، عنوان رسالة ماجستير نوقشت في أكاديمية نايف العربية للعلوم الأمنية في الرياض، تقدم بها داود سليمان الصبحي.

«السيرة الذاتية في السرد عند إيزابيل ايندى»، عنوان رسالة ماجستير نوقشت في كلية الآداب بجامعة القاهرة، تقدمت بها عبير محمد عبدالحافظ.

«تصور مقترح لمقررات أصول التربية في مصر»، عنوان رسالة دكتوراه نوقشت في كلية التربية بجامعة أسيوط، تقدم بها رشاد محمد حسن.

«وقف تنفيذ العقوبة التعزيرية ـ دراسة تطبيقية لنظام وقف التنفيذ في الجرائم التي ينظرها ديوان المظالم بالمملكة العربية السعودية»، عنوان رسالة ماجستير نوقشت في معهد الدراسات العليا بأكاديمية نايف العربية للعلوم الأمنية في الرياض، تقدم بها عبدالسلام بن عبدالعزيز التويجري.

«المعالجة الدرامية لقضايا المجتمع»، موضوع رسالة ماجستير نوقشت في قسم الصحافة والإعلام بجامعة الأزهر، تقدم بها عبدالرحمن محمد الشامي.

«تحسين جودة الطباعة على خامات التغليف المرنة المنتجة محليًا»، عنوان رسالة دكتوراه نوقشت في قسم الطباعة بجامعة حلوان تقدم بها محمد عطية الفرحاتي.

«نقابة الصحافيين ودورها في الحياة الصحفية في مصر»، عنوان رسالة ماجستير نوقشت في كلية الإعلام بجامعة القاهرة، تقدمت بها لبنى جاويش.

«غزوة مؤتة والسرايا والبعوث النبوية الشمالية.. دراسة نقدية»، عنوان رسالة دكتوراه نوقشت في كلية الدعوة بالجامعة الإسلامية في المدينة المنورة، تقدم بها بريك محمد أبو مايلة.



وتسلم الفائزان الجائزة في حفل أقيم بمبنى الدراسات الشرق أوسطية والإسلامية في جامعة درم التي تقوم بمنح الجائزة بالاشتراك مع المجمع الملكي لبحوث الحضارة الإسلامية في عمان.

وتقرر أن تكون الفنون موضوع الجائزة في دورتها المقبلة عام ١٩٩٩م.

أحدث الكتب

لسراة الليل هتف الصباح: الملك عبدالعزيز.. دراسة وثائقية، تأليف عبدالعزيز بن عبدالمحسن التويجري، صدر عن دار رياض الريس للكتب والنشر في بيروت ولندن.

قوة البلوز: ميلاد عهد المعلومات، تأليف مايكل رايوردان، وليليان هودسن، صدر ضمن منشورات نورتن.

كالاهان: حياة، تأليف كينيث. و. مورجان، صدر عن مطبوعات جامعة أكسفورد.

تحت ظلال الذكريات: تأملات في تجارب الحكم والسياسة والدبلوماسية وتوريث الزعامة، تأليف فؤاد مطر، تقديم عبدالرحمن الراشد، صدر عن الناشر العربي الدولي.

في البدء كان الصراع، تأليف خلدون حسن النقيب، صدر عن دار الساقي.

دليل كاسيل للأخطاء الشائعة في اللغة الإنجليزية، إعداد هاري بلامايرز.

الحضارات القديمة، تأليف جون هيوود.

صدر الكتابان السابقان عن منشورات دار كاسيل.

السياسات البريطانية المعاصرة، تأليف بيل كوكسال ولينتون روبينس، طبعة ثانية.

العمل والتنمية الاقتصادية في المملكة العربية السعودية، إعداد ج. و، رايت جونير.

علم الاجتماع المقارن والنظرية الاجتماعية، تأليف غراهام كراو.

الحكومة الجيدة والقانون.. الإصلاحات التشريعية والقانونية في الدول النامية، إعداد خوليو فونديز.

سياسات التصدي للمشكلات في ديموقراطيات ما بعد الحرب، إعداد هانز كومان.

تفسّخ أم تحوّل؟ أزمة الدولة في المجتمعات الصناعية المتطورة، إعداد باتريك ماكارثي.

السياسة الصناعية في بريطانيا، إعداد دافيد كوتيس.

الأعراق والتمييز العنصري في بريطانيا، تأليف جون سولوموس، طبعة ثانية.

نحو إفريقيا معاصرة.. التنمية في المجتمع الإفريقي منذ ١٨٠٠م، تأليف بيل فراود.

التطور الاقتصادي لجنوب شرقي آسيا بين ١٨٧٠- ١٩٧٠م، تأليف راجيسواري براون.

قاموس الشرق الأوسط (دليل الصحفيين والدبلوماسيين والسياسيين والسياح)، إعداد ديليب هيرو.

الاتحاد الأوروبي، تأليف س. ف. جودمان، طبعة ثالثة.

التحليل التطبيقي للتجارة الدولية، تأليف هاري باوين وأبراهام هولاندر وجان ماري فياين.

الدخول الجديد لدول أمريكا اللاتينية في الاقتصاد العالمي، إعداد رود بوبتيلار وبيتو فان ديشك.

تعلّم الدرس من نمور آسيا: دراسات في السياسة التكنولوجية والصناعية، تأليف سانجايا لال.

الانتقال العالمي للتكنولوجيا عبر المؤسسات الصغيرة والمتوسطة، إعداد بيتر باكلي.

الإسلام في عالم الأديان المختلفة، إعداد دان كوهن شيربوك.

دور حقوق الإنسان في السياسة الخارجية، تأليف بيتر بيهر.

صدرت هذه الكتب عن شركتي «ماكميلان و «فريمن».

«أعمال القلوب وأثرها في الإيمان»، عنوان رسالة دكتوراه نوقشت في كلية الدعوة بالجامعة الإسلامية في المدينة المنورة، تقدم بها محمد دو كوري محمد.

«آفاق إقامة تكتل اقتصادي عربي في ظل النظام العالمي الجديد»، عنوان رسالة دكتوراه نوقشت في جامعة شينسابو في باريس، تقدم بها وسام فاروق الصلح.

«النثر الفني عند المترسلين من الشعراء حتى نهاية القرن الثالث»، عنوان رسالة دكتوراه نوقشت في كلية اللغة العربية بجامعة أم القرى، تقدم بها أحمد سعيد الزهراني.

«فكرة التنوير عند إخوان الصفا والطهطاوي»، عنوان رسالة ماجستير نوقشت في كلية الآداب بجامعة المنيا في مصر، تقدم بها محمد ياسر مصطفى.

«دراسة في شكل الخطابة ومضمونها في القرن الأول الهجري»، موضوع رسالة ماجستير نوقشت في كلية الآداب بجامعة المنصورة، تقدم بها إبراهيم علي محمد فرج.

«العلاج السلوكي والعلاج الأسري للتبول اللا إرادي لدى الأطفال»، عنوان رسالة دكتوراه نوقشت في كلية الخدمة الاجتماعية بفرع جامعة القاهرة في الفيوم، تقدمت بها كلثم جبر الكواري.

«السياسة الخارجية الروسية في الشرق الأوسط بين ١٩٩١- ١٩٩٦م»، عنوان رسالة دكتوراه في العلاقات الدولية نوقشت في كلية الدراسات السلوفائية والأوربية الشرقية بجامعة لندن، تقدم بها طلال عرفان نظام الدين.

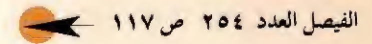
«محمد البرعي شاعراً»، موضوع رسالة ماجستير نوقشت في كلية اللغة العربية بالزقازيق في مصر، تقدم بها عامر علي محمد عامر.

«إيجابيات وسلبيات عمالة الأطفال وخاصة في مدينة القاهرة»، عنوان رسالة ماجستير نوقشت في كلية الآداب بجامعة القاهرة، تقدمت بها منال محمد محمود.

«الأوقاف والسياسة في مصر الحديثة»، عنوان رسالة دكتوراه نوقشت في كلية الاقتصاد والعلوم السياسية بجامعة القاهرة، تقدم بها إبراهيم البيومي غانم.

«شعر الصعاليك في العصر الحديث»، موضوع رسالة دكتوراه نوقشت في كلية الألسن بجامعة عين شمس، تقدم بها عاطف بهجات.

«دور المنخفضات الجوية في مناخ مصر»، موضوع رسالة دكتوراه نوقشت في قسم الجغرافيا بكلية آداب الزقازيق بمصر، تقدم بها طارق زكريا إبراهيم.



ألمانيا

١١دولة عربية في معرض فرانكفورت للكتاب

شاركت ٩ آلاف دار نشر من ١١٠دولة من بينها ١١دولة عربية في معرض فرانكفورت الدولي التاسع والأربعين للكتاب الذي اختتم أعماله مؤخرًا.

وكان رئيس المفوضية الأوربية جاك سانتير والرئيس البرتغالي سامبايو، والكاتب البرتغالي إدواردو لورينكو قد افتتحوا المعرض في منتصف شهر جمادى الآخرة الماضي بكلماتهم.

وزار المعرض الكاتب الإيطالي داريو فو، الفائز بجائزة نوبل للآداب للعام الحالي ١٩٩٧م. وأعلنت الهيئة المشرفة على المعرض عن إنشاء «المركز الثقافي الدولي» الذي حل محل مركز لقاء الشمال والجنوب كمؤسسة جديدة تسعى لتسليط أضوائها على أدب العالم وثقافته.

وألقى الخوف من ازدياد سيطرة وسائل الإعلام الإلكترونية الحديثة على الحياة الثقافية والعامة في أوربا بظلاله القاتمة على المعرض، فمن بين قرابة ١٦٠٠مؤسسة ودار نشر ألمانية شاركت في المعرض كان هناك قرابة ٤٠٠ مؤسسة من مؤسسات الإعلام الإلكتروني.

وبينما احتفى المعرض بالأدب البرتغالي، أقيم عرض خاص تحت عنوان «الشعر العربي العالمي»، وعرض المجلس الأوربي في «المركز الثقافي الدولي» مجموعة من كتب الأدباء والكُتّاب المسلمين في جمهورية البوسنة والهرسك، وتقلد الكاتب التركي يشار كمال جائزة السلام للناشرين الألمان، ونال كتاب «سيد الخلق: محمد عليه السلام» الصادر عن دار الشروق، تأليف كاريمان حمزة، ورسوم الفنان الشاب صلاح بيصار جائزة أجمل كتاب، التي تمنحها مؤسسة «فن الكتاب» الألمانية، واستحق ناشره إبراهيم المعلم أن ينال الجائزة الشرفية.

«ندوة العالم العربي»

نظمت أكاديمية تيودور هويس التابعة لمؤسسة ميره فريدريش نادمان الألمانية - مؤخرًا - ندوة في مدينة جومر سياخ تحت عنوان «العالم العربي» بالتعاون مع الجمعية العربية الألمانية في بون.

شارك في الندوة عدد كبير من الشخصيات السياسية والدبلوماسية العربية والألمانية، قُسمت إلى ثلاث مجموعات: ناقشت الأولى موضوع النزاع في الشرق الأوسط، وناقشت الثانية وضع المرأة في العالم العربي، أما الثالثة فناقشت الآفاق الثقافية في العالم العربي وصورتها الجماعية وأشكالها المختلفة.

أحدث الكتب

لودفيج إيرهارد: حياة سياسي ألماني، تأليف فولكر هنتشل، صدر عن دار نشر جونتر أولتسوج.

طفولة مغربية، رواية لمحمد ديب، صدرت طبعتها الألمانية عن دار نشر كيين - هاور في كولونيا.

الهبوط إلى اليابسة، مجموعة شعرية لخالد المعالي، ترجمها إلى الألمانية هربيرت بيكر بالتعاون مع الشاعر نفسه، وصدرت عن دار الكتاب العربي في برلين.

بيوت المساء، مجموعة قصصية لرينيه الحايك.

التزوير، رواية نيكولاس بورن، نقلها إلى العربية حسين موزاني.

الموسيقى بين الشرق والغرب، تأليف على الشوك.

صدرت الكتب الثلاثة السابقة عن دار الجمل في كولون.

حول الفكر الحر بين الإسلام والغرب، تأليف رياض العبيد، صدر باللغة الألمانية عن دار مانيتس.



فرنسا

مبارك وشيراك يفتتحان القسم المصري بمتحف اللوفر

يفتتح الرئيسان المصري محمد حسني مبارك والفرنسي جاك شيراك القسم المصري في متحف اللوفر في باريس في التاسع عشر من شهر شعبان الجاري (١٩ديسمبر ١٩٩٧م).

يقام الاحتفال بمناسبة توسيع بعض أقسام المتحف ومن بينها القسم المصري، حيث وصلت توسعة القسم الخاص بالحضارة الفرعونية إلى ٤٢٠٠ متر مربع، فضلا عن ٦٠٠ متر للفن القبطي المصري ومثلها للفنون المصرية الرومانية.

ويمتلك متحف اللوفر نحو ٥٠ ألف قطعة أثرية فرعونية من بينها كمية من أوراق البردي والتحف النحاسية والنسيجية.

من ناحية ثانية يستضيف متحف اللوفر في السابع عشر من الشهر الجاري معرضًا للوحات وزير الثقافة المصري الفنان فاروق حسني، يضم ٥٠ لوحة.

معرض «فياك ٢٤» وغياب عربي ملحوظ

استضافت المنطقة الواقعة بين نهر السين وبرج إيفل في باريس عروض الدورة الرابعة والعشرين لـ«الفياك» العالمي.

وعلى امتداد خمسة عشر ألف متر مربع عرض فنانو ١٥دولة أعمالهم في ١٣٨ صالة عرض، ولولا وجود فنان عربي واحد هو نبيل نحاس، لما كان للعرب ذكر في المعرض، الذي استولى فنانو فرنسا على قرابة نصف صالاته، وقُسم الباقي على البلدان المشاركة، التي شملت أيضًا عروضًا لنحو ثلاثين مجلة فنية معروفة.

جوائز فرنسية وفائزون عرب

أعلنت - مؤخرًا - أسماء الفائزين بجوائز الفرنكوفونية، وفرنسا - لبنان، والصداقة الفرنسية العربية، كما تأسست جائزة جديدة تحمل اسم «كتاب عام مصر - فرنسا».

فاز بالجائزة الكبرى للفرنكوفونية التي تمنحها الأكاديمية الفرنسية، الباحث المغربي د. عبداللطيف بربيش، عميد كلية الطب في جامعة الرباط، والسكرتير الدائم لأكاديمية المغرب، تقديرًا لأعماله التي تسهم في إغناء اللغة الفرنسية والحفاظ عليها.

ويعد د. بربيش أول مغربي يفوز بالجائزة، وثاني مغاربي ينالها بعد الكاتب الجزائري محمد ديب.

ونالت أمل مغيزل جائزة فرنسا - لبنان التي تمنحها «جمعية الكتاب باللغة الفرنسية» عن كتابها «ممر» الصادر عن دار نشر نيل. واختير كتاب مغيزل من بين ثمانية كتب لنيل الجائزة.

وحاز الكاتب الجزائري الأصل عزوز بغاغ جائزة الصداقة الفرنسية العربية التي تقدمها جمعية الصداقة الفرنسية العربية بالاشتراك مع صحيفة «فرانس بييه آراب» الشهرية لروايته «زنزلا» الصادرة عن دار نشر سوي.

وتأسست في باريس جائزة جديدة تحمل اسم «كتاب عام مصر - فرنسا» تُمنح لأفضل الكتب المكتوبة بالفرنسية المستوحاة من مصر، أو التي تتخذ مصر موضوعًا لها.

ورشة باللوفر للتعريف بالفن الإسلامي

خصص متحف اللوفر في باريس ورشته السنوية للنصف الثالث من هذا العام للتعريف بالفن الإسلامي عامة، والهندسة المعمارية الإسلامية خاصة.

ترمي الورشة إلى تعريف الأطفال بين سن ٦ - ١٣عامًا بخصوصية الفن الإسلامي ومعماره، عبر النماذج المجسمة والأشرطة التسجيلية المصورة، والزيارات الميدانية للصالات الفنية الإسلامية. ويتلقى الأطفال أيضا

شروحات عن الإسلام دينًا وتاريخًا وخصوصية، فضلاً عن قوائم كلمات تعرف بالإسلام.

تستمر الورشة حتى نهاية شهر شعبان الجاري (٢٩ ديسمبر ١٩٩٧م) وتأتي في إطار الورشات التي تنظم على مدار السنة منذ عام ١٩٩٣م.

وفاة بول جوت وجان شابران

توفي الكاتب والصحافي بول جوت في دار للعجزة بباريس عن عمر ناهز ٨٧ عامًا، والكاتب والمفكر جان فرانسوا شابران عن عمر ناهز ٧٧ عامًا.

وُلد جوت في ٥مارس ١٩١٠م، وحاز درجته الجامعية في الآداب، وعمل عام ١٩٣٤م في التعليم أستاذًا للأدب مدة عشر سنوات، كما عمل بالصحافة، وتميز بغزارة نتاجه الذي تجاوز خمسين كتابًا، مما أهله لنيل العديد من الجوائز من بينها جائزة الأكاديمية الفرنسية عام ١٩٧٨م، وجائزة شاتوبريان.

أما شابران فهو صحافي وناقد ومفكر، ولد عام ١٩٢٠م في منطقة المايين، وأسهم عام ١٩٣٨م في المغامرة المعروفة باسم «ما بعد الدادائية» في مجلة «المرآة العاكسة» وما لبث عام١٩٣٩ م أن ترك المجموعة لينضم إلى أندريه برتون ومجموعة «التروتسكت» في الاتحاد الدولي للفن الثوري المستقل، ومن مؤلفاته «الترسانة الخالية».

معرض للآثار والحضارة اليمنية

ينظم في معهد العالم العربي في باريس ابتداءً من ٢٢ أكتوبر معرض الآثار والحضارة اليمنية، ويستمر خمسة أشهر. وأشار الدكتور يوسف محمد عبدالله رئيس الهيئة العامة للآثار والمتاحف إلى أن المعرض سيشكل مفاجأة للأوساط الثقافية في فرنسا نظرًا لأن معروضاته تُعرض للمرة الأولى على المشاهد الأوربي، وتضم نحو ٥٠٠ قطعة أثرية تمثل الحضارة اليمنية القديمة عبر مراحلها المختلفة. وسوف يتزامن المعرض مع صدور كتاب لشرح الصور المعروضة بعنوان «اليمن في بلد ملكة سبأ».

أحدث الكتب

صناعة القرار السياسي الأمريكي، تأليف منصف السليمي، صدر عن مركز الدراسات العربي الأوربي في باريس.

الثنائي الفرنسي - الألماني، تأليف لورين ليبلوند، صدر عن دار لاموند.

مختارات من كليلة ودمنه، صدرت باللغتين العربية والفرنسية. قام بالترجمة إلى الفرنسية أندريه ميكال. وصدرت ضمن سلسلة «أيبومة» عن دار إليان ميشيل بالتعاون مع معهد العالم العربي في باريس.

بيضة النعامة، رواية رؤوف مسعد، ترجمها إلى الفرنسية إيف جونزاليس.

أبو طيار، مختارات شعرية لأنسي الحاج، ترجمها إلى الفرنسية عدد من الشعراء، وقدم لها عبدالقادر الجنابي.

صدر الكتابان السابقان عن داري سندباد وأكت سود.

سورية مهد الحضارات، تأليف لافلوريل ذكرى، صدر عن دار نشر أيه .سي. آر.

تاريخ إسبانيا، تأليف جوزيف بيريز، صدر عن دار فايار.

البرتغال

معرض كويتي للفن الإسلامي

وصلت إلى لشبونة - مؤخرا - ٣٠ ألف قطعة من التحف الإسلامية في إطار معرض الفن الإسلامي الذي تنظمه الكويت منذ عام ١٩٩٠م.

يقام المعرض في متحف كولبيكيان، ويستمر حتى نهاية فصل الشتاء، ويأتي ضمن جولة زار خلالها روسيا والولايات المتحدة وكندا وفرنسا وهولندا وإنجلترا وإيطاليا وألمانيا.

الولايات المتحدة

موسوعة للشعر العربي المعاصر

تعد دار الموسوعات العربية (بنسلفانيا - باريس) لإصدار موسوعة باللغات: العربية والإنجليزية والفرنسية للشعر العربي المعاصر.

يستغرق العمل في الموسوعة خمسة أعوام، ويعقد في باريس خلال شهر رمضان المقبل (يناير ١٩٩٨م) الاجتماع الأول لمجلس تحرير الموسوعة، ويتم خلاله اختيار مستشاريها، ومن الأسماء المرشحة: أحمد عبدالمعطي حجازي (مصر) سعدي يوسف (العراق)، أدونيس (سورية)، ومحمود درويش (فلسطين).

غياب ميتشينر وروبينز

توفي القاص والروائي جيمس ميتشينر عن عمر ناهز ٩٠ عامًا، والروائي هارولد روبينز عن عمر ناهز ٨١ عامًا.

ويعد ميتشينر من القلة التي تركت بصمات واضحة على الأدب الأمريكي بدءًا بمجموعته القصصية الأولى «قصص الباسفيك الجنوبي» التي صدرت عام ١٩٤٨م، وحاز بها جائزة بوليتزر للأدب، وانتهاء بأعماله الروائية التي تُرجمت إلى ٥٢ لغة عالمية، ووصل حجم مبيعاتها إلى ٧٥ مليون نسخة.

أما روبينز فقد تخصص في اقتباس حياة المشاهير وتحويلها إلى أعمال روائية، ولاقت رواياته نجاحًا كبيرًا، حتى لقد بيع منها على امتداد نصف القرن قرابة ٧٥٠ مليون نسخة، ومن أشهر أعماله روايته «العصامي».

أحدث الكتب

الرجل اسمه دينج ماجوك، تأليف فرانسيس مدينج دينج، صدر عن دار نشر يونيفرسال سيتي برس.

إحياء الحلم الأمريكي: الاقتصاد والولايات والحكومة الفيدرالية، تأليف أليس ريفلين، صدر عن مؤسسة بروكينز.



سويسرا

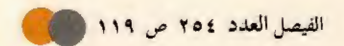
سوداني يترأس المنظمة العالمية للملكية الفكرية

انتخبت المنظمة العالمية للملكية الفكرية التابعة للأمم المتحدة، والتي يوجد مقرّها في جنيف، السوداني كامل إدريس مديرًا عامًا لها خلفًا للأمريكي بوغش الذي احتفظ بهذا المنصب منذ العام ١٩٧٣م. تم ذلك خلال جمعية عمومية عُقدت آخر شهر سبتمبر/ أيلول الماضي واتخذت خلالها عدة توصيات منها خفض رسوم تسجيل براءات الملكية الفكرية.

وسبق لإدريس أن شغل منصب نائب المدير العام للمنظمة منذ العام ١٩٩٤م.

وتهتم هذه المنظمة أساسًا بتسجيل براءات الاختراع والتأليف على المستوى العالمي حفاظًا على حقوق الملكية الفكرية، وتضم في عضويتها ١٦٤دولة.





مما قاله مغترب

«إلى أخي العلاَّمة وزميلي في الدرس: الدكتور حسن ظاظا».

شعر: **د. إبراهيم السامرائي**

أمسيتَ لم تستفد في العلم والأدبِ … إلاّ الذي قيل في طاوٍ ومكتئبِ

وقيلَ: ذا نكدٌ ساعٍ لحاجته … وأجنبيٌّ من الآفاقِ والعربِ

آأنت من جئتَ لا أهلاً ولا وطَنًا … ولا أخًا لك قد يسعى لمغتربِ؟

أجَلْ، وحيدٌ ومثلي كلُّ ذي نَصَبٍ … مشَى إلى خَطْبه في خاطرٍ نَصِبِ

هنّا وهنّا لقيتَ الصَّعْبَ مُعترضًا … والعمرُ تقطعه جسْرًا من التَّعَبِ

أليس من رَحِمٍ موصولةٍ بهَوًى … لقيتَ منه بأمٍّ برَّةٍ وأبِ؟

ما كنتُ أحسَبُ أنّي بعضُ مُطَّرحٍ … ولم يكن لقليلٍ منه من سَبَبِ

خوَتْ أمانٍ سَرَتْ في النفس خادعةً … ومن يكنْ غيرَ محتالٍ لها يخبِ

وما تَرامَى إليها ذو معارفها … [إلاّ أتَتْ حُفَّلاً معسولةَ الحَلَبِ]

لأمِّ كلِّ غريبٍ ذِيدَ عن وطَنٍ … أسًى تحدَّرَ عن دوّامةِ النُّوَبِ

أضاقت الدار في خطبي كما اتّسعَتْ … لرافلين بسَمْح الظِّلِّ من كَثَبِ؟

ووافدين أتوا في كلِّ فذلكةٍ … ولستَ منهم إلى فنٍّ ولا أدَبِ

ومُترَفينَ استفاضوا في رُفَهنيةٍ … كأنّما ورثوها من أبي كَرِبِ

فما تؤمِّل من زاهٍ بزخرفه … ولستَ تلمح من جرمٍ سوى ذَنَبِ

نَخْبٌ وكم يعتلي فينا ذوو سعةٍ … زعانفٌ بل تماثيلٌ من اللُّعَبِ

هَمَتْ عليهم بسَمْحٍ من بوارقها … وطَفاءُ قد جوَّدَتْ في مُسْبلٍ سَرِبِ

وقد ينال فضولَ العيش إمَّعةٌ … سعى لصيقًا بمحمولٍ على نَسَبِ

أقصرْ ولا تَغْتَررْ في بعض بارقةٍ … فقد ينالُكَ رَيْبُ النَّوءِ في السُّحُبِ

أقصرْ ولا تَكُ مهتاجًا من الغَضَبِ … وعَدٌّ عن ذي ضميرٍ دارسٍ خَرِبِ

وعُدْ إلى الدار قد ضيمت أطاييها … ونيلَ من قممٍ تسمو على الشُّهُبِ

دعْ عنك هذا فأينَ الدار أدركها … وقد تجهَّمَ مني كلُّ مُحتربِ

أجَلْ، سأدركها طيفًا فأسعده … وأبتغيه معينًا لي على الكُرَبِ

ساءلتُه: هل «لذات الطَّلْع» من خَبَرِ … وقد تجهَّم وجهُ الحيِّ في الرُّحَبِ

ألَمْ تزل سمحةً تؤتي الورى أُكُلاً … بما تجودُ بمزهوٍّ من الرُّطَبِ

طُوبَى لساعينَ أوّابين في كَرَمِ ... وكيف حال الذي يسعى إلى شَجَب؟
وأكرمين غَنُوا بالصالحات وقد ... تَعفَّفوا وتحدَّوا نكسةَ الحقَب
وصابرينَ على بَلواءَ تعصرهم ... وهم أولو العزم من صُيّابة نُجُب
أقصرْ فخطبك أصفى أن تعكّره ... بما يُخاض به في مُوبِئٍ نَصَب
طُوبَى لكلِّ غريبٍ صانَ غربته ... بما يُصان به عِرقٌ من الذّهَب
وما صَفا من نَقيٍّ سَلْسَلٍ عَذب ... في المجد يُدركَ لا في شَهْدة الضَّرَب
أنبيك أنّي خَبَرتُ الدربَ مُعتركًا ... وقد شقيتُ بما عاناه كلُّ أبي
لقد عراني فيه كلُّ ذي تِرَةٍ ... ذئبًا تَرَصَّدَني في بعض مُرتَقَب
كأنّني رحتُ مرعى هذا وذا غرضًا ... وكان ما كان ممّا شينَ من كَلَب
وقد ينالكَ جَورٌ لا تطيقُ له ... بشاهد صادق لا من دَمٍ كَذِب
يا ويحَ نفسيَ كم وَطَّنتُ شامسَها ... فضاعَ مَنِّيَ ما قد حيزَ من سَلَب
فقد شجانيَ عاد جاءني هَمَلاً ... حتى إذا نالَ منّي عاد مُغتَصِبي
أنا الحريبُ وما لي لا أطيقُ له ... وقد تغَوَّلَ فيه كل مُنتهِب
ذئبٌ تجوَّلَ في غرسي فعاثَ به ... وثعلبٌ جال في كرمي إلى عنَبي
وكم تَشَبَّثَ من غرسي ذوو شَرَه ... سَعَوا بشِرَّة محتالٍ لُمكتَسَب
أخي البعيد ولي قُربَى ركَنْتُ لها ... ألاّ يثيركَ عصرُ السوء والغلَب
فتستكين لداعي السوء تقبله ... مُعلِّلاً بعض ما يأتي لُمرتكِب
لا يُفزعنَّك أنّي قد ألوم أخي ... كيلا يفارقني في حَومة الغضب
[أُعيذها نَظَرات منك صادقةً] ... أن تخلط الجِدَّ في لغوٍ من اللعب
وقد أُعيذك عمّا قد يحُزُّ بنا ... فيما تعانيه أن تنداح في صخب
وأن تنالك دنيا في بَهارجها ... فيستبيكَ بها حرصٌ على أُرَب
إنّي تخلَّيت عن كلٍّ لباقية ... من صالحات هي الإخلاد للكُتب
أخي البعيد ولي قُربَى وآصرةٌ ... في غُربة أتملّاها بمُغترَبي
إنّا كلانا ومنّا كلُّ ذي نَصَب ... كأنما صاحَ فينا صائح الهَرَب
لا تَنْسَ ويحكَ أنّا بعضُ مُجتَمَعٍ ... غيضَ العدا للّذي نلقاه من سَغَب
أخي البعيد مشيناها خُطًى كُتِبَتْ ... في كلِّ شبْرٍ صلينا جذوةَ اللَّهَب
هانت بنا مُضغةٌ رُحنا نردّدها ... [الحَربُ مشتقة المعنى من الحَرب]
مَضَت حروب ومازلنا نكابدها ... حربًا يَجيئكَ فيها السلم بالعَطَب
أقصرْ فقد نلتَ منّي أيَّ قافية ... وناجِني في أسًى يأتيك في طَرَب
واصدَحْ ببعض أنينٍ ضيمَ في كلمٍ ... مشى الحنينُ به في هاتفٍ رَحِب
وعَدٌّ عن لَهْوِ مختالٍ بنغمته ... شأى المنافعَ في لغوٍ من الخُطَب
يارحمة الله عودي في مواطننا ... فهل لنا أن نرى أكرومةَ العرب
إنّي ببعض يقين أنَّ متّسعًا ... ينجاب عنّا به سَجْفُ من الرِّيَب
آمنتُ بالله لم أُشرك به أحدًا ... ولا صَبَوت إلى سامٍ من النُّصُب
وقد رَبحتُ الذي أدركت من رَشَد ... ما كان خيرًا تعالى فيه خيرُ نبي
وقد هُديتُ لنَهْجٍ غير ذي عِوَجٍ ... وما اهتديت إلى سَبْقٍ ولا قَصَب
أيقنت رحمة ربي سوف تدركني ... ومن يَلُذْ بجوار الله يقترب


الجزيرة
الجزيرة
تكفيك
المسائية
تثري
مساءك
تصدران يوميا عن: مؤسسة الجزيرة «للصحافة والطباعة والنشر.. ص.ب: ٣٥٤ الرياض: ١١٤١١ هاتف: ٤٠٢٥٥٥٥ ، تلكس ٤٠١٤٧٩ جزاتي اس جي.

الصحراء العربية ـ الملاحق

كتـاب تناول فيه مـؤلفه الرحالة الـنمساويّ ألويس مـوسيل واقع الجزيرة العـربية السكاني والاقتصـادي القديم، وكان قد مـرَّ بشمال الجزيرة العربيـة حيث تقع منطقـة الجوف. جاء الكتـاب في ثمانيـة ملاحق: بحث في الملحق الأول قبائل شمـال الجزيرة العربية في العـهد الأشوري وحملات الأشوريين على الصحراء العربية. وفي الملحق الثاني تحدث عن بني قـدم الذين كان يشكّلون قبـائل إسماعيليـة سكنت عدة مناطق منها شرقي الأردن. واستعرض في الملحق الثالث كتابات المؤلفين القـدماء حـول الصحـراء العربيـة وحدودها وبعض مـدنها. ثم ذكـر في الملحق الرابع كـتابـات المؤلفين العرب حـول حدود الـصحـراء العربيـة. وتطرق فـي الملحق الخـامس إلى طرق التـجـارة والنقل القـديمة في الصـحراءالـعربيـة. وفي الملحق الـسادس تحـدث عن الطرق التي كـانت تصل بين دمـشق والمدينـة والعـراق إبـان القـرون الوسـطى والحـديثـة. وخصص الملحق السـابع للحديث عن تاريخ دومة الجندل وأنهـا كانت سوقًا تجارية آمنة، كما عرّج على حملات المسلمين العسكرية على دومة الجندل لفـتحـها. وفي الملحق الثـامن ناقش مـسيـرة خالد بن الوليـد من العراق إلى سورية لنجدة المسلمين هناك.

يقع الكتاب في ٢٥٠ صفحة من القطع المتوسط، وصدر مترجمًا عن مؤسسة عبدالرحمن السديري الخيرية عام ١٤١٨هـ-١٩٩٧م.

شخصية المرأة في القصة القصيرة في الأردن

هذه إحدى الكاتبات العربيات ـ مـريم جبر فريحات من الأردن ـ تسلط الضوء على واقع المرأة في الأردن وشخـصيتها من خلال مـا كتب عنها في القـصص القـصيـرة بين عـامـي ١٩٧٠ـ ١٩٩٠م سواء أكـانت هذه المرأة أمًا أم زوجة أم بنتًـا أم عانسًا أم عاملة أم من خلال مواقفـها الوطنية والنضـالية. وقـد احتلت شـخصيـة الأم المساحـة الكبرى في القـصص المدروسة، تليها الزوجة ثم الابنة ثم المـرأة العاملة، وأخيرًا العانس التي لم تحظ سوى بـعدد محـدود من القصص الـقصيـرة. وحاولت الكاتبـة أن تبحث في العلاقة بين المرأة بوصفها قيـمة أدبية قصصية، والنسيج الفني الذي ظهـرت به تلك القـصص. وكشفـت عن ضـعف واضح في هذه العلاقة من خلال اللغة القصصية ومستوياتها، والسرد وأبنيته.

وفي آخر المطاف تناولت دور المرأة الكاتبة في تصـوير قضايا المرأة في الأردن ومـشكلاتهـا من خـلال كـتاباتهـا القـصـصيـة القـصـيـرة، وأوضحـت شدة ارتبـاط المرأة الأردنية الكاتبة بقضايـا بنات جنسها، من خلال القـصص الكثيرة التـي تناولت المرأة موضوعًـا قصصيًا والكيفـية التي قدّمت بها قضية المرأة.

يقع الكتاب في ١٥٢ صـفحة من القطع المتوسط، وصدر عن دار الكندي للنشر والتوزيع في إربد، الأردن ١٩٩٥م.

في علم النفس البيئي

يأتي هذا الكتاب ليضع لبنة مفيـدة في بناء البيئة الجديد. وكان الدافع إلى تأليف الكتاب ـ كما ذكر المؤلف د. عبـدالرحمن العيسوي ـ هو ما أصاب بيئتنا من تلوث وإهمال وتدميـر وتخريب بسبب اعتـداء الإنسان على بيئته التي هي الحضانة التي يتربى فيها وينشأ ويترعرع..

ذكـر المؤلف في كتـابه تعريفًـا لأهم المصطلحـات التي تتعـلق بعلم النفس البيئي، وعرّف علم النفس البيئي بأنه محـاولة علميـة للإسهام في حـماية البيئة وحل مشكلاتهـا المتزايدة من خـلال تعديل سلوك الناس نحـو البيئـة. وذكـر أهم موضوعاته ومناهجـه، وأشار إلى كيفية القضاء على السلوك الهـدام والمدمر للبيئة من خلال التعليم البيئي أو التربية البيئية.

وناقش أهمـية البيئـة وحمايتـها مـن الأضرار وتحسـينها. وتحـدث عن التلوث وأسبـابه ومصادره وآثاره النفـسية والسلوكـية. وعرض لسبل علاج مـشكلات البيـئة، وذكـر دور الجـامـعـة في تحـسين البيـئة، ودور التـعـاليم الإسلامية في مكافحة التلوث والعدوى، وتناول مسؤولية الحفاظ على البيئة وعدها مسؤولية جماعية على كل الناس وفي جميع العالم. وأجرى دراسة ميـدانية للأمـية البيـئيـة بين الشبـاب. وختم الكتـاب بمعجم للمصـطلحات المتـعلقة بعلم النفـس البيئي وفهـرس للمراجع العـربيـة والأجنبيـة التي رجع إليها.

يقع الكتاب في ٢٦٠ صفحة من القطع المتوسط، وصدر بطبعته الأولى عن منشأة المعارف بالإسكندرية ١٩٩٧م.

قطاف المواسم

ديوان شعر لمحمود أسد الله، ضم بين جنبـاته مجموعة من الـقصائد الوجدانيـة والوطنية والاجتـماعية والدينيـة. تحدث في بعضـها عن ذاته ووصف توبته ورجوعه إلى الله، وفي بعضـها الآخر مديح للنبي صلى الله عليه وسلم، ثم حـديث عن حبّـه للشـام أرض البطولات. وتناول في قـصـائده قـضـايا العـرب وتشـتتـهم وخـلافاتهم، وخـصَّ القدس وفلسطـين وأطفال الحـجـارة بكثير من أشعـاره. ووصف مـعاناة الشـعب الفلسطيني، كمـا أجرى مـوازنة بين حـضارة الإسلام التـي لا تفرّق بين الناس وحـضارة الغرب الظالمـة التي تفضل الحـيوانات على بعض الشـعوب. وفـخر كـثيـرًا بالحضـارة الإسلاميـة التي شادهـا الأجداد بعـرقهم ودمـائهم. وفي الديوان قصـائد ترحيب وحب لـشهر رمـضان المبارك، وأخرى تحدث فيها عن العلم والأخذ بأسبابه. وله أشعار يعالج فيها مشكلة الفقر والجوع وحب المال.

وتهجم في بعض أشـعاره على الحداثة التي تدك جذور الأمـة ودعا إلى العـودة إلى الأصـول مع الأخـذ بالجديد المـفيـد. وله قـصـيـدة يصف فيـهـا الأطفـال في يوم العيـد وأخرى يعـرض فيـها حبه وعـشقـه للغة العربية لغة القرآن.

يقع الديوان في ١٥٤صفـحة، وصدر عن دار المرساة للطباعـة والنشر والتوزيع في اللاذقية ١٩٩٧م.


كن مع
المنهل
AL MANHAL
مجلة العرب الأدبية
تصدر عن دارة المنهل للصحافة والنشر المحدودة
المركز الرئيسي : جدة رمز بريدي ٢١٤٦١ ص.ب ٢٩٢٥ ت : ٦٤٣٢١٢٤ فاكس : ٦٤٢٨٨٥٣

للاشتراك املأ هذه القسيمة
(عنوان الاشتراك من الخلف)

الاسم: ....
العنوان: ....

مسابقة مجلة
الفيصل

١- جوائز كثيرة تقدمها المجلة لأصحاب الحلول الفائزة على النحو التالي:

أ- ثلاث جوائز مالية تمنح لثلاثة فائزين (500 ريال، 350 ريالا، 150ريالا).

ب- خمس جوائز اشتراك مجاني في المجلة مدة عامين (24 عددًا).

ج- عشر جوائز اشتراك مجاني في المجلة مدة عام واحد (12 عددًا).

د- خمس جوائز عبارة عن مجموعات من إصدارات مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية بالرياض.

٢- ترسل الإجابات على العنوان التالي في مدة أقصاها 60 يومًا:

مسابقة مجلة الفيصل، ص ب (3) الرياض (11411) المملكة العربية السعودية

(مع ضرورة ذكر رقم المسابقة على المظروف)

أجوبة مسابقة العدد ٢٥١

ج١: من وصايا رسول الله صلى الله عليه وسلم لأصحابه:

* ماراوه مسلم في صحيحه عن سليمان بن بريدة عن أبيه، قال: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا أمَّرَ أميرًا على جيش أو سرية، أوصاه في خاصَّته بتقوى الله ومن معه من المسلمين خيرًا. ثم قال: «اغزوا باسم الله. في سبيل الله. قاتلوا من كفر بالله. اغزوا ولا تغُلُّوا ولا تغدروا ولا تمثُلُوا ولا تقتلوا وليدًا. وإذا لقيت عدوك من المشركين فادعهم إلى ثلاث خصال (أو خلال). فأيتهن ما أجابوك فاقبل منهم وكُف عنهم. ثم ادعهم إلى الإسلام. فإن أجابوك فاقبل منهم وكف عنهم. ثم ادعهم إلى التحول من دارهم إلى دار المهاجرين. وأخبرهم أنهم إن فعلوا ذلك، فلهم ما للمهاجرين وعليهم ما على المهاجرين. فإن أبوا أن يتحولوا منها، فأخبرهم أنهم يكونون كأعراب المسلمين يجري عليهم حكم الله الذي يجري على المؤمنين. ولا يكون لهم في الغنيمة والفيء شيء. إلا أن يجاهدوا مع المسلمين. فإن هم أبوا فسلهم الجزية. فإن هم أجابوك فاقبل منهم وكف عنهم. فإن هم أبوا فاستعن بالله وقاتلهم. وإذا حاصرت أهل حصن، فأرادوك أن تجعل لهم ذمة الله وذمة نبيه، فلا تجعل لهم ذمة الله ولا ذمة نبيه. ولكن اجعل لهم ذمتك وذمة أصحابك. فإنكم أن تخفروا ذممكم وذم أصحابكم، أهون من أن تخفروا ذمة الله وذمة رسوله. وإذا حاصرت أهل حصن، فأرادوك أن تنزلهم على حكم الله، فلا تنزلهم على حكم الله. ولكن أنزلهم على حكمك. فإنك لا تدري أتصيب حكم الله فيهم أم لا».

* وما رواه البخاري عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لمعاذ بن جبل حين بعثه إلى اليمن: «إنك ستأتي قومًا من أهل الكتاب، فإذا جئتهم فادعهم إلى أن يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله. فإن هم طاعوا لك بذلك، فأخبرهم أن الله قد فرض عليهم خمس صلوات في كل يوم وليلة. فإن هم طاعوا لك بذلك فأخبرهم أن الله قد فرض عليهم صدقة تؤخذ من أغنيائهم فترد على فقرائهم. فإن هم طاعوا لك بذلك فإياك وكرائم أموالهم. واتّق دعوة المظلوم فإنه ليس بينه وبين الله حجاب».

* وما رواه مسلم عن سعيد بن أبي بُردة، عن أبيه، عن جده؛ أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعثه ومعاذًا إلى اليمن. فقال: «يسِّرا ولا تُعسِّرا. وبشِّرا ولا تُنفِّرا. وتطاوعا ولا تختلفا».

ج٢: وضع أساس جامع الزيتونة حسان بن النعمان نحو عام ٨٠هـ. وكان بناء بسيطًا. ثم أعيد بناؤه في عهد الوالي عبدالله (أو عبيدالله) بن الحبحاب عام ١١٦هـ/ ٧٣٢م. وأعيد بناؤه مرة أخرى في عهد أبي العباس محمد بن الأغلب بن إبراهيم. لكنه لم يصبح جامعة إلا في عهد الحفصيين في القرن الثالث عشر الميلادي، حيث ازدهر فيه التعليم. ظل الجامع ينشر الثقافة العربية الإسلامية، ويقوم بإعداد المدرسين والأئمة والوعاظ والقضاة، ويتمتع علماؤه بمكانة عالية في المجتمع. وفي عام ١٩٣٣م صدر مرسوم أصبح بموجبه جامع الزيتونة جامعة، وسُمي شيخه مديرًا، وتم جعل الدراسة فيه على ثلاث درجات: إعدادية، ومتوسطة، وعالية مع التخصص في القراءات، أو في علوم الشريعة، أو في الآداب. وبعد استقلال تونس أُلحق الجامع بمصلحة التعليم الثانوي، وأُضيفت إلى مناهجه اللغات الأجنبية وبعض المواد العصرية.

نتائج مسابقة العدد ٢٥١

أ- فازت بالجائزة المالية الأولى، وقدرها ٥٠٠ ريال سعودي، منال بابكر الطاهر عبدالله، الخرطوم، السودان.

وفاز بالجائزة المالية الثانية، وقدرها ٣٥٠ ريالاً سعوديًا، عبدالمجيد فاروق الدبوسي، القيروان، تونس.

وفازت بالجائزة المالية الثالثة، وقدرها ١٥٠ ريالاً سعوديًا، صبحية محمد تايه، العين، الإمارات العربية المتحدة.

ب- وفاز بجائزة الاشتراك المجاني في المجلة مدة عامين (٢٤ عددًا)، كل من:

١- رشيد بوحاح، سلا، المغرب.
٢- سمرة محمد سمير الطحان، التل، سورية.
٣- طلال حميد أحمد الجابري، مكة المكرمة، المملكة العربية السعودية.
٤- محمد صبحي خليفي، السيب، سلطنة عمان.
٥- محمد يحيى محمد طاهر، إسلام آباد، الباكستان.

ج- وفاز بجائزة الاشتراك المجاني في المجلة مدة عام واحد (١٢ عددًا)، كل من:

١- زينب السياب، تامبير، فنلندا.
٢- عماد إسحق سليم الجيح، الرصيفة، الأردن.
٣- عبدالكريم إنصاف أحمد، الهامل، الجزائر.
٤- محمود أحمد العبد إسماعيل، العريش، مصر.
٥- أسامة عبدالرحمن محمد مكشم، صنعاء، اليمن.
٦- لياء بنت عبدالله دمسق، صفاقس، تونس.
٧- سميرة تيمان إدريس قصب، تبوك، المملكة العربية السعودية.
٨- ثائرة السلمان، فيكتوريا، أستراليا.
٩- خالد محمود القرفان، درعا، سورية.
١٠- أبو بكر بوبعوس، الناظور، المغرب.

د- كما فاز بجائزة مجموعة من إصدارات مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية بالرياض، كل من:

١- المؤمن محسن، كنساس، الولايات المتحدة الأمريكية.
٢- خالد عبدالرحيم دحيات، عمان، الأردن.
٣- زهار محمد الصالح، ميلة، الجزائر.
٤- محمود إبراهيم الحاج بدري، الخرطوم، السودان.
٥- حسن هاني ضياء حسن، الإسكندرية، مصر.

أسئلة مسابقة العدد ٢٥٤

(سؤالان فقط)

س١ : قال تعالى: *يأيها الذين آمنوا كُتِبَ عليكُم القصاصُ في القَتْلى الحُرُّ بالحُرِّ والعبدُ بالعبد..* البقرة:١٧٨. وللقصاص شروط. اذكرها باختصار.

س٢ : محمد الخضر حسَين، عالم تولى مشيخة الأزهر عام ١٣٧١هـ. أين وَلد: في مصر أم في الجزائر أم في تونس؟

قسيمة مسابقة مجلة
الفيصل
العدد ٢٥٤
مجلة الفيصل - ص.ب: (٣) الرياض ١١٤١١ - المملكة العربية السعودية

ويأتيك بالأمثال

يَدَاكَ أوكَتَا وَفُوكَ نَفَخَ

إذا شدَّ المرء فم السِّقاء أو الوعاء بخيط أو سير فقد أوكاه أي ربطه، ويُسمى ذلك الخيط أو السير وكَاء.

قالوا: كان رجل في جزيرة من جزائر البحر، فأراد أن يعبر إلى الشاطئ، فأتى بزقٍ ونفخه حتى امتلأ بالهواء فربطه برباط وركبه وسار في وسط المَاء.

ولما توسط الرجل البحر انحل الرباط وخرج الهواء من الزق وصار الرجل في وسط الماء، فأخذ يستغيث، فنظر إليه رجل وهو في وسط اللجة ثم قال: «يداك أوكتا وفوك نفخ». أي أنت الذي نفخت الزق بفمك، وربطته بيديك، فأوقعت نفسك في هذا المأزق، ولم يدفعك إليه أحد، فعليك أن تتحمل عاقبه عملك.

أخلاق الخادم والمخدوم

روى عبدالله بن طاهر - وكان من خاصة المأمون - أنه كان عنده يومًا فنادى الخادم قائلاً: يا غلام.. فلم يجبه أحد. ثم كرر النداء، فدخل غلام تركي وقال في حدَّة: أفما ينبغي للغلام أن يأكل ويشرب؟ كلما خرجتُ من عندكَ تصيح يا غلام..

فنكس المأمون رأسه، ولم يشك عبدالله في أن الخليفة سيأمر بمعاقبة الغلام، لكنه رفع رأسه وقال: يا عبدالله، إن الرجل إذا حسنت أخلاقه ساءت أخلاق خدمه، وإنا والله نستطيع أن نسيء أخلاقنا لتحسن أخلاق خدمنا!

مرة واحدة

كان الكاتب والمفكر الأمريكي جون جالاورذي له مبدأ واحد في الحياة ضمَّنه عبارة صارت شعاره، وقد كتبها على لوحة أقامها أمامه على مكتبه، وهي:

«إني أسلُك طريق هذه الدنيا مرة واحدة.. فكل خير أستطيع أن أفعله أو أن أصنعه، وكل يد أستطيع أن أمدها لإنسان أو لحيوان فلأصنعه الآن ولأمتنع عن إرجائه أو إهماله أيا كان الأمر؛ ذلك لأنني لن أسلك هذا الطريق إلا مرة واحدة».

مجنون أم حكيم؟!

يُروى أن أحد الملوك أراد مشاهدة المجانين عن قرب، فلما دخل عليهم وجد فيهم شابًا نظيفًا حسن الهيئة فدنا منه، وسأله عن أشياء كثيرة، فأجابه عن جميعها بأحسن جواب.

ثم إن الشاب قال للملك: مولاي إني أسألك سؤالاً واحدًا وأرجو أن تجيبني عنه.

فقال الملك متعجبًا: وما هو؟

قال الشاب: متى يجد النائم لذة النوم؟

فقال الملك ساخرًا: حال نومه طبعًا!

فقال الشاب: إن النائم في حالة النوم ليس له إحساس فكيف يشعر بهذه اللذة؟

فقال الملك في حيرة: إذن قبل النوم.

فرد الشاب بسرعة: كيف توجد لذته قبل وجوده؟

فقال الملك وقد ازدادت حيرته: بعد النوم!

فرد الشاب عليه: كيف توجد لذته وقد انقضى؟

فزاد إعجاب الملك بالشاب واختاره نديمًا له، وفي مجلس الشراب تناول الملك كأسًا، وناول الشاب كأسا أخرى، فقال الشاب: أيها الملك. أنت شربت هذا لتصير مثلي، فأنا أشربه لأصير مثل مَنْ؟!

وعندئذ اعتبر الملك، ورمى بالكأس من فوره، وقال في تعجب: أمجنون هذا أم نحن المجانين؟!

وحرم دخول الخمر إلى قصره تمامًا!!

الكلمة وأثرها

قيل للداعية أبي الحسن الندوي في المؤتمر العالمي لتوجيه الدعوة وإعداد الدعاة: حدثنا عن الكلمة وأثرها في الإنسان.

فقال: الكلمة هي الوسيلة الوحيدة لنقل المعاني والحقائق من جيل إلى جيل، ومن عصر إلى عصر، ومن إنسان إلى إنسان. فإذا وقع الشك في مدلول هذه الكلمات ومصداقها، أو صار التلاعب بها هيِّنًا؛ اضطربت دعائم الدين وتزلزلت أركانه. وهذا يضم التاريخ والشعر والأدب عامة. ولذلك كانت الفوضى اللغوية أشد خطرًا وأكثر ضررًا من الفوضى السياسية.

عملة زائفة

يقول ابن الجوزي رحمه الله تعالى في كتابه «صيد الخاطر»:

تفكَّرتُ في سبب دخول جهنم فإذا هي: المعاصي. فنظرت في المعاصي فإذا هي: حاصلة من طلب اللذات. فنظرت في اللذات فرأيتها خدعًا ليست بشيء، وفي ضمنها من الأكدار ما يصيرها نغصًا فتخرج من كونها لذات. فكيف يتبع العاقل نفسه ويرضى بجهنم لأجل هذه الأكدار؟!

تواضع العلماء

سئل أينشتين: من أنت؟

أجاب الرجل في تواضع: أنا طفل صغير، أعبث في مكتبة ضخمة مكونة من ٤ آلاف من الكتب، بينها عدد كبير من كتب بلغات عديدة أجهلها!

فضل الأدب

ذهب أعرابي إلى علي بن أبي طالب رضي الله عنه وقال له: إن لي إليك حاجة رفعتها إلى الله تعالى قبل أن أرفعها إليك، فإن أنت قضيتها حمدتُ الله وشكرتك، وإن أنت لم تقضها حمدت الله تعالى وعذرتك!

وأعجب علي ببلاغة الأعرابي، فقال له: خط حاجتك في الأرض - أي دعاه إلى كتابة حاجته رفقًا به وصيانة لماء وجهه -.

استراحة العدد

فكتب الأعرابي على الأرض: إني فقير، وفي حاجة إلى كسوة.
وعندئذ قال علي لخادمه: يا غلام ادفع له حلتي.
فلما أخذها الأعرابي قال:

كسوتني حلة تبلى محاسنُها
فسوف أكسوك من حسن الثَّنا حُللا
إن الثناء ليحيي ذكر صاحبه
كالغيث يحيي نداه السهل والجبلا
لا تزهد الدهرَ في عرف بدأت به
فكل عبد سيُجزَى بالذي فَعَلا!

وهو أمير المؤمنين

يروى عن عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه وهو خليفة، أنه كان كلما رأى أسامة بن زيد، هَشَّ في وجهه وقال له في بِشر: السلام عليك يا أميري..

وكان أسامة يعجب لهذا، وفي يوم قال له: يا أمير المؤمنين.. ألا تخفف من مداعبتي؟

فقال له عمر: لا! لن أدعُوكَ إلا بأميري لأن النبي صلى الله عليه وسلم رحل إلى الرفيق الأعلى وأنت أمير عليّ؟

الأدب لا الحسب

حُكي أن رجلا تكلم بين يدي المأمون، فأحسن، فقال له: ابنُ مَنْ أنت؟

قال الرجل: ابن الأدب يا أمير المؤمنين! قال المأمون: نعْمَ النسب انتسبت إليه، ولهذا قيل: المرء من حيث يثبت، لا من حيث ينبت، ومن حيث يوجد لا من حيث يولد:

كن ابنَ مَنْ شئتَ واكتسبْ أدبا
يُغنيك محموده عن النسب
إن الفتى من يقول هأنذا
ليس الفتى من يقول كان أبي

فوائد الصمت

في الصمت سبعة آلاف خير، وقد اجتمع ذلك في سبع كلمات في كل منها ألف، فالصمت عبادة من غير عناء وتعب، وزينة من غير حلي، وهيبة من غير سلطان، وحصن من غير حائط، واستغناء عن الاعتذار لأحد، وراحة، وستر للعيوب.

جبال

يقول علماء الجيولوجيا: إن الجبال الجليدية تبلغ من الضخامة أكثر مما تبلغه جبال اليابسة، وقد بلغت مساحة أضخم جبل جليدي، وهو الذي اكتشفوه سنة ١٩٥٦م في جنوب المحيط الهادي ٣١٠٠٠كم٢.

بديهة حاضرة

يروى أن أحد الأعراب اتُّهم بأنه أطلق لسانه في الوالي في أحد المجالس، فسيق إلى الوالي لمساءلته. وكان الأعرابي يعرف أن أتباع الوالي قد وجهوا إليه طائفة أخرى من التهم التي لم يرتكبها كي يتخلصوا منه بسجنه. فأعد كتابا رقيقا يستعطف به الوالي ويدرأ عن نفسه ما كان موجها إليه من تهم. فلما دخل على الوالي في مجلس حكمه وقرأ في وجوه الحاضرين ما يبيتون، أخرج الكتاب من جيبه وقدمه إلى الوالي وهو يقول بلسان عربي مبين: هأوم اقرؤوا كتابيه!! ولكن الوالي لم يقرأ الكتاب ورد على الرجل: إنما يقال هذا يوم القيامة وليس هنا..

وبسرعة قال الأعرابي: هذا والله شر من يوم القيامة.. فهناك يؤتى بحسناتي وسيئاتي معاً؛ أما رجالك فقد جاؤوا بسيئاتي وتركوا حسناتي.. فأعجب الوالي برده، وعفا عنه.

من غَرَسَ جَنَى

من غرس العلم: اجتنى النباهة، ومن غرس الزهد: اجتنى العزة، ومن غرس الإحسان: اجتنى المحبة، ومن غرس الفكرة: اجتنى الحكمة، ومن غرس الوقار: اجتنى المهابة، ومن غرس المداراة: اجتنى السلامة، ومن غرس الكِبْر: اجتنى المَقْت، ومن غرس الحرص: اجتنى الخزي، ومن غَرس الحسد: اجتنى الكمد.

احدى بوابات جامعة الملك سعود



يهدف الباب إلى تشجيع المواهب الناشئة التي تتلمس لها سبيلاً إلى الإبداع الفني والكتابة الأدبية، ولذلك تقوم تباشير باختيار عمل أدبي أو أكثر وفق معايير فنية محددة وحسب المساحة المتاحة، ومن ثم يُعرض على أحد النقاد المعروفين الذي يتناوله بالمتابعة النقدية أو التعليق أو التوجيه لتكون خطوة ثابتة لهذه المواهب في طريق الإبداع.
وهذه دعوة للمواهب الأدبية الناشئة للمشاركة في هذا الباب، علماً بأن هناك مكافأة رمزية تشجيعية للعمل الذي يحظى بالنشر.

قصيدة

سيد السيوف

شعر: أحمد بن رمضان (أبو سميّة)
القيروان، تونس.

قد كنت سيفًا مِقْصَعًا يا فيصل
حَذِمًا وقِامًا ليس مثلك مِخْصَلُ
ماضٍ من الرحمان ذاد عن الحمى
بحسامه وهو القضيب المِقْصَلُ

ويقول على لسان الملك فيصل:

«فلْتثأروا لي إخوتي ولقُدسنا
ولمن بغدر في المساجد قتّلوا
ولتذكروا شهداءنا وعبورنا
وجهاد صحب نبيّنا ولتأملوا
نصرًا مبينًا بالبنادق والمدا
فع والحجارة والمُدى واستبسلوا
من خان هان ومن تفاوض مذعنًا
لسلامهم فسلامهم لا يُقبلُ
فعدوا أباكم يا بَنِيَّ بِسَحْقِهم
كلبًا وخنزيرًا إلى أن يرحلوا»
قسما بروحك يا أبي سنبيدهم
حتى تعودَ جَبَاليَا والكرملُ

التعليق: هذه الأبيات اخترناها من قصيدتك «سيد السيوف» التي تهديها إلى روح الملك فيصل - يرحمه الله - وقد وصفته بـ«سيف الملوك، وملك السيوف، وشهيد العروبة والإسلام». وهي أبيات جيدة من حيث المبنى والمعنى، وإن لجأت فيها إلى مفردات مترادفة ربما احتاج كثير من القراء إلى شرحها مثل صفات السيف في البيتين الأولين. فالمقصع والوقام والمخصل والمقصل كلها بمعنى واحد وهو السيف القاطع. ومعظم قوافيك على شاكلة هذه المفردات كأنها (بَنَات مُعْجم) مثل: تبؤُل، معصل، الفَلْفَلُ. فاترك نفسك على سجيّتها ولا تتكلّف ولو عانيت ما عاناه سَلَفُك الفرزدق الذي قال: لخلعُ ضرسٍ من أضراسي أهون عليّ من وضع لفظة في قافية، أو كما قال. هذا وقد بدا لي عجز بيتك الأخير هنا يصلح عجزًا لما قبله والعكس، ولما وضعته وجدت المعنى أصبح أكثر إحكامًا. أما بقية الأبيات التي بلغت نحوًا من أربعين بيتًا ففيها أشياء ولنا عليها ملاحظ، أهمها عدم التوفيق في بعض الصور، ففي أحد أبياتك التي لم نخترها (الثامن) وصفتَ دماء الشهيد فقلت: «كأنها بحر طمى أو جدول». والصورة هنا مهتزة؛ فقد جعلتها بحرًا طاميًا ثم قلّصتها إلى جدول فأضعفتها، وما أبعد ما بين البحر والجدول.

وممّا يؤخذ عليك أيضًا قولك عن الصهاينة: «ليس الحرام بأن نجرَّع دمَّهم» هكذا. وجعلت تجرّع دمهم حلالاً. والدم كله حرام والنفس تنفر منه فكيف بتَجَرُّعِه؟ والنفس شديدة النفور من دم ابن آدم عمومًا فكيف بدم الصهاينة؟ تلك صورة ممجوجة من جهة المعنى. أما من جهة بناء البيت ففيه ضعف لأنك قلت: ليس الحرام بأن نجرّع، والصواب حذف الباء التي زدتها لإقامة الوزن. ولو وضعت فعلاً بمعنى السفك أو السفح لكان أنسب من التجرّع، ثم إنك ضعّفت الميم من «دمّهم» وهذه ضرورة قبيحة أيضًا.

وفي البيت التاسع (من الأصل) قلت: «ستمّحي نار الخيانة... تذبل». ولم تحسن التعبير عن المعنى؛ فالنار لا توصف بالذبول والامّحاء، بل بالخمود والانطفاء. أما الأوزان والموسيقى فلم تخل أيضًا من خلل فقد قلت في البيت العاشر في عروضه: «تشرقُ» فتحتاج إلى إشباع القاف لإكمال تفعيله بحر الكامل (مُتْفاعلن)، وقد تكرر مثل هذا في البيت الرابع والعشرين والسادس والثلاثين. بل هو أحد عيوب قصيدتك الأخرى، فقد وقع في نحو عشرة أبيات منها.

ولا يهولنّك كثرة ما أخذناه عليك، ففي أبياتك التي لم نثبتها هنا صور جميلة كقولك: «لم تَهْوِ من يدك الكريمة راية»، وغير ذلك.

أما قصيدتك الأخرى «قبل فوات الأوان» فطويلة جدًا، ولاشك أن فيها محاسن ومساوئ، ونرجو أن تتاح لنا فرصة أخرى لعرضها. وفقك الله.

د. إبراهيم القرشي عثمان

الأخ تركي عبدالله عطرجي، الرياض، ص.ب ٦٣١٥٨:

إنّه لمن بواعث السعادة أن نجدك مهتمًا بالنشر والكتابة في هذه السن المبكرة، وحبذا لو أرسلت نتاجك إلى إحدى المجلات المهتمة بنتاج الأبناء الصغار، كما أننا نأمل منك مشاركات أخرى حتى تستفيد من التوجيه في المراحل القادمة.

الأخت عائشة مديدش، طريق صفرو، فاس، المغرب:

قصتك القصيرة «حكاية» يمكن أن يُطلق عليها: قصة قصيرة جدًا أو أقصوصة أو خاطرة. وربما تحمل فكرة جيدة ومكثفة، لكنها لم تستوف شروط القصة القصيرة. نرجو تكرار المحاولة، ونتمنى لك التوفيق.

الأخ مهند سرميني، حلب، سورية:

قصتك تعتمد السجع الذي استخدمه أصحاب المقامات، ولكن شتان بين السجعين من الناحية الجمالية. فسجعك يبدو عليه التكلف واضحًا، وقد صرفك الاهتمام بالسجع عن الاهتمام ببناء القصة فجاء ضعيفًا يخلو من الحدّ المطلوب من البراعة الفنية في صياغة القصة القصيرة. فضلاً عن أن السجع حوّل القصة إلى خطاب تقريري أيديولوجي اعتدنا سماعه حتى أصبح مكررًا لا يحرك في المتلقي أي عاطفة أو إحساس: «... لن نبدّل الهوية، سأنزع الستائر الرمادية، أبدلها بوردية لتدخل أشعة الشمس البهية..».

إن صعوبة التقليد تنبع من أنه ينبغي للمقلّد أن يحاول مجاراة المقلَّد أو الاقتراب منه أو تجاوزه. ونترك لك أن تحكم على محاولتك موازنة بالنص الذي تقلده. مع تمنياتنا لك بالتوفيق في محاولاتك الأخرى.

الأخ إبراهيم خليل إبراهيم، شبرا الخيمة، القاهرة، مصر:

مقالك لطيف وجميل، وقد اتكأت فيه على جهود بعض من سبقك في ميدان هذه الفكرة. غير أنك حسن الانتقاء، تجيد ضم الفكرة إلى أختها. وما جمعته من أفكار ترى كثيرًا منه متفرقًا هنا وهناك. وكنا نود أن تختار من تاريخنا أمثلة ونماذج تحقق ما ذهبت إليه كأفضل ما يكون التحقيق، فالمعري أصيب بالعمى في الثالثة أو الرابعة من عمره، ولكنه صبر وظفر، وترك كتبًا رائعة ودواوين فريدة خلاف ما ضاع من أسفاره وهو أضعاف ما بقي، ويكفي أن نذكر ما قاله طلابه ومعاصروه من أنه وضع كتاب «الأيك والغصون» في مئة مجلد لم يبق منها إلا صفحات منثورة في بطون الكتب.

ومن الأمثلة الرائعة ابن سيده الأندلسي، وكان كذلك أعمى، وقد ترك معاجم لغوية هي درر مضيئة في تراثنا الحضاري.. ولو مضينا في قراءة تاريخ هؤلاء العباقرة لوجدنا بينهم الخطباء المصاقع والعلماء الكبار والقضاة والمفتين.

ولا يفوتنا هنا أن نشير إلى أن هيلين كيلر الفتاة المعجزة، ما كان لها أن تكون كذلك لولا المعلمة العظيمة التي قامت على تدريبها، وتذرعت بالصبر والإيمان والأمل الرائع بالنجاح الذي أعانتها مواهب هيلين على بلوغه.



الإخوة عماد وعبدالإله عبدالله، علي محمد يحيى حاتم، مدينة المحايشة، اليمن:

نفيدكم أن المجلة نشرت عدداً من الكتيبات عن الملك فيصل يرحمه الله، بمناسبة احتفال مؤسسة الملك فيصل الخيرية بمرور عشرين عاماً على تأسيسها، وقد جاءت في صورة ملاحق لأربعة أعداد من المجلة، وتضمنت جوانب مختلفة من حياة الملك فيصل ومآثره وأعماله، وسوف تصل إليكم هذه الملاحق إن شاء الله، لعلكم تجدون فيها ما تريدون معرفته من معلومات عن هذه الشخصية العظيمة بأبعادها الإنسانية، وجلائل أعمالها.

الأخ جباري عبدالقادر، ولاية بشار، الجزائر:

نشكر لك ثناءك على المجلة، وسوف تصل إليك بعض الأعداد قريباً إن شاء الله، ونأمل أن تجد فيها ما وصفته بالقيم السامية والأفكار النيرة.

الأخ أسامة رشيد مجبور (أبو زيد)، اللاذقية، سورية:

نتمنى لك الشفاء العاجل، أما المقالات التي أرسلتها، فسوف تأتيك الردود الخاصة بها، وهذا لا يمنع من أن ترسل ما لديك من نتاج جديد، لأن تنوع المقالات يتيح فرصة أفضل للاختيار، ومن ثم النشر في أقرب وقت وفقاً لما تضعه المجلة من معايير عند اختيار مقالات أي عدد، ونشكر لك مداومة المشاركة في المجلة.

الأخوين محمود (أبو فروة) الرجبي، الزرقاء، الأردن، إبراهيم النمر، الرقة، سورية:

ثقا أن كل موضوع يرد إلى المجلة يلقى الاهتمام التام، وسوف تصل إليكما ردود واضحة تبين موقف الموضوعات التي وردت منكما من النشر، فلا داعي للقلق، ومرحباً بمقالاتكما.

الأخ محمد الصادق عبداللطيف، قليبية، تونس:

الحوار الذي أرسلته أجيز للنشر كما سبق إبلاغك، وسوف يأخذ دوره في النشر كما هو متبع. ونفيدك أن أي موضوع يجاز للنشر، يُصفّ ويُراجَع، ويُدرَج مباشرة في خطة المجلة، فمرحباً بمشاركاتك، وبمشاركات الإخوة الكتّاب من كل أنحاء العالم الإسلامي.

الأخ الصادق محمد عبدالقادر، جامعة الجزيرة، السودان:

نشكر لك حرصك على اقتناء المجلة، وثناءك عليها، ونعلمك أن مشكلة التوزيع في طريقها إلى الحل، علماً بأن هناك بلداناً كثيرة ترغب في زيادة الكميات الموزعة فيها، وهذا ما تحرص عليه المجلة، خدمة لقرائها في كل مكان.

الأخ سيف بن علي العشمي، بغداد، العراق:

نشكر لك ثقتك بمجلتك «الفيصل»، ونفيدك أنه ليست لدينا معلومات عن الموضوع الذي أشرت إليه إلا ماوجدته منشوراً في العدد الذي بين يديك. وكنا نأمل أن نستطيع مساعدتك. مع دعواتنا لك بالتوفيق في مسعاك الخير، وعليك أن تعلم أنه ما وُجد داء إلا وله دواء.

الأخ عبدالواحد استيتو، طنجة، المغرب:

مسجد «طارق بن زياد» الذي أشرت إليه ليس إلا واحداً من المساجد والمراكز الإسلامية التي أقامتها المملكة العربية السعودية في كثير من بلدان العالم خدمة للمسلمين؛ ويسرنا أن نرسل إليك صورة له مادامت هذه رغبتك، شاكرين لك حسن ظنك بالمجلة، وحرصك على مداومة الاطلاع عليها.

الأخوين طارق حسان، الأميرية، القاهرة، برياني العربي، أولاد جلال، الجزائر:

نرحب بمشاركتكما، ولايمكن لنا تقويم أي مادة من غير قراءتها، لذلك نطلب منكما إرسال ما تريانه مناسباً للمجلة، حتى يمكن تقويمه، وتحديد مدى مناسبته للنشر.

الأخ رفعت محمد دهيس، الخرطوم، السودان:

ما كتبته تحت عنوان «أطفالنا أكبادنا» تعليقاً على إطلالة رئيس التحرير المعنونة «خير الاستثمار في العقل»، فيه كثير من الحقائق التي توضح ما آل إليه حال العرب والمسلمين بعد أن تسيّدت الحضارة العربية والإسلامية العالم عدة قرون. ولكن كيف يمكن لنا أن نسمي استخدامنا للتقنية الحديثة تطوراً ومواكبة للغرب، بينما لا نعرف من أسرارها الكثير؟ إن التطور - يا أخ رفعت - لن يكون ما لم نستطع أن نبدع نحن تقنيات تلبي احتياجاتنا، وتدفع بنا إلى طريق التقدم.

عموماً، حديثك يعبر عن مشاعر إنسان غيور على أمته وتراثها، ونتمنى أن يحقق الله الآمال في غد أفضل وأكثر إشراقاً للأجيال القادمة.

الأخ تامر عبداللطيف إدريس، حمص، سورية:

ما كتبته تعليقاً على الموضوع المنشور في باب «مناقشات وتعليقات» بعنوان «انصفوا هارون الرشيد» كان حقّاً، فقد تعرضت شخصية هذا الخليفة لكثير من تشويه المؤرخين، وإن كان قد أنصفه كثيرون، ووصفوا دولته بدولة العلم. وعموماً تعليقك يدل على متابعتك الدقيقة لما تنشره المجلة من مقالات، وفي الوقت نفسه يعبر عن غيرتك، فنأمل أن نتلقى منك ما يغني جوانب ما يُنشر من موضوعات في مجلتك «الفيصل»، كما نأمل تلقي مشاركاتك ومشاركات الإخوة القراء أينما كانوا.

الأخ محمد سعد، جرش، الأردن:

نشكر لك إطراءك باب «منتدى الفيصل»، وبخاصة الحلقة التي كان ضيفها الشاعر الدبلوماسي الدكتور غازي القصيبي، وهو - كما تعلم - سفير خادم الحرمين الشريفين في بريطانيا، ومن ثم، فإن عنوانه هو عنوان السفارة السعودية بلندن.

أما د. محمد المخزنجي، فهو طبيب وكاتب قصة قصيرة، وقد نشرت له «الفيصل» بعض قصصه، بالإضافة إلى تجربته في باب «من تجاربهم» في العدد ٢١٠، وهو يعمل الآن في مجلة «العربي» الكويتية، فيمكنك مراسلته على عنوانها.

بين القارئ والقارئ

لدي أكثر من ثلاثة آلاف عدد من مجلات مصرية صدرت في المدة من ١٩١٠م إلى ١٩٦٥م: (المقتطف، الهلال، العروسة، اللطائف المصورة، المصور، بنت النيل، الاثنين، الكواكب، صباح الخير، آخر ساعة، الجيل، الشرق الأدنى.. إلخ)، وأكثر من خمسة آلاف عدد من مجلات مصرية وعربية صدرت في المدة من ١٩٦٥م إلى ١٩٨٥م. أرغب في مبادلتها مقابل مراسلات وصور وطوابع سعودية وخليجية قديمة وكذلك ١٢٠٠ كتاب من كتب الأدب والتراث جميعها طبعات نادرة وبحالة ممتازة.

موفق علي أحمد بيومي
١٧ شارع ابن الخصيب، ميدان الساعة
المنيا ٦١١١١، مصر.

آمل من الأخوة قراء الفيصل مساعدتي في الحصول على الكتب التالية: الاستشراق لإدوارد سعيد، تاريخ الماسونية العام لجرجي زيدان، الصهيونية وربيبتها إسرائيل لعمر رشدي، بروتوكولات حكماء صهيون لأحمد عبدالغفور عطار، الأصولية في العالم العربي لبرنارد لويس، ترجمة عبدالوارث سعيد، الأساطير المؤسسة للسياسة الإسرائيلية لروجيه جارودي، دليل إسرائيل العام الصادر عن المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ماذا يريد التربويون من الإعلاميين الصادر عن مكتب التربية العربي لدول الخليج.

وأنا مستعد لدفع قيمة هذه الكتب، بالإضافة إلى تكاليف إرسالها بالبريد.

أحمد عبدالله عواجي
ص.ب ١١٠٣٢، الأحساء ٣١٩٨٢

ملحوظة:

تهدف هذه الزاوية «بين القارئ والقارئ» إلى إيجاد قناة مباشرة بين القراء أنفسهم لتبادل المعلومات عن الكتب النادرة أو المجلات التي توقفت عن الصدور أو نفدت أعدادها.

عناوين

الأخ عبدالله جاري البكري، النماص:
عنوان الأستاذ كامل يوسف حسين هو:
دبي، ص.ب ٢٧٧٠، الإمارات العربية المتحدة.

الأخ الهادي محمد آدم، أنجمينا، تشاد:
عنوان الأستاذ عبدالحميد أحمد رئيس اتحاد كتاب الإمارات هو:
جريدة البيان، دبي، الإمارات العربية المتحدة.
أو: اتحاد كتاب الإمارات.

الأخت إحسان الإدريسي القيطوني، طنجة، المغرب:
عناوين بعض الأقسام والكليات الجامعية السعودية التي لديها برامج دراسات عليا في مجال علم النفس وفروعه:

* **قسم علم النفس، كلية التربية، جامعة الملك سعود: ص.ب ٢٤٥٨ الرياض ١١٤٥١. هاتف٤٦٧٤٨١٧.**

والدراسات العليا في التخصصات التالية:

علم النفس التربوي، علم النفس الاجتماعي والصناعي، علم النفس الإرشادي، القياس والتقويم، الخدمات النفسية لغير العاديين.

* **قسم علم النفس، كلية التربية، جامعة أم القرى: ص.ب ٣٧١١ مكة المكرمة. هاتف ٥٥٧٤٦٤٤. الدراسات العليا في علم النفس.**

إيضاحات

تعتذر المجلة سلفاً من عدم تقديم اشتراكات مجانية، ومن عدم التجاوب مع طلبات للحصول على إصدارات أخرى (كتب ومجلات) لاعلاقة لها بها.

المسائل الشخصية كطلب وظائف أو مساعدات مالية أو إعانة على زواج، أو ماشابه ذلك والتعارف بين هواة المراسلة، ليست من اختصاصات المجلة ولا اهتماماتها، ومن حقها عدم الالتفات إلى رسائل تختص بهذه الأمور أو الرد عليها.

يتعذر على المجلة الرد الشخصي البريدي على جميع القراء الذين يراسلونها وذلك لكثرة الرسائل، وتكتفي بالرد عليهم من خلال «ردود خاصة»، أو بنشر مشاركاتهم في الصفحات المخصصة لذلك.

الرسائل ذات العلاقة بمركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية أو بأي نوع من خدماته، يُرجى توجيهها إليه مباشرة على عنوانه: ص.ب ٥١٠٤٩ الرياض ١١٥٤٣ المملكة العربية السعودية.

عند مراسلة الصفحات المخصصة للقراء (مناقشات وتعليقات، بريد، المسابقة، تباشير، ردود خاصة ـ بما في ذلك زواياها الجديدة: بين القارئ والقارئ، عناوين) يرجى ذكر اسم الباب أو الزاوية على المظروف، مع شكرنا للجميع.



حول تدريس العلوم في الجامعات باللغة العربية



قرأت مقال د. نجيب غزاوي في عدد «الفيصل» ٢٥١: «التعريب والمصطلح العلمي»، وأود أن أطرح وجهة نظري في هذه القضية، فأقول، وبالله التوفيق:

درجت الجامعات في معظم البلاد العربية على تدريس العلوم باللغات الأجنبية؛ وكأن اللغة العربية التي استوعبت علوم الطب والفلك والكيمياء والفيزياء وغيرها، إبان ازدهار الدولة العربية في العصور القديمة، قد عجزت في هذا العصر عن استيعاب مصطلحات التقنية الحديثة. ويزيد المشكلة خطورة أن مصطلحات العلم الحديث لم تعد حكرًا على الجامعات ومراكز البحث والندوات المتخصصة، إنها الآن حاجة عامة في المصنع والحقل والورشة والمتجر والمنزل. بل إنها مادة الخطاب اليومي لكل الناس.

هذا الانتشار أدى إلى ازدواجية التخاطب في كل البلاد العربية، فلا تكاد تخلو جملة يتلفظ بها رجل الشارع أو الطالب أو أستاذ الجامعة من كلمة أجنبية أو أكثر. بل أصبح هذا الأمر مدعاة للفخر لدى كثير من المثقفين، وتزداد اللغة العربية عزلة. فلقد حدث أن تكلمت في إحدى الندوات عن أحواض النفط باللغة الفصحى فاحتجَّ أكثر من مستمع بأنه لم يفهم شيئًا مما قلت. والأمر يزداد تعقيدًا بازدياد عدد المفردات الأجنبية المتداولة في لغة التخاطب اليومية.

إن المرء ليجزع حقًا عندما يصل التضليل حدًّا تغدو فيه لغته موضع ريبة، عندما يُصَوَّر هذا الرباط المقدس كأنه قيد على التقدم، وعنوان عزلة وتخلف عندما يدخل في روع صانعي القرار، أنهم أمام خيارين: فإما التأخر عن ركب الحضارة، وإما إهمال اللغة القومية واستخدام اللغات الأجنبية بدلاً عنها.

والحقيقة أن المشكلة لا تكمن في اللغة العربية. فهي غنية بالمفردات، زاخرة بالاشتقاقات مما يجعلها من أكثر لغات العالم قدرة على تطويع المصطلح العلمي، يدل على ذلك كونها لغة العلوم والطب والهندسة والرياضيات في أكثر من جامعة عربية معاصرة. المشكلة مرتبطة بإرث تاريخي من الصراع بين الثقافة العربية الإسلامية من جهة، والثقافة الغربية من جهة أخرى، كما أن هناك عوامل ذاتية تكمن في الحالة العربية الإسلامية الراهنة.

والثقافة العربية الإسلامية مستهدفة. وهذا الاستهداف تجلّى في النشاط التنصيري في القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين الذي تكسرت أمواجه على صخرة الصمود الإسلامي. ثم تحولت المعركة إلى الحرف العربي والدعوات التي لا تنقطع إلى استبدال الحروف اللاتينية به، وقد نجحت هذه الدعوات في تركيا التي تحولت إلى الكتابة بالحروف اللاتينة، مع أن المشاعر الإسلامية مازالت تتأجج في وجدان الشعب التركي المسلم الشقيق. كما أن الدعوات المتلاحقة إلى استخدام اللهجات المحلية بدلا من العربية الفصحى تخفي وراءها أهدافًا ترمي إلى إضعاف لغة التنزيل ورباطها الذي يشد العرب والمسلمين بعضهم إلى بعض.

وإذا كان التنصير قد انحسرت موجته، وكذلك الدعوات المشبوهة الأخرى، فإن الغزو التقني الذي بلغ الذروة مع نهايات هذا القرن هو الأشد خطورة لأنه يستجيب لحاجات العصر التي لابد منها. لقد غزتنا الشركات الأجنبية وغزوها لارادّ له، على الأقل في المرحلة الراهنة. فهي مسلحة بالآلة الضخمة تشق الأرض فينبجس من أعماقها الماء فيه حياة للناس والأنعام. ودخلت معها السيارة والطائرة والتلفاز والهاتف والفاكس والمكيف الذي ينقلك في حَمَارَّة القيظ إلى جو بارد منعش، وفي صَبَارَّة الشتاء إلى مناخ دافئ مريح. ولكن مع هذه الحضارة دخلت ثقافة التقنية ولغتها، وأصبح مجيدو اللغات الأجنبية هم الأوفر حظًا في العمل في هذه الشركات مع رحلات الاطلاع والاستجمام في بلدان الحضارة الغربية الساحرة!!

وهكذا أخذت تقنية العالم المتقدم تفرض لغتها وثقافتها علينا بجدارة، وسجلت اللغة العربية والثقافة الإسلامية تراجعًا في عقر دارها، مما يهدد الرابطة الإسلامية بالتفكيك القسري، كما رثَّت عرا أخوة النسب في نطاق شعوبنا العربية حتى نسي العرب أن القدس أولى القبلتين وأن في القدس مسرى نبي الإسلام محمد صلى الله عليه وسلم.

لست داعية انكفاء عن الحضارة الحديثة، فأنا من المؤمنين بوجوب العلم الداعين إلى تعلم لغاته وتمثل نظرياته، واستخدامه وسيلة لدعم الثقافة العربية الإسلامية، لا وسيلة تفكيك وتشكيك وإلغاء.

لكن المشكلة تكمن فينا أيضًا:

١ـ فالجامعة التي ازَّيَّنت وفتحت أبوابها لاستقبال العلم الحديث لم تعدّ للأمر عدته. وأول العدة توفير الكتاب العلمي باللغة العربية وترجمة أمّات الكتب الحديثة وإنشاء مكتبات علمية عربية بالإضافة إلى الأجنبية. وهذا ما لم يحدث. فبقيت الكتب الأجنبية ـ إن وجدت ـ المرجع الوحيد للحصول على المعرفة.

٢ـ لم يتح للمدرسين الجامعيين أن يتعمقوا في دراسة لغتهم، فهم في المدرسة الثانوية اختاروا التخصص في العلوم وحسبوا أن دراسة اللغة العربية شأن يخص الأدباء، ونسوا أن اللغة هي وعاء المعارف؛ مع أنهم في اللغات الأجنبية التي حصّلوا بها اختصاصهم مجبرون على الكتابة بلغة سليمة سلامة كاملة. وقد أدى عجز (الكادر) التدريسي عن التأليف العلمي باللغة العربية إلى الالتجاء إلى اللغات الأجنبية واستخدام مصطلحاتها محملين لغة قومهم مسؤولية عجزهم.

في أواخر الستينيات جمعني تحصيل المعرفة في إحدى الجامعات الأجنبية بأستاذ ياباني، وسألته عن أسباب تقدم اليابان الكبير فقال: العمل واستيعاب التقنية المعاصرة. لقد فرضت الدولة على كل موفد أن

يترجم كتابًا في اختصاصه إلى اللغة اليابانية.

ترى لو طبقنا هذه القاعدة هل كانت توجد لدينا مشكلة اسمها المصطلحات العلمية؟!

٣- الترجمة والنشر هما الأساس الذي لابد منه للتقدم العلمي. وترجمة الكتب العلمية هي آخر اهتمامات مؤسساتنا الثقافية عكس ما هو سائد في معظم دول العالم؛ حيث توشك الترجمة أن تكون متزامنة مع التأليف، فلا يكاد يصدر كتاب علمي قيم حتى تسارع المؤسسات الثقافية إلى ترجمته إلى لغتها القومية. ولو وجدت مثل هذه الترجمات في بلادنا العربية لسهل على المدرس وعلى الطالب دراسة العلوم وتدريسها باللغة العربية.

أما دور النشر الخاصة فهي تسعى إلى الربح السريع، فتبحث عن الرابح والمثير من كتب الشعر والقصة والرواية فتترجمها. وما أعرف دارًا واحدة على امتداد الوطن العربي غامرت بنشر كتاب في الرياضيات أو في الفيزياء مثلاً.

٤- تستطيع المجلات العلمية المتخصصة أن تسد بعض النقص، ولكن هذه المجلات، على ندرتها وتدني مستواها، مازالت محدودة الانتشار، والمصطلح فيها مترجم بشكل غير دقيق، وأغلبها خلاصة لأطروحات أعدّها مؤلفوها في مرحلة التحصيل العلمي.

ومع هذا فإن تجربة المجلات العلمية المتخصصة في مجال الطب والزراعة والإلكترون والمعلوماتية، تستحق التشجيع والدعم المادي.

٥- مؤسسات الجامعة العربية الثقافية حملناها أكثر من طاقتها؛ لأنها بحكم صلاحياتها وإمكاناتها المادية غير قادرة على أداء دور فعال في مجال التعريب وتوحيد المصطلحات. وهي بحاجة إلى تفعيل ورفدها بدم حار يكسر أطواق الروتين وينفعل بالثقافات المعاصرة.

وبعد، هذا نداء موجه إلى الحكومات العربية والمؤسسات الجامعية فيها كافة: أن درِّسوا العلوم بلغة القرآن الكريم، علِّموا بها أولادكم في المدارس والمعاهد والجامعات، تخاطبوا بها في مراكز البحوث والندوات.

د. مهندس محمد محفوض
ص.ب ٢٨٤٩، دمشق، سورية.

مناقشات وتعليقات

يداك أوكتا وفوك نفخ



تحية إعزاز وإكبار وتقدير لكل مقالاتكم القيمة التي أستمتع بقراءتها، وأشير على نحو خاص إلى مقالكم المعنون: «يداك أوكتا وفوك نفخ». فلقد قرأته عدة مرات مستمتعًا ومستفيدًا ومتعلمًا الكثير من خلال ما عرضه من حقائق ومعلومات، ومن أهداف عظيمة تربوية ونفسية وطبية لقضية حماية البيئة من التلوث، والتدمير، والتصحر، واستنزاف الموارد، والإسراف في استغلال المصادر الطبيعية، والقضاء على الغابات وعلى الحيوانات والطيور والأسماك والنباتات النادرة. ولقد أعجبني شمول المقال وعرضه لتاريخ علاقة الإنسان بالبيئة، واهتمام علماء الإسلام بقضايا البيئة، وخطورة ارتفاع درجة حرارة الأرض، وفداحة الخسائر الناجمة عن التلوث والإساءة إلى البيئة، وعلاقة العداء القائمة بين الإنسان والبيئة، وقلة الأكسجين وأخطار الضوضاء والضجيج، والنهم في الاستهلاك والبذخ، وكثرة الإعلانات الحافزة إلى الاستهلاك، والتشجيع على الاستهلاك الزائد على الحاجة بدلاً من ترشيده، وأخطار أنماط العمارة الوافدة، والاستخدام الجائر لمصادر الطبيعة وموارد الطاقة.

لقد أعجبني المقال كله لشموله وعمقه ورشاقته ولاسيما فكرة عدم الاكتفاء بوضع مقرر دراسي في التربية البيئية، وضرورة توفير المثال الجيد والقدوة والنموذج السلوكي العقلي، واتخاذ المجتمع كله من فكرة حماية البيئة من أخطار التلوث فلسفةً عامة للمنهج، ومنهجًا وأسلوبَ حياة في وطننا العربي الكبير الذي يدخل قويًا في عالم التصنيع.

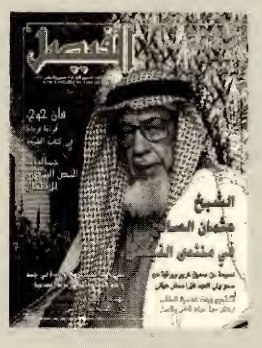
والحقيقة أن لتلوث البيئة كثيرًا من الأخطار الصحية. فتلوث المياه العذبة يسبب الفشل الكلوي، وتلوث الهواء بالغبار والدخان والغازات والأتربة والضوضاء يسبب السل الرئوي والصمم وبعض الأمراض الجلدية. وحتى الأمراض العقلية والتخلف العقلي من الممكن أن تحدث من جراء التسمم بالرصاص وغيره من المعادن الخطيرة.

فالمطلوب عقد مصالحة بين الإنسان وبيئته وإنهاء حالة العداء بينهما، والإيمان بأن البيئة هي الأم الحنون التي تحتضن غنيّنا وفقيرنا، وهي الميراث المشترك لنا جميعًا، و«الرحم» التي يشب فيها الإنسان والحيوان والنبات، والحضانة التي نعيش فيها ونتربى طوال رحلة الحياة. أما التلوث فلا وطن له، لأنه يعم جميع بلدان العالم من أقصاها إلى أقصاها. والإنسان الذي أوكل إليه الله تعالى عمارة الكون، أي البيئة، نراه يحطمها ويدمرها ويفسدها ويسيء إليها. إنها قضية المجتمع كله بل المجتمع العالمي كله.

وأكرر الشكر والتقدير والتهنئة على هذا المقال الشامل العميق الشائق الذي يعالج واحدًا من أهم موضوعات الساعة بصورة علمية وتربوية واجتماعية. فجزاكم الله عنا وعن جمهور القراء كل خير وبركة.

د. عبدالرحمن محمد العيسوي
أستاذ علم النفس، كلية الآداب
جامعة الإسكندرية، مصر.

القدوة الحسنة ودورها في بناء المجتمع



في العدد ٢٤٩ من مجلة «الفيصل» الغرَّاء، وفي معرض جوابه عن السؤال المطروح في باب «البريد الثقافي» تطرَّق الأستاذ الدكتور محمود أحمد شوق إلى مجموعة من العوامل التي يمكن لها «إعادة صياغة العقل العربي». ومن تلك العوامل ذكر سعادته عاملاً مهمًا هو: «إيجاد القدوة في السلوك»؛ مما حدا بي إلى التوقف مطولاً عند هذا العامل لما له من دور بنَّاء في تكوين الشخصية السليمة وجعلها لبنةً صالحة في بناء المجتمع.

إنَّ مبدأ القدوة الحسنة مهمٌّ جدًا، يجب الأخذ به، وأن نعمل جميعًا على تطبيقه في تربية أبنائنا. لقد ترك لنا ديننا الحنيف ورسولنا الكريم صلى الله عليه وسلم إرثًا خلقيًا متكاملاً، كان، وما يزال، منهجًا حياتيًا واضحًا يحفلُ بالصور التي فيها مصلحة الفرد والمجتمع معًا.

وسهَّل لنا الإسلام الطريق لسلوك هذا المنهج الواضح دون أن يضيِّق على أبنائه: *وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُم فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ*. **الحج**: ٧٨. وجعل هذا المنهج صالحًا لكل زمان ومكان، والدليل على ذلك كون الإسلام خاتم الأديان، ومحمد صلى الله عليه وسلم خاتم الأنبياء. قال تعالى: *اليَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُم وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُم نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُم الإِسْلَامَ دِينًا*. **المائدة**:٣. كما جاء هذا المنهج واضحًا بسيطًا بعيدًا من اللبس والغموض والتعقيد، خاليًا من الرِّيب والشكوك: «الحلالُ بيِّنٌ والحرامُ بيِّنٌ». وما علينا سوى إعمال عقولنا لسلوك الطريق الصحيح: *وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ*. **البلد**: ١٠.

وقد رسم لنا رسولنا الكريم صلى الله عليه وسلم طريقًا واضحًا سليمًا صحيحًا في الحياة، فخلُدت سنَّتُه في نفوسنا ووجداننا لتكونَ منارًا نهتدي به إلى يوم يُبعثون، وكان هذا الطريق منهجًا متكاملاً لا نقص فيه ولا خلل لم يترك صغيرةً ولا كبيرة إلا نوَّه بها. لذا كان الرسول صلى الله عليه وسلم قدوتنا الحسنة في جميع مجالات الحياة: *لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ*. **الأحزاب**:٢١.

وقام أصحاب الرسول صلى الله عليه وسلم بدور كبير في هذا المجال، فكان كلُّ واحد فيهم مدرسةً فاضلةً بالأخلاق الحسنة، والخصال الحميدة، فوجب علينا الاقتداء بهم.

لذا كان حريًا بنا أن نتمثَّل أخلاق نبينا الكريم وصحبه الكرام، وأن تكون أخلاقهم نبراسًا لنا نهتدي به إلى الخير والفلاح لبناء مجتمع قوي متماسك يقومُ على المحبة والسلام والتعاون، وحبِّ الإنسان لأخيه الإنسان، ونبذ المنكرات وفعل الواجبات. وكفانا فخرًا أن يُوضَعَ اسمُ نبينا صلى الله عليه وسلم على رأس قائمة «المئة الأوائل» في التاريخ في أحد الكتب التي أُلِّفت حديثًا، مع أن مؤلفه ليس مسلمًا، وكفانا فخرًا واعتزازًا أن نرى عشرات المستشرقين والباحثين الأجانب يدرسون الإسلام برويَّة وإمعان، ويُبدون إعجابهم بشخصية محمد صلى الله عليه وسلم وأخلاقه الفاضلة، وأخلاق صحبه الكرام البررة. فها هو «برنارد شو» الكاتب الإيرلندي يرى في محمَّد صلى الله عليه وسلم منقذًا للبشرية المعاصرة لو كان موجودًا فيقول: «لو كان محمدٌ موجودًا، لحلَّ مشكلات العالم المعاصر». وفي ضوء ما تقدَّم: يجب أن نرسخ في أذهان أطفالنا ونشئنا منذ نعومة أظفارهم معنى «القدوة الحسنة»، وأن نربيهم على الأخلاق الفاضلة، والصفات الحميدة أسوةً بخير الخلق محمد، وتنفيذًا لتعاليم ديننا الحنيف، وذلك من طريق البيت والمدرسة معًا؛ فهما متكاملان، وهما القطبان الأساسيان في العملية التربوية ولهما الدور الأساس في بناء شخصية الإنسان، وأن نعوِّدهم تلاوة كتاب الله تعالى، وتدبر معانيه وتمثُّلها، وقراءة أحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم لترسخ في نفوسهم بذور الخير والصلاح والإيمان وذلك لبناء مجتمع متماسك «إذا اشتكى منه عضوٌ تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى».

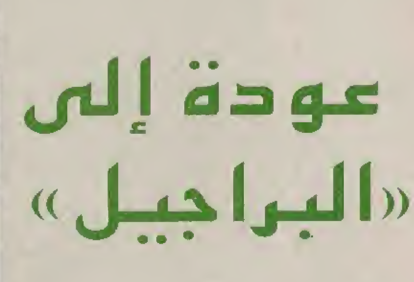
كما يجب علينا أن نبتعد نحن أولاً من إتيان ما ننهى أولادنا عن فعله لأن الولد يتشبَّه بأبيه وأمه ومعلِّمه، ويتقمص شخصياتهم ويقلدهم بأفعالهم إيجابية كانت أم سلبية. وبصدد هذا الأمر يحضرني قول الشاعر:

لا تنه عن خُلُقٍ وتأتي مثْلَهُ
عارٌ عليكَ إذا فعلْتَ عظيمُ

وإضافة إلى كل ذلك يجب أن نربي أطفالنا على الابتعاد من التقليد الأعمى والانجراف إلى تيار الصرعات الآتية إلينا عبْرَ وسائل الإعلام الحديثة التي لا تمت إلى الأخلاق بصلة، والتي لا تتوانى عن بث ما يفتك بالعقول ويخرِّبها ويخرجها من إطارها السليم للقضاء على أهم لبنات البناء في المجتمع. كما يجب أن نزيد من توعية أولادنا

ونجعلهم يدركون أن تقليد الأجنبي ـ الذي لا يردعه وازعٌ ديني أو خلقي ـ والاقتداء به يؤدي إلى نتيجة وخيمة، وكارثة مدمِّرة، تودي بالمجتمع بأسره إلى الضعف والوهن والضمور، وتكون النتيجة النهائية غياب العقل والسقوط في مهاوي الرذيلة والجهل والانحطاط، والانقياد للغرائز البهيمية التي فيها الموتُ الأكيد والشقاء المحتَّم.

المحامي/ عبدالعزيز إسماعيل أحمد
ص.ب ٥٦٩، الحسكة، سورية.



عودة إلى «البراجيل»



أود التنبيه في رسالتي هذه على بعض المسائل التي ذُكرت في موضوع «البراجيل» في العدد ٢٥١ .

في البدء أود القول: إن البارجيل (الباكير) هو عنصر معماري يميز العمارة الخليجية، ولكنه لا يختص بها وحدها دون غيرها، بل هو من مميزات العمارة التقليدية في المناطق الحارة الجافة التي يعمد فيها المعمار إلى ملء النسيج الحضري للمدينة وتكثيفه لتلافي الآثار غير المناسبة للجو؛ كالحرارة اللاهبة لشمس الصيف، والهواء الصيفي الحار أو ما يُعرف بالسَّموم. لكنه في الوقت نفسه يضطر إلى الارتفاع عموديًا أعلى من مستوى هذا النسيج الحضري المترابط والمتفاعل مع بعضه بعضًا صانعًا عناصر معمارية إضافية تعمل على تلقف الهواء وتغيير مساره، وإدخاله إلى أسفل الدار لصنع تيارات هوائية تساعد على تلطيف الجو الداخلي للبيت خصوصًا الطوابق الأرضية، وأحيانًا الطوابق ما تحت الأرضية أو ما يُدعى أحيانًا: «السرداب». ولا يفتح البارجيل في الطوابق العليا، وهذا ما شاهدته في البيوت التقليدية في مدينة «يزد» الإيرانية؛ حيث ينتشر الباركير بشكل واسع جدًا، ويشكل عنصرًا أساسيًا في صنع الملامح الرئيسة لهذه المدينة، وتصل أحجامه إلى أكبر بكثير مما ذُكر في مقالة الأستاذ كامل يوسف حسين، وكذلك الحال في البيوت التقليدية في مدينة بغداد، ولكن بمقاييس أصغر وبفتحات تتجه في الأغلب إلى الجهة الشمالية الغربية حيث الرياح السائدة.

كما أود ذكر بعض الملاحظات الأخرى حول المقال:

يقول الأستاذ كامل في الصفحة ٨٦: «حيث النسيم البارد يتجه إلى الأعلى ويمر فوق أسطح المنازل»، وهو يعارض قوله في الصفحة ٨٩: «حيث إن كثافة الهواء البارد عالية وهو يهبط للأسفل». والثاني هو الأدق علميًا، علمًا بأن البارجيل يعتمد في الأساس على صنع تيارات الهواء التي بدورها تلطف الجو الداخلي للدار أكثر من اعتماده على برودة الهواء، فكما نعرف أن وظيفة البارجيل تُنجز في أيام الصيف الحارة.

ويقول الأستاذ كامل في الصفحة ٨٨: «والاعتناء بالمظهر الخارجي للمنزل» فإذا كان المقصود من ذلك الواجهات الخارجية لمحيط الفناء الداخلي فلا تعارض هنا، أما إذا كان المقصود المظهر الخارجي للدار ليس غير فهو يتعارض مع قوله في الصفحة ٨٦: «فإن المدن الإسلامية تتميز بانفتاح دورها على الداخل وليس على الخارج، ومن هنا فمعظم هذه المدن تتميز دورها بالجدران السامقة المنغلقة على الخارج إلا في أضيق الحدود وفي ضوء الضرورات القصوى». فالعمارة الإسلامية ـ بصورة عامة ـ تتميز بالبساطة الخارجية وبالثراء الداخلي الذي هو انعكاس لمفاهيم الدين الإسلامي والروح التي تحمله، لذا فإن قول الأستاذ كامل في الصفحة ٨٩: «ويتم تنفيذ النقوش والزخارف التي تنم على غنى أصحاب الدار وثرائهم» لا يحمل ثقلاً واقعيًا، وإن كان كذلك فهو بعيد من الروح الإسلامية وانعكاساتها على العمارة.

ويقول الأستاذ كامل في الصفحة ٨٩: «وبعد ارتفاع البارجيل بمقدار مترين عن قاعدته يتم وضع أسياخ لمنع دخول اللصوص أو الطيور من الفتحات». ولا أعتقد أن الأمر كذلك؛ بل في اعتقادي أن هذه القضبان توضع لتدعيم هيكل البراجيل لأنها أكثر عناصر الدار تعرضًا لتقلبات الجو وتأثيراته، ومن الواضح في الصور المنشورة مع المقال أن الفتحات التي تُترك ليست بالضيق الذي يمنع دخول الطيور بله اللصوص!

ويقول الأستاذ في الصفحة ٨٩: «الدور السفلي يُستخدم في فصل الشتاء البارد، والدور العلوي يُستخدم في فصل الصيف الحار الرطب». غير أن الشائع في البيوت التقليدية هو عكس ذلك. فالطابق السفلي يُستخدم في الصيف لابتعاده من أشعة الشمس الحارقة، ولأن الطابق العلوي يغطيه من الأعلى، والدور المجاورة الملاصقة أو القريبة تحجب عنه حرارة الشمس، كما أن البراجيل تفتح فقط في الطوابق السفلية وهي التي تعمل على تلطيف الجو فيها. وكما

ذكرت فإن البراجيل هي عناصر ذات استخدام صيفي. أما الطابق العلوي فيُستخدم في الشتاء حيث يمكن الحصول على أكبر كمية ممكنة من حرارة الشمس وأشعتها المباشرة.

وأود الإشارة في نهاية رسالتي إلى أن البراجيل أصبحت عناصر غير فعالة في عمارتنا المعاصرة، ولا يرجع السبب إلى الناحية الاقتصادية وكلفتها الباهظة - كما يذكر الأستاذ كامل - فهي عناصر بسيطة سهلة الإنشاء لا تتطلب استيراد مواد إنشائية خاصة بها، ولا تتطلب تقنية خاصة لها، وهي في كل الأحوال لن تكون أكثر كلفة من أنظمة التبريد والتدفئة الحديثة، ولكن السبب في عدم فعاليتها حاليًا هو أنها عناصر معمارية وحضرية تعمل بكفاءة ضمن نسيج حضري متكامل، فإذا حصل تفتت وتشتت، بل فقدان هذا النسيج الحضري الموحد ظلت هذه العناصر منفردة منطوية على نفسها فاقدة كفاءتها. فمفهوم التيارات الهوائية وسيطرتها على الجو الداخلي للدار لا تتجزه البراجيل وحدها، وإنما بتكاملها مع النسيج الحضري الملائم، ومع المواد الإنشائية الملائمة، ومع الأزقة المجاورة الملائمة، ومع الفناءات الداخلية الملائمة، وكلها عناصر تعمل في المحيط البيئي الملائم. وهذا ما لا يتطابق مع واقعنا الحالي. والحديث في الموضوع لا يسعه المجال هنا، ولكن أرجو أن يوفقني الله لجمع بعض الملاحظات حول تغير المحيط الاجتماعي وانعكاسه على الواقع المعماري في عالمنا الإسلامي في مقال مبسط أرسله إلى مجلتنا «الفيصل» قريبًا إن شاء الله.

محسن زكي ربيعي

السيدة زينب، دمشق، سورية.



أعضاء جسم الإنسان بين الزيادة والنقصان



قرأتُ بعناية - كعادتي مع هذه المجلة - العدد ٢٤٨ من مجلة «الفيصل» التي تتمتع بموسوعية العطاء الفكري، ووقفت على الزاوية - بل الباب المفيد -: دائرة المعارف. وقد سرَّني الموضوع الجيد الذي قدمه الأستاذ موسى إبراهيم عطية أبو رياش حول «أعضاء جسم الإنسان في القرآن الكريم»، أسأل الله أن يُحْسِنَ إليه بسعيه إلى طرح ما يخدم موضوعات القرآن الكريم والدراسات المتعلقة به.

إلا أنني لاحظت قصورًا لا يُفْلت منه أيّ عمل بشري - مهما تعاظم - ووددتُ المشاركة في إصلاحه وإكماله بجهدي المتواضع على اشتغالي في هذه المرحلة ببحوث بعيدة نوعًا من هذا الميدان:

١- فهناك مسميات أدخلها المفهرس في أعضاء جسم الإنسان مع أنها لا تمثل في الحقيقة أعضاءً، بقدر ما تُمثِّلُ وظائف؛ ومن ذلك كلمة «أحلام»، وهي العقول، والعقل والحِلْم ليسا عضوين محدَّدين في الجسم، وإنما العقل وظيفة للقلب، أو بالتعبير الطبي: للمُخّ، وهو مصدر من الفعل (عَقَلَ) بمعنى قَيَّدَ الشيءَ ولم يُطْلِقْهُ. وكذلك «النُّهى»، وهي أيضًا العقول - التي هي وظائف التمييز والوَزْع في الإنسان - إذ ليس هناك - من الناحية التشريحية - عضو ذو كيان مُحَسّ في الجسم يسمى النُّهى. فالعقل من القلب بمنزلة الرؤية من العين، والشَّمّ من الأنف.

٢- سقط سهوا بعض الأعضاء فلم تُذكر في المعجم، مثل:

الأَزْرُ: وهو الظَّهْرُ، صَرَّح به الجوهري في الصِّحاح، قال: *اشْدُدْ به أَزْري*؛ أي ظهري، وابن الأعرابي، ونقله ابن منظور في اللسان.

التَّرْقُوَة: وجمعها تراق، قال تعالى: *كلاَّ إذا بَلَغَت التَّراقي. وقيلَ مَنْ راقٍ*. **القيامة**:٢٦،٢٧.

قال في القاموس: «والتَّرقوة: مُقَدَّم الحلق من أعلى الصدر، حيثما يترقى فيه النَّفَس».

الدَّمْع: وهو جزء من الجسم، لأنه يتكون فيه، ويخرج منه، وقد قال تعالى: *تَرَى أعْيُنَهُم تَفيضُ مِنَ الدَّمْعِ*. **المائدة**: ٨٣.

النَّجْدُ، وهو الثدي: ومُثَنَّاه النجدان. ذكره صاحب القاموس، وقال في اللسان: وفي التنزيل: *وهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْن*.

ثم قال: وقيل: النجدان الثديان.

قلت: رواه ابن أبي حاتم عن ابن عباس كما في تفسير ابن كثير.

٣- هناك استدلالات في غير موضعها، مثل الاستدلال علي اللحم بقوله تعالى: *وانظُر إلى العظامِ كَيْفَ نُنشِزُها ثُمَّ نَكْسُوها لَحْمًا*. **البقرة**: ٢٥٩. فالثابت أن اللحم هنا هو لحم الحمار، وليس لحم الإنسان، ومع ذلك فيجوز أن يُقْصَدَ السَّعَة فيُطلق على كل لحم، لكن هنا يلزم المفهرس أن يسير على هذا المنهج، فيُدْخل:

الدَّم: وهو أحقُّ، لأنه ورد عامًا في قوله تعالى: *حُرِّمَتْ عَلَيْكُم المَيْتَةُ والدَّمُ*.. **المائدة**:٣.

الظُّفُرُ: وفيه عموم ما، كقوله تعالى: *وعَلَى الذينَ هادُوا حَرَّمْنا كُلَّ ذي ظُفُر*. **الأنعام**:١٤٦.

العَجُز: وقد وَرَدَ في معرض التشبيه، قال تعالى: *كأنَّهم أعْجازُ نَخْلٍ مُنْقَعِر*. **القمر**: ٢٠.

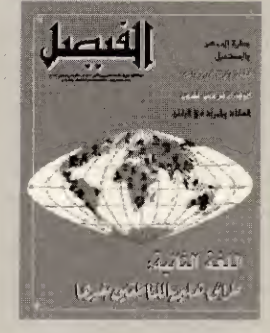
والمشهور بالعجز هو الإنسان، وقد يكون استُعير هنا للنخل.

وما سبق كله لا يقلل من قيمة هذا الموضوع، وبحسبه من الخير أنه دراسة في

القرآن الكريم، وأنّه جذب الناس للنظر فيه وفي كتاب الله تعالى. وأرجو أن يتقبل الأخ الباحث هذه الملاحظات بصدر رحب إغناء للبحث العلمي، كما أتمنى أن يكون المعجم الذي عمله الباحث الكريم نواةً لمعاجم متنوعة حول القرآن والسنة، فمثلاً: الطب النبوي يحتاج إلى معجم، وقد أوشك صاحب هذه السطور على إنجازه، والعلوم المختلفة المستنبطة من القرآن تحتاج إلى معجم مبسَّط، والأبواب الفقهية المهمة كالأحوال الشخصية والفقه الجنائي.. إلخ تحتاج إلى معاجم مبسَّطة. والله من وراء القصد.

محمد عبدالحكيم القاضي
صفط الخمار، المنيا، مصر.

لغتنا العربية.. وضعف الأمة!



بادئ ذي بدء أتوجه بالشكر إلى أسرة المجلة والقائمين عليها، وأخص بالشكر الدكتور زيد الحسين الذي عودنا في إطلالته أن يمس جوهر مشكلاتنا، ويتناول مصائبنا في حياتنا ولغتنا، وكذلك معالجته للأخطاء التي نرتكبها في حق أمتنا ولغتها وشخصيتها. وحرصًا منا - نحن قراء مجلة الفيصل - على إتمام الفائدة أود التعقيب على إطلالة الدكتور في العدد ٢٥٠، التي نَوَّه فيها بضرورة إنشاء المؤسسات التعليمية التي تهتم باللغة العربية وتعمل على تعليمها لغير الناطقين بها، يساعدها في ذلك - أي اللغة العربية - ما لها من قوة البيان، وتماسك حبكتها، وغزارة ألفاظها ومشتقاتها، واستيعابها للسلّم الصوتي، وتفردها بهذه الميزة من اللغات المنطوقة في عالمنا المعاصر.

إن الدكتور لم يجانبه الصواب في ما كتب، ولكن ما أودُّ قوله وتأكيده هو أن قوة اللغة (ونعني بقوة اللغة قدرتها على الاستمرار واستيعاب جميع الحضارات ونشرها والزيادة عليها، إلى جانب جمال أسلوبها وترابط معانيها، ومدى قدرتها على تأمين الألفاظ ذوات المدلولات العصرية، مع حفاظها على كيانها أمام تحديات اللغات الأخرى المعاصرة لها، هذه القوة ليس لها دور كبير في انتشار اللغة وزيادة عدد الناطقين بها في العالم) في هذه الحالة تكون من ذاتها فحسب؛ بمعنى أنها القوة الكفيلة باستمرارها وعدم انقراضها بوصفها لغة متكاملة قوية.

أما مسألة انتشارها فهو أمر متعلق بأصحاب هذه اللغة أنفسهم؛ من حيث تطورهم ومدى سعة حضارتهم وشموليتها. أي إن الشعب الذي يسير في مقدمة الموكب الحضاري تكون لغته بلا منازع ذات الانتشار الواسع والأسرع بسبب إجباره غيره من الشعوب على النطق بلغته وتعلمها، معتمداً طبعًا على حاجتهم إليه وللغته حتى يحققوا بذلك تواصلهم الفكري والحضاري، ومن ثم تتعامل معه بقية الشعوب على أنه مصدر للحضارة، وفي الوقت نفسه بلغته، ويكون غيره في موقع المتلقي. وهذا الموقع يفرض على صاحبه التكيف ليصبح قادراً على التلقي بلغة الأول بسبب تخلفه وضعفه الحضاري. وبكلمة أخرى نقول: إنه بامتداد حضارة شعب ما وقوتها تمتد لغته، ولنضرب مثالاً على ما أسلفنا:

لو رتبنا الدول من حيث تقدمها التقني والحضاري وظهورها قوة دولية في عالمنا المعاصر لكانت مثلاً على الشكل التالي: أمريكا - فرنسا - ألمانيا.. ولو رتبنا اللغات حسب انتشارها في العالم لجاءت على النحو التالي: الإنجليزية - الفرنسية - الألمانية.. أي بترتيب موافق لترتيب دولها ومطابق له تقريبًا. وأود الإشارة إلى أن القوة الفكرية والحضارية لا تكفي وحدها لانتشار لغة ما، بل يجب أن تكون مدعومة بقوة مادية (عسكرية)، وهذا هو السبب في استبعادي لليابان من هذا المثال على تطورها الحضاري والتقني. ونلاحظ أن العلة في عدم انتشار لغة ما لا يكون ناجمًا - على الأغلب - عن ضعف اللغة بقدر ما هو ناتج من ضعف الأمة الناطقة بهذه اللغة، ومن ينظر إلى الوضع الراهن يلاحظ انتشار العولمة بشكل سريع ومخيف بسبب تفرد قوة وحيدة في العالم فرضت لغتها على غيرها، وتسعى، فعليًا، لجعل الكرة الأرضية ناطقة بلغتها. لذلك فإنني أرى أن الحل للمشكلة التي طرحها الدكتور رئيس التحرير، إلى جانب حلِّه، هو تحسين وضع أمتنا بين دول العالم وذلك باستنشاق النفس العلمي الغربي كما فعلوا هم عندما كان وضعهم مشابهًا لوضعنا الحالي؛ فدأبوا على ترجمة كل العلوم العربية إلى لغتهم بنشاط وهمَّة عاليين، فلعبوا بذلك لعبة تبادل الأمكنة معنا. وفي هذه الحالة فقط نستطيع أن ننتفض وتنتفض لغتنا معنا. أما في الوقت الحالي فإني أرى انتفاء الدافع لديهم لتعلم اللغة العربية لعدم تحقيق الفائدة المرجوة لمتعلمها.

بهذا أرجو أن أكون قد عبرت عن رأيي، وأشكر لكم رحابة صدركم وحرصكم على السير على النهج الذي رسمتموه لهذه المجلة التي تسعى إلى نشر ديننا ولغتنا وزيادة التواصل الفكري بين أبناء الدين الواحد. والله من وراء القصد.

محمود علي حمد
جامعة حلب، كلية الهندسة المعمارية
البلد، درعا، سورية.



مفارقة عجيبة

عمر فتال

عرفت صناعة الساعات - في العقود الأخيرة - طفرة هائلة في تصنيع الأجزاء المكونة للهيكل الداخلي التي أضحت صغيرة جدًا، لكنها دقيقة إلى أقصى الحدود في ضبط الدقائق والثواني وأجزاء الثواني. أما الأشكال الخارجية فقد تنوعت إطاراتها؛ فمنها الصغير، ومنها الكبير، والدائري والمربع، وما هو شكل خاص بالرجال وآخر بالنساء، وثالث بالأطفال، وما إلى ذلك من الأشكال ذات التناسق البديع الجميل الجذاب. وأما الزخارف والرموز المتباينة التي تتآلف فيما بينها لتزين «الساحة» التي عليها تظهر، أو تتربع الأرقام - حسب نوع الساعة - وفي فضائها الزاهي تسبح «العقارب» المعددة للساعات، والدقائق والثواني فحدّث ولا حرج. وفي ظل هذا التطوير الذي يسير على وتيرة متلاحقة لا تعرف التريث، ولا التمهل ولا شيئًا اسمه الركود، لم يكن غريبًا قط أن تجد الساعة لنفسها مكانًا لائقًا في حياة الناس على اختلاف أعمارهم، ومستويات معيشتهم، ووسطهم الاجتماعي، بل أكثر من ذلك أنها حضرت بصفة رسمية في جميع الأماكن الخاصة والعامة: في الإدارات والمؤسسات، في المحطات والمطارات، في السيارات والحافلات، في المقاهي والأندية. والقائمة تطول إن أنا سمحت لنفسي بالاسترسال في ذكر كل الأماكن التي يوجد بها ساعة أو ساعات.

غير أن ما يستدعي النظر حقا هو أن هذا الخط التصاعدي الذي سارت، وتسير، فيه صناعة الساعات، ومن ثمّ تسويقها، واقتناؤها بشكل مكثف من قبل الصغير والكبير، المرأة والرجل؛ واكبته - وياللأسف البالغ - هجمة شرسة من التضييع المفرط، والقتل الجنوني للوقت الذي صُنعت الساعة، وطُوِّرت لتحديده وضبطه. هجمة تؤكد بما لا يقبل الشك أن الكثير من الناس لا يعيرون بالاً، ولا يقيمون وزنًا لأهمية الدقيقة في حياتهم، وحياة من يعيشون معهم أو حولهم من الأفراد، والجماعات..

ترى الشخص يستسلم طائعًا راضيا للجلوس على كرسي منعزل في زاوية مقهى أو ناد، فيصرف ساعات من يومه هدرًا في ذلك الركن دون أن تصدر عنه ولو أدنى محاسبة لنفسه على ما قام به في حق عمره الذي هو ثوان، ودقائق تتشكل منها الساعات، التي هي الأخرى مجرد لبنات في جدار الأيام وسور الشهور والأعوام.

تقف أمام هاتف عمومي تنتظر دورك لإجراء مكالمة عاجلة فتكتوي نفسك بنيران التطلع إلى لمس السماعة، لكن الذي عليه الدور غارق إلى الأذقان في لجة كلام فارغ، وضحك مسترسل، كما لو أن الوقت الذي يمتلكه للكلام بلا عائق، ولا رقيب، هو عينه الذي يمتلكه أولئك الذين ينتظرون أدوارهم في حرقة ولهفة!

يضيع الطفل نقودًا، كتابًا، قلمًا.. يسيء التصرف في حق صديق، قريب، جار.. عندها تُقرع الطبول إيذانا بحملة تأنيب واسعة النطاق، وربما شُنّت على إثرها أو خلالها غارات خاطفة من العقاب البدني. وحينما يضيع ساعات بعينها خارج البيت في أشياء لا تعود عليه بطائل يُذكر، أو يسيء إساءة بالغة إلى تنظيم وقته؛ فإنه لا يُحاسب، ولا يُنبَّه ألبتة إلى ما ارتكب في حق عمره المحدود من حماقات بالغة الأثر.

تجد المسؤول الأول عن مؤسسة ما، أو إدارة معينة يتصرف، ولو بشكل طفيف، في أوقات عمله، يدخل متأخرًا بكذا دقيقة، وينسحب من العمل قبل الوقت المحدد بكذا دقيقة دون أن يسائل نفسه: كم هي الدقائق التي نقصت من ساعات أولئك الذين يحتاجون إلى خدماته، إذا هو أرجأ استقبالاتهم، أو دراسة ملفاتهم إلى اليوم الموالي أو الذي بعده؟!

ينفق بعض الناس ساعات، لا بل يخنق أنفاسها جهارًا، وبلا شفقة ولا رحمة! في ممارسة هوايات أقل ما يقال عنها: إنها هوايات شاذة؛ وإذا قلت شيئًا في شأن ما يفعل سمعت التسويغ الواهي الذي غدا مشجبا تُعلَّق عليه الأعمال الجانحة عن جادة الصواب، وأعني به: «وللناس في ما يعشقون مذاهب!».

ولا داعي إلى ذكر أولئك الذين يقضون دقائق كثيرة في التحدث إلى زملائهم في الشغل أو من خلال هاتف المصلحة دون أن يلقوا كبير اهتمام إلى ما فعلوا في حق أوقات أناس ينتظرون انتهاء كلامهم ذاك بفارغ الصبر.. ولا أولئك الذين تحدد معهم موعدًا فلا يلحقون بك في المكان المتفق عليه إلا بعد أن تسرق مئات النظرات إلى الساعة التي على معصمك! حتى إذا وصلوا سوّغوا التأخير بسبب واه، ربما كان أفدح من الزلة الأساسية ذاتها!.. ولا ذلك الحرفي الذي يماطلك في إصلاح ما طلبت منه إصلاحه، وفي كل مرة تطالبه فيها بالإصلاح الفوري يسقيك كأسًا من معين اعتذاراته الذي لا ينضب؛ فتنسحب راضيًا على الرغم منك، ومعك بالطبع تنسحب دقائق ثمينة من عمرك المحدود..

أعتقد أنه تكفي هاته الأمثلة - على قلتها - أدلة ناطقة بلسان الحسرة على مدى جناية العديد من الناس في حق أوقاتهم، وأوقات غيرهم، في ظل عمر تطورت فيه، وانتشرت انتشارًا واسعًا الساعات الدقيقة، المتنوعة الأشكال، المختلفة الأحجام، الرائعة المناظر، بين جميع شرائح المجتمعات، وحضرت فيه حضورًا رسميًا داخل كل المرافق الخاصة منها والعامة. أليست هذه مفارقة عجيبة؟!